سلسلة المحاضرات الرمضانية

ألقاها السيد

عبد الملك بن بدر الدين الحوثي

رمضان ١٤٤٤هـ

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

كل الحقوق محفوظة

الكـــــتاب: سلسلة المحاضرات الرمضانية

إعـــــــداد: الوحدة الفنية بمكتب السيد/ عبد الملك بدر الدين الحوثي يحفظه الله

نشـــــــــر: مؤسسة البينات للطباعة والنشر والتوزيع

رقم الطبعة: الأولى شوال ١٤٤٤هـ

رقم الإيداع:

المقــــــاس: ١٧ × ٢٤ سم

عدد الصفحات: ٤٧٠

الموقع الإلكتروني

التطبيق الإلكتروني

الفهرس

المحاضرة الأولى ص١٥

معطيات التقوى في الحياة الدنيا

١. خطورة التسويف ووجوب استغلال بركات الشهر الكريم ١٦
٢. لكي تتقبل أعمالك.. احذر المعاصي والتزم حالة التقوى ١٩
٣. هذه هي الغاية التربوية المهمة من فريضة الصيام ٢٠
٤. بين التزام حالة التقوى وفقدانها.. والنتائج المختلفة ٢٣
٥. درس مهم من قصة أصحاب السبت ٢٤

المحاضرة الثانية صفحة:٢٩

التقوى وثمرتها في الآخرة (١)

١. تنبه.. واحسب حساب مستقبلك الأبدي وماذا قدمت؟! ٣٠
٢. مصير من يؤثر هذه الحياة على مستقبله في الآخرة ٣٣
٣. تذكر حقيقة حتمية هي: أنك متجه إما إلى الجنة أو إلى النار!! ٣٦
٤. نهايتك حتمية والموت نهاية الفرصة للعمل!! ٣٧
٥. بادر بالتوبة قبل أن يغلق بابها ٤٠

المحاضرة الثالثة صفحة:٤٣

التقوى وثمرتها في الآخرة (٢)

١. مع سورة الواقعة في عرضها التفصيلي لمشاهد يوم القيامة ٤٥
٢. في يوم القيامة تكون الأحوال مرتبطة بالأعمال ٤٨
٣. الحدث الرهيب! والمتغيرات الكبيرة في واقع البشر ٥٠
٤. فضيلة السبق ومنزلة السابقين الرفيعة عند الله ٥٢

المحاضرة الرابعة صفحة: ٥٥

التقوى وثمرتها في الآخرة (٣)

١. مرحلة البعث والحساب ومواقفه وأهواله الرهيبة! ٥٦
٢. أصناف الناس يوم القيامة وتفاوت درجاتهم ٦٠
٣. نماذج من نعيم أهل الجنة الفاخر والراقي! ٦١
٤. العمل في وسعك فانطلق لتأمين مستقبلك ٦٦

المحاضرة الخامسة صفحة: ٧١

أهمية التقوى، وما تعنيه لنا

أصحاب اليمين وما أعد الله لهم من النعيم العظيم

١. نماذج من النعيم العظيم المعد لأصحاب اليمين ٧٢
٢. تعبير القرآن العجيب عن الحور العين!! ٧٧
٣. نعيم دائم.. وخلود دائم.. وسلامة من كل المنغصات ٧٨
٤. كل هذا النعيم في متناولك.. فلماذا الغفلة؟! ٨١

المحاضرة السادسة صفحة: ٨٣

المصير والمآل المعدّ لأصحاب الشمال!

١. تأمل المصير المشؤوم للصنف الثالث! ٨٤
٢. الشيطان والمتبوعون يتبرؤون من أتْباعهم! ٨٦
٣. المصير الأليم للطغاة والمجرمين!! ٨٧
٤. أصناف العذاب الرهيب.. والبرنامج المنظم للتعذيب! ٨٩
٥. المترفون.. قادة المجتمع البشري إلى جهنم! ٩٣
٦. مصير الأتباع المستضعفين.. واحتجاجهم على المستكبرين ٩٥
٧. من الذنوب التي تؤدي إلى الخلود في نار جهنم! ٩٦
٨. عاقبة الإصرار والتكذيب بالبعث والإنكار ٩٧
٩. هذا بلاغ للناس ولينذروا به! ١٠٠

المحاضرة السابعة　صفحة: ١٠٣

كيف نستوعب عظمة القرآن الكريم؟ وكيف تكون علاقتنا به؟

١. كيف نستوعب عظمة القرآن؟ وكيف يكون ارتباطنا به؟ ١٠٥
٢. القرآن الكريم المعجزة الخالدة الكبرى! ١٠٧
٣. القرآن كتاب الهداية والنور والحصانة من الضلال ١٠٩
٤. القرآن الكريم وأثره التربوي الكبير ١١١
٥. هكذا يجب أن تكون علاقتنا بالقرآن الكريم ١١٣
٦. ضرورة التدبّر. وتوطين النفس على الاتباع والعمل ١١٦
٧. خطورة الإعراض عن القرآن الكريم ١١٨
٨. أعداء القرآن.. واقعهم. وكيف يجب أن يكون موقفنا منهم؟ ١١٩
٩. المال صنمهم ومعبودهم فلنقاطع منتجاتهم ١٢١

المحاضرة الثامنة　صفحة: ١٢٥

الدعـــاء

أهميته وآدابه وثمرته وشروط استجابته

١. الشعور الفطري بالحاجة إلى الله والتوجه إليه بالدعاء ١٢٦
٢. مشاعر المؤمن في الالتجاء إلى الله ودعائه ١٢٨
٣. ما الذي ينبغي التركيز عليه في الدعاء؟ ١٣٠
٤. من مظاهر رحمة الله أن فتح لنا باب الدعاء ١٣٤
٥. من أهم المقامات للالتجاء إلى الله واستجابة الدعاء ١٣٦
٦. من أهم آداب الدعاء. وكيف تكون مشاعرك حال الدعاء ١٣٧
٧. ثمرة الدعاء وكيف تحصل على تلك الثمرة؟ ١٣٩
٨. الشرط الأساس لإجابة الدعاء ١٤٢

المحاضرة التاسعة صفحة: ١٤٥

الشيطان رمز الشر (١)

العدو الأول لبني البشر

١. لكي تحظى بالمعونة الإلهية وتتحرر من مصائد الشيطان ١٤٦
٢. الإنسان بين اتجاهي الخير أو الشر ونتائج كل منهما ١٤٨
٣. الشيطان رمز الشر.. فلماذا الغفلة عن خطورته؟ ١٥١
٤. كيف بدأت المشكلة مع الشيطان؟ ولماذا يحقد على الإنسان؟ ١٥٤
٥. طريقة الشيطان في التأثير على الإنسان ١٥٦

المحاضرة العاشرة صفحة: ١٥٩

الشيطان رمز الشر (٢)

شدة حقده وفرصه للتأثير على الإنسان

١. لهذا السبب يحقد الشيطان على الإنسان ١٦١
٢. الشيطان يعلنها حربًا لا هوادة فيها على الإنسان ١٦٤
٣. الثغرات التي ينفذ منها الشيطان للتأثير على الإنسان ١٦٦
الرغبات والشهوات ١٦٦
المخاوف.. وهدفه من ذلك ١٦٨
حالة الغضب والانفعال ١٧٠
٤. كيف نواجه حالة الغضب والانفعال؟ ١٧٢

المحاضرة الحادية عشرة صفحة: ١٧٥

الشيطان رمز الشر (٣)

أخطر أساليبه ومدى توسع نشاطه

١. لا سلطة للشيطان إلا على ضعاف الإيمان ١٧٧
٢. أسلوب الخطوات.. الأسلوب الأخطر المعتمد للشيطان ١٧٨
٣. تنوع أساليب الشيطان على ضوء استقرائه لواقع الإنسان ١٨٢
٤. توسع نشاط الشيطان عبر تشكيلاته الواسعة ١٨٦
٥. نظام التخصصات لدى شبكات الشيطان الرجيم! ١٨٨

المحاضرة الثانية عشرة صفحة: ١٩١

الشيطان رمز الشر (٤)

توظيفه للإمكانات المادية والبشرية لخدمة أهدافه

١. قلق الشيطان من عمل الرسل وأتباعهم لهداية الناس ١٩٣
٢. متى يتحول الإنسان إلى شيطان؟! ١٩٥
٣. الإيمان بالآخرة ودوره في كبح جماح الشيطان والأهواء ١٩٧
٤. المشروع الكبير للشيطان. وتوظيفه طاقات البشر لخدمته! ١٩٩
٥. حينما يصل حال الإنسان إلى مستوى العبادة للشيطان!! ٢٠٣

المحاضرة الثالثة عشرة صفحة: ٢٠٧

الشيطان رمز الشر (٥)

الثغرات المساعدة له وسبل الوقاية من تأثيره

١. الثغرات التي تساعد الشيطان في التأثير على الإنسان ٢١٠
٢. إن كيد الشيطان كان ضعيفًا.. لكن أمام من؟ ٢١٥
٣. نقاط مهمة للوقاية من تأثير الشيطان الرجيم ٢١٧
٤. الشيطان وأعوانه ومستوى تأثيرهم في الواقع البشري ٢٢١
٥. التصدي لأولياء الشيطان هو جزء أساسي من التصدّي له ٢٢٢
٦. طليعة أولياء الشيطان. ومسؤولية الأمة في مواجهته ٢٢٤
٧. المستجيبون للشيطان وخسارتهم الرهيبة! ٢٢٦

المحاضرة الرابعة عشرة صفحة: ٢٢٩

الكـــبر (١)

حقيقته ومظاهره ومساوئه وعواقبه

١. مفاسد الكبر ودور المستكبرين في الصد عن سبيل الله ٢٣٠
٢. الكبر.. حقيقته. مخاطره. مظاهره ٢٣٢
٣. من عواقب التكبر وآثاره السيئة ٢٣٥
٤. المؤمنون وبُعدُهم عن حالة التكبر ٢٣٦
٥. بين من يسبّح بحمد نفسه ومن يسبّح بحمد الله ٢٣٨

المحاضرة الخامسة عشرة صفحة: ٢٤٣

الكـــــبر (٢)

أساس شقاء البشرية والضربة القاضية للحالة الإيمانية

١. من أبرز المفاسد الناتجة والمتفرعة عن التكبر ٢٤٥
٢. التكبر.. العنوان الأبرز في مواقف الطغاة المجرمين ٢٤٨
٣. الكيانات المستكبرة أساس شقاء البشرية ٢٤٩
٤. الغرور والتكبر.. الضربة القاضية للحالة الإيمانية! ٢٥٠
٥. التكبر وتأثيره على العلاقات الأخوية الإيمانية ٢٥٢
٦. العزة الإيمانية مطمح أولياء الله! ٢٥٣
٧. هذا هو التوجه الصحيح للحصول على العزة والرفعة ٢٥٧

المحاضرة السادسة عشرة صفحة: ٢٥٩

غزوة بدر الكبرى

مدرسة رائدة لبناء أمة مجاهدة

١. غزوة بدر مدرسة تبني الأمة لأداء الفريضة المهمة ٢٦٠
٢. الظروف التي تحرك فيها النبي للجهاد.. درس مهم! ٢٦٣
٣. مميزات المسيرة الجهادية للنبي والمستجيبين له ٢٦٦
٤. النظرة الخاطئة للجهاد. وبيان مكاسبه وخطورة التنصل عنه ٢٦٨
٥. ممارسات الأعداء تحتم علينا تحمل المسؤولية الجهادية ٢٧١
٦. كيف تتصدى الأمة لهذه الهجمة الشاملة؟ ٢٧٣

المحاضرة السابعة عشرة صفحة: ٢٧٧

الاختبار بالغنى والفقر

وعواقب إيثار الدنيا على الآخرة

١. حكمة الله في سعة الرزق وتقديره وفي مواهبه ونعمه ٢٧٨
٢. النظام في الإسلام وإرشاده لمواجهة حالة البؤس ٢٨٠
٣. الاختبار بالسعة أو التقدير في الرزق ٢٨٢
٤. خطورة التوجه نحو زخرف الدنيا ونسيان الآخرة ٢٨٣

٥. صور من المفاسد الخطيرة لإيثار الدنيا على الآخرة! ٢٨٦
٦. من المفاسد الرهيبة الأخرى للطمع في الدنيا ٢٨٩

المحاضرة الثامنة عشرة صفحة: ٢٩٣

الطمع .. مفاسده الكثيرة وعواقبه الخطيرة

١. أخذ أموال الناس بالباطل ٢٩٤
٢. نهب أموال الآخرين والسرقة وعقوبتهما العاجلة ٢٩٨
٣. خيانة الأمانة.. أنواعها وصورها وجرمها العظيم! ٣٠١
٤. الجريمة الشنعاء: التعامل بالرباء، وجريمة الغش وأشكالها ٣٠٤
٥. الاتجار بالمخدرات والخمر وما يضر الناس ٣٠٦
٦. آفة الحسد والبخل والتفريط في الالتزامات المالية ٣٠٧
٧. حينما يصبح المال هو المعيار في موقفك من الآخرين! ٣٠٩

المحاضرة التاسعة عشرة صفحة: ٣١٣

الإمام علي

بطل الإسلام ونموذج كمال الإيمان

١. أبرز المزايا والخصائص للإمام علي عليه السلام ٣١٥
٢. من أهم النصوص النبوية فيه المشهورة عند الأمة كلها ٣١٨
٣. الإمام علي مدرسة الوعي والبصيرة والثبات! ٣٢٠
٤. منهجية الإمام علي في مواجهته لأعداء الله ٣٢٢
٥. أهمية إحياء العشر الأواخر واغتنام الفرصة العظمى ٣٢٤

المحاضرة العشرون صفحة: ٣٢٧

مسؤوليتنا الكبرى تجاه ما يتهددنا من مخاطر الأعداء

١. ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ ماذا تعني في هذا السياق؟ ٣٢٩
٢. أهل الكتاب وخطرهم الرهيب على ديننا ودنيانا! ٣٣١
٣. القرآن يبين ما يقي الأمة من ظلمهم وفسادهم ٣٣٣
٤. القرآن كشف أعداءنا وبين خطورتهم.. فلماذا لا نرجع إليه؟!! ٣٣٦
٥. العدو رقم واحد وفشل سياسة استرضائه ٣٣٩

المحاضرة الحادية والعشرون صفحة: ٣٤٣

نعمة البيان (١)

وضرورة استشعار المسؤولية في استخدامها

١. نعمة البيان أهميتها وتعدد منافعها ٣٤٥
٢. ضرورة استشعار المسؤولية في استخدام هذه النعمة ٣٤٧
٣. الفارق الكبير بين نتائج الكلمة الطيبة والخبيثة ٣٤٩
٤. القيم المهمة لضبط الاستخدام لهذه النعمة ٣٥١

المحاضرة الثانية والعشرون صفحة: ٣٥٥

نعمة البيان (٢)

وأهمية استخدامها في ذكر الله تعالى

١. من أعظم مظاهر رحمة الله بعباده! ٣٥٦
٢. أهمية ذكر الله وأثره في حياة الإنسان ٣٥٧
٣. من الأدعية لمختلف الأحوال والظروف والأعمال ٣٦٠
٤. من الأذكار لله المهمة والأساسية ٣٦٥
٥. أجر الذكر لله وأثره الإيماني والوجداني والتربوي ٣٦٦

المحاضرة الثالثة والعشرون صفحة: ٣٧١

نعمة البيان (٣)

وعلاقته الكبيرة بجانب الإيمان

١. علاقة اللسان بالجانب الإيماني لدى الإنسان ٣٧٢
٢. حديث القرآن عن دور الكلمة وأثرها في المقامات المهمة! ٣٧٥
موقف أصحاب الكهف ٣٧٥
موقف مؤمن آل فرعون ٣٧٦
موقف مؤمن أهل القرية ٣٧٨
٣. دور اللسان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣٧٩
٤. دور اللسان في التواصي بالحق وبالصبر ٣٨١
٥. أهمية الكلمة في مواجهة طواغيت العصر ٣٨٤

٦. **كلمة طيبة وكلمة خبيثة.. نتائجهما المتباينة!** ٣٨٦

المحاضرة الرابعة والعشرون صفحة: ٣٨٩

نعمة البيان (٤)

وسوء استخدامها من قبل أولياء الشيطان

١. **السيئون من البشر واستخدامهم السيئ لنعمة البيان** ٣٩٠

الكافرون والمشركون وإساءاتهم الكبرى ٣٩٠

الكافرون من أهل الكتاب وسوء استخدامهم لهذه النعمة ٣٩٤

المنافقون من أسوأ البشر استخدامًا لهذه النعمة ٣٩٥

التحذير للمؤمنين من سوء استخدام هذه النعمة ٣٩٨

٢. **صور من سوء الاستخدام لنعمة البيان** ٣٩٩

اليمين الفاجرة ٣٩٩

شهادة الزور ٤٠٠

الكذب بأنواعه ٤٠٠

البهتان ٤٠١

الهمز واللمز ٤٠١

السخرية والغيبة والنميمة ٤٠٤

التنابز بالألقاب ٤٠٦

٣. **مواقع التواصل الاجتماعي.. خطورتها وكيف نتعامل معها؟** ٤٠٧

المحاضرة الخامسة والعشرون صفحة: ٤١٣

الفاحشة الشنيعة ونتائجها الفظيعة

١. **وجوب الاستقامة والحذر ونتائج التفريط فيها** ٤١٤

٢. **النهي الشديد والتحذير القرآني من تلك الجريمة** ٤١٦

٣. **من الآثار السيئة والفظيعة لجريمة الفاحشة** ٤١٨

ضربة تدمر زكاء النفس وتدنسها ٤١٨

أبشع أشكال الخيانة تدمر الحياة الزوجية ٤١٩

بؤرة كبرى لإنتاج جرائم أخرى ٤٢٠

تدمر الصحة وتسبب أزمات ومشاكل كبيرة ٤٢٠
٤. اللوبي الصهيوني أهدافه ووسائله لنشر هذه الجريمة ٤٢١
٥. توجيهات مهمة للحماية من خطوات الشيطان ٤٢٤
٦. وجوب الالتزام بالضوابط الشرعية ٤٢٧

المحاضرة السادسة والعشرون صفحة: ٤٣١
أصول النعم الكبرى
الأرض الزراعية والثروة الحيوانية

١. الطمع ونتائجه الخطيرة وتبعاته العظيمة ٤٣٢
٢. المعالجات التي قدمها الله تعالى للهم المعيشي ٤٣٤
٣. من العوامل المؤثرة في الوصول لحالة البؤس ٤٣٧
٤. من أصول النعم العظمى: توفر الأرض الصالحة للزراعة ٤٣٨
٥. من عوامل تعطيل الزراعة: الهجرة إلى المدن والاستيراد الخارجي ٤٣٩
٦. من الحلول المهمة لتنمية الزراعة ومعالجة الوضع الاقتصادي ٤٤٢
٧. إرشادات مهمة أيضًا لإنعاش الزراعة ٤٤٤
٨. إشكاليات وعوائق ٤٥١
٩. من أصول النعم العظيمة: الثروة الحيوانية ٤٥٢
١٠. ثروات مهمة: النحل والأسماك من أحسن مصادر الرزق ٤٥٥

المحاضرة السابعة والعشرون صفحة: ٤٥٩
ثمرة الشهر الكريم
وجوب الحفاظ عليها والسعي للبناء على أساسها

١. لفتة حول موضوع حادثة التدافع المأساوية ٤٥٩
٢. التقوى هي محصلة الشهر الكريم.. كيف نحافظ عليها؟ ٤٦٤
الاهتمام بالصلاة وإحياء المساجد ٤٦٥
الاهتمام بتلاوة القرآن الكريم ٤٦٦
الحذر من خطوات الشيطان ٤٦٧
الاهتمام بالمسؤوليات الجماعية ٤٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِينَ، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ.

أَيُّهَا الإِخْـــوَةُ وَالأَخَوَاتُ:

السَّـلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْـمَـةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـه؛؛؛

ومباركٌ لكم حلول شهر رمضان المبارك، نَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُم الصِّيَام، وَالقِيَام، وَصَالِح الأَعمَال.

مسيرة الحياة تتجه بنا جميعا نحو آجالنا، فوجودنا في هذه الحياة هو وجودٌ مؤقت، ووجودٌ نحن فيه في ميدان مسؤوليةٍ واختبار، نتحمل المسؤولية تجاه أعمالنا وتصرفاتنا أمام الله ﷻ.

الله هو ربنا، ومالكنا، وملكنا، وإلهنا المنعم علينا، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي يجازينا على أعمالنا وتصرفاتنا، ونحن في هذه الحياة التي وهبها لنا نعيش على أساس فترةٍ محدودةٍ مؤقتة، وحتمية الرحيل لكُلٍّ منَّا من هذه الحياة مسألةٌ معروفةٌ ومعلومة، وإذا أدرك الإنسان شهر رمضان، فهي فرصةٌ تجددت، فرصةٌ عظيمةٌ وثمينةٌ ومهمةٌ تجددت، ما يدريك! قد لا تدرك شهر رمضان من عامك القادم، أو ما يدريك! قد تعيش في واقع حياتك وتدخل في كثيرٍ من الإشكالات، وتتأثر بكثيرٍ من المؤثرات، فيأتي ذلك الشهر من عامك القادم وقد تغيرت نفسيتك كثيرًا، وأصبحت بعيدًا كثيرًا عن التمكن من إصلاحها، والتمكن من العودة إلى جادة الطريق، إلى جادة الصراط، إلى إصلاح النفس وتزكيتها، إلى الاستقامة وفق منهج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأصبحت مسألة تزكية النفس والعمل لإصلاحها مسألة عسيرة جدًّا!

إذًا، فينبغي ألَّا يسوِّف الإنسان.

خطورة التسويف ووجوب استغلال بركات الشهر الكريم

أكبر المخاطر التي تؤثر على الإنسان، فيفوته بسببها الكثير من الفرص المهمة، **وما هيّأه الله له:** هو التسويف، الإنسان أحيانًا يسوِّف، تأتيه فرصة عظيمة هيأها الله له، فيؤجل الموضوع ويسوِّف، ويلهيه الأمل، يلتهي بالأمل، [لا زالت الحياة أمامي طويلة، لا زال العمر طويلًا، لا تزال عندي أولويات أخرى، اهتمامات أخرى...إلخ.]؛ **فيفوِّت** الفرصة، وهذه مسألة خطيرة جدًّا على الإنسان، الإنسان لا يضمن حياته، ولا يتأكد ولا يتيقّن إلى متى هي، ولا يضمن نفسه.

البعض من الناس بتسويفه، لا مبالاته، وغفلته، يضيع نفسه؛ **لأنه** يتركها حتى تتأثر سلبًا، وتتغير عن فطرتها، وعن حالة التقوى والإيمان كثيرًا، ثم قد لا يتمكن فيما بعد

ذلك من إصلاحها، قد يُخذل والعياذ بالله، وهي حالة خطيرة، حالة الخذلان التي حذَّر الله منها في القرآن الكريم.

أول ما يجب أن نلتفت إليه، عندما وفقنا الله ﷻ وأدركنا شهره الكريم (شهر رمضان)، هو: ألَّا نفوِّت هذه الفرصة، وأن نحسن الاستثمار لها، والاغتنام لها، والاستفادة منها.

الله ﷻ وهب لنا شهره الكريم، وأنعم علينا به، بما جعل فيه من البركات والخيرات، هيأ لنا فيه:

- **فرصة** الاستقامة.
- **فرصة** الصلاح للنفس.
- **فرصة** التزكية للنفس.
- **فرصة** التروُّض على الصبر، **والسيطرة** على الشهوات والرغبات.
- **وفرصة** الحصول على الأجر العظيم.
- **فرصة** الارتقاء في إيماننا وأخلاقنا، والقرب من الله ﷻ أكثر.

فهي فرص عظيمة جدًّا، ومهمة للغاية، إذ يتيسر في ذلك كله (في شهر رمضان) ما لا يتيسر في غيره، هي وسيلة تعين الإنسان وتساعده على تزكية نفسه، وإصلاح نفسه، والسيطرة على شهوات نفسه ورغبات نفسه، والتعوُّد على حالة الصبر والتحمل، وتكسبه قوة الإرادة، وقوة العزم، وترتقي بعلاقته مع الله ﷻ؛ **فيُحِس** بالقرب أكثر من الله ﷻ، ويحظى برعايةٍ أكثر من جانب الله ﷻ، **الإنسان كلما أقبل إلى الله ﷻ، فالله ﷻ يزيده من الخير، والهداية، والتوفيق، كما قال ﷻ:** ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

فلنتجه في شهر رمضان المبارك بكل جدية إلى استثمار هذه الفرصة، إلى اغتنام هذا الشهر المبارك، في مجال تزكية النفس، والأعمال الصالحة، والتقرب إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **ولنحذر من حالة الهدر للوقت، والإضاعة للوقت، كما يفعله الكثير من الناس، الذين يُمضُون ليالي الشهر المبارك في السَمَرات الفارغة، في اللغو، واللهو، والكلام الفارغ، والانشغال بالأشياء التافهة، أو الانشغال الشديد بالأشياء الروتينية، التي ينشغل بها الإنسان في بقية عمره، مما لا يحتاج أن يُفَرِّغ كل وقته له**، الحديث طوال الليل **مثلًا**: عن أمور المعيشة، وهموم المعيشة، ومشاكل المعيشة...إلخ. لا يحتاج من الإنسان أن يعطي لذلك كل وقته، يستطيع الإنسان أن ينظِّم أوقاته في اهتماماته وشؤونه، واهتماماته المعيشية والحياتية، يستطيع أن ينظِّم وقته؛ **حتى** لا يضيع شهر رمضان، الإنسان منشغل طول عمره، طول حياته، فليأخذ بعين الاعتبار مستقبله عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأيضًا ما يعود بالخير والصلاح على حياته هذه.

التقوى، والإيمان، والاهتداء بهدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والاستقامة على منهج الله، لذلك كله الأثر المهم في حياة الإنسان؛ لأن حياتنا، ومستقبلنا، وحاضرنا، مرتبطٌ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو ربنا، هو المنعم الكريم، هو الذي بيده رزقنا، وبيده كل شؤوننا، **فإقبالنا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتنظيمنا لاهتماماتنا وشؤون حياتنا، لن يكون له تأثيرٌ سلبيٌ على حياتنا، بل تأثيرٌ إيجابي، هو لمصلحتنا ولمنفعتنا، فنحن بحاجةٍ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.**

لكي تتقبل أعمالك.. احذر المعاصي والتزم حالة التقوى

ثم أيضًا ليحذر الإنسان من المعاصي في هذا الشهر المبارك، ليحرص على أن يلتزم حالة التقوى لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في شهر رمضان، **من خلال:** تجنب المعاصي، والحذر من المعاصي، والحذر من خطوات الشيطان، ومن الوسائل التي تجرُّ الإنسان إلى الخطايا، تجرّ الإنسان إلى المعاصي، تنزلق به نحو الجرائم والمفاسد والعياذ بالله، فليحرص الإنسان على أن يكون حذرًا متنبهاً في نهاره وليله من ذلك، ليلتزم حالة التقوى؛ **لأن** هذا غبنٌ كبيرٌ على الإنسان، عندما يمنحه الله فرصة لصلاح نفسه، لتزكيه نفسه، لتعزيز وترسيخ حالة التقوى التي فيها خيرٌ له، ثم لا يكتفي فقط بأن أضاع هذه الفرصة، من حيث عدم الاستفادة منها، بل أن يحوِّلها هي إلى معصية، أن يعصي الله فيها، أن يفرِّط في حالة التقوى فيها، فعلى الإنسان أن يحذر من ذلك، وأن يسعى لالتزام حالة التقوى، حالة التقوى ضرورية حتى لتقبُّل العمل؛ **لكي** يتقبل الله منك الصيام، ويتقبل منك ما تتقرب به إليه من العبادات، من الأعمال، فالإنسان بحاجة إلى التقوى لقبول العمل.

ولـــذلـك من المهم أن يسعى الإنسان- وهو في بداية الشهر- إلى التخلص مما عليه من الذنوب والمعاصي، **وأن** يقيِّم واقعه، **وأن** يتفقد حال نفسه، في ما هي الجوانب التي قد يكون عاصيًا لله فيها، أو مقصرًا تقصير يصل به إلى حد المعصية، في أي جانب من الجوانب، في أي مجال من المجالات، في أي شيءٍ له علاقةٌ بأوامر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في ما أمرنا به، أو نواهيه، ثم ليحاول أن يتخلص من ذلك؛ **حتى** لا يكون عائقًا له، يبطل عليه أعماله، يحول بينه وبين **قبول** العمل، **وقبول** الدعاء، **وقبول** الذكر، **وقبول** ما يتقرب به إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الله ﷻ ذكر لنا في القرآن الكريم قصة ابني آدم: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٢٧]، كلاهما يَدِين بدين الله، وينتسب إلى مِلّة التوحيد لله ﷻ، ولكن بعد أن قرَّبا قرباناً لم يُتَقَبَّل من أحدهما، لم يكفه انتماؤه إلى ملة التوحيد، انتماؤه إلى الدين الإلهي، لم يكفه ذلك في أن يقبل الله منه قربانه، **ومعنى أنه لم يقبل منه قربانه:** أنه لا يتقبل منه- أصلًا- بقية أعماله، **كان** هذا مؤشرًا حتى تجاه بقية الأعمال، وكانت مشكلته هي في ماذا؟ في انعدام حالة التقوى لديه، ولهذا كانت ردة فعله تجاه أخيه منبعثةٌ من حالة الحسد، هذا يدل على بُعده عن حالة التقوى، **فليحذر الإنسان من أن يكون بعيدًا عن حالة التقوى، التي يخسر بسببها قبول** الأعمال، **قبول** صلاته، **قبول** صيامه، **قبول** ما يتقرب به إلى الله ﷻ، وليحرص على تحقيق حالة التقوى؛ **ليتقبل** الله منه أعماله، ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

هذه هي الغاية التربوية المهمة من فريضة الصيام

شهر رمضان في صيامه، الذي هو فرضٌ عظيمٌ وركنٌ من أركان الإسلام، وفرضٌ لازمٌ، **يجب** على الإنسان المستطيع أن يصومه، جاء في القرآن الكريم، وفي الشريعة الإسلامية، التسهيلات المتعلقة بالمريض، والمسافر، والشيخ الهرم، ومن يتضرر صحيًّا بشدةٍ من الصيام فلا يطيقه، بأحكام معروفة في الشريعة الإسلامية، لكن ما عدا ذلك، الإنسان ملزم، الصيام فريضةٌ من فرائض الله «عزَّ وجلَّ» في شهر رمضان، وهو أيضًا ركنٌ عظيمٌ من أركان الإسلام، وغايته الأولى- بالنسبة لنا في واقعنا العملي- هي غايةٌ تربوية، كما قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٨٣].

وهذا ما يجب أن نتذكره، وأن نستحضره في أذهاننا ووجداننا، أثناء أدائنا لهذه الفريضة العظيمة والمهمة: أن الغاية التربوية منها- وهي غاية مهمة جدًّا- هي تحقيق التقوى، تحقيق التقوى لله ﷻ، أن نتعوَّد وأن نتروض على الصبر، والالتزام العملي بطاعة الله ﷻ، وأن نسيطر على أهوائنا، وشهواتنا، ورغباتنا، التي قد تؤثر على الإنسان أحيانًا؛ **فتكون** هي دافعًا له إلى المعصية، والمخالفة لشيءٍ من أوامر الله ﷻ، أو لشيءٍ من نواهيه ﷻ، فتذكُّر هذه الغاية التربوية أمرٌ مهم، والتقوى شأنها عظيم، وأهميتها كبيرةٌ جدًّا، **والمشكلة التي يعاني منها المجتمع المسلم بشكلٍ عام هي:** النقص في التقوى.

الله ﷻ منَّ علينا ووفقنا للانتماء للإيمان والإسلام، وهو يخاطبنا في تشريعاته، وتوجيهاته، وتعليماته المهمة والعظيمة، التي هي لمصلحتنا، ينادينا بهذا النداء: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، نعمةٌ عظيمة انتماؤك للإيمان، أصبحت متجهًا- من خلال هذا الانتماء- على أساس الالتزام بتعليمات الله وتوجيهات الله ﷻ، وأصبح هذا الانتماء ميثاقًا بينك وبين الله ﷻ على ذلك؛ **لأن ثمرة انتمائك للإيمان: هي الطاعة لله ﷻ، والاستجابة له، والتمسك بهديه، والالتزام بتعليماته**، هذه هي ثمرة انتمائك الإيماني، فرق بين أن تكون مؤمنًا، أو كافرًا، منتسبًا للإسلام، أو خارجًا عن ملة الإسلام، إيمانك بهدي الله وتعليماته، إيمانك بالله وكتبه ورسله وأنبيائه، ثمرته ثمرةٌ عملية، هي في التزامك العملي، في طاعتك لله ﷻ، تجاه أوامره، وتجاه نواهيه، فيبقى أن يكون هذا الانتماء الإيماني منطلقًا نحو العمل، نحو الالتزام بهدى الله ﷻ، وبتوجيهاته ﷻ، أن تبني مسيرة حياتك على أساس ذلك، هذا ما عليك أنت كمنتمٍ للإسلام، كمنتمٍ للإيمان، بحكم هذا الانتماء الإيماني.

التقوى فيما تعنيه للإنسان شخصيًا، وللمجتمع المسلم بشكلٍ عام، هي ذات أهميةٍ كبيرة، ليست شيئًا هامشيًا، يمكن للإنسان أن يستغني عنه، وألَّا يبالي به، وألَّا يحرص عليه، **يقول:** [شيء عادي، إن كنت أريد ذلك، وإلا فالأمر عاديٌ تمامًا]، **التقوى تعنيك أنت في نجاة نفسك، في الوقاية لنفسك**، من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، من الشقاء، من جهنم، فأهميتها للإنسان أهميةٌ كبيرة، الإنسان الذي يريد لنفسه الخير، يحرص على نجاة نفسه، الوقاية لك من عواقب مخالفتك لتعليمات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأوامر الله جَلَّ شَأنُهُ، التي هي عواقب وخيمة، عواقب سيئة جدًّا.

نحن نؤمن بالجزاء، نؤمن بما وعد الله في القرآن الكريم، وما توعَّد به، نؤمن بالوعد والوعيد، فيما توعَّد الله به على المعاصي، على المخالفة لتعليماته، المخالفة لهديه، المخالفة لتوجيهاته جَلَّ شَأنُهُ، وما يترتب على ذلك من العقوبات العاجلة في الدنيا والآجلة في الآخرة، وكثيرٌ من المشاكل التي يعاني منها المجتمع البشري هي تعود إلى التفريط في التقوى.

ما يتسبب به الناس من خلال أعمالهم: من جرائم، ومفاسد، ومظالم، وما ينتج عن ذلك من عقوبات في واقع الحياة، وما يترتب على ذلك من عقوبات في واقع حياتهم المعيشية وغير ذلك، هو يعود إلى التفريط في حالة التقوى.

فالتقوى هي نجاة، هي فوز، هي فلاح، هي خيرٌ للإنسان، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[الطلاق: ٢-٣]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾[الطلاق: ٥]، ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[الزمر: ٦١]، **يقول الله أيضًا عن الجنة:** ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران: ١٣٣]، ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾[مريم: ٦٣]، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ

﴿الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾[الأعراف: ٩٦].

حالة التقوى يترتب عليها كل خيرٍ في عاجل الدنيا وفي آجل الآخرة، الفوز بما وعد الله به في الدنيا والآخرة مترتبٌ على مسألة التقوى، فهي مسألة ضرورية، لا يمكن أن يستهتر بها الإنسان، ويتصور أنه لا ضرورة لها، ولا حاجة إليها؛ **لأنها** تعنيه هو، تعني وقاية نفسه، الوقاية له من عواقب الأعمال السيئة، على المستوى الشخصي، وعلى مستوى المجتمع كمجتمع.

بين التزام حالة التقوى وفقدانها.. والنتائج المختلفة

والتربية على التقوى، والأمر بالتقوى تكرَّر كثيرًا في القرآن الكريم، حتى لأنبياء الله، ولأوليائه، ولعباده المؤمنين، واقترن في كثيرٍ من الآيات مع أوامر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يأمرُ بأمرٍ، ويأمرُ معه بالتقوى؛ **للحذر** من المخالفة في ذلك الأمر، كما اقترنت أيضًا مع كثيرٍ من النواهي في القرآن الكريم، ينهى عن شيءٍ ويحذِّر منه، ثم يأمر بالتقوى؛ **ليبيِّن** العواقب للمخالفة في ذلك النهي، الذي ورد في القرآن الكريم، فالمسألة في غاية الأهمية، والتربية على التقوى والعناية بهذا الأمر أمرٌ مهمٌ جدًّا؛ **كي** لا يتعود الناس بشكلٍ عام كمجتمع، أو الإنسان شخصيًا، على التمادي في المخالفة لأوامر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والاستهتار بالمعاصي، والجرأة على التعدي لحدود الله وأوامر الله.

الفرق بين الحالة التي تترسخ لدى الإنسان فيها التقوى، وبين الحالة التي تنعدم فيها حالة الشعور بالتقوى وأهمية التقوى، **هي هذا:**

الإنسان المتقي لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يستذكر العواقب السيئة للمخالفة؛ فيحذر من المخالفة، **ويكون** بعيدًا عن الجرأة على المعصية، **ويكون** حريصًا على الالتزام العملي، **ويكون** جادًّا في طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **وحريصًا** على تنفيذ أوامر الله، **على الاستجابة لله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فإذا فقد الإنسان هذه الحالة؛ كان مستهترًا، جريئًا **على** المعصية، جريئًا **على** المخالفة، سواءً تجاه شيءٍ من أوامر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أو تجاه شيءٍ من النواهي، وإذا فقد الإنسان حالة التقوى، أصبح جريئًا **على** العصيان، **على** المخالفة، **على** الرد لتوجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **فهي حالة خطيرة جدًّا:**

- **توقع** الإنسان في الذنوب والمعاصي الكبيرة.
- **تبعد** الإنسان عن حالة الالتزام العملي والطاعة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- **يتحول** إلى عاصٍ مُصِرّ على معاصيه، ومستهتر وجريء على التعدِّي لحدود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والعياذ بالله.

وهذا يجرُّ الإنسان نحو الخُذلان، أن يخذله الله، أن يسلب منه التوفيق؛ **فلا** يتوفق، لا للتوبة، ولا للرجوع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويصبح ممن حق عليهم القول، **يعني:** استحقوا الوعيد الإلهي، وابتعدوا تمامًا عن العودة إلى طريق الحق، ابتعدوا عن التوبة والإنابة والرجوع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويسيطر عليهم الشيطان سيطرةً تامة، بعد زيغهم، وفسادهم، وانحرافهم، وقسوة قلوبهم؛ **لأن لهذا آثار نفسية: في** قسوة القلوب، **في** الجرأة، **في** انعدام حالة الخشوع والتذكُّر، والحياء من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والاستذكار للعواقب الخطيرة في الدنيا والآخرة، والتذكر لمآل- ما يؤول إليه الإنسان- مآل عصيانه في الآخرة، وهو جهنم والعياذ بالله.

درس مهم من قصة أصحاب السبت

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكر لنا في القرآن الكريم قصةً مهمة، تبيّن لنا خطورة التمادي في العصيان، والاستهتار، وانعدام حالة التقوى، والجرأة على المعاصي، والمخالفة في الأمور العملية، وما يترتب عليها من عواقب في الدنيا والآخرة، **هي قصة أصحاب السبت، يقول الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ

تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[الأعراف: ١٦٣].

تلك القرية كانت قريةً في الساحل (في ساحل البحر)، وكان أهلها يعتمدون في حياتهم المعيشية على الصيد، وكانوا من بني إسرائيل، في المرحلة التي كانوا هم فيها أمة الرسالة الإلهية، التي **يجب** عليها أن تقدِّم النموذج لبقية الأمم، في التزامها بدين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتشريعاته وأحكامه، وأن تكون هي القدوة لبقية الأمم في تلك المراحل، ما قبل بعثة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ.

فتلك القرية (الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) يعني: قريةً ساحلية، ويعتمد أهلها في واقعهم المعيشي وكسبهم على الصيد، كانوا يستهترون بتوجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يلتزمون حالة التقوى لله، ويتجرأون على معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ **فكانوا (يَفْسُقُونَ)**: يخرجون عن تعاليم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويتجاوزونها، ولا يلتزمون بها، فحصل لهم هذا الابتلاء الخطير، وهذا مما يحصل للإنسان شخصيًا، أو للمجتمع كمجتمع، إذا أصبح مستهتراً، لا يلتزم بتعليمات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، جريئًا على المعصية، جريئًا على الفسق، جريئًا على المخالفة لتوجهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والرد لأوامره، والتجاوز لمناهيه، فيُبتلى بما هو أخطر، يُبتلى بما هو أخطر، فإذا تورَّط في ذلك، كانت العقوبة عقوبة شديدة جدًّا، فابتُلُوا في كسبهم المعيشي، كان محرمًا عليهم الاصطياد في يوم السبت، فكانت تخرج الأسماك في يوم السبت **(شُرَّعًا)** على ظاهر الماء، وبكثرة، بحيث يسهُل اصطيادها، فإذا كان في غير ذلك اليوم- في بقية الأيام التي يحل لهم فيها الصيد- تختفي إلى أعماق البحر، ويتعسَّر عليهم جدًّا اصطيادها، **لماذا؟** يقول الله: ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

في حالة التقوى، يأتي اليسر من الله سبحانه وتعالى، يأتي العون من الله سبحانه وتعالى، تأتي البركات من الله سبحانه وتعالى، كما قال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، ويجعل الله بعد العسر يسرًا، لكن في حالة المعصية، والتجرؤ على المخالفة لتعليمات الله وهديه، يأتي الاختبار بشيءٍ عسيرٍ على الإنسان، كان اختبارًا خطيرًا لهم هذا، عندما كانت تظهر في اليوم الذي يحرُم عليهم اصطيادها على وجه الماء، وفي بقية الأيام تختفي في أعماق البحر، ويتعسر عليهم اصطيادها، فما الذي حصل؟

خالفوا، خالفوا وتجرَّؤا في مسالة عملية، يعني: لم تكن مخالفتهم -مثلاً- عبادة صنم من الأصنام، أو خروجًا من مِلَّة التوحيد، لكن مخالفة في التزامهم العملي، فخالفوا، وانتهكوا محارم الله سبحانه وتعالى، وقاموا بالاصطياد في ذلك اليوم، الذي يحرُم عليهم الصيد فيه، وكان هذا في شريعتهم، عندما حصلت منهم المخالفة، كان البعض يَعِظُهم، ويحذرهم، وينذرهم، ويذكرهم، **ويحثهم على التقوى:** فلم يكونوا يستجيبون، وكان البعض يتنصَّل عن النهي، والاستنكار عليهم لما هم فيه، والتذكير لهم، ويتجاهل ما يعملونه، **فكانوا ثلاثة أقسام:**

- **قسم:** يتجرأ على تلك المعصية.
- **قسم:** لا يُشارِكهُم فيها، ولا يحذرهم منها، ولا يُنكر عليهُم ما هم فيه.
- **وقسمٌ آخر:** يُحذرهم، يُنذرهم، يُذكرهم، ويتقي الله من الوقوع في ذلك المحذور.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، المُقصِّرون والساكِتون كانوا ينتقِدون على الذين يُذكِّرون ويستنكِرون ذلك المُنكر، يذكِّرون قومهم ويستنكرون عليهم تلك المخالفة العملية، فهم يبيِّنون لهم أن هذا أداء لواجب، أننا نعمل ما علينا، مسؤولية

أن نعمله أمام الله ﷻ، نؤدي واجبنا تجاه الله ﷻ، ﴿مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، وتذكيرٌ لهم، إقامةٌ للحجة عليهم، تنبيهٌ لهم؛ **لربما** يتذكر منهم مَن يتذكر، ولكن دون جدوى، استمر أولئك وتمادوا، تمادوا في المعصية، في المخالفة، والتمادي في المخالفة والمعصية أمرٌ خطير، خطيرٌ جدًّا على المجتمع كمجتمع، وعلى الإنسان شخصيًا.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[الأعراف: ١٦٥]، عندما أصبح ما ذُكِّروا به من هدي الله، من تعليمات الله، لا قيمة له عندهم، لم يعودوا يبالون به، ولا يلتزمون به، ولا يستجيبون له، أتى العذاب، وكانت النجاة لمن؟ للذين كانوا ينهون عن السوء، ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾، عذاب شديد عُذِّبوا به، ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾، **كذلك الإشكالية هي هذه: حالة** الفسق، **الجرأة** على معصية الله، **على** مخالفة أوامر الله، **على** الرد لتوجيهات الله ﷻ.

مع ذلك، لم ينفع فيهم بعد أن ذُكِّروا بالعذاب، ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[الأعراف: ١٦٦]، لـمَّا لم ينفع فيهم التذكير من هدى الله، لم ينفع فيهم حتى العذاب البئيس، عقوبة معينة تأتي قبل العقوبة الكبرى؛ **لتكون** هي ذكرى لهم، فلم ينفع معهم ذلك؛ **أتت** لهم العقوبة الكبرى، وكانت هذه كعقوبة عاجلة، **كانت عقوبةً رهيبة:** مُسِخوا إلى قِرَدَة، مُسِخوا إلى قِرَدَة والعياذ بالله، أمر رهيب عندما مُسِخوا من حالتهم البشرية إلى قِرَدَة! **والسبب** هو ماذا؟ تلك المعاصي، تلك المخالفات في الواقع العملي، لم تصل بعد إلى حالة أن عبدوا صنماً، أو خرجوا من ملة التوحيد، لكن التمادي في المعصية لله، في المخالفة لله، من جانب أمةٍ قد أنعم الله عليها بنعمة الهُدى، ووصلت إليها تعليمات الله ﷻ، وأصبحت- من حيث الانتماء- بينها وبين الله ميثاق، على الالتزام بهديه، والاتِّباع لكتابه وتعليماته ﷻ.

هذا الدرس يبين لنا الخطورة الرهيبة للتمادي في المعاصي، والمخالفة لتوجيهات الله، والمخالفة لأوامر الله ﷻ، أنه يترتب على ذلك عقوبة، والعقوبات كثيرة ومتنوعة، فليحذر الإنسان عندما يتيقَّن ويؤمن أن المخالفة لتعليمات الله ﷻ، وتوجيهاته وهديه، يترتب عليها- حتمًا- عقوباتٌ عاجلةٌ في الدنيا، **أمَّا** في الآخرة فنار جهنم والعياذ بالله، سوء الحساب ونار جهنم والعياذ بالله.

هذا يبين لنا ما تعنيه لنا التقوى، أهميتها لنا؛ لأن بها نجاتُنا، سلامتُنا من عذاب الله ﷻ، من عواقب أعمالنا في هذه الحياة وفي الآخرة.

نتحدث- إن شاء الله- عن العواقب الرهيبة في عالم الآخرة، التي تنتج عن التفريط في حالة التقوى، والعاقبة الإيجابية للتقوى في الآخرة- إن شاء الله- في المحاضرات القادمة.

نَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَتقبَّل مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَام، وَالقِيَام، وَصَالِحَ الأَعْمَال.

وَنَسْأَلُهُ ﷻ أَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبْرَار، وَأَنْ يَشْفِي جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنصُرنَا بِنَصْرِه، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاء.

وَالسَّـلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَـةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـه؛؛؛

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِينَ، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ.

أَيُّهَا الإِخْــــوَةُ وَالأَخَوَاتُ:

السَّـلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْـمَـةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـهُ؛؛؛

حديثنا مستمرٌ عن أهمية التقوى، وما تعنيه للإنسان، على المستوى الشخصي، وما تعنيه للمجتمع وللأمم بشكل عام، وسبق لنا الحديث عن بعض نتائج التقوى، وما تحققه للإنسان، وما يتحقق له بها في عاجل الدنيا، **ويأتي من أهم ما يتعلق بالتقوى: هو ما** تعنيه لنا بالنسبة لمستقبلنا الأبدي في عالم الآخرة، الحياة الأبدية، التي خيرها خالص، وشرها خالص، للتقوى أهميةٌ كبيرةٌ **جدًّا** بالنسبة لنا تجاه ذلك.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **يقول في القرآن الكريم مخاطبًا لنا:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا

اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝١٩ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [الحشر:١٨-٢٠].

لتقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أهميةٌ كبيرةٌ لكلٍ منا، تجاه مستقبله المهم **جدًّا** في عالم الآخرة، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عندما خلقنا في هذه الحياة، جعل حياتنا ووجودنا في هذه الحياة مرتبطًا بمستقبلنا في عالم الآخرة، وحياتنا في عالم الآخرة مرتبطةٌ بحياتنا هنا.

وهذه النظرة مهمةٌ جدًّا من جانب الإنسان: أن يؤمن بهذا الارتباط بين الحياتين الأولى والآخرة؛ **حتى** لا تكون نظرته، وبالتالي اهتماماته، وتوجهاته، وكل تركيزه، متجهًا فقط إلى هذه الحياة، وغافلًا تمامًا عن مستقبله في الآخرة، **هنا تكمن الخطورة:** عندما تكون توجهات الإنسان واهتماماته، وكل تركيزه إلى هذه الحياة، ومنفصلًا تمامًا عن مستقبله الآتي حتمًا في عالم الآخرة، فلذلك يحذرنا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وينبهنا؛ **حتى** لا نقع في هذه الغفلة التي يقع فيها الكثير من الناس، فلا يحسبون حساب مستقبلهم في الآخرة، ولا يتقون الله في أنفسهم تجاه ذلك؛ **فيُوَرِّطون** أنفسهم نتيجةً لهذه الحسابات، التي يفصلون بها مستقبلهم في الآخرة عن اهتماماتهم في هذه الحياة، ويوجهون كل اهتماماتهم بشكلٍ منحصر على هذه الحياة، يورطون أنفسهم الورطة الكبيرة، ويخسرون مستقبلهم الأبدي المهم **جدًّا**، في مقابل اهتمامات ورغبات منحصرة لفترةٍ وجيزة في هذه الحياة.

تنبه.. واحسب حساب مستقبلك الأبدي وماذا قدمت؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، **إيماننا** الذي هو صلةٌ لنا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، صلةٌ بهديه، بتعليماته، **إيماننا** الذي نبني عليه تصديقنا بوعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ووعيده، **إيماننا** الذي هو ميثاقٌ بيننا وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، على أساس الاستجابة له، والالتزام بأوامره ونواهيه، هذا الإيمان ينادينا الله به، يخاطبنا به، يذكرنا على أساسه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، اتقوا الله فلا تفرطوا تجاه مستقبلكم، الذي هو مستقبلٌ قريبٌ في الواقع، مهما كانت نظرة الإنسان إليه وكأنه بعيدٌ **جدًّا**، هو قريبٌ منك، الفاصل بينك وبينه هو الموت، والموت هو لحظة- بالنسبة لحسابات المستقبل الكبير الأبدي- لحظةٌ صغيرة، لحظةٌ بسيطة، في يوم القيامة، في يوم البعث، **هكذا يكون إحساس الإنسان:** أن المدة التي أمضاها في حالة موته، لم تكن إلا وقتًا يسيرًا **جدًّا**، وجزءًا بسيطًا **جدًّا** من الوقت، ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝١١٢ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾[المؤمنون: ١١٢-١١٣]، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾[الروم: ٥٥]، تعتبر فترةً وجيزةً، تلك المرحلة التي هي فاصلٌ بينك وبين هذا الغد القريب الآتي.

ولهذا يأتي التعبير عنه في القرآن الكريم على هذا النحو: ﴿مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾؛ **لأنه** مستقبلٌ قريبٌ ومهمٌ **جدًّا**، مهما كنت مستبعِدًا له، وتراه بعيدًا، ولا تلتفت إليه، أنت المعني بأن تُعِدَّ لنفسك، وأن تقدم لنفسك، لِغَدك الآتي، لمستقبلك المهم، أن تقدم ما فيه نجاتك، وما فيه فوزك، وما فيه فلاحك، **إذا لم تنظر فيما تقدمه:** ما هو؟ وماذا سيترتب عليه؟ فربما قد يكون سعيك في هذه الحياة، أعمالك في هذه الحياة، **والتي يتقرر فيها مصيرك في ذلك المستقبل:** هي أنك تعد لنفسك العذاب، تعد لنفسك الشقاء، أنتَ بنفسكَ تعد لنفسك في مستقبلك في الآخرة العذاب والجزاء؛ **لأنك** تعمل أنت **الأعمال** التي تشقى بها، **الأعمال** التي تتعذب بها، **الأعمال** التي تخسر أنت بسببها رضوان الله، والجنة، والحياة السعيدة الأبدية؛ **فتكون** أنت من أهلكت نفسك بنفسك، ومن سببت لنفسك الخسارة، ومن فوَّت على نفسك النعيم العظيم، والمستقبل الأبدي السعيد.

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، لتستشعر أنت مسؤوليتك تجاه نفسك، ولتحمل أنت الاهتمام تجاه نفسك، وتجاه مستقبلك، وما تقدمه، ما تعمله في هذه الحياة من

أعمال، هي ذات أهميةٍ كبيرة، فوق ما تتصور، فوق ما تتخيل، محسوبٌ فيها مثقال الذرة من الخير، ومثقال الذرة من الشر، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[الزلزلة: ٧-٨]،

حسابات الإنسان في هذه الحياة يجب أن يأخذ فيها بعين الاعتبار هاتين الحياتين، فلو توجَّه- وهو كما قلنا حال الكثير من الناس- كل اهتمامه فقط نحو هذه الحياة، يريد أن يرتاح فيها، يريد أن يحقق طموحاته فيها، في رغباته المادية، في شهواته، في ملذاته، على حساب ذلك المستقبل المهم، المستقبل الأبدي في الآخرة؛ **فالإنسان** سيتورط وسيخسر، سيخسر النعيم العظيم الخالص، الحياة السعيدة الأبدية الراقية، مقابل أشياء تافهة، أشياء محدودة، ينالها هنا في الدنيا، ثم تفوته ويخسرها، ويحمل تبعاتها الخطيرة جدًّا، تبعاتها الرهيبة، تبعاتها التي تجعله يتحسر ويتندم، ولهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ۝١٨ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ۝١٩ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[الإسراء: ١٨-٢٠].

اهتمام الإنسان بالآخرة، وسعيه لها، لا يعني أنه سيترك الاهتمام بشؤون حياته في هذه الدنيا، بل إن اهتماماته في هذه الحياة، وكذلك سعيه في هذه الحياة، سيكون في إطار اهتماماته بمستقبله في الآخرة، من خلال هذا الربط، فهو سيهتم بشؤونه في هذه الحياة، لكن بما يفيده أيضًا، وبما هو محسوبٌ فيه مستقبله في الآخرة، وليس على حساب مستقبله في الآخرة.

مصير من يُؤثر هذه الحياة على مستقبله في الآخرة

أمّا من يغفل عن مستقبله في الآخرة، فهو يتجه لهذه الحياة على حساب ذلك المستقبل، يعمل هنا أي شيء، في مقابل أن يحصل على ملذاته، على رغباته، **على أهوائه:** يعصي الله ﷻ، يخدم الباطل، يرتكب الآثام، يقصر ويفرط تجاه ما أمره الله به، يتنصل عن مسؤولياته المهمة في هذه الحياة، التي هي جزءٌ من التزاماته الإيمانية والدينية، كل هذا من أجل أن تستقر له هذه الحياة على النحو الذي يرغب به، أو أن ينال فيها شيئاً من ملذاته، ورغباته، وأهواء نفسه.

هذه النظرة القاصرة، النظرة المحدودة، لا يصل الإنسان من خلالها إلى بُغيته في هذه الحياة، قد يحصل على شيءٍ من ذلك، مع كثيرٍ من المُنغصات، وكثيرٍ من التعقيدات، ثم ينتهي ذلك ويفوت، هي حياة مؤقتة، حياةٌ محدودة، لو نال الانسان فيها ما نال، لو حصل له مما يرغب به ما حصل، لو وصل إلى شيءٍ ما من أهوائه ورغباته، فهو شيءٌ محدود، لوقت محدود، سرعان ما ينتهي، العاجلة عاجلة محدودة ومؤقتة ثم ينتهي كل شيء، لكن **تبقى** التبعات، **تبقى** الآثام، **تبقى** الأوزار، **يبقى** العذاب الأبدي في الاخرة والعياذ بالله، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ﴾.

ما قيمة ما ستحصل عليه في هذه الحياة، من ملذاتها، أو رغباتها، أو أهوائها، أو شهواتها ومُتعها، إذا كان ما بعده هو جهنم؟! غمسةٌ واحدةٌ في نار جهنم تنسيك كل شيء من مُتع هذه الحياة، من راحة هذه الحياة، من ملذات هذه الحياة، غمسةٌ واحدةٌ في نار جهنم، لحظةٌ واحدة في نار جهنم، ما بالك عندما يكون مصيرك ومستقبلك هو جهنم والعياذ بالله، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾، يخسر الإنسان كرامته، قيمته الإنسانية، يكون مستقبله في جهنم مستقبل العذاب والهوان، والخزي والمذمة، مطرودًا من رحمة الله ﷻ، **لا** قيمة له، **لا** كرامة له، **لا** احترام له، **لا** قدر له، **لا** وزن له، خاسر، ومذموم، ومدحور، حتى هو تجاه نفسه، حتى مشاعره، مشاعره

تجاه نفسه، ينظر إلى نفسه بأنه إنسانٌ خاسر، إنسانٌ تافه، إنسانٌ متورط، إنسانٌ لم ينصح لنفسه، لم يُحسن الاختيار لمستقبله ولمستقبل نفسه، يكون هو متحسرًا شديد الندم، وفي نفس الوقت ينظر إلى نفسه بمذمة، يلوم نفسه على الدوام، وهو في أشد حالةٍ من التحسر؛ **لأنه** ما قيمة أي شيءٍ حصل عليه في مقابل تلك الورطة الرهيبة، **ذلك العذاب والشقاء الرهيب:** جهنم والعياذ بالله، ﴿يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾، كانت اهتماماته وتوجهاته محسوبٌ فيها- بالدرجة الأولى- مستقبله المهم في الآخرة، الذي هو أبديٌّ، وما فيه هو في غاية الأهمية؛ **لأن** نعيمه هو على أعظم وأرقى مستوى وللأبد، والعذاب فيه على أشد ما يكون وللأبد، حسابات الإنسان الناصح لنفسه، الذي أحسن الاختيار لنفسه، الذي اهتم بأمر نفسه وبمستقبل نفسه.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾، وسعينا للآخرة في هذه الحياة هو ضمن أنشطتنا واهتماماتنا في هذه الحياة نفسها، نحن نعمل في هذه الحياة ما هو مهم لنا في هذه الحياة نفسها، ومهمٌ لنا في مستقبلنا في الآخرة، ليست أعمالًا لا أثر لها ولا أهمية لها أيضًا في هذه الحياة، **كل الأعمال التي هي لمستقبلنا في الآخرة لها ثمرتها، وأهميتها، ونتيجتها الإيجابية هنا في عالم الدنيا، هي مما نحتاج إليه في هذه الحياة،** ولكن في حسابات الإنسان فيما يترتب على ذلك من نتائج، أو بحسب هوى النفس، ورغبات النفس، يكون الإنسان المؤمن، المتقي لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ملتزمًا بتوجيهات الله جَلَّ شَأْنُهُ، مقتصرًا في إطار تعليمات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفيها الخير الكافي للإنسان، فيها مصلحة الإنسان الحقيقية.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾؛ **لأنه** لابدَّ من أن يكون منطلقك أن يكون إيمانيًا، تنطلق من منطلقٍ إيماني، فيما تعمله، فيما تقدمه لمستقبلك في الآخرة، ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يشكر لك سعيك، الذي هو في هذه الحياة شكر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لكنه بكرمه العظيم يجعل سعيك مشكورًا، ويكتب لك عليه الجزاء العظيم، والأجر العظيم، والفضل العظيم، الحياة السعيدة.

﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾؛ **ليبين** لنا أن اهتمام الإنسان بمستقبله في الآخرة لا يعني أنه قد أضاع نفسه في هذه الحياة، وحرم نفسه من كل شيءٍ في هذه الحياة، سيأتيه ما هو مقدرٌ له ومكتوبٌ له من الخير في هذه الحياة، وبشكلٍ لا يكون على حساب مستقبله في الآخرة.

﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ **لأن أعظم تفريط، وأكبر خسران للإنسان:** هو عندما لا يحسب حساب مستقبله في الآخرة، هذه خسارة رهيبة **جدًّا**، وتفريطٌ عظيم، أنت لم تقِ نفسك من العذاب والشقاء الأبدي، والعذاب العظيم، العذاب في جهنم، العذاب في الآخرة، بدءًا من سوء الحساب، أمر رهيب **جدًّا!**

﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾، فأعمالنا هي تقدمةٌ لمستقبلنا في الآخرة، **فلننظر إلى أعمالنا بهذه الأهمية:** أنها تقرر مصيرنا في مستقبلنا في الآخرة، وفي حساباتنا ننطلق من منطلق رقابة الله سبحانه وتعالى، الخبير بما نعمل، وبمستوى آثار ما نعمل، ما نعمله من أعمال، وآثار أعمالنا في الدنيا، ونتائجها وما يترتب عليها محسوبٌ أيضاً مع الأعمال، والله هو الخبير الذي يجازي على ذلك.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، الإنسان الذي ينطلق في ميدان هذه الحياة ناسياً لله سبحانه وتعالى، لا يحسب حساب الله، أن يتقي الله، أن يعلم أن الله رقيبٌ عليه، أن يعلم أن الخير له **في أن** يتقي الله سبحانه وتعالى، **أن** يطيع الله سبحانه وتعالى، **أن** يستجيب لله، **أن** يسمع لنداءات الله سبحانه وتعالى، **أن** يسمع لتحذير الله سبحانه وتعالى له من حالة الغفلة، للإنذار الذي أنذرنا الله به في هذه الحياة، الذين نسوا الله فلم يحسبوا حسابه، **نتيجة ذلك:** أنهم ينسون أنفسهم، ﴿فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾، فلا تهتم بنفسك في مستقبلك المهم، في مصيرك المحتوم والكبير، ﴿فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، هم الذين يخرجون عن ما رسمه الله سبحانه وتعالى لعباده كطريقٍ للنجاة، كأعمالٍ هي لخيرهم، لمصلحتهم، لمنفعتهم في الدنيا والآخرة.

تذكر حقيقة حتمية هي: أنك متجه إما إلى الجنة أو إلى النار!!

﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، **الإنسان عليه أن يدرك أنه متجهٌ حتماً إمَّا إلى الجنة، وإمَّا إلى النار**، وهذا سيتقرر بحسب أعماله، بحسب توجهاته، إن سار وفق هدي الله وتعليمات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أوصله ذلك إلى الجنة، **وإلَّا فالنتيجة الحتمية إذا خرج عن ذلك:** النتيجة الحتمية أن يكون مصيره المحتوم إلى النار والعياذ بالله.

هذه الحقيقة المهمة على الإنسان أن يُذَكِّر نفسه بها يومياً، يومياً، أنه متجهٌ إمَّا إلى الجنة، وإمَّا إلى النار، وأن هذا يرتبط بأعماله، بتصرفاته، بمواقفه، باهتماماته، فليدرك كيف يتعامل بمسؤولية، كيف يضبط تصرفاته على هذا الأساس، وهذه هي التقوى؛ **ليقي** نفسه من أن يكون اتجاهه ومصيره إلى جهنم والعياذ بالله.

في مستقبلنا في الآخرة- كما قلنا- الفاصل هو الموت، لابدَّ من الرحيل من هذه الحياة، ولابدَّ من مجيء تلك الحياة الآخرة، والرحيل من هذه الحياة يأتي بالموت، والموت حقيقة يعترف بها كل البشر، ولا يستطيع أحدٌ إنكارها، وهي بداية الرجوع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ونهاية الفرصة للعمل في هذه الحياة.

ولهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[آل عمران:١٨٥]، كل نفس، **لا يستطيع أيٌ منا مهما كان:** ملكًا، أو متمكناً، لديه القدرات، لديه الإمكانات، أو لديه في نفسه الخبرة، ويمتلك المعرفة، أو يمتلك أي إمكاناتٍ كانت، في أي واقعٍ كان، في أي مستوى كان، لا يستطيع أن يمتنع من الموت، الذي هو نهاية لهذه الحياة وبداية الرجوع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **(كُلُّ نَفْسٍ)** لا يمكنه أن يدفع عن نفسه تلك النهاية، ويحتفظ بوجوده في هذه الحياة ليستمر فيها، ويخلد فيها، فلماذا تتوجه كل الاهتمامات فقط إليها؟ لماذا تغفل عن مستقبلك الآتي حتمًا؟ لماذا لا تهتم بِغَدِكَ الآتي المهم، مستقبلك في الآخرة؟

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[آل عمران: ١٨٥]، وهذه الحقيقة يعيشها البشر، أو تحدث في واقع البشر يومياً، في كل يوم والناس يودعون أعداداً كبيرةً منهم، المستشفيات في كل يومٍ يفارق فيها الحياة الكثير من الناس، المستشفيات في المدن فيها العظة وفيها العبرة، في واقع المجتمع تنقرض أجيال بعد أجيال، الكل راحلون، الكل منتقلون من هذه الحياة، لا بقاء فيها، لا خلود فيها، لا استمرار فيها، حياةٌ مؤقتة، حياةٌ إلى أجلٍ فقط (محدود، مسمى).

﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، يأتي الأجر الكامل، الأجر الوافي في مستقبلنا في الآخرة، فلماذا لا نحسب حسابها، ونعمل لها، والمسألة مهمة، ليس جزاءً عاديًا، ليس مستقبلًا بسيطًا، المسألة فيها (**إمَّا** الجنة، **وإمَّا** النار)، ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾[آل عمران: ١٨٥].

نهايتك حتمية والموت نهاية الفرصة للعمل!!

الموت هو بداية الرجوع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال الله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[العنكبوت: ٥٧]، وقال جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝٦١ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾[الأنعام: ٦١-٦٢]، لا يستطيع أحدٌ أن يمتنع عن تلك النهاية، ولا يستطيع أحدٌ أن يحميه، أو أن يدفع عنه تلك النهاية الحتمية، ولهذا يقول الله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾[الواقعة: ٨٣-٨٥].

قد يكون بجوار الإنسان وهو في لحظات حياته الأخيرة، يودع فيها هذا العالم، وهو على وشك الرحيل من هذه الحياة، قد يكون بجواره أقرباؤه، وأحباؤه، وأصدقاؤه، وأصحابه، والأطباء من حوله، الكل عاجزٌ عن أن يمنع عنه هذه النهاية، عن أن يبقيه

لمدةٍ أخرى في هذه الحياة وقد أتى أجله، وهناك من هو حتى أقرب إليه، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾، حتى وأنتم بجواره، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَا تُبْصِرُونَ﴾، لا يستطيع أحد أن يمتنع عن ذلك المصير المحتوم، ﴿فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

الشيء العجيب في واقع البشر أنهم لا يأخذون العبرة والعظة، وهم يرون ممن يعرفونهم وقد رحلوا عنهم، قد رحلوا من هذه الحياة، من أقربائهم، من أصدقائهم، ممن يعرفونهم، فلا يحسبون حساب أنفسهم هم، أنهم سيرحلون من هذه الحياة، فماذا قدموا؟ ماذا عملوا؟ كيف هي مسيرة حياتهم في هذه الآخرة؟ هل سيكون الامتداد لها في مستقبلهم في الآخرة السعادة والفوز؟ أو النتيجة لها الهلاك والخسران؟

الإنسان الذي يغفل عن هذه النهاية وما بعدها، وعن مستقبله في الآخرة، ستكون بداية هذه النهاية وهذا الرجوع مزعجاً له **جدًّا**، وسيشعر بالخيبة، والخسران، والندم الشديد، والتحسر الكبير بعد فوات الأوان؛ **لأن الموت هو نهاية الفرصة**، نهاية الفرصة للعمل، ونهاية الفرصة لأن تقدم لنفسك العمل الذي فيه نجاتك، فيه فوزك، فيه فلاحك، أعمال جعل الله عليها الأجر العظيم، جعل لها النتائج الطيبة في هذه الحياة، والنتائج العظيمة في الآخرة، رغَّب فيها، وعد عليها بالجنة، وعد عليها بالأجر العظيم والفضل العظيم، فلم تبالِ بها، وكانت في متناولك، كانت يسيرةً عليك في هذه الحياة، في إطار طاقتك ووسعك ومقدرتك، ولكنك فرطت فيها، تشعر بالخسارة عندما ترى حياتك هذه انتهت، وترى أن الفرصة انتهت بشكلٍ نهائي، **ولهذا يقول الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يبين لنا تلك الحالة من التحسر في تلك الحالة الحرجة والحسَّاسة والمهمة: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

ليحذر الإنسان، وليفكر في مستقبله، ألّا يكون من هذه النوعية، التي تستمر في ظروف هذه الحياة غافلةً تماماً، ومستهترة تجاه مستقبلها المهم في الآخرة، لا تلتفت إلى أعمالها، وعواقب هذه الأعمال، ونتائج هذه الأعمال، ثم يتفاجأ بالموت؛ **حينها** يستيقظ، يتنبه، كان يُذَكَّر، فلا يتذكر، كانت تأتيه الموعظة، فلو سمع الكلام من الأذن، خرج من الأذن الأخرى، لا يعطيه أي اهتمام، لا يبالي به، وكأنهم يتحدثون معه عن شيءٍ خيالي، عن شيءٍ لا حقيقة له، لا وجود له، لن يأتيه، لن يصل إليه، حينها ستكون المفاجأة كبيرة، يبهره الموت، الصدمة كبيرة، ولا مجال للخلاص، لا مجال للتلافي، فاتت الفرصة تماماً، يطلب من الله بتضرع، كم سيقول هذا الدعاء من أعماق قلبه: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾، لتلافي ما قد مر، ما قد أضعت، ما قد فرطت فيه.

لكن مثلما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾، كلمة عبَّر بها عن تحسره، عن ندمه، عن أسفه، عن خسرانه، فلا مجال لأن يُعطى مهلةً إضافية، لتدارك ما قد أضاعه من عمره، من أيام حياته، ما أهدره من أوقاته، ما عبث فيه من أعماله، التي لم يحسب فيها حساب المسؤولية بينه وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، مانعٌ وحاجزٌ عن العودة إلى الحياة، إلى يوم البعث والحساب.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **أيضاً مبيناً هذه الحالة لدى الكثير من الناس**، ما أكثر من سيعيشون تلك الصدمة في آخر لحظات حياتهم: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، أنفقوا؛ **لأن** هذا مكتوبٌ لكم، هو تقدمةٌ لكم، أنتم تكسبون به رضوان الله، جنته، الفوز، أنتم تقدمونه لكم في مستقبلكم في الآخرة، تحققون لأنفسكم به النتائج العظيمة، المكاسب الكبيرة، فيما أعده الله لكم من النعيم العظيم.

﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾[المنافقون: ١٠]، أول ما يأتيه الموت ينتبه، يدرك قيمة تلك الأعمال كلها، أنها أعمال مهمة، أنها أعمال

عظيمة، **ومن الإنفاق:** الإنفاق في سبيل الله، الإنفاق في سبل الخير، التي أرشد الله إليها وأمر بالإنفاق فيها.

عندما يأتي الموت ماذا سيقول الإنسان؟

﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾[المنافقون: ١٠]، مهلة ولو بسيطة، ﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾، ولو كان قليلًا، ولو فرصة زمنية بسيطة، ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[المنافقون: ١٠]، أتصدق من مالي، لأقدم لنفسي؛ **لأنك** ستفارق ذلك المال، ولا تستفيد منه فيما بعد ذلك، أو قد تكون تصرفت فيه بما تحملت به وزرًا عليك، ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، هل ستعطى فرصةً إضافية، ولو لساعة ولو ليوم، ولو لوقتٍ بسيط؟ ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المنافقون: ١١].

بادر بالتوبة قبل أن يغلق بابها

حتى التوبة، عندما تعيش في هذه الحياة مستهترًا تجاه ما تعمل، تعمل بحسب أهواء نفسك، بحسب شهوات نفسك، بحسب مزاج نفسك، تتصرف فتتجاوز في تصرفاتك وأعمالك حدود الله، تتجاوز أوامر الله ونواهيه، حينها عندما يأتيك الموت لا مجال للتوبة، إن لم تكن قد بادرت قبل ذلك إلى الله، رجعت إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في وقتٍ مبكر، ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾[النساء: ١٨]، **(تُبْتُ الْآنَ)**، رأى الموت، أصبح مدركًا ومتيقنًا بأنه في بداية الرجوع إلى الله، وبعد الموت الحساب والجزاء، يريد حينها أن يتوب، قد فاتت الفرصة، الله أمرك بالتوبة، دعاك إليها، حثك في القرآن الكريم كثيرًا على ذلك، فكنت أنت من تستهتر، من تصرّ على معصيتك، من تواصل تقصيرك، فحينها لا مجال للتوبة، ليست مقبولةٌ منك في تلك اللحظات الأخيرة من حياتك وقد حضرك الموت، إذا حضرك

الموت، لم تعد حتى التوبة مقبولة منك، أصبح ملفك ملفًا جاهزًا للحساب والجزاء، لا مجال لأي إضافةٍ فيه، لا إمكانية لتغيير شيءٍ تجاه مصيرك المحتوم؛ **ولذلك نجد أهمية أن ننظر نحن فيما نقدم قبل ذلك، قبل أن تفوتنا الفرصة، قبل أن نضيّع مستقبلنا بضياع حياتنا هنا،** بإهمالنا، وتقصيرنا، وتفريطنا.

وهل الإنسان يعرف متى هي نهاية حياته في هذه الدنيا؟ هل هو على معرفةٍ ويقين بيوم رحيله من هذه الحياة؟ ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[لقمان: ٣٤]، الإنسان لا يعرف متى هو موعد رحيله من هذه الحياة، ولذلك عندما يسوِّف، **يقول:** [سوف أصلح فيما بعد، سوف أهتم فيما بعد، سوف أتلافى تقصيري في مستقبل حياتي، في بقية حياتي في هذه الدنيا]، فهو يسوِّف ويغرّ نفسه، ويخدع نفسه؛ **لأنه** لا يعرف متى هو موعد رحيله من هذه الحياة.

ثم التسويف خطيرٌ على الإنسان، الإنسان- والعياذ بالله- قد يُخذل، قد لا يتوفق، بل قد يسلب التوفيق، فيعيش حالة الخسارة بشكلٍ رهيبٍ **جدًّا،** أمَّا الإنسان المؤمن، الذي يُعِد ويستعد ويتقي الله، ويحسب حساب مستقبله في الآخرة، وينظر ما الذي يقدمه لمستقبله وغده في الآخرة، فهو حتى عندما يأتي رحيله من هذه الحياة، هو ذلك الذي يرجو الله، هو ذلك الذي تأتيه البشارات، هو ذلك الذي لم يتفاجأ بتلك اللحظة، كان يحسب حسابها، كان يستعد لها، كان مدركًا لأهميتها؛ **فلذلك** كان يعمل، كان يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى، بتلك الأعمال التي يحثه الله عليها، يرغِّبه فيها، بل قد تكون نهاية حياته هنا في الدنيا بطريق الشهادة في سبيل الله، وهو ذلك الذي رأى أن من أعظم الأعمال وزنًا عند الله سبحانه وتعالى، **والأعمال الصالحة الكبيرة: هو الجهاد** في سبيله سبحانه وتعالى، فيكون الموت بالنسبة له لحظةً عابرة ينتقل فيها إلى حياةٍ سعيدةٍ وهانئة، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾

[آل عمران: ١٥٧]، تأتي البشارة، إن قُتِل في سبيل الله كان شهيداً، ينتقل إلى حياةٍ هنيئةٍ سعيدة، كما قال الله جَلَّ شَأنُهُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ١٦٩-١٧١]، يكون حالهم كما هو حال مؤمن أهل القرية، الذي قال عندما: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾[يس: ٢٦]، عندما قيل له هذا النداء: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[يس: ٢٦-٢٧].

فالإعداد لذلك المستقبل المهم، الذي بداية الرجوع فيه إلى الله من حين الموت، والذي هو نهاية حتمية، وما بعده هو القيامة، هو الآخرة، هو البعث، هو الأمور الكبيرة، المهمة، العظيمة، هو ذلك المستقبل الكبير المهم جدًّا.

نتحدث عن ذلك- إن شاء الله- في المحاضرة القادمة.

نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَتَقبَّل مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَام، وَالقِيَام، وَصَالِحَ الأَعْمَال، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبْرَار، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنصُرنَا بِنَصْرِه، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاء.

وَالسَّـــلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْـمَـــةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُــه؛؛؛

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِين، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِين.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمْ.

أَيُّهَا الإِخْــوَةُ وَالأَخَوَاتُ:

السَّـلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْـمَـةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـه؛؛؛

نستمر في الحديث عن أهمية التقوى، وما تعنيه لنا، وتحدثنا في المحاضرة السابقة عن **ثمرة ونتيجة التقوى في عاجل الدنيا، في هذه الحياة**، ونتحدث عن أهميتها بالنسبة لنا في مستقبلنا الأبدي، المهم، الكبير، العظيم، في الآخرة.

تحدثنا عن أن الموت هو فاصلٌ، ما بين هذه الحياة والحياة الآخرة، ولكنه فاصلٌ يستشعر الإنسان عند البعث أنه كان قصيراً جدًّا، ويستشعر كم أن ذلك المستقبل، الذي كان يتصور أنه بعيد في هذه الحياة، ويستشعره بعيداً في هذه الدنيا، كم أنه

قريب، ويدرك كم كان لأعماله، ولتصرفاته، ولمواقفه في هذه الحياة، الأثر الكبير جدًّا في تقرير مصيره في مستقبله في الآخرة.

الله ﷻ يقول في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[يس: ١٢]، حتى آثار عمل الإنسان تُحسَب مع العمل نفسه، في الخير، أو في الشر، وعمله بكله (في الخير، أو الشر) يحسب حتى مثقال الذرة منه، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[الزلزلة: ٧-٨]، ولهذا فإن الله ﷻ تحدث في القرآن الكريم كثيراً عن اليوم الآخر، والحديث عنه في القرآن الكريم أخذ مساحةً واسعة؛ **لينذرنا**، وليحذرنا، ولينبهنا؛ **حتى** لا نكون في حالة غفلة، وحالة نسيان، تجاه ذلك اليوم المهم والكبير، يوم الحساب، يوم الجزاء، اليوم الفصل.

الإنسان إذا استشعر أنه سيُبعث، وأن البعث مسألة قريبة، هي كما لو استيقظت من نومك في الصباح، فوجدت نفسك في ذلك العالم، في ذلك المقام، **مقام الحساب والسؤال والجزاء**، الإنسان إذا كان يستشعر مستقبله في الآخرة، ويتذكر الآخرة، ويتذكر اليوم الآخر، ويحسب حساب نفسه في ذلك المستقبل؛ **سيكون** مهتمًّا، منتبهاً تجاه أعماله، ومواقفه، وأقواله، وتصرفاته، يحسب حساب أعماله، وهو يدرك أنه سيحاسب عليها، وسيجازى عليها، ولهذا يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٨١]، فلنحسب حساب ذلك اليوم، **لنقي** أنفسنا من هوله، **لنقي** أنفسنا من الهوان فيه، **لنقي** أنفسنا من الخسارة فيه؛ **لأنه** يومٌ عظيم، يومٌ لا يمكن للإنسان فيه أن يغير تلك الحقائق التي قد ترتبت على أساس أعماله في هذه الحياة، وتصرفاته في هذه الحياة.

حالة النسيان، والغفلة، والاغترار، حالةٌ خطيرة: النسيان ليوم القيامة، النسيان ليوم الحساب، الغفلة عنه، **الاغترار بهذه الحياة، والغفلة التامة عن ذلك المستقبل، حالةٌ خطيرة**، تدفع بالإنسان للاستهتار تجاه تصرفاته، وأعماله، ومواقفه، وأقواله، فلا يتنبَّه إلى ما يفعل، وإلى ما يقول، ولا يحسب حساب أنه سيجازى عليه؛ **فيكون** جريئاً على المعصية، على المخالفة لتوجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، على التصرف وفق أهوائه، وفق مزاجه الشخصي، وليس بمسؤوليةٍ وانتباهٍ واهتمام.

في القرآن الكريم، في عرضه لأحوال الناس يوم القيامة، في حديثه عن القيامة وأهوال يوم القيامة، وعن الحساب والجزاء، وعن الجنة والنار، عن ذلك المستقبل المهم، الذي لابدَّ لنا منه جميعاً، ليس بإمكان الإنسان أن يمتنع عن الحضور يوم القيامة، ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[يس: ٣٢]، لا يمكنك أن تمتنع عن الحضور، ولا أن تختفي في ذلك اليوم، أو أن تحاول أن تغيب عن ذلك المشهد، لا مجال. حديث القرآن الكريم واسعٌ عن ذلك اليوم، على مستوى سور بأكملها، تسمى بأسماء من أسماء يوم القيامة، وعلى مستوى آيات كثيرة وردت في سورٍ كثيرة.

مع سورة الواقعة في عرضها التفصيلي لمشاهد يوم القيامة

من السور القرآنية التي تحدثت عن مشاهد يوم القيامة، وعرضت عرضاً مهمّاً وتفصيلياً عن أحوال الناس في يوم القيامة، وعن هوله، وعن الحساب، وعن الجزاء، وعن انتقال الناس من ساحة القيامة إلى مصيرهم المحتوم، حسب جزاء أعمالهم **(في الجنة، أو في النار)، هي:** (سورة الواقعة)، سورة الواقعة من السور المهمة والمفيدة في القرآن الكريم، التي قدمت عرضاً تفصيلياً مؤثراً، ومهماً، ومنذراً لنا جميعاً، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾[الواقعة: ١-٣].

الواقعة: القيامة، التي لابدَّ من وقوعها، ووقوعها خطبٌ عظيم، حدثٌ كبير، وأمرٌ رهيب، يغيّر واقع البشر بشكلٍ تام، تتغيّر معه معالم الأرض بكلها، أحداث رهيبة جدًّا، ويتغيّر معه واقع الكون، واقع السماوات والأرض، وهذا أمرٌ حتميٌ لابدَّ منه، لا أحد يستطيع أن يتدخل فيمنع وقوع يوم القيامة، أو يغير من هذه الحقيقة أبداً، مع التغيير لمعالم الحياة بكلها، لمعالم الأرض التي تُدمر بشكلٍ كليّ، ومعالم السماوات، والمتغيرات الكبرى، يتغير واقع البشر أنفسِهِم، والتغييرات بكلها هي مقدمة لذلك، هي تدل على طبيعة ذلك اليوم، على أحداثه المهمة، على المتغيرات الكبيرة فيه، أنه يومٌ عظيم، أنه يوم الفصل، أنه يومٌ مهم، لا مجال فيه للرشوة، لا مجال فيه للاحتيال، لا مجال فيه لمحاولة تغيير الحقيقة والتنكر للحقائق، كل مساعي الإنسان في ذلك فاشلة، لا تجديه شيئاً، ولا مجال فيه ولا جدوى للتحسر، للندم، للبكاء، للتضرع، كل ذلك لا يجدي الإنسان شيئًا، الأمور فيه فصل، يبقى مصير الإنسان مرتبطاً بطبيعة أعماله، بحسبها.

من التغييرات المهمة في ذلك اليوم في واقع البشر، في أحوالهم، في أقدارهم، في ظروفهم، ما قال عنه في الآية المباركة: ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾، **من أهم ما في يوم القيامة هو هذا: تغيُّر أحوال الناس بشكلٍ تام.**

فالقيامة تخفض البعض من الناس، تخفض ناساً، ممن كانوا في هذه الدنيا من العاصين لله، من المستكبرين، من المتجبرين، وكانت أحوالهم في هذه الدنيا بحسب ما هم فيه من سلطة، أو جاه، أو مكانة اجتماعية، أو نفوذ وتأثير، كانوا في هذه الدنيا في حالة رِفعة، وفي حالة عناد، وفي حالة تكبر، وفي حالة طغيان، فيوم القيامة يُحشرون، فتخفضهم، تخفضهم الواقعة، تخفضهم تلك الأهوال، يخفض الله حالهم في ذلك المقام الكبير، في مشهد القيامة، فيُحشرون، يقفون بين يدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أذلّاء، خاضعين، خاشعين، خانعين، يقفون في حالة تحسرٍ وبكاءٍ وذلةٍ، كل أحوالهم في حالة ذلةٍ تامة،

ناكسوا رؤوسهم، خافضوا أصواتهم، خاشعةً أبصارهم، في حالةٍ من الذلة، والانكسار، والضعف، والضعة، والهوان، والبكاء، والندم، يلومون أنفسهم، يتحسرون تجاه ما ورّطوا به أنفسهم، حالتهم المعنوية هابطة، نفوسهم منكسرة، حالة رهيبة جدًّا، ممن كان بعضهم في هذه الدنيا في مقام أمير، أو ملك، أو قائد، أو صاحب سلطة، أو صاحب وجاهة اجتماعية، أو نفوذ؛ **فيدفعه** ذلك للتكبر، والعناد، والاستهتار، والجرأة على معصية الله ﷻ، والصد عن سبيل الله، والظلم لعباد الله، والتكبر على الناس، والأنفة من قبول الحق، والجرأة على مخالفة تعليمات الله ﷻ؛ **تتغير** أحوالهم تمامًا، في الدنيا كانوا بذلك المستوى من الوجاهة، والنفوذ، والتأثير، والرفعة، لكنهم هناك في حالة الذلة والانكسار، والضعف، والعجز، وحالة الهوان، وحالة الخشوع، وحالة الانكسار، وحالة الندم، وحالة الضعة، لا قيمة لهم، لا أهمية لهم، لا كرامة لهم، لا تأثير لهم، ليس لهم وزن، ليس لهم أهمية، ليس لهم رِفعة، ليس لهم عزة، حالة من الانكسار والضعة التامة، تتغير تلك الأحوال التي كانوا عليها في الدنيا، عندما يستذكرون ما كانوا عليه في الدنيا، يلومون أنفسهم، ويوبخونها.

رافعة للمؤمنين، البعض من المؤمنين ربما عاش في هذه الدنيا مستضعفًا، محارَبًا، محتقَرًا من الكثير من أولئك الذين لديهم معايير في تقييم حال البشر، معايير مادية، الإنسان مهمٌ عندهم بقدر مكانته الاجتماعية، أو سلطته، أو تأثيره، أو ماله، أو نفوذه الاجتماعي، أو سلطته، فينظرون إلى ذلك المؤمن بنظرة الاحتقار، بنظرة الاستضعاف، حال المؤمن الذي كان في هذه الدنيا محارباً، مستضعفاً، وكان البعض ينظرون إليه بعين الاحتقار، يبعث يوم القيامة وهو في حالٍ مختلف، معززاً، مكرماً، راضياً عن نفسه، يحظى بالتكريم، يحظى بالطمأنينة، رافعاً رأسه، يشعر بالعزة، يشعر بالكرامة، يشعر بالمكانة العظيمة عند الله ﷻ، ويحظى بالتكريم من مقام إلى مقام، ومن

موقف إلى موقف، في مواقف القيامة، وصولاً إلى التكريم العظيم جدًّا في الجنة، ورفعة القدر، والشأن العظيم في الجنة، فالتكريم نفسه من أهم أنواع المكافأة للمؤمنين في الآخرة، أن الله يكرمهم، ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾[يس: ٢٦-٢٧]، يصبح حاله في مقام القيامة، أعظم من حال- حال المؤمن العادي، أعظم شأناً، أعلى قدراً- من حال أي إنسان كان في هذه الدنيا في أرفع مقام، إمَّا بحسب سلطته، أو نفوذه، أو تأثيره، ولكن مقامات الآخرة تختلف عن مقامات الدنيا، مقامات عظيمة، والشأن فيها شأنٌ مهم، شأنٌ كبير، وحالة ثابتة.

في الدنيا تتغير أحوال الناس، البعض يكون في رفعة، في مقام، في جاه، في سلطة، تتغير حاله؛ **أمَّا** أحوال يوم القيامة فهي لا تتغير بعد ذلك، بل إنما- كما قلنا- ينتقل إلى تكريمٍ أعظم، وإلى شأنٍ أعظم.

في يوم القيامة تكون الأحوال مرتبطة بالأعمال

هذه الأحوال للناس في يوم القيامة، هي مرتبطةٌ بأعمالهم، بتصرفاتهم، بمواقفهم، بأقوالهم، في هذه الحياة؛ **لأن** البعض من الناس يطلب الرفعة بأي ثمن في هذه الدنيا، ويراها في تلك المقامات المرتبطة بسلطة، أو جاه، أو مال، أو نحو ذلك، فقد يرتبط بأولئك الذين يرى فيهم أنهم أهل رفعة، ولو وقف في صف الباطل، ولو عمل الأعمال السيئة، ولو توسل إلى ذلك بالوسائل غير المشروعة، بالأعمال السيئة، فيصد عن سبيل الله، فيقف في صف الباطل، فيحارب الحق، ويتبنى المواقف السيئة، ويوالي أعداء الله، إلى غير ذلك، البعض أيضاً حتى لو لم يكن من ذوي الرفعة، بحسب الجاه والسلطة، أو المال، أو المكانة الاجتماعية، أو النفوذ، لكنه في نفسيته مستكبر، معاند، يرى نفسه رفيعة؛ **فيحارب** الحق، يعاند الحق، يأنف من الحق، مستكبر في أن يتقبل الحق، وفي أن يسير في طريق الحق، بل يرتاح إلى ما هو فيه من العناد، من المحاربة

للحق، من عدم الاستجابة لله ﷻ، يشعر في نفسه بالرفعة تجاه ذلك؛ **فيرى** نفسه يوم القيامة ذليلاً، خانعاً، خاضعاً، خاشعاً، لا قيمة له، بل في حالة من الذلة والهوان، يتحسر ويبكي، يشعر بالضعف، والعجز، والانكسار التام، ولا يفيده ذلك شيئاً.

في القرآن الكريم عن أحوالهم- في تلك الأحوال- في مقامات القيامة، يقول الله ﷻ: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾[القلم: ٤٣]، ربما كانوا في الدنيا في أحوالهم التي يشعرون فيها بالرفعة، والنفوذ، والمقام، والمكانة الكبيرة، في شدتهم، وفي جُرأتهم على مخالفة الحق، على مخالفة دين الله، وتعليماته، ممن يفتحون أعينهم بشدة، يرفعون أصواتهم بشدة، يغلظون في القول، يسيئون، يتكبرون، يُترجِمُون حالة تكبرهم في تصرفاتهم، في أعمالهم، في مواقفهم، لكنهم آنذاك في حالة من الذلة التامة، إلى هذه الدرجة: ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾، تغطيهم الذلة بشكلٍ كامل، حالتهم بكلها، وهيأتهم تعبر عن حالة الذلة التي هم فيها.

﴿نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ﴾[السجدة: ١٢]، لم يعودوا في حالة من التعالي، فيرفع رأسه، هو في حالة ذلةٍ رهيبةٍ جدًّا، وفي الآية الأخرى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾[إبراهيم: ٤٣]، مادِّي أعناقهم، في حالةٍ من التذلل والخضوع، حالة رهيبة جدًّا هم فيها، تغيرت أحوالهم بشكلٍ تام، وهذا يترافق معه، **ويلحق به بقية الأمور:** ما سيصيرون إليه من العذاب، والنكال في جهنم والعياذ بالله، والخزي العظيم، والعذاب المهين.

أمَّا حالة المؤمنين، فيلحق بذلك ويترافق معه ما يحظون به من النعيم، والتكريم، **ويجتمع لهم مع التكريم المعنوي:** النعيم المادي، والسعادة الأبدية.

الحدث الرهيب! والمتغيرات الكبيرة في واقع البشر

﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾[الواقعة: ٤-٦]، تأتي واقعة القيامة، التي لابدَّ من وقوعها، تأتي مع هذه الأحداث الهائلة جدًّا، التي في مقدمتها التدمير الكلي للأرض، زلزالٌ عظيم يدمر الأرض بكلها، نحن نشاهد مشاهد الدمار الهائل لزلزال في مستوى محدود، لبقعة من بقاع الأرض، مثل ما حصل، الزلزال الذي حصل مؤخراً في تركيا، وأجزاء من سوريا، كيف كان هوله ودماره، وكيف كانت آثاره! آية من آيات الله، تذكرنا بالزلزال العظيم، الذي يدمر الأرض بكلها، بكل أرجائها، ويغير معالمها، لشدة ذلك الزلزال، ليس فقط يُنْهي المدن، ينهي كل مظاهر العمران على الأرض، من مدن، وقرى، ومساكن، ومبانٍ، وغير ذلك، بل إنه يدمر حتى الجبال بكلها، كل ما في الأرض من الجبال تتدمر بشكلٍ تام، وإلى حدٍ عجيب.

﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾، تُفتت، تُفتت بشكلٍ نهائي، لا يبقى فيها صخور، ولا يبقى فيها شيءٌ من صلابتها، إلى الدرجة التي قال عنها: ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾، تتحول إلى ذرات من الغبار، تلك الذرات من الغبار، التي لقلَّتها، لضآلتها، لصغرها، إنما نراها في الضوء الذي يدخل من النافذة؛ **لأنه** ضوءٌ مركز، فنشاهد فيه ذرات الغبار تلك، هكذا يصل حال الجبال، الجبال التي كانت راسيةً على الأرض، والتي كانت ثقيلةً وكبيرةً، إلى درجة أنه كان لها دورها الأساس في أن تكون الأرض مستقرةً بالحياة للبشر، فلا تكون مضطربةً وفي حالة مَيَدَان واضطراب، تلك الجبال الراسية، الجبال الشامخة، الجبال الكبيرة جدًّا، المنتشرة على مختلف بقاع الدنيا تندكّ بكلها، لعظمة وشدة ذلك الزلزال الرهيب الهائل، حتى تتفتت، وتتحول إلى غبار، ثم إلى ذرات من الغبار الصغيرة.

هذا الهول الرهيب تأتي معه تلك المتغيرات الكبيرة في واقع البشر، عندما يبعثهم الله من جديد، ويحشرهم في ساحة القيامة بكلهم، بعد أن يصيروا في ساحة القيامة،

وتأتي عملية الحساب والجزاء، التي تحدث عن تفاصيلها في آياتٍ كثيرة، وفي سورٍ متعددة، يتحول واقع البشر في تصنيفهم إلى ما قال عنه في هذه الآية المباركة: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾[الواقعة: ٧]، كنتم أنتم أيها المجتمع البشري، أيها الناس، تصنفون إلى ثلاثة أصناف، حالة من الفرز، يبنى عليها مصيرهم، مصيرهم الذي سينتقلون إليه من ساحة الحساب، إلى حالة الجزاء، ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾، أصنافاً ثلاثة، والكل سائرون في هذا الاتجاه، **وأعمالك الآن في هذه الحياة، ومواقفك، وأقوالك، وأفعالك: هي التي تحدد من أي صنفٍ ستكون، فانتبه وأنت لا زلت هنا،** ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝٩ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[الواقعة: ٧-١١].

الصنف الأول في هذا التقسيم هم: ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: أصحاب اليُمن، والخير، والبركة، والسعادة، الذين كانوا في هذه الدنيا مستجيبين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مطيعين له، ملتزمين بتوجيهاته، متبعين لهديه، آثروا هدى الله وتعليمات الله على أهواء أنفسهم، استجابوا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ **فكان مصيرهم في الآخرة هو هذا المصير العظيم:** أن يكونوا في يوم القيامة ممن يؤتَون كتبهم بأيمانهم، من أصحاب اليُمن، الخير، البركة، السعادة، فيكونون في حالة سعادةٍ ونعيم.

﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾، تعظيمٌ لشأنهم، ولما هم فيه من التكريم، وما هم فيه من النعيم، وما هم فيه من السعادة العظيمة، وكيف لا يسعد الإنسان، عندما يرى أنه قد فاز، وأنه قد ربح مستقبله الأبدي الدائم، الذي لا نهاية له، وأنه سينتقل إلى الجنة، وقد حظي برضوان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ **ليفوز** بتلك السعادة الكبيرة، بتلك الحياة الطيبة، بما في الجنة من النعيم العظيم، والحياة الطيبة!

﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾: **أصحاب الشُّؤم والشقاء**، الذين تنكروا في هذه الدنيا لهدى الله، كانوا جريئين على معصية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والتجاوز لحدوده، ومخالفة هديه، فهم في يوم القيامة أصحاب شؤمٍ، وشقاءٍ، وعذابٍ، وحسرةٍ، ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾، تهويلٌ لفظيع حالهم، وهو حال فظيع جدًّا جدًّا، ليس حالاً عادياً! **ليس هناك في يوم القيامة أحوال عادية، مثلما في هذه الحياة**، قد يعيش الإنسان وضعاً عادياً في مراحل معينة من حياته، **هناك إمَّا شقاءٌ وشؤمٌ وعذابٌ عظيم، وإمَّا سعادةٌ ويُمنٌ وفوزٌ عظيم**، ليس هناك أحوال عادية، كلها أحوال كبيرة، أحوال مهمة.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾: **هؤلاء هم أعظم حالاً وأرفع شأناً من أصحاب اليمين**، من أصحاب الميمنة، هم أرفع شأناً منهم.

فضيلة السبق ومنزلة السابقين الرفيعة عند الله

فضيلة السبق هي فضيلةٌ عظيمةٌ جدًّا، السبق إلى طاعة الله، **السبق** في الاستجابة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **السبق** في الأعمال العظيمة المهمة التي يوجه الله إليها، يرشد الله إليها، يحثنا عليها، ويرغبنا فيها، ويأمرنا بها، **السبق: المبادرة إلى الأعمال الصالحة، المبادرة إلى الأعمال العظيمة، التي تُرضي الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **الأعمال المهمة، الكبيرة.**

وفضيلة السبق التي وردت هنا، وورد ما يرتبط بها من النعيم، هذا كله للحث لنا، للترغيب لنا في ذلك؛ لأن السبق يشكل ضمانةً لنجاة الإنسان، وفلاح الإنسان، والتكريم فيه عظيم، والفضل فيه كبير، وهي روحية إيمانية عالية، يحملها الإنسان المؤمن، وهناك ترغيب كبير في القرآن الكريم على السبق، وعلى حمل روحية السبق، أن يكون الإنسان مبادراً، وألَّا يكون متثاقلاً، ولا متأخراً، كما هو حال البعض من الناس، عند أي عملٍ عظيمٍ مهمٍ من الأعمال الصالحة العظيمة، التي بها النجاة، بها الفوز، تُكْسِبُ رضوان الله، فإذا به يحاول أن يكون الأخير، يحاول أن يتثاقل، يحاول

أن يتباطأ، بل البعض تتحول عنده إلى طبيعة، إلى طريقة في التعامل مع الأعمال العظيمة، الإنفاق في سبيل الله، **يقول:** [اتركني الأخير، ابدأ من الآخرين]، الانطلاقة في سبيل الله، ينتظر حتى لا يكون هو من المبادرين والسابقين، إمَّا ينظر كيف ستكون الأمور والأحوال، أو غير ذلك.

علامة التثاقل والتباطؤ: هي علامة تدل على نقص في وعي الإنسان، في إيمانه، وضعف في الدافع الإيماني لديه، وهي حالة قد تمثل خطورةً على الإنسان، قد تكبر في واقع الإنسان وتؤثر عليه؛ **فتفوِّت** عليه أعمالاً عظيمةً مهمة، ولو لم يكن إلَّا أن يفوت عليه فضل السبق، فضل السبق في الأعمال، أو قد يتراجع عن الكثير من الأمور إلى حد أن يخلّ، ويقصر، ويفرط في أعمال أساسية في دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يترتب عليها الفوز، والنجاة، والفلاح.

فالسبق فضيلةٌ عظيمة، ولهذا يقول الله: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[الواقعة:١٠-١٢]، **السابقون شأنهم عظيمٌ عند الله، منزلتهم رفيعةٌ عند الله، يحظون بالقرب من الله**، بما يعنيه ذلك من منزلتهم الرفيعة، والتكريم الكبير، الذي يحظون به في يوم القيامة وفي الجنة، منزلة رفيعة يطمح إليها الإنسان المؤمن؛ **لأن** في مقدمة النعيم هو التكريم، الإنسان لو كان لديه على المستوى المادي ما كان، فهو يطمح من وراء ذلك بالتكريم، أن يكون له مكانة عالية، أن يكون له منزلة رفيعة.

بل إن البعض من التجار في هذه الدنيا، قد يحاول أن يقدِّم الأموال الكثيرة؛ **ليكون** له منزلة رفيعة عند مسؤول معين، أو أمير معين، أو رئيس معين، أو ملك، أو شخصية هنا أو هناك، يريد أن يحظى بأن يكون له مكانة عنده، وأن يعرف بأن له منزلة عنده، ومكانة محترمة لديه، فيفتخر بذلك، ويشعر بالعزة نتيجةً لذلك، فكيف إذا كانت تلك المكانة، التي يحظى بها الإنسان المؤمن السبَّاق مكانةً عند اللّه، منزلةً رفيعةً عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى! هو المقام العظيم، التكريم الكبير، المنزلة الرفيعة، الدرجة العالية، التي يطمح إليها

الإنسان المؤمن، فيحظى بالتكريم الكبير، مع النعيم المادي، ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

الجنات في عالم الجنة: بساتين، ومزارع عجيبة جدًّا، في عالم الجنة الشاسع الواسع، الكبير جدًّا، وفيها كل أنواع النعم التي ينعم بها الإنسان، في تلك الجنة، في ذلك العالم، وعلى أرقى مستوى، أنواع النعم التي يتنعم بها الإنسان ويهنأ بها، فيجتمع له مع التكريم المعنوي العظيم النعم المادية الكثيرة جدًّا، والمتوفرة في ذلك العالم، **الذي قال عنه رسول الله ﷺ وهو يتحدث عن الجنة:** **((فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأت، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطرَ عَلَى قَلبِ بَشَر))**، وفي القرآن التفاصيل الكثيرة عن ذلك النعيم، الذي ينعم به الإنسان، تلك النعم الواسعة، التي يهنأ بها من دون أي منغصات، تفاصيل كثيرة، وسيأتي البعض منها.

﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾[الواقعة: ١٣]: جماعة كبيرة، فازوا بالسبق، وبفضيلة السبق، ﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾: من الأمم السابقة، ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾[الواقعة: ١٤]: وقليلٌ من الزمن المتأخر؛ **لأن** الكثير من الناس يتهربون من السبق، مؤثرات كثيرة في واقع الحياة تؤثر على الكثير من الناس، ينتظر، يحسب الحسابات، وكيف سيكون الوضع، وماذا سيكون حال الآخرين؟ فيفوت عليهم هذا الفضل العظيم.

نكتفي بهذا المقدار.

وَنَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَتَقَبَّل مِنَّا وَمِنكُمُ الصِّيَام، وَالقِيَام، وَصَالِحَ الأَعْمَال، وَأَنْ يَرْحَم شُهَدَاءَنَا الأَبْرَار، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنصُرَنَا بِنَصْرِه، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه.

التقوى وثمرتها في الآخرة (٣)

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِينَ، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

أَيُّهَا الإِخْــوَةُ وَالأَخَوَاتُ:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَـةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـه،،،

في سياق حديثنا عمّا تعنيه لنا التقوى في مستقبلنا الأبدي، الآتي في الآخرة، بعد انتقالنا من هذه الحياة المؤقتة، تحدثنا على ضوء الآيات المباركة من (سورة الواقعة)، والتي بينت لنا الأهوال الرهيبة ليوم القيامة في مرحلته الأولى، التي بها خراب هذا العالم، نهاية السماوات والأرض، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

الأرض التي تشهد تدميرًا كليًا، وزلزلةً عظيمةً شديدةً تشملها بكلها، كما قال تَعَالَى في الآيات المباركة: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾ [الواقعة: ٤]، الأرض بكلها تُهَزّ هزًّا عنيفًا،

وتشهد زلزالًا عظيمًا، لدرجة أنه يدمر كل معالمها، ينسف جبالها، كما قال في الآية المباركة: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا﴾[طه: ١٠٥-١٠٦] يعني الأرض، ﴿فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً﴾[طه: ١٠٦]، قاعًا مستويةً، ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً﴾[طه: ١٠٧]، وكما قال في آيةٍ أخرى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾[الكهف: ٤٧]، نتيجةً لاستوائها، لم يعد فيها مرتفعات ومنخفضات وغير ذلك، ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[الكهف: ٤٧]، وكما قال هنا في سورة الواقعة: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً﴾[الواقعة: ٥]، فُتِّتَتْ، شدة التدمير الكامل لها، لا يبقى شيءٌ من صخورها، ولا كتلها، بل تتفتت تمامًا، وتتحول إلى ذرات صغيرة من الغبار، ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً﴾[الواقعة: ٦]، هول عظيم، وأحداث كبيرة، تغير معالم الأرض بشكلٍ تام، وتحولها إلى ساحةٍ مستويةٍ للحساب، للبعث عليها.

مرحلة البعث والحساب ومواقفه وأهواله الرهيبة!

في النفخة الثانية: يبعث الله الخلائق، ويُحضِر الجميع، لا يستطيع أحدٌ أن يمتنع من ذلك الحشر، ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾[الكهف: ٤٧]، الكل يُبعث، والكل يحشر، والكل يقف موقف الحساب.

ويؤكد القرآن الكريم على هذه الحقائق في آياتٍ كثيرة، وفي موارد كثيرة، في السور التي تحدثت عن اليوم الآخر، وعن مقام الحساب، ومقام الجزاء، ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[يس: ٣٢]، لا يمتنع أحدٌ عن الحضور، أو يستطيع أن يتهرب من مقام الحساب.

الله ﷻ يربط بين التدمير في مرحلة القيامة الأولى، وما بين المرحلة الثانية، التي هي مرحلة البعث؛ **لأنها كلها مترابطة لغايةٍ واحدة:** هي القيامة، هي الانتقال إلى مرحلة الحساب والجزاء، ويفصِّل في كثيرٍ من الآيات المباركة هذه المسألة، من مثل قوله ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]:

- **هناك في المرحلة الأولى:** التدمير الكامل للأرض، وإعادة تسوية الأرض لمهمتها الجديدة، **التي هي:** الحشر عليها، والبعث عليها، والحساب عليها.

- **ثم في مرحلة الحساب، ومواقف الحساب**، تأتي الأهوال الرهيبة بالنسبة للمنحرفين عن نهج الله، للخائبين، للخاسرين، للذين لم يُعِدُّوا العدة لذلك اليوم، لم يستجيبوا لله ﷻ في هذه الدنيا، بما يكون وقايةً لهم من أهوال ذلك اليوم، من مخافة ذلك اليوم، من الرعب في ذلك اليوم.

الله ﷻ عندما قال جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، **هنا في هذه الحياة:** العمل الصالح، الاستجابة لله ﷻ، التمسك بهدي الله، هو الذي يكون لك سببًا لنجاتك، وفلاحك، واطمئنانك، في يوم القيامة تكون نفسك مطمئنة، تلقى الطمأنينة، وتلقى ما يطمئنك، وتلقى البشارات، الواحدة تلو الأخرى، من حين مبعثك في يوم القيامة، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢]، طمأنة كبيرة من الملائكة- من بعد عملية البعث- للذين اتقوا ربهم في هذه الحياة، للذين حسبوا

حساب ذلك اليوم، للذين كان عندهم اهتمام كبير بمستقبلهم هناك، تبقى حالة الطمأنينة في مقامات الحساب، عندما يؤتى الإنسان كتابه بيمينه، هذه من حالات الطُمأنينة، من البشارات، ثم يَطَّلِع على كتابه، وفيه المشاهد التي ترضيه، من الأعمال الصالحة، من الأعمال العظيمة، من الأعمال التي استجاب فيها لتوجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حالة الاستقامة على منهج الله جَلَّ شَأْنُهُ، فيستبشر ويطمئن، **يقول:** ﴿هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الانشقاق: ١٩-٢٠]، كنت أستشعر هذا اليوم وهذا الحساب؛ **وبالتالي** حسبت حساب ذلك، **في** الاستقامة على منهج الله، **في** الطاعة لله، **في** العمل بما يرضي الله، **في** السعي إلى ما يقربني من الله، وما فيه مرضاة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يكون مطمئنًا.

يقول عنهم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨-٣٩]، يكون ضاحكًا، مستبشرًا، مرتاح النفس، مطمئن البال، في مواقف عظيمة، في مقام مهم جدًّا، يضحك على أولئك المجرمين، المستكبرين، الصادين عن سبيل الله، وهم في حالة رهيبة جدًّا من الذل، والهوان، والندم، والبكاء، والحالة المخزية الرهيبة جدًّا، المفجعة، كما في الآية المباركة: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٤-٣٥]، هو على الأرائك ينظر، يتفرج، يشرب من مشروبات الجنة، يأكل من طعامها، في حالة اطمئنانٍ تام.

وأولئك يشاهدهم في حالة رهيبة جدًّا، والأهوال التي هم فيها أهوالٌ رهيبةٌ جدًّا؛ **لأنهم** من حين مبعثهم يُحِسّون بحجم خسارتهم، وفظاعة حالهم ومستقبلهم في الآخرة، يبدأون يشعرون بحالة الندم، ويبدأون بالتحسر، بعبارات الندم، بعبارات التحسر: ﴿يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

عندما تستمر مقامات الحساب، كلها تخيفهم، كلها تزيد من الحالة التي هم فيها، من القلق الشديد، والخوف الشديد، والاضطراب الشديد، ليس هناك ما يطمئنهم،

وليس هناك ما يبشرهم، يؤتون كتبهم وصحائف أعمالهم بشمائلهم، بشماله من وراء ظهره، ويدرك ماذا يعنيه هذا بالنسبة له، عندما يطلع على صحيفة أعماله، ويشاهد المشاهد التي هي من المعاصي، التي هي تجسد انحرافه عن نهج الله ﷻ، يصيح: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٧]، يصيحون بكل عبارات الندم، والتحسُّر، والأسف الشديد، يعضون على أصابعهم، ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠]، يتمنون أن لو تُسوَّى بهم الأرض، حالات رهيبة من العذاب النفسي الشديد، لماذا؟ **لأنهم** يدركون أنهم هم من أوقعوا أنفسهم فيما وصلوا إليه، **وأنهم** هم السبب فيما وصلوا إليه، قد هُيِّئَت لهم في هذه الحياة أسباب النجاة، أسباب الفوز، أسباب السعادة، **ناداهم** الله كثيرًا كثيرًا في كتابه، في القرآن الكريم، في كتب هديه، ومع رسله، عبر رسله وأنبيائه، بحسب الأمم والأجيال الماضية.

حسرة الإنسان هي حسرةٌ كبيرةٌ جدًّا، يدرك كم كانت خسارته؛ **لأنه** لم يستجب، لم يلتفت إلى ما يعنيه، إلى ما يعنيه، كم ستكون حسرته وهو يقول: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]؛ **لأنها** حياتك، هو مستقبلك، هو ما يعنيك أنت، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾، ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ [العنكبوت: ٦]، هي أمورٌ تعنيك أنت، هو مستقبلك أنت، هو مصيرك أنت، فالتفت إلى ذلك، استجب لله ﷻ.

العرض التفصيلي في القرآن الكريم هو مهم جدًّا؛ لأنه يجعلك تتصور تلك المشاهد ذات الأهمية، التي هي حتميةٌ لابدَّ منها، مشاهد قادمة، أنت تراها هنا في الدنيا، تتصورها في الدنيا، يأتي التقريب لك عنها فيما يقدمه لك القرآن هنا في الدنيا؛ **ليكون** ذلك مفيدًا لك، **إنْ** التفتّ إلى نفسك، **إن** تأملت كتاب الله، **إن** توجهت على أساس الاستجابة لله ﷻ، **إن** سمعت، إن سمعت وتفهمت.

٤

أصناف الناس يوم القيامة وتفاوت درجاتهم

في يوم القيامة، مصير الناس إلى أن يقسموا إلى أصناف، وهذا التقسيم مبنيٌّ على أعمالهم، التي تحددت بها مصائرهم، ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[الواقعة: ٨-١١].

الناجون من هذه الأصناف، الثلاثة: هم (أصحاب الميمنة)، أصحاب اليُمن، الذين عملوا الأعمال الصالحة، استجابوا لله، تابوا إلى الله، تخلصوا من ذنوبهم، رجعوا إلى ربهم، استقاموا على منهجه، هم مستقبلهم عظيم، هم إلى مصيرٍ عظيم، شأنهم عظيم، فوزهم كبير، ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾، تعظيمٌ لشأنهم، لحالهم، لفوزهم.

ولكن هناك ما هو أرقى، وهم الصنف الثاني من الناجين، **وهم: (السَّابِقُونَ)**، الذين عظَّم شأنهم بتكرير العبارة، عندما قال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾، أولئك شأنهم عظيمٌ جدًّا، ﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[الواقعة ١١-١٢].

في واقع الانتماء الإيماني، والتقوى، والعمل الصالح، والاستجابة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الناس درجات في إيمانهم، ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾[آل عمران: ١٦٣]، كما قال في القرآن الكريم، درجات متفاوتة، في مستوى الإيمان، مستوى الالتزام، مستوى الاستجابة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والله جَلَّ شَأْنُهُ يعلم بكل أعمالهم، لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالهم، وكذلك في مستوى استجابتهم، ومستوى أعمالهم، لا يخفى عليه شيءٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا ينقص من عمل عاملٌ منهم مثقال ذرة، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٤٠].

٤

ولذلك فهناك في مستوى العمل تفاوتٌ، في مستوى الاستجابة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تفاوتٌ في أعمال المؤمنين، لكن لا يفوت شيءٌ على أحدٍ منهم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما قال في القرآن الكريم: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً﴾ [طه: ١١٢]، لا يمكن أن يُنتقَص من عمله، أو ألَّا تقدَّر جهوده، تصبح مسألة الأعمال، والاستجابة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هي المعيار، معيار الجزاء العادل، ليس هناك- مثلًا- نقص في حق البعض لصالح البعض الآخر، أو مجاملات، فترفع درجات شخص- لاعتبار المجاملة- على حساب درجات شخص آخر، أعماله واستجابته لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أكبر، لا يمكن، الأمور هناك على معيار العدل، بميزان الله العادل، القائم بالقسط في عباده.

ولذلك يأتي للسابقين الفضل؛ لأن السبق- بنفسه- فضيلةٌ عظيمة، السابقون: الذين يمتلكون روح المبادرة، يستجيبون سريعًا، لا يتأخرون، هذا يدل على حالة التقوى التي يعيشونها، والحرص على رضوان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وخوفهم من التفريط والتقصير؛ **فلذلك** عندهم روح المبادرة، التي تبين مستوى ما هم عليه من التقوى، فهم المقربون، **كما قال عنهم:** ﴿أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾، يحظون هم بالقربة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بعلوّ المنزلة، بعلوّ الدرجات، بالتكريم المعنوي الكبير، مع النعيم المادي العظيم، يجتمع لهم ذلك، ويقول عنهم: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٣-١٤].

نماذج من نعيم أهل الجنة الفاخر والراقي!

ثم يتحدث عن نماذج من النعيم الذي هم فيه: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ۝١٥ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ [الواقعة:١٥-١٦]، تلك هي مجالسهم في الجنة، وهو يقدِّم فقط نماذج، يقدِّم في سورٍ أخرى نماذج أخرى، وهكذا.

مجالسهم في الجنة هي مجالس راقية جدًّا، في مساكن الجنة الفاخرة، والطيبة، والعظيمة، من بنيان الجنة، ويجتمعون فيها؛ **لأن** الإنسان كائنٌ اجتماعي، لو أُعطي الإنسان في هذه الدنيا- هنا في هذه الحياة- قصرًا، ليبقى فيه وحده طول حياته، لشعر بالضيق، ولكان يحن إلى أن يرى أقرباءه، أصحابه، رفاقه، أن يرى من يتحدث معهم، أن يجلس معهم، وبالذات من رفاقه، الإنسان هو- بطبيعته- كائنٌ اجتماعي، ففي الجنة يجتمع الرفاق هناك، الذين جمعتهم في الدنيا أخوّة الإيمان، وخُلّة التقوى، والطريق الصالح، الطريق الذي يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الأقارب كذلك يجتمعون، الذين جمعتهم التقوى، وجمعهم الإيمان، وجمعتهم الاستقامة على منهج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

في مجالس الجنة، فيها السُّرر الفاخرة، المتميزة، الراقية، ليست أسرّة خشبية بالية، أو متعبة، **بل (مَوْضُونَةٍ):** منسوجة، محكمة النسج، مضاعفة النسج، مرصعة بأحجار الجنة الكريمة، من اللآلئ والدر والياقوت، كما في الآثار، فهي أسرَّة فاخرة جدًّا، في عالم الجنة، في مساكن الجنة، حيث يطيب الجلوس، وتطيب تلك الاجتماعات بين أولئك.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾، **(مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا)** في راحة، واطمئنان، وسعادة، وسعادة لا يمكن أن نتخيلها أبدًا، **(مُتَقَابِلِينَ):** يجلسون سَويًّا في تلك المجالس التي تجمعهم، ليتحدثوا وهم في سعادةٍ تامة.

مما وصفه القرآن الكريم عن أحاديثهم: استذكارهم لحال الدنيا، **وأسباب** نجاتهم في الدنيا، كما في الآيات المباركة من سورة الطور: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[الطور: ٢٥]، يتساءلون عن نجاتهم، وعن أسباب نجاتهم، ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ۝٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن

٤

﴿قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾[الطور: ٢٦-٢٨]، والله أعلم، كم هي الأحاديث التي يتحدثون بها، المواضيع التي يتحدثون بها؟! كلها شيقة، كلها طيبة، كلها من القول الطيب، كما قال عنهم في الآية المباركة: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾[الحج: ٢٤]، ليس في حديثهم لغو، ولا إساءات، ولا ما يجرح مشاعر بعضهم البعض، كله من القول الطيب، وهم في ذلك النعيم والسعادة.

﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ﴾[الواقعة: ١٦-١٩]، **في مجالسهم تلك، يطوف عليهم الخدم، الذين يقومون بخدمتهم، (وِلْدَانٌ):** غلمانٌ في الجنة، غلمانٌ أصحاء سالمون، لا يصيبهم مرض، لا يأتي وهو مصاب بالزكام، أو السعال، أو أيٍّ من الأمراض، التي تنغص تلك الخدمة التي يؤديها، لا، يطوفون عليهم بذلك الشراب، الذي يقدمونه لهم في مجالسهم تلك، من مشروبات الجنة، التي هي في غاية اللذة، والنشوة، والارتياح، ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾، وأولئك الغلمان تبقى لهم صحتهم، ونضارتهم، لا يهرمون، لا يشيبون، لا يتغيرون، لا يمرضون، أصحاء على الدوام.

(بِأَكْوَابٍ): من أكواب الجنة، التي تحدث عنها في آياتٍ أخرى: ﴿وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾[الإنسان: ١٥-١٦]، أكواب مصنوعة من الجنة، أكواب راقية جدًّا، أباريق راقية جدًّا، والمشروب الذي فيها مشروبٌ في غاية اللذة والانتعاش، عندما يشربونه.

﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾[الواقعة: ١٨]، **(مَّعِينٍ): عينٌ نابعةٌ في الجنة**، مشروبها لذيذٌ جدًّا، ومنعشٌ جدًّا، فيلتذون بشربه، وينتعشون، ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾[الواقعة: ١٩]، **ليست كمشروب الخمر في الدنيا**، التي هي بلاء، التي هي مرض، التي هي سببٌ لضر الإنسان، تصيبه بالصداع، تصيبه بالنزيف، تؤثر عليه، **على** مداركه، **على** نفسيته، **على** عقله، **على** وعيه، ذلك المشروب الراقي في الجنة، جمع بين اللذة، والانتعاش، والارتياح به، دون أي تأثيراتٍ سلبية، **لا** على النفسية، **ولا** على الوعي، **ولا** على الصحة البدنية للإنسان، فيشربونه في اجتماعاتهم، وهم يتبادلون الحديث فيما بينهم، ويرتاحون بتلك اللقاءات والجلسات، قد أمنوا من الفزع الأكبر، أمنوا من عذاب الله، اطمأنت أنفسهم، واستقرت حياتهم في ذلك النعيم العظيم.

﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾[الواقعة: ٢٠]، **في الجنة الفواكه الكثيرة جدًّا، الكثيرة الأصناف، المستمرة**، التي لا تنقطع في مرحلة من المراحل، ليست فقط موسمية، ولا يتعبون عليها، لا يحتاج إلى أن يذهب ليشتغل، ويكد، ويعاني، ويسهر، ويتعب، تتوفر لهم، وتقدَّم إليهم، ولكثرتها، وكثرة أصنافها، وأنواعها، يترك لهم الاختيار، في هذه المرة ما يختاره منها، في تلك الأخرى ما يريده منها، فقط يختار، وهم يقدمونها إليه، تصل إليه بدون عناء ولا تعب.

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾[الواقعة: ٢١]، اللحم متوفر هناك، ومنه لحم الطير، بأصنافه المتوفرة في الجنة، والتي هي راقية جدًّا، وحسب ما يشتهون، **(مِّمَّا يَشْتَهُونَ):** على حسب ما يرغبون به، طعامهم بأنواعه متوفر، من دون عناء، من دون تعب، بأرقى أنواع الطعام، بأحسن أنواع الطعام الذي يشتهيه الإنسان.

﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾[الواقعة: ٢٢-٢٣]، وفي الجنة- مع المساكن الطيبة، مع أنواع الطعام، الذي هو من أحسن الطعام وأرقاه، وبقية أنواع النعيم- تتوفر **(الحور العين)**: الزوجات في الجنة، اللاتي هُنّ فائقات الجمال جدًّا، بما لا يتخيله الإنسان، في جمال عيونهن، وفي جمال أجسادهن، ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾، اللؤلؤ المصون، الذي يحتفظ ببياضه الناصع جدًّا، والجميل للغاية.

﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الواقعة: ٢٤]، النعيم الذي هم فيه، وهذه فقط نماذج، نماذج محدودة منه، هناك في بقية الآيات القرآنية أنواعٌ أخرى من النعيم، تحدث- مثلًا- عن ملابسهم في آيات أخرى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾[الحج: ٢٣]، في الجنة، ﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾[الحج: ٢٣]، **(الأساور)**: الزينة التي يلبسونها في أيديهم، من الذهب واللؤلؤ، من ذهب الجنة، الذي لا يساويه ذهب الدنيا، ولا يقارن به أصلًا، واللؤلؤ كذلك في الجنة، الذي لا يساويه ولا يُقارن به اللؤلؤ في الدنيا، ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾[الحج: ٢٣]، ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾[الكهف: ٣١]، ملابسهم من حرير الجنة، الحرير الناعم، **الحرير**: الذي هو أفخر أنواع الثياب، وأحسن أنواع الثياب، يقول عنهم، في حالهم، فيما هم فيه من أصناف النعيم، والحالة الراقية جدًّا، والمعيشة المتميزة، الخدم تخدمهم، ما يريدونه يُوفّر لهم، السعادة التي هم فيها، الإمكانات المتوفرة لهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾[الإنسان: ٢٠]، النعيم، والملك الكبير، هذا يقول عنه: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، **العمل**: هو الذي يحدد مصيرك، مستقبلك، وتكافأ عليه.

العمل في وسعك فانطلق لتأمين مستقبلك

والعمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا- حتى الأعمال التي هي في إطار فضيلة السبق، والمبادرة إليها- هي أعمال في وسع الإنسان، في طاقته، الله ﷻ فيما أمرنا به، أمرنا بما نطيقه، بما هو في وسعنا، أكثر وأوسع حتى من مسألة الطاقة، في مقدورنا، بإمكاننا أن نعمله، بل إن الناس يعملون خارج إطار ما يعملونه لرضوان الله وللجنة، لبعض شؤون حياتهم، ما هو أصعب، ما هو أشق، ويتعبون على ذلك أشد التعب، ويبذلون الجهد؛ **لينالوا** أشياء بسيطة جدًّا، لا تساوي شيئًا مما ينالونه في الآخرة، وليس من المشكلة أن يكون عند الإنسان اهتمام بأموره المعيشية، بل يمكن أن يجعل هذا جزءًا حتى من اهتمامه الإيماني والديني، وقربةً إلى الله ﷻ، لكن عندما يربطه بعمله وسعيه للآخرة، ويجعله جزءًا من سعيه للآخرة، ويجعله في إطار توجيهات الله ﷻ وتعليماته، يلتزم بما أمره الله ﷻ، يعمل في دائرة الحلال، ينفق، يؤدي مسؤولياته في هذه الحياة، المرتبطة بسعيه ذلك، لكن يتصور البعض وكأن الأعمال التي ننال بها رضوان الله والنعيم العظيم، ونؤمّن مستقبلنا في الآخرة، وتكون سببًا لرحمة الله ﷻ، والفوز بما وعد به وبالجنة، يتصورونها وكأنها أعمال مستحيلة، ليست مستحيلة، **الله ﷻ قال في القرآن الكريم:** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾[الليل: ٥-٧]، **(لِلْيُسْرَى):** هي الطريق المتيسرة، التي يسرها الله ﷻ، وعلمنا أيضًا أن نستعين به ونحن نسير فيها، **وأن نقول:** ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥]، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[الفاتحة: ٥]، نعبده ﷻ، **ثم يقول:** ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥]، علمنا أن نستعين به، وهو خير معين.

الأعمال العظيمة، التي لها أثر كبير، وقيمة عالية، في الأجر، والثواب، والقربة إلى الله، وسبب للتوفيق الإلهي: هي أعمال ضرورية للناس، لاستقامة حياتهم، لصلاح حياتهم، لدفع الشر عنهم، كالجهاد في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله هو من أعظم الأعمال، سمَّاه تجارة، **قال عنه:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الصف:١٠]، تجارة لماذا؟ لأن ربحه عظيم، الأجر عليه عظيمٌ جدًّا، بقية الأعمال عليها الأجر إلى مستوى معين، الحسنة بعشرة أمثالها، لكن الإنفاق في سبيل الله، يُضاعف بسبعمائة ضعف، سبعمائة ضعف، يتحدث عنه في القرآن الكريم (في سورة البقرة)، ثم لا تزال المضاعفة متاحةً بأكثر من ذلك بكثير، بحسب الظروف والأحوال، والحالة الإيمانية، التي يكون الإنسان عليها في عطائه وعمله، القتال في سبيل الله، بقية الأعمال في سبيل الله ﷻ، التي تحت عنوان الجهاد في سبيل الله، أجرها عظيمٌ جدًّا، تجارة، تجارة، مدخول التاجر كبيرٌ في يومه، بحسب تجارته، يختلف عن مدخول العامل العادي، وهكذا هو الفرق- مثلًا- ما بين تفاوت الأعمال والأجر عليها، ومستوى فضلها، ومستوى الأجر عليها.

﴿تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[الصف:١٠-١٢]، **عمل عظيمٌ جدًّا، أجره عظيم، نحن بحاجةٍ إليه؛ لأنه وسيلة يدفع الله بها عنا شر أعدائنا في هذه الحياة، وسيلة نعيش من خلالها في منعة، وعزة، وقوة، وحماية من شر الأعداء، ومن الذل، والاستعباد، والهوان من جانبهم، حماية للأمة، قوة للأمة، عامل بناءٍ ونهضةٍ للأمة.**

وهكذا بقية أعمال الخير، المصالح العامة، التي إذا تحرك الناس فيها بشكلٍ جماعي، فهي لمصلحتهم هم، فوائدها لهم، نتائجها لهم، عوائدها لهم، خيرها لهم، وهي من التعاون على البر والتقوى.

فالأعمال التي يعملها الإنسان، وينال بها ذلك الأجر العظيم، هي أعمالٌ لمصلحته في الدنيا، لها الأثر الإيجابي: **على** نفسيته، **على** واقعه التربوي، **على** سموه الإنساني، **ولها** أهميتها في واقع حياته، تضفي طمأنينة على نفسه، لها نتائج إيجابية في عاجل الدنيا، سببٌ حتى لرعاية الله له في الدنيا، مثلما تحدثنا عن ثمرة التقوى في هذه الحياة، **ثم** يؤمّن مستقبله العظيم في الآخرة.

ثم مسألة المعاناة، أو المشاق، أو المتاعب، أو الصعوبات، هي جزءٌ من حياتنا، أولئك الذين أعرضوا عن مستقبلهم في الآخرة، ولم يهتموا- أصلاً- بذلك، واتجهت كل اهتماماتهم لعاجل الدنيا، وللمصالح الدنيوية، وللعاجلة، **هل هم في منأى عن** المتاعب، **عن** الصعوبات، **عن** المشاق، **عن** المعاناة، **عن** المخاطر؟ هم يعيشونها بأكثر ممن لديهم اهتمامات بأمر آخرتهم أيضا، مع اهتماماتهم بأمور حياتهم في الدنيا، أولئك- كذلك- يتعبون، يعانون، يشقون، والكثير منهم قد يكون فقيرًا جدًّا، في غاية الصعوبة، والعناء، والشقاء، والنكد في حياته، ومع ذلك لا يفكر في أمر آخرته، مع أن هذا المجال مفتوح لكل الناس.

فضيلة العمل الصالح، الأعمال التي تصل بها إلى الجنة، ليست خاصة بالتجار، أو الأغنياء والأثرياء، **هو مجالٌ مفتوحٌ لكل الناس:** للفقير، والغني، لا يتطلب مقامًا اجتماعيًا معينًا، أو ثروةً معينة، لكل الناس، مجالٌ مفتوحٌ لكل عباد الله، **ولا يحتاج**

الإنسان في مقابله أن يكون مثلاً: إمّا من الأغنياء، **أو** من ذوي النفوذ، **أو** له مكانة اجتماعية معينة، **أو** منصبًا معين، **أو** سلطة معينة، لا، بل البعض من أولئك قد يكون ذلك سببًا في هلاكه، وشقائه.

فالمجال مفتوح، والأعمال متاحة، والطريق مهيأة؛ إنما كيف يتجه الإنسان ليصل إلى ذلك النعيم: ﴿جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، تلك الأعمال التي في وسع الجميع.

﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً﴾[الواقعة: ٢٥]، ليس هناك ما ينغص ما هم فيه من النعيم، حتى على مستوى الكلام الجارح، أو الكلام السيء، أو الكلام الذي لا إيجابية له، يسيء إلى الإنسان، أو يسيء إلى حياته، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾[الحج: ٢٤]، الإنسان لا يسمع هناك **(لَغْوًا)، ولا يسمع (تَأْثِيمًا):** عبارات جارحة تُوجَّه إليه، تنتقص منه، تسيء إليه، تستفزه، الإنسان يعيش حياة طيبة، ليس هناك ما ينغص عليه ما هو فيه من النعيم، حتى على مستوى الكلمة الجارحة، لا يسمع كلمة جارحة، ولا مستفزة، ولا مسيئة أبدًا، يعيش مرتاح البال، مطمئن النفس للأبد، في الدنيا هل يتهيأ للإنسان، حتى لو حصل على ظروف معيشية لا بأس بها، كم هي المنغصات؟ المنغصات كثيرة جدًّا.

﴿إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً﴾[الواقعة: ٢٦]، **القول الذي يسمعونه هناك كله قولٌ سليمٌ مما** يستفز الإنسان، **مما** يسيء إليه، **مما** يشوّه، **مما** يجرح المشاعر، **مما** يسيء، كله قولٌ سليم، ويسمعون أيضًا يأتيهم السلام: ﴿سَلَامٌ قَوْلاً مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[يس: ٥٨]، سلامٌ من الله، الملائكة تسلم عليهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[الرعد: ٢٤]، هم يسلمون على بعضهم البعض، **والقول كله سليمٌ من كل ما يسيء، من كل** ما يستفز، **من كل**

ما يؤذي، **من كل** ما يجرح المشاعر، **من كل** ما يسيء إلى الإنسان، كله كلامٌ طيب، لا يسمع إلا الكلام الطيب، يعيش في وضعٍ محترم، الكل يحترمه، الكل يقدره، وليس هناك من يحتقره، أو يستفزه، أو يسيء إليه، أو يجرح مشاعر، حياة هنيئة بكل ما تعنيه الكلمة، وللأبد، للدائم.

نكتفي بهذا المقدار.

وَنَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُرْضِيهِ عَنَّا، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبْرَارَ، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنصُرَنَا بِنَصْرِهِ، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ، وَنَسأَلُهُ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَامَ، وَالقِيَامَ، وَصَالِحَ الأَعْمَالِ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِين، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِين، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِين.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمْ.

أَيُّهَا الإِخْــوَةُ وَالأَخَوَات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَـةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـه؛؛؛

نواصل الحديث في سياق الكلام عن أهمية التقوى، وما تعنيه لنا، في مستقبلنا المهم الأبدي في الآخرة، والحديث على ضوء الآيات المباركة من (سورة الواقعة).

وصلنا إلى قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧]، في سياق التصنيف الذي صَنَّف به البشر في يوم المحشر إلى ثلاثة أصناف، صنفين من تلك الأصناف الثلاثة هم الناجون الفائزون، **وهم:** (السابقون، وأصحاب اليمين).

نماذج من النعيم العظيم المعد لأصحاب اليمين

تحدث عن فضل (السابقين)، وما وعدهم به، وهذا الحديث هو عن **(أصحاب الميمنة)**، سمَّاهم في بداية التصنيف بأصحاب الميمنة، وعندما أتى الحديث التفصيلي عمّا أعده الله لهم، وعن فوزهم، ونجاتهم، وفلاحهم، سمَّاهم بأصحاب اليمين، **وكل ذلك يعني:** أنهم أصحاب اليُمن، والبركة، والخير، والفوز، والفلاح، ويُؤتَون كتبهم بأيمانهم، وقوله جَلَّ شَأنُهُ: ﴿مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾، تعظيمٌ لما يصيرون إليه من النعيم العظيم، والتكريم الكبير.

واقع النعيم في الجنة، الفوز برضوان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وبجنته، هو مقامٌ عظيم، وفضلٌ كبير، ونعمةٌ عظيمة، وكل المستويات فيها هي ذات شأنٍ كبير، وفضلٍ عظيم، ولو أنها تتفاوت، تتفاضل، يختلف حال أصحاب اليمين عن مستوى منزلة وتكريم السابقين، ومقام السابقين، لكن واقع الجنة بكله عظيمٌ، والشأن فيه كبير، والنعيم والسعادة فوق مستوى ما يتخيل الإنسان.

- ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾[الواقعة: ٢٨]، **وهنا**- كما هو الحال بالنسبة للسابقين- **يذكر نماذج من نعيمهم،** وما أعده الله لهم، ويوكلنا إلى بقية المقامات، إلى ما ورد في بقية السور والآيات المباركة في القرآن الكريم، التي تحدثت عن نماذج أخرى، وأنواع أخرى من النعيم، في مقدمة هذه النماذج، وهو يصف الواقع الذي هم فيه في جناتهم: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾، **السدر:** هو شجرة معروفة لنا في الدنيا، السدر في بعض البلدان يسمُّونه- وفق التسمية المحلية- بـ(العِلْب)، وفي بعضها بـ(العَرْج)، وفي بعضها بـ(النَبْق)... بأسماء مختلفة، فالسدر هو شجرة- بالنسبة لواقعنا في الدنيا- شجرة معمّرة قوية، معروفة بعسلها اللذيذ، الذي عندما تعتمد النحل عليها، وتجني الرحيق منها، تنتج عسلًا لذيذًا ومميزًا، وأيضًا معروفة بثمرها، معروفة بخاصيتها في التنظيف،

فيما يتعلق بأوراقها، معروفة بقوتها وتحملها، لكن السدر في الجنة يختلف عن السدر في الدنيا، كما هو شأن كل الأشجار، كما هو شأن كل النعم، التي يوجد فارقٌ كبيرٌ ما بينها هنا في الدنيا، وما بينها هناك في عالم الجنة.

أول ما يقوله عن السدر في الجنة: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾ [الواقعة:٢٨]، **يعني:** لا شوك فيه، الكثير من السدر في الدنيا فيه الشوك المؤذي، والمزعج، فالسدر في الجنة يمتاز بأنه لا شوك فيه، ينعَم الإنسان بظلاله الوارفة؛ **لأن أيضًا من خواصه حتى في الدنيا هو:** ظلاله الوارفة والمميزة. في الجنة، سدر الجنة يتميز بسلامته من الشوك، يتميز بثماره، الثمار المتميزة عن ثمار سدر الدنيا، وأيضًا يتميز بنضارته، بكل شيءٍ فيه، يتميز عن السدر في الدنيا.

- ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ [الواقعة:٢٩]، **يقولون: أن الطلح المنضود هو (الموز)**، هناك شجرة تسمى الطلح أيضًا معروفة بخُضرتها، ونضارتها، وظلها، **ولكن يُقال:** أن الموز كذلك يسمى بهذه التسمية (بالطلح)، **والمنضود:** المتراكم، وهذا بالنظر إلى أوراقه، وبالنظر إلى ثماره، ثماره المتراكمة، الوفيرة، والموز أيضًا من الأشجار النضرة، الخضراء، الكبيرة الأوراق، البهية المنظر، والموز كفاكهة أيضًا من الفواكه الممتازة واللذيذة، والمفيدة للإنسان.

- ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]، **ظِل؛ لكثافة الأشجار، وأنواعها في الجنة**، ليس هناك أذيةٌ من الحر، ولا معاناةٌ من الحر، ولا من الشمس، ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان:١٣]، في مقابل حال أهل النار، **الذي هو:** حرارةٌ شديدة، يعيشون في حالة احتراقٍ دائم، وحرارةٍ شديدةٍ جدًّا، لا تُخفف عنهم ولا للحظةٍ واحدة، **فالحال بالنسبة لأهل الجنة هو:** الظل، والراحة، وانعدام أذيَّة الحرارة الشديدة، فلا حرارة شديدة، ولا برد شديد، جوٌّ معتدل ملائم، وبشكلٍ مستمر، لا يعانون- ولو في موسم معين مثلًا- من

شدة الحرارة في موسم معين، أو شدة البرد، البرد القارس في موسمٍ آخر، مثلما هو الحال في الدنيا، البعض من المناطق تعاني من شدة الحرارة، والبعض من البرد القارس؛ **أمَّا** هناك فحتى الجو، جوٌّ (في عالم الجنة) جوٌّ معتدلٌ ملائمٌ، ليس فيه أذية الحرارة، ولا أذية البرد القارس، ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾[الإنسان: ١٣]، **الزمهرير:** البرد القارس.

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾[الواقعة: ٣٠]، **(وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ)** في مختلف أرجائها، **يعني:** ليس فقط في أماكن محدودة فقط، ثم تكون بقية المناطق والأرجاء حالتها حالة الصحاري في الأرض مثلًا، الأرض أماكن محدودة قد يتوفر فيها الظل، أماكن محدودة جدًّا، بقية الأماكن لا يتوفر فيها الظل، معظم الأماكن على وجه الأرض لا يتوفر فيها الظل، تحتاج أن تلجأ إلى مسكن، أو إلى مبنى، أو إلى أيِّ شيء لتستظل به؛ **أمَّا** الجنة فالظل يمتد فيها إلى مختلف أرجائها، وأنحائها، يتوفر الظل في كل مكان، وهذه نعمةٌ كبيرة، عندما يتحرك الإنسان، يتنقل، هو لا يقلق أنه لا يتوفر له الظل، ويتوفر له الجو المعتدل، الذي يتخلص فيه من أذية الحرارة الشديدة، إلَّا في أماكن محدودة.

مثلًا: في الدنيا، في بعض البلدان حتى مع ثراء أهلها، وتوفر الإمكانات لهم، قد يتوفر له المكيفات، لكن في داخل المنزل، مكيفات تساعده على تخفيف الحرارة، وأن يرتاح وينعم بالجو المعتدل، ولكن بمجرد أن يخرج من المنزل انتهى كل شيء، الحرارة في كل مكان، الحرارة الشديدة، في بعض البلدان ترتفع درجة الحرارة إلى مستويات قياسية مؤذية، ومزعجة، ومرهقة، ومتعبة، وضارة، بل في بعض البلدان تحصل الكثير من حالة الوفيات؛ **نتيجةً** لشدة الحرارة، والطقس الحار جدًّا، ونسمع في وسائل الإعلام عن كذا وكذا من الوفيات الناتجة عن ذلك.

ففي عالم الجنة، مع ما يتوفر فيه من النعيم، يتوفر فيه- في كل أرجائها وانحائها- الجو المعتدل، الملائم، وليس هناك الحرارة الشديدة التي تزعجهم، أو تؤذيهم، في أي

مكانٍ في الجنة، في حالة تنقلاتهم، ورحلاتهم، وزياراتهم، وتنقلاتهم المتنوعة في عالم الجنة، الجو كله ملائمٌ، ومناسبٌ، ومريح.

- ﴿وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ﴾ [الواقعة: ٣١]، **يتوفر الماء النقي**، الماء الملائم، الذي ليس فيه أي شيءٍ يكدره، ليس مشوبًا بأي شيءٍ من المكدرات، يتوفر بشكلٍ كبير في عالم الجنة، الجنة تجري من تحتها الأنهار، وقد يكون فيها أيضًا عيون خاصة، بماءٍ عذبٍ، في غاية الجودة، والنقاء، والصفاء، واللذة، يشربون منه، إضافة إلى ما فيها من المناظر الخلّابة، لمختلف الأنهار التي تجري فيها، بأنواعها وأشكالها، فالماء متوفرٌ هناك، غير آسنٍ، ولا متغير، ولا مشوب بما يكدره، أو يؤثر فيه، وبشكلٍ دائم، ليس هناك أزمة مياه، أو مشكلة مياه؛ **في** مقابل الحميم، الذي يشوي الوجوه، ويقطّع الأمعاء، ويشربه أهل النار والعياذ بالله.

- ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢]، **الفاكهة متوفرة لأصحاب اليمين**، أصحاب الميمنة، متوفرة بكثرة، كثيرة في أنواعها، وأصنافها، من مختلف أنواع الفواكه، وفي كمياتها، ليس هناك أزمة، أو نقص حاد في توفرها، أو انعدامٌ للبعض منها، بأصنافها، وأنواعها الكثيرة والمتنوعة، متوفرة أيضًا في كل وقت.

﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢-٣٣]، **ليست موسمية فقط**، تأتي في موسم معين ثم تنقطع، كل أصنافها وأنواعها تتوفر في كل وقت، هي متوفرةٌ في كل وقت، وليس فقط في موسمٍ معين، كما في الدنيا، تتوفر فاكهة معينة في موسم، وفاكهة أخرى في موسم آخر، وفواكه في موسم آخر، وهكذا، فواكه الجنة هي مستمرة، ثمارها مستمرة، لا تتوقف أبدًا.

﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾[الواقعة: ٣٣]، **ليس هناك ما يمنع منها:**

- **لا في طريقة الحصول عليها:** ليست طريقة الحصول عليها صعبة، فهي دانية، يقتطفها الإنسان بكل سهولة، وهناك أيضًا الخدم الذين يوفرونها، ولكن حتى لأصحاب اليمين، وحتى لو كان هو من يقتطف لنفسه، فبدون عناء. في الدنيا، بعض أنواع الثمار يحتاج الإنسان إلى عناء في الحصول عليها، **مثلًا:** في من يقومون باجتنائها، الذين يجنونها، يحتاجون إلى عناء وتعب في ذلك، يتسلق في النخلة الطويلة، المرتفعة، الباسقة، ليصل إلى أعلاها، لينال شيئًا من ثمارها، أو ليقتطف ما فيها من الثمار، وهكذا بقية الأشجار؛ **أمَّا** هناك فليس هناك عناء، ولا صعوبة في الحصول عليها، ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾[الحاقة: ٢٣].

- **كذلك ليس هناك مانع صحي: يكون الإنسان- مثلًا-** قد يتضرر بتناول فاكهة مع فاكهة معينة، إذا جمع بين ذلك الصنف وذلك الصنف، أو يضره صنف معين من أصناف الفواكه، فيرى تلك الفاكهة، يرى ثمارها متدلية في أغصان أشجارها في الجنة، ولكنه يرى نفسه غير مستطيعٍ أن يتناولها؛ **لضررها** على صحته مثلًا، مثلما يحصل في الدنيا، الكثير من الناس قد تضره تلك الفاكهة، أو ذلك الصنف، أو ذلك النوع من الفواكه، لا يتلاءم مع صحته؛ **فيكون** ممنوعًا صحيًا من تناوله. في عالم الجنة، ليس هناك- أبدًا- أي مانع صحي، كما قال في الآية المباركة: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾[الدخان: ٥٥]، فليس هناك أي نوع يمكن أن يضر ببعضهم، أو يؤثر على صحة بعضهم، كل أصناف الفواكه، فليس هناك أي مانعٍ من الحصول على تلك الفواكه.

- **وليس هناك ظروف صعبة:** لن تحتاج إلى أن توفر قيمة تلك الفواكه، أنت وفرت قيمتها مسبقًا، بعملك الصالح، بما قدمته في الدنيا، بإنفاقك في سبيل الله، في سبل الخير التي أرشد الله إليها، باستقامتك على منهج الله، بطاعتك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وبرحمة الله وفضله.

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾[الواقعة:٣٤]، **تحدث في سياق الحديث عن السابقين:** عن السرر، التي هم عليها، **وفي الحديث عن أصحاب اليمين:** عن الفرش، التي هي نوعية فاخرة جدًّا، وممتازة، ومرفوعة؛ **لأنها** وثيرة، وفي غاية الروعة، الفرش في الجنة في غاية الروعة، رائعةٌ جدًّا، تحدث عنها في آيات أخرى، ووصفها كذلك بأنواعها وصفًا عظيمًا.

تعبير القرآن العجيب عن الحور العين!!

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾[الواقعة: ٣٥-٣٧]، **ثم انتقل**- بعد الحديث عن الفرش والمساكن- **إلى الحديث عن الحور العين**، الحور العين لأصحاب اليمين، وتحدث عنه بهذا الحديث العجيب: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بقدرته العجيبة سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو المصور، البارئ، الخالق، أنشأهن إنشاءً متميزًا، إنشاءً وإعدادًا رائعًا جدًّا.

﴿إِنَّا﴾، **الله بقدرته العظيمة**، بكرمه الكبير، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى القدير، البصير، في كيف يخلق، أنشأهن إنشاءً متميزًا، بجمالٍ بارعٍ وفائق، بخلقٍ بديع، بشكلٍ متميزٍ جدًّا، هذا يبين عظمة تلك النشأة، **في** مستوى الجمال، **في** مستوى الخلق، **في** مستوى الإبداع، ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً﴾، تعبير عجيب!

﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾، **يخلقهن الله وينشئُهن وهُنّ في سن بداية الشباب**، في تلك الصحة، في تلك البكارة، في تلك النضارة، في ذلك الجمال.

﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾، **وهنا وَصَفَ جانبًا يعني مما يتعلق بمميزاتهن**، في خَلقهن، **وفي** خُلقهن، **وفي** آياتٍ أخرى، **وفي** سور أخرى، يأتي بأوصاف إضافية، طريقة القرآن الكريم في الاختصار، وتقديم النماذج هنا، ثم تقديم نماذج في سورةٍ أخرى، وهكذا، **والعُرُب:** يعبِّر عمَّا هُنّ عليه من عشقٍ لأزواجهن، وتحبُّبٍ، وتودُّدٍ، وتلطُّف **في** التعامل، **في** الخطاب، **في**

الحديث، **في** الجاذبية لأزواجهن، هذا معنى (**عُرُبًا**)، هذا يعود إلى أخلاقهن، إلى طريقتهن في التعامل، والتودد لأزواجهن، والتلطف في التعبير، وإلى مستوى الجاذبية لأزواجهن.

﴿أَتْرَابًا﴾، **وهذا يفيد ما هن عليه من تشابه**، ومن تساوٍ **في** مستوى السن، **في** مستوى الجمال، **في** مستوى.. **بمعنى:** ليست هناك- مثلًا- واحدة طاعنة في السن، وواحدة لا زالت في بداية العمر، أو في بداية الشباب، واحدة- مثلًا- في غاية الجمال، فائقة في جمالها وشكلها، والأخرى تختلف عنها، قد يكون بينهن فوارق في مستوى الجمال، **لكن ليست فوارق:** (تلك هابطة، وتلك مرتفعة)، هن أنداد، هن متساويات في ذلك.

﴿لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾[الواقعة: ٣٨]، **هذا النعيم المتنوع**، الذي يتوفر فيه كل متطلبات الحياة الهنيئة، والسعيدة، والطيبة، والمريحة، لأصحاب اليمين، **وهذه فقط نماذج منه:** في المأكولات، في المشروبات، في المساكن، في الزوجات، هذه فقط نماذج.

نعيم دائم.. وخلود دائم.. وسلامة من كل المنغصات

تحدث في بقية السور، في بقية الآيات، عن بقية النعيم الذي هم فيه، أنواع أخرى من النعيم، **مثلًا:** فيما يتعلق أيضا بطعامهم، قال في آيةٍ أخرى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[الزخرف: ٧١]، لو أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يأتي بكل التفاصيل عمَّا في الجنة، لاحتاج هذا إلى كتاب كبير جدًّا، يصف فيه كل التفاصيل؛ **وإنما** يقدم نماذج وإشارات تقدِّم لنا صورة جيدة، صورة كبيرة عن الواقع هناك، الواقع العظيم.

فالحياة هناك، مثلما قال في ذلك التعبير الجامع في الآية المباركة: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، **فيها كل ما يشتهيه الإنسان من أنواع النعم** متوفر، وكذلك ما تلذّه الأعين، فيما يراه الإنسان، فيما يشاهده، فيما يرتاح

ويبتهج ويسر لمشاهدته، ويرتاح لمشاهدته، النعيم الواسع، والنعيم العظيم.

مع السلامة، هي دار السلام، من أوصاف الجنة وسمَّاها الله في القرآن الكريم (في سورة يونس): ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥]، **السلام من كل شيء: من** كل الشرور، **من** كل المضار، **من** كل المنغصات؛ **لا مرض**، ولا هرم، ولا ألم، ولا حزن، ولا نصب، ولا تعب، ولا هم، ولا غم، ولا ضجر، ولا ملل، **الحالة النفسية للإنسان، في وسط ذلك النعيم المادي بكل ما فيه: حالة** مريحة جدًّا على المستوى النفسي. ٥

الحالة في الدنيا تختلف، البعض من الناس قد يكون لديه إمكانات مادية، في مستوى معين، ولكن كم يشوبها من المنغصات؟ كم يعاني من الهموم، من المشاكل النفسية، من المنغصات، من الأمور المزعجة...إلى غير ذلك.

أمَّا هناك، فمع النعيم المادي المتوفر على أرقى مستوى، كل شيءٍ فيه على أرقى مستوى: المساكن، المأكولات، المشروبات، عالم الجنة- بنفسه- ليس كحال الدنيا، الكثير من الناس قد يسكن في الصحراء، أو في منطقة عادية، أو في قمة جبل معلق، أو في وضعية هنا أو هناك، هناك عالم بكله، في شكل الجنة، في واقعها الجغرافي الجذاب جدًّا، البهيج، الذي يرتاح فيه الإنسان، كل ما يراه يُسرّ به، تُسرّ من كل ما ترى، ترتاح بكل ما تشاهد، كل الأجواء، وكل المشاهدات، وكل شيءٍ تراه، يُدخِل على قلبك السرور والراحة والابتهاج، **والحالة النفسية كذلك، لا يتأثر واقعك البدني والنفسي مع طول الوقت.**

﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، **حياة للأبد**، لكن ليس مع هَرَم، ليس مع تغيرٍ تبلى فيه الأجساد، مثلما هو الحال في هذه الدنيا، كلما امتد عمرك، كلما تغير وضع جسدك ونفسك، على المستوى النفسي، على مستوى الحواس، على مستوى القدرات الذهنية والبدنية، تتأثر في الإنسان؛ **أمَّا** هناك فلا يتأثر شيء في الإنسان، يبقى في نضارة الشباب،

وكمال الشباب، وكمال الصحة، يتمتع بذلك للأبد، لا تنقص منه حواسه، ولا قدراته، ولا كل ما يتمتع به من الصحة، ولا يصيبه المرض أبدًا في أي حالٍ من الأحوال، ولا الهم، ولا الغم، ولا يواجه أي مشاكل، أو نزاعات، أو خلافات، أو تُوجَّه إليه إساءات من أحد: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً﴾[الواقعة: ٢٥]، ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾[الغاشية: ١١]، في عالم الجنة بكله.

راحة كاملة، سعادة تامة، حياة طيبة مكتملة، وبكل ما تعنيه الكلمة، وللأبد، للأبد، حتى الملل، لا يصابون بالملل، الحياة عندهم، والنعم عندهم متجددة، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أعد لهم أنواع النعيم العجيب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾[السجدة: ١٧]، **يعني:** ما تقر به أعينهم، ما ترتاح به أنفسهم، إذا كنا نشاهد في هذه الحياة موديلات، تتجدد أنواع من المنتجات المختلفة، في شتى مجالات الحياة، ومتطلبات الحياة، فالله ادخر لهم في عالم الجنة، مما تقر به أعينهم، **وترتاح وتسعد به أنفسهم،** الأنواع الكثيرة، حياة متجددة، تتجدد فيها أنواع النعيم، فلا يصابون بالملل، ولا الضجر.

وعالم شاسع واسع، يتنقلون فيه، يتاح لهم التنقل في الجنة: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾[الزمر: ٧٤]، لا يحتاجون إلى معاملات صعبة، **معقدة:** فيزا، وجواز، وتكاليف السفر، والتعقيدات التي يحتاجها الناس في الدنيا من الانتقال من بلد إلى بلد، من أصعب الأمور- الآن في حياة البشر- مسألة التنقل من بلد إلى بلد، هناك يقولون هم: ﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾، وعالم شاسع جدًّا، ﴿عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾[آل عمران: ١٣٣]، ليست بقعةً صغيرة، تمل من البقاء الدائم فيها، لا يمكنك أن تذهب إلى هنا، أو هناك، تتنقل في عالم الجنة الشاسع والواسع جدًّا أين تشاء من أقطارها، من بُلدانها الواسعة جدًّا، إلى مستوى يفوق تخيلنا، يفوق تخيلنا، لا نستطيع أن نتخيل مستوى سعة الجنة، وما فيها، ولا تحتاج إلى عناءٍ على أي شيءٍ

فيها، عناء وأنت تحافظ على مزرعتك، أو بساتينك، مثلما هنا في الدنيا، انتباه للوثائق، والبصائر، والأدلة، وإلَّا أتى من ينازعك، وإلَّا الوضع معرض للخطر أن يقتطع أحدٌ عليك شيئًا، أو يأتي أحد فيحاول أن يأخذ ما لديك، أو يزعجك، هناك استقرارٌ في حياتهم، استقرارٌ تام، ليس هناك أي منغصات على الإطلاق.

كل هذا النعيم في متناولك. فلماذا الغفلة؟!

هذا النعيم يعرضه الله علينا، أعماله هي في وسعنا، هي في طاقتنا، هي أيسر حتى من الأعمال التي يدخل بها الناس النار، طريق النار وصفها الله في القرآن بالعسرى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[الليل: ١٠]، هي العسرى، **الأعمال التي أرشدنا الله إليها، ووجهنا إليها، هي لصلاح حالنا في الدنيا، وحياتنا في الدنيا، وكذلك هي لراحتنا وسعادتنا وفوزنا الأبدي في الآخرة،** والمسألة في متناول كل إنسان، لا تتعلق بصنفٍ من الناس دون صنف، يستطيع الفقير جدًّا، المعدم، أن يسعى ليكون من أصحاب هذا النعيم العظيم، الذي هو أكبر من كل ثروةٍ في الدنيا.

واقع أصغر إنسان في الجنة، من حيث الموقع، من حيث النعيم، من حيث الجزاء، يفوق حال أهل الدنيا بكلهم، بكل ما لديهم من إمكانات، لا يمتلكون ما يمتلكه من النعيم، من الحياة السعيدة الأبدية، لا يمتلكون أي شيء، موضع سوطٍ في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها، فما الذي يجعلنا نغفل ونتجاهل هذا العرض الإلهي، نتجاهله، نغفل عنه، لا نلتفت إليه، لا نهتم به؟! **ما أجمل كلمة الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما قال:** ((إِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ نَامَ طَالِبُهَا، وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا))، غفلة وتجاهل لأمرٍ عظيم، أمرٍ عظيم! أمر الجنة وما أعد الله فيه عظيمٌ جدًّا، مع رضوان الله، مع التكريم المعنوي، الذي هو فوق حتى نعيم الجنة، والإنسان يحس أن ما هو فيه هو برحمة الله وفضله، ورضوانه، قد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهم قد رَضُوا عَنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يعبِّر عن رضوان الله، عن محبة الله.

حتى أنواع التكريم في الجنة، ومنها: زيارة الملائكة، وفي الجنة يعاينهم البشر، يشاهدون الملائكة، ويتحدثون إليهم، ويتخاطبون معهم؛ **لأنهم** هم من يتولون إدارة شؤون عالم الجنة، وكذلك عالم النار، الخزنة، خزنة للجنة، **يعني:** المعنيون بإدارة شؤونها، وتدبير أمور أهلها، هم مدراؤها، والمشرفون عليها، والمسؤولون عليها، كذلك حال النار، هناك خزنه للنار.

فما الذي يجعل الانسان يغفل، يُعرِض، يتجاهل، مع أنه إذا لم تتجه إلى الجنة، فمصيرك الحتمي- والعياذ بالله- هو النار؟! ليست المسألة أنك- مثلًا- **يمكن أن يُقال لك:** [أنت عُد إلى المنزل]، لا، **المسألة أنك إنْ لم تكن إلى الجنة، فأنت إلى النار والعياذ بالله، ليس هناك مكانٌ ثالث،** إمَّا أن تعمل عمل الجنة، وإلَّا فأنت تعمل- تلقائيًا- عمل أهل النار، وأنت إلى النار والعياذ بالله، هذا دافعٌ مهمٌ جدًّا للإنسان لأن يسعى لتقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأن يسعى إلى الأعمال التي هي فوزٌ وفلاحٌ ونجاة.

نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَتقبَّل مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَام، وَالقِيَام، وَصَالِحَ الأَعْمَال، وَأَنْ يَرْحَم شُهَدَاءَنَا الأَبْرَار، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنصُرنَا بِنَصْرِه، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاء.

وَالسَّـــلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْـمَــــةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُــهُ؛؛؛

المصير والمآل المعدّ لأصحاب الشمال!

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِين، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِين.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

أَيُّهَا الإِخْــــوَةُ وَالأَخَوَات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَـةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـه؛؛؛

نواصل الحديث على ضوء الآيات المباركة من (سورة الواقعة)، والتي قدمت لنا مشاهد يوم القيامة، والمصير المحتوم الذي يصير إليه كل البشر، والتصنيف الذي يُصنفون به في ساحة المحشر، ثم ينتقلون بعد ذلك إلى الجزاء، إلى المقر الأبدي، دار القرار (في الجنة، أو في النار).

قرأنا في الآيات المباركة في- المحاضرات الماضية- الحديث عن السابقين، وعن أصحاب اليمين، أصحاب الميمنة، وصفهم بهذين الوصفين، وما أعد الله لهم من

النعيم العظيم، والتكريم المعنوي الكبير، وبيَّنت الآيات المباركة في آخر ما ذكره القرآن الكريم في هذه الآيات- بشأن أصحاب اليمين- أنهم **ثلةٌ**، ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾[الواقعة: ٣٩-٤٠]، **يعني:** جماعة كبيرة من الأمم الماضية، وجماعة كبيرة من أمتنا، والعهد المتأخر المتبقي في تاريخ البشرية منذ بعثة رسول الله ﷺ.

وهذا التعبير في القرآن الكريم: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾، **يلفت نظرنا إلى حقيقةٍ مهمةٍ وخطيرة: هي** أن أغلب المجتمع البشري- والعياذ بالله- مصيرهم إلى جهنم، فقط منهم جماعات مصيرها إلى الجنة، لكن الأغلبية الساحقة، مصيرها- والعياذ بالله- إلى جهنم، وهذه حقيقة أكد عليها القرآن الكريم، في آياتٍ متعددة، فجهنم ستمتلئ، ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾، الله سبحانه وتعالى قال وهو يخاطب الشيطان: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[ص: ٨٥]، وتُبيّن الكثير من الآيات هذه الحقيقة الرهيبة المخيفة جدًّا، والتي ينبغي على كل إنسان أن يحذر، أن يحذر حتى لا يكون من ضمن تلك الأغلبية الساحقة، التي تتجه- والعياذ بالله- إلى نار جهنم، أمر خطير جدًّا، وأمر مخيف للغاية.

تأمل المصير المشؤوم للصنف الثالث!

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾[الواقعة: ٤١]، **هذا هو التصنيف الثالث**، وهذه الفئة التي تشمل بقية المجتمع البشري- بعد السابقين وأصحاب اليمين- **هم (أَصْحَابُ الشِّمَالِ):** أصحاب الشؤم، والشقاء، والخسران، نعوذ بالله، أمر رهيب جدًّا! وهم الذين يُؤتَون أيضًا كتبهم بشمائلهم، كلٌّ منهم يُؤتى كتابه بشماله، هذا يرمز إلى شقائهم، إلى شؤمهم، إلى خسارتهم، وهم من أوقعوا أنفسهم بأنفسهم في الشقاء، في الشؤم، في الخسران، والخسران العظيم.

وقوله عنهم: ﴿مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾، **تهويلٌ وتعظيمٌ لسوء حالهم، وعظيم شقائهم، وفظيع عذابهم**، وفظيع ما صاروا إليه من الشقاء والعذاب والعياذ بالله، وهو أمرٌ رهيبٌ جدًّا، أمرٌ رهيبٌ للغاية!

القرآن الكريم بيّن حالهم، ما هم فيه من العذاب النفسي، ما هم فيه من الخوف الشديد، والندم، الخوف الذي يصل بهم إلى درجة أن تطلع قلوبهم إلى حناجرهم، ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾[غافر: ١٨]، خوف شديد جدًّا، تمتلئ قلوبهم بالخوف والرعب الشديد، تنتفخ رئاتهم، فتزحم قلوبهم، وتطلع بها إلى الأعلى، حتى تصل إلى قرب الحناجر، ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾، خوف شديد جدًّا، وندم شديد، وتحسُّر شديد جدًّا؛ **لأنهم** يدركون أنه كان بإمكانهم العمل لما ينجيهم مما وصلوا إليه، ويدركون أنهم هم، باستهتارهم، بغفلتهم، بإعراضهم، بجرأتهم، من أوصلوا أنفسهم إلى ما وصلت إليه.

في مواقف الحساب يوم القيامة، من موقفٍ إلى موقف، يزداد رعبهم، خوفهم، ندمهم، تحسرهم، أسفهم، عذابهم النفسي الشديد، عندما يُؤتَون كتبهم بشمائلهم، يتحسرون، يقول الواحد منهم: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾[الحاقة: ٢٥-٢٧]، حالة من التحسر والندم الشديد.

في المواقف الأخرى، عندما تكتمل عملية الحساب، وعندما يُميَّز المؤمنون، المفلحون، الناجون، المتقون، الفائزون، الذين مصيرهم إلى الجنة، من السابقين وأصحاب اليمين، يُميَّزون في اتجاه، ويُميَّز أولئك المجرمون والهالكون وأصحاب الشمال في اتجاهٍ آخر، كذلك تأتي الحسرة، يأتي الندم الشديد، عندما يقول الله: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾[يس: ٥٩]؛ **لأنها** من العمليات التي يبدأ فيها الترتيب لنقل كل طرفٍ باتجاه مصيره، باتجاه جزائه.

ولذلك يحكي القرآن الكريم مشهدًا مؤثرًا، ومعبراً، ومهمًا جدًّا، وفيه درسٌ كبير، للبعض من المنتسبين للإسلام، من المسلمين انتماء، في تلك الحالة من مرحلة الفرز والتمييز لكل فئة، لتكون في اتجاهٍ لوحدها، ترتيبًا لنقلها إلى جزائها: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾[الحديد: ١٣]، في مواكب النور التي يتحرك فيها المؤمنون، الفائزون، المفلحون، المتقون، الناجون، تغشى أولئك الآخرين الظُلمة، الظلمة الشديدة، ويبدأ فرزهم وتمييزهم باتجاهٍ لوحدهم، فهم يحاولون الالتحاق بصف المؤمنين، والانضمام إليهم، والدخول معهم، يحاولون أن يلحقوا بهم ليدخلوا معهم، لكن ملائكة الله تتصدى لهم، وتحول بينهم وبين ذلك، وتطردهم، وترغمهم على الرجوع، ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾[الحديد: ١٣]، ليس هناك نورٌ لكم؛ **لأنكم** لم تقبلوا نور الله في الدنيا، لم تستضيئوا به، لم تتمسكوا به، بهديه العظيم، حالة رهيبة!

الشيطان والمتبوعون يتبرؤون من أتْباعهم!

بعد أن يجتمعوا، ويخطب فيهم الشيطان، خطبته التي ذكرها القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾[إبراهيم: ٢٢]، انتهى أمر الحساب، بقيت مسألة النقل إلى جهنم، جُمعوا، جمع كل الذين مصيرهم إلى جهنم لوحدهم، مع الشياطين، مع المجرمين، مع الفراعنة، مع الطغاة، مع الفاسقين، مع المفسدين، كل فئات أهل النار يُجمعون، ويخطب فيهم الشيطان، ليقول لهم كما ذكر الله في القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، وعود الشيطان، والأماني، التي كان يقدمها، ويغتر بها الكثير من الناس، لا شيء منها.

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾[إبراهيم: ٢٢]، يقول: [أنا لم أرغمكم، لم أقسركم على مخالفة هدى الله، على مخالفة تعليمات الله، على العصيان لأوامر الله ونواهيه، فقط دعوة]، ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[إبراهيم: ٢٢]، هو في مقام التبرُّؤ منهم، والتبكيت لهم، والتنصل عن المسؤولية تجاه ما حل بهم، ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾[إبراهيم: ٢٢]، يتنكر لهم كل التنكر، ويتبرأ.

المتبوعون يتبرؤون من أتباعهم، الذين اتبعوهم في الباطل، اتبعوهم في مخالفة توجيهات الله، وأوامره ونواهيه، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾[البقرة: ١٦٦]، يلعن بعضهم بعضًا، يتبرأون من بعضهم البعض، حالة رهيبة هم فيها، عندما يشاهدون نار جهنم، وهم لا يزالون في المحشر، أمر مخيف للغاية!

المصير الأليم للطغاة والمجرمين!!

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾[الفرقان: ١٢]، **أمر رهيب**، من الخوف الشديد، والقلق الرهيب، وهم يتوقعون لحظة الوصول إليها، والتي هي لحظة رهيبة جدًّا، ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾[الفجر: ٢٣]، أمر رهيب للغاية، عندما يشاهدونها، يسمعون أصواتها المرعبة! ولذلك في وقت نقلهم إليها، يحاولون أن يمتنعوا؛ **لأنهم** يخافون جدًّا، ويدركون أنها ورطة رهيبةٌ جدًّا، يدركون فداحة الخسارة التي خسروها، يدركون عظيم ذلك الهول العظيم، ذلك الهول العظيم، فظاعته، ورهبته.

عندما يمتنعون من الانتقال، يساقون بالعنف، يساقون بكل عنف، تسوقهم الملائكة بعنفٍ شديد، ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾[الطور: ١٣]، يُدفعون رُغمًا عنهم، بعنفٍ وقسوة، ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]، يُدفعون، ويُسحبون بأرجلهم، ويسحبون بمقدمات شعر رؤوسهم- والعياذ بالله- ويساقون بتلك الطريقة من العنف والشدة، حتى يصلون إلى أبواب جهنم، وهي لحظة من أفظع اللحظات، لحظة رهيبة جدًّا، ومخيفة للغاية، عندما اقتربوا من جهنم، ووصلوا عند أبوابها، ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[الزمر: ٧١]، فتحت لاستقبالهم!

قال عنها: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾[الحجر: ٤٤]، بحسب مستوى العذاب الذين يعذبون به في نار جهنم، هي دركات.

في جهنم بنفسها، في الدرك الأسفل، في أشد العذاب، فئة من المنتمين للإسلام، ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[النساء: ١٤٥]، والعياذ بالله، أمر رهيب جدًّا!

في تلك الحالة التي وصلوا فيها إلى شفير جهنم، وقبل الإلقاء بهم فيها، هي لحظة رهيبة جدًّا! يصورها لنا القرآن الكريم في مشهدٍ رهيب: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾[الأنعام: ٢٧]، معهم وقفة هناك، وقفة ما قبل الإلقاء في نار جهنم، وقفة يُعبِّرون فيها عن تحسُّرهم، عن ندمهم الكبير، ﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنعام: ٢٧]، يتمنون أن لو بالإمكان أن يُردُّوا إلى الدنيا، وأن يقبلوا آيات الله، وأن يهتدوا بها، وأن يعملوا بها، وأن يصدقوا بها، وأن يستجيبوا لما فيها من توجيهات الله سبحانه وتعالى، وأن يكونوا مؤمنين، ملتزمين، مطيعين لله سبحانه وتعالى، حالة رهيبة جدًّا، لكنه فات الأوان، ليس بالإمكان أن يُردُّوا، ولا أن يعودوا، أو يتوبوا، أو أي فرصة أخرى، ليس هناك مجال.

٦

كذلك في تلك اللحظة التي يصلون فيها على شفير جهنم، هل سيدخلون طوعًا؟ حالة رهيبة من الخوف الشديد الذي هم فيه، والرعب، الرعب الرهيب الذي هم فيه، ولذلك يُلقى بهم إلقاءً، رغمًا عنهم، تأخذهم ملائكة الله وتلقي بهم رغمًا عنهم إلى داخل نار جهنم، ثم تُغلق أبوابها المؤصدة، بعُمُد الحديد بالعُمُد الرهيبة، الكبيرة جدًّا، العُمُد التي ليست من جنس ما في الدنيا، شيءٌ مختلفٌ تمامًا، ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾[الملك: ٨-٩]، ألم يأتكم في الدنيا من ينذركم، من يحذركم من نار جهنم، من هذا المصير، مما يوصل إليه، مما يسبب له؟ يعترفون.

أصناف العذاب الرهيب. والبرنامج المنظم للتعذيب!

في نار جهنم، في سعيرها، وعذابها المتنوع، يقولون هم حتى عن أنفسهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[الملك: ١٠]؛ **لأنه** وصل الإنذار إلى الناس، الناس يسمعون بيوم القيامة، حتى الذي لا يُصَدِّق، قد مر على مسمعه الخبر عن يوم القيامة، عندما يُلقى بهم في نار جهنم، فكل ما هناك عذاب، كل ما فيها، كل أوضاعها، كل أحوالها عذاب، والبرنامج منظم لتعذيبهم، بأصناف وأنواع العذاب والعياذ بالله.

ولذلك يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في هذه الآيات المباركة: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ۝٤١ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾[الواقعة: ٤١-٤٢]، **أول ما يذكره هناك:** هو السموم.

في واقع حياتنا هنا في الدنيا، من أكثر ما نحتاجه، نحتاجه في كل لحظة، هو الأكسجين الذي نستنشقه، نحتاجه بأكثر من أي شيءٍ آخر، أنت تحتاج إلى الأكسجين في كل لحظة، لتستنشقه، أكثر من حاجتك للطعام، وأكثر من حاجتك للماء والشراب، فأنت تتنفس، تستنشق الأكسجين في كل لحظة، وتعيش على ذلك، إذا انقطع عنك للحظات توشك

أن تموت، فإذا كان الأكسجين طيبًا، وفي جوٍ معتدل، ترتاح بذلك، يرتاح جسمك بذلك.

أمَّا هم، فحتى الهواء الذي يستنشقونه في نار جهنم هو من السموم، هو في غاية الحرارة، هواءٌ حارٌ جدًّا جدًّا جدًّا، كل شيءٍ فيها حار في جهنم، حتى ذلك الأكسجين، الهواء الذي هو بديلٌ عن الأكسجين، الذي يتنفسونه في كل لحظة إلى داخل أجسامهم، هو حارٌ للغاية، يدخل الحرارة إلى داخل أجسامهم، إلى الرئة، إلى الجسم بكله، إلى كل خلايا الجسم؛ **لأن** الأكسجين الذي نستنشقه في الدنيا يصل إلى كل خلايا الجسم، فحالهم كذلك، في ذلك السموم الحار الذي يستنشقونه، وحتى عملية الاستنشاق، والتنفس في جهنم، ليست عمليةً عاديةً وسهلةً، كما هو في الدنيا، الإنسان إذا كان في حالة صحة جيدة يستنشق الأكسجين، ويتنفس براحة، بدون صعوبة، بدون عناء، قد يواجه عناءً في بعض حالات المرض في الجهاز التنفسي، لكن إلى حدٍ ما، لكن في نار جهنم عملية الاستنشاق نفسها، وعملية التنفس، حتى لذلك السموم الحار جدًّا، الذي يُدخل الاحتراق إلى داخل الجسم، والحرارة الشديدة جدًّا إلى الرئة، وإلى كل الجسم، هي بصعوبةٍ شديدة، ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾[هود:١٠٦]، بزفير وشهيق، لا يدخل إلا بصعوبة، بصوت، ولا يخرج كذلك إلَّا بصعوبة، بصوتٍ كنهيق الحمير، وكأن الإنسان ينهق، كأنهم ينهقون في نار جهنم، فصوت مع إدخال ذلك التنفس، الذي لا يدخل، ولا يُستنشق، إلا بصعوبة كبيرة، ثم الرد له كذلك لا يخرج إلا بصعوبة كبيرة، فأصواتهم جميعًا كنهيق الحمير في الدنيا، **يعني:** زفير وشهيق شديد، أصوات رهيبة جدًّا، وتستمر حالتهم تلك- دائمًا- في صعوبة التنفس والاستنشاق حتى لذلك السموم، تشتد الحرارة، حرارة شديدة تدخل إلى داخل أجسامهم!

٦

برنامجهم في العذاب منظّم، أوقات يذهب بهم للاحتراق في نيران جهنم المستعرة جدًّا، ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾[الزمر: ١٦]، أصناف كثيرة من العذاب، بشكلٍ منظم، ومستمر- والعياذ بالله- أمر رهيب جدًّا!

في تلك الحرارة الشديدة جدًّا، التي قد يتمنى الإنسان فيها على شيءٍ من الماء البارد؛ **ليُبرِّد** به جسمه، ليشرب منه، ليغتسل منه، ليبرد من شدة الحرارة، ما الذي يقدَّم لهم؟ وما الذي يتوفر لهم؟ ﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾[الواقعة: ٤٢]، الحميم هو المتوفر، الماء الذي يغلي بشدة في نار جهنم، هو الذي يوفر لهم، ليشربوا منه، ليغتسلوا به، بل أيضًا ليُسحبوا بينه، حالة رهيبة جدًّا!

سُلِّط عليهم العطش الشديد، الظمأ الشديد جدًّا، والجوع الشديد، وهم لا يزالون في المحشر، قبل أن يصلوا إلى جهنم، عندما يصلون إلى جهنم ودخلوا أيضًا، في جحيمها، وحرارتها، ونيرانها، وسمومها، زاد ظمأهم جدًّا، زاد إلى حدٍ لا يمكن أن يتخيله الإنسان، فيتمنون الماء، يطلبون الماء، يُقدَّم لهم الحميم، ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾[الكهف: ٢٩]، إذا قُرِّب ليشربه، فمن شدة حرارته، وقبل أن يشربه، يشوي وجهه، حرارة رهيبة جدًّا، من بخاره الحار جدًّا يشوي الوجوه، يشربون منه بالرغم من ذلك؛ **لشدة** عطشهم، وظمأهم؛ **لأنه** شديدٌ جدًّا جدًّا، فوق الخيال، يشربون منه، فيقطع أمعاءهم، ويتعذبون به، يحرقهم في أجوافهم، حالة رهيبة جدًّا.

عندما يغتسلون به، لا يغتسلون اختياريًا، بل يؤخذون إلى أماكن في جهنم، من أشد الأماكن في جهنم، ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾[الدخان: ٤٧]، إلى وسط جهنم، ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾[الدخان: ٤٨]، ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۝١٩ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾[الحج: ١٩-٢٠]، أمر رهيب جدًّا، ﴿يُصَبُّ﴾،

الملائكة هي التي تصب، الزبانية في جهنم هي التي تصب من فوق رؤوسهم الحميم، الذي يُذاب به ما في بطونهم والجلود، حتى جلودهم تذوب من شدة حرارته، يسحبون في الحميم، ﴿يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧١-٧٢]، يسحبون أيضًا بين برك جهنم، بين أنواع المسابح فيها، التي فيها حميمٌ شديدٌ جدًّا، يسحبون بالسلاسل إليها، ويغمسون فيها، فيذوقون حرارتها الشديدة وعذابها الأليم.

وليس هناك من ظل مريح، الإنسان عند الحرارة الشديدة، يسعى لأن يحتمي منها، وأن يتوقّى منها بالظل، الظل في منزل، أو الظل تحت الشجرة، أو الظل في أي مكان يتوفر فيه الظلال، فما هو ظل جهنم؟ ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۝٤٣ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٣-٤٤]، يشاهدون فيها الظل، فيفرحون، **ويذهبون إليه، فإذا به من اليحموم:** من دخانٍ كثيفٍ أسودٍ خانقٍ في غاية الحرارة، هناك مكان في جهنم، مكان رهيب جدًّا، من أماكن اتِّقادِها واستعارها، من أشد الأماكن فيها، يخرج منه دخان كثيف أسود، في غاية السواد، شديد الحرارة، خانق، فهم عندما يشاهدونه، كما يقول في الآية الأخرى في سورة المرسلات: ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۝٣٠ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ۝٣١ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٠-٣٢]، أمر رهيب جدًّا! ذلك الظل يقول عنه: ﴿لَّا بَارِدٍ﴾ [الواقعة: ٤٤]، بل هو حار جدًّا، في غاية الحرارة، كما يقول عنه في الآية الأخرى: ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾، في داخله نيران رهيبة جدًّا، ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ [الواقعة: ٤٤]، لا ينتفعون به أي انتفاعٍ أبدًا، حالة رهيبة، يتعذبون بكل شيء! ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ [الواقعة: ٤٥]، هذه نماذج من عذابهم في جهنم.

عُد إلى بقية الآيات، إلى بقية السور القرآنية، تحكي عذابهم باستعار النيران، في نار جهنم، التي تستعر بهم، يحترقون بها، يصلونها، تباشرهم بلهبها وجمرها، فتحرقهم، يتحدث عن ملابسهم: ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾[الحج:١٩]، تفصيل عليهم، ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾[إبراهيم:٥٠]، آيات كثيرة، عن قيودهم، عن السلاسل التي تكون فوقهم، أنواع وأصناف رهيبة جدًّا من العذاب، المقامع من الحديد التي يضربون بها، كلما أرادوا أن يخرجوا من نار جهنم، حالة الإذلال، حالة الإهانة، الصديد الذي يتجرعونه، ويشربونه في نار جهنم، إلى غير ذلك من أنواع العذاب والعياذ بالله!

المترفون.. قادة المجتمع البشري إلى جهنم!

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٤٥-٤٦]، **كانوا قبل ذلك في الدنيا مترفين**، هؤلاء هم كبار أهل جهنم، هم الذين يقودون المجتمع البشري إلى نار جهنم، المترفون.

من هم المترفون؟ البَطِرُون بالنعمة، الذين أطغتهم النعمة في هذه الدنيا؛ فوظفوها، واستغلوها، في تلبية شهواتهم وطموحاتهم، فيما فيه الفسق، **فيما** فيه الفجور، **فيما** فيه الظلم، **فيما** فيه الطغيان، **فيما** فيه التكبر، فبطرهم بالنعمة، وطغيانهم بالنعمة، جعلهم يوظفونها ويستغلونها في هذه الدنيا، **فيما هو معصيةٌ لله** سبحانه وتعالى**:**

- **في** تلبية شهواتهم ونزواتهم في الحرام.
- **في** نشر الفساد.
- **في** ارتكاب المظالم.
- **في** التكبر على عباد الله.
- **في** الصد عن سبيل الله.

- في المحاربة لدين الله.

- في النشر للفساد بين أوساط المجتمعات.

أسوأ دورٍ في الواقع البشري، وفي المجتمع البشري، هو للمترفين المتمكنين، الذين وظفوا كل إمكاناتهم، كل نفوذهم، كل ثروتهم، في ذلك.

وهذا ما نشهده في عالمنا، في واقعنا، في عصرنا وزمننا، كيف أن الذين يقودون المجتمع البشري نحو الهاوية، ينحرفون به عن منهج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يسعون إلى نشر الفساد فيه، يسيطرون عليه بالظلم والجبروت، يرتكبون المظالم، والجرائم، والمآثم، يسعون إلى الانحراف بالناس عن نهج الله، ويصدون عن سبيل الله، على رأسهم من؟ المترفون. في عالمنا الإسلامي من الذي يتحرك بهذا الشكل؟ هم المترفون، بإمكاناتهم الضخمة، التي يوظفونها في سبيل ذلك. على مستوى العالم، هم المترفون، في الغرب والشرق، الذين يوظفون كل إمكاناتهم في ذلك.

وعلى مدى التاريخ، في التصدي للأنبياء، في مواجهة الأنبياء، في صد الناس عن سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عن نهجه، عن الالتزام بدينه وتعليماته، كانوا هم رأس الحربة في التصدي لرسالة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولذلك يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾[سبأ: ٣٤]، يكونون هم في المقدمة، في الواجهة، من يعارض هدى الله، من يسعى لإفساد الناس، للانحراف بهم، لنشر الفساد في أوساطهم، لشرائهم وشراء ذممهم بالأموال، لإغرائهم، لاستقطابهم، لتحريكهم في صف الباطل وخدمة الباطل، يعملون ذلك.

مصير الأتباع المستضعفين.. واحتجاجهم على المستكبرين

لا تعني الآية المباركة أن المترفين فقط هم من يدخلون إلى نار جهنم، هو أتى بهم هنا في هذا السياق في مقابل السابقين في الجنة، هم يقومون بدورٍ في إفساد المجتمعات، والانحراف بها، والاتجاه بها إلى نار جهنم، يقابل دور السابقين في الاتجاه بالناس إلى الجنة، إلى رضوان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هم يقابلون ذلك الدور، ولكن باتجاه النار، وإلَّا عُد إلى القرآن الكريم، ماذا يقول عن الضعفاء، الفقراء، المفلسين، المعدمين، العاديين، الذين قد يعيش الكثير منهم حالة البؤس الشديد، والفقر المدقع، والمعاناة الكبيرة، وهو إنسان عادي، لكنه ينحرف باتجاه أولئك، وجهته وجهتهم، اتجاهه اتجاههم؛ في المخالفة لتوجيهات الله، في الانحراف عن نهج الله، في المعصية لله، في اتِّباع هوى نفسه، ماذا يقول عنهم في القرآن الكريم؟ حتى وهم في ساحة القيامة: ﴿وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾[إبراهيم: ٢١]، من هم الضعفاء في هذه الآية؟ من هم الضعفاء؟ هم أولئك الذين كانوا يعيشون حالة البؤس، الفقر، الظروف الصعبة، العاديون، الذين ليس لهم تأثير، نفوذ في المجتمع، إنسان عادي، لكن وجهته كانت وجهة أولئك المجرمين، ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ﴾[إبراهيم: ٢١]، ولو بالقليل، في مقابل الهلاك في اتباعهم، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾[إبراهيم: ٢١].

بل في داخل نار جهنم، وهم يحترقون فيها، ويتعذبون بعذابها، يقول الله عنهم: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ﴾[غافر: ٤٧]، كلٌّ منهم يحتج على الآخر، ويحمله المسؤولية، ويلومه، ويوبخه، ويغتاظ منه، ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ

اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾[غافر: ٤٧-٤٨]، الأغنياء والفقراء، الأتباع والمتبوعين، ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾[غافر: ٤٨]، نعوذ بالله، نعوذ بالله!

فالمترفون، بإمكاناتهم، بثرواتهم، بنفوذهم، هم يقودون المجتمع البشري باتجاه جهنم: بالإغراء بالمال، بالاستقطاب به، بنشر الفساد من خلال إمكاناتهم، بالدفع بالناس وراء النزوات، والأهواء، والشهوات، والمفاسد، بكل وسائل الإغراء، **وسائل الإغراء في هذا الزمن كثيرة:** برامج، وإنتاج لوسائل الإعلام، وطرق كثيرة، ووسائل كثيرة والعياذ بالله! **فأولئك**، ويلحق بهم من يتورط معهم، تقرأ في القرآن الكريم حديثه عن الفاسقين، عن المجرمين، عن المنافقين، **والوعيد للمنافقين يشمل:** المنافقين الأغنياء والأثرياء، والمنافقين الفقراء والمعدمين، والبسطاء من المنافقين، العاديين جدًّا، يشملهم ذلك الوعيد، ﴿فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[النساء: ١٤٥].

من الذنوب التي تؤدي إلى الخلود في نار جهنم!

تقرأ في آيات القرآن الكريم الوعيد على معاصٍ وذنوب محددة من كبائر الذنوب، الوعيد عليها بالنار وبالخلود في النار:

- **مثل:** أكل الربا.
- **مثل:** قتل المؤمن عمدًا، عدوانًا.
- **مثل:** أكل مال اليتيم.
- **مثل:** المخالفة في الإرث، وأكل حق الآخرين في الإرث.
- **مثل:** الزنا، **مثل:** الفساد الأخلاقي، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾[الفرقان: ٦٨-٦٩].
- **مثل:** الصد عن سبيل الله.

- **الكتمان** لما أنزل الله من البينات والهدى، بالنسبة للعلماء، والمتعلمين، والمثقفين، في المقام الذي يلزم فيه التبيين.

الصد عن سبيل الله كذلك، من الجرائم الرهيبة التي يُخلّد صاحبها في النار، وأتى الوعيد عليها بخصوصها، الوعيد بجهنم، بالعذاب، بالنار، وبالخلود في النار.

- **التنصل** عن المسؤوليات والواجبات الكبيرة.

- **الكفر** ببعض ما أنزل الله.

أشياء كثيرة أتى الوعيد عليها في القرآن بجهنم، وبالخلود في جهنم.

- **الموالاة** لأعداء الله، الموالاة لأعداء الإسلام، مما يُدخل صاحبه النار، ويُعذب فيها، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾[آل عمران: ٢٨]، ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[المائدة: ٥١]، وأين مصيرهم إلّا في جهنم.

تجد الوعيد في القرآن يحدد المصير المحتوم- بحسب تلك الأعمال، بحسب تلك الجرائم، بحسب تلك المخالفات- الذي يتجه بصاحبه إلى النار والعياذ بالله!

- **التفريط في المسؤوليات المهمة، التي منها:** إقامة القسط والعدل، التصدي للظلم، الجهاد في سبيل الله، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... غير ذلك، مسؤوليات مهمة.

عاقبة الإصرار والتكذيب بالبعث والإنكار

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾[الواقعة: ٤٦]، **كانوا يُصِرُّونَ على الذنوب العظيمة**، الذنوب الفظيعة، الذنوب التي توعد الله عليها بالنار، لم يكونوا يلتفتون إلى ما في القرآن الكريم من تحذيرٍ ووعيد، إلى ما حذَّر به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، ما حذَّر عن ذلك، وبيّن وعيد الله فيه، فكانوا أهل إصرار، أهل إصرار واستمرار، ولا يُقلعون عن ذلك، لا يتوبون، لا يتخلصون من تلك الذنوب، لا يرجعون إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝٤٧ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الواقعة: ٤٧–٤٨]، **موقفهم من البعث، من المعاد، من الجزاء في الآخرة**، موقف المكذب، موقف المنكر، المكذب بشكلٍ صريح، مثل قولهم هذا، والمكذب في واقعه، مثلما حكاه القرآن الكريم عن واقع الكثير من الناس، الذي لو أيقن حقًّا، لكانت ثمرة يقينه هي التقوى: ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]، هكذا يقول عن المتقين، يقينهم بالآخرة بَعَثهم على التقوى، دفعهم للتقوى، دفعهم للعمل بما ينقذهم، بما فيه نجاتهم من عذابها.

٦

﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩-٥٠]، **كل البشر، بكل** أجيالهم، **بكل** تاريخهم، **بكل** مراحل حياتهم، منذ آدم إلى آخر إنسان، الكل سيحشرون في يومٍ واحد؛ **إنما** في مسيرة الحياة تمضي الأجيال جيلًا بعد جيل، بعد جيل، إلى نهاية الأجل المسمى للوجود البشري، لوجود الإنسان على الأرض، إلى آخر مولود مكتوب له أن يكون هو تمام الإنسانية، تمام الوجود البشري، أن يكون آخر مولود من البشر، بعده تقوم القيامة، ليس هناك أي مواليد جديدة، ليس هناك أي جيل إضافي، الكل يتلاحقون أجيالًا بعد أجيال، لكنهم في نهاية المطاف تأتي القيامة ويحشرون جميعًا، في موعدٍ محدد، حدده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يعلم به إلَّا هو، من أسراره عن الساعة، القيامة: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف: ١٨٧].

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ﴾ [الواقعة: ٥١]، **الضالون عن نهج الحق، عن** طريق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **عن** هدي الله، لم تتمسكوا به، لم تهتدوا به، انحرفتم عنه، ﴿الْمُكَذِّبُونَ﴾، **المكذبون بالحق**، المتنكرون للحقائق التي قدمها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، المتنكرون بأمر المعاد والحساب والجزاء الذي لابدَّ منه، ﴿لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ﴾ [الواقعة: ٥٢]، **هو طعامكم في نار جهنم**، يدخلون إلى نار جهنم وهم في أشد حالةٍ من الجوع، يزداد جوعهم، يُرغِمهم ذلك الجوع الشديد جدًّا، على الأكل من شجرة الزقوم، التي هي طعامهم، وهي

عذابٌ رهيب، نتنةٌ في رائحتها، رائحة كريهة جدًّا، أبشع رائحة، وأنتن رائحة، وأقذر رائحة، وكذلك مُرَّةٌ في مذاقها، أسوأ مذاق، أسوأ طَعم يتذوقه الإنسان، وحارةٌ جدًّا، إلى درجة أنها كما قال في القرآن في آية أخرى: ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾[الدخان: ٤٥-٤٦]، **تغلي في بطن الإنسان**، حرارة شديدة جدًّا جدًّا، لكن من شدة الجوع، الجوع الشديد جدًّا، الذي يُسلَّط عليهم، يأكلون منها، بالرغم من مرارة مذاقها، من نتانة رائحتها، من بشاعة منظرها، من حرارتها، وسوء مذاقها.

﴿لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ۝٥٢ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾[الواقعة: ٥٢-٥٣]، **حتى تمتلئ بطونهم**، حتى تمتلئ بطونهم، ودون أن يشبعوا، تزداد حرارتهم جدًّا مما أكلوه منها، ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾[الواقعة: ٥٤]، ليس هناك مشروبات، ولا عصائر، ولا بارد على ذلك الطعام، يشربون عليه من الحميم، من حميم جهنم، حرارة على حرارة، عذابٌ على عذاب!

أكثر ما سبَّب لهلاك الكثير من الناس: سعيهم وراء الترف في هذه الحياة، وراء الترف، يريد أن يرتاح، يريد أن يكون له ثروة، يريد أن يكون له من أطيب الطعام، من أحسن الشراب، فلا يبالي في سبيل ذلك مما كان، من حلال، أو حرام، بحق، أو باطل، يريد أن يلبي نزواته، رغباته، شهوات نفسه، يورط نفسه؛ **فتكون** العاقبة هي ذلك العذاب الشديد، **فإمّا** أن يكون الإنسان مترفاً، **أو** أنه سعى وراء الترف، ولم يصل حتى إلى الدرجة التي كان يأملها ويرغب بها.

﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾[الواقعة: ٥٥]، **(شُرْبَ الْهِيم):** الإبل العِطاش التي تصاب بمرض اسمه (الهُيام)، **مرض الهُيام الذي يصيب الإبل:** هو عطشٌ شديد، تشرب ولا تروى، تشرب بشدة، تشرب تشرب، وتشرب وتشرب، لكنها لا تروى، حتى تموت، فهم يشربون بذلك المستوى من الشرب؛ **لشدة** الظمأ، لشدة الحرارة، لشدة العطش، الحرارة تبعث فيهم الظمأ، وهم يشربون حميمًا، يتجرعونه مع شدة حرارته، وهو يشوي الوجوه، يُقَطع الأمعاء، لكنهم لا يستطيعون إلَّا أن يشربوا، وأن يشربوا، وأن يشربوا، فيزداد عذابهم، ولا يَرْوَوْنَ أبدًا، لا يرتوون منه مهما شربوا.

﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾[الواقعة: ٥٦]، ضيافتهم، من حين دخولهم إلى نار جهنم، يُقدَّم لهم تلك المائدة، تلك الضيافة؛ **لأنهم** يصلون وهم في شدة الجوع وشدة العطش، فيُقرَّب لهم هذا الطعام وهذا الشراب، ضيافة، ضيافة بإذلال وإهانة والعياذ بالله، يوم الحساب، يوم الجزاء!

هذا بلاغ للناس ولينذروا به!

كل هذا نماذج فقط، نماذج من عذابهم، من حالهم البَئِيس والرهيب؛ لينذرنا، ليحذرنا، ونحن هنا في الدنيا، وهو هنا يقول لنا ويخاطبنا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم: ٦].

أيُّ شهوة من شهوات الدنيا تستحق من الإنسان أن يجازف تلك المجازفة، وأن يورط نفسه إلى نار جهنم؟! غمسةٌ واحدة في نار جهنم تنسيه كل نعيمٍ في الدنيا، كل لذة، كل راحة قد عاشها في هذه الحياة، غمسةٌ في نار جهنم، أيُّ عملٍ من الأعمال التي فيها نجاتك، فيها فوزك، فيها فلاحك، ثم تركته وتنصلت عنه، تركت تلك الأعمال، تنصلت عنها، والله يخبرك أن فيها نجاتك، ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الصف: ١٠]، **لماذا لا يكون عندك دافع، حافز، تفاعل، استجابة لما فيه نجاتك، لما فيه وقايتك من ذلك العذاب الرهيب، لما فيه فلاحك أنت، فوزك أنت؟!**

لا شيء يستحق منك أن تجازف لأجله فتترك تلك الأعمال، لا مسألة أنها تعارضت مع رغبة نفس، ولا أنك تصورت أن فيها شيء من المشقة، ولا لِاستياء، أو إثارة، أو غضب، أو انفعال، أو أي شيء، هي أعمالٌ **فيها** فوزك، **فيها** فلاحك، **فيها** نجاتك، تضمن بها مستقبلك الأبدي العظيم في جنة الله، في رضوان الله، والسلامة من ذلك العذاب، **ما الذي** يردُك؟ **ما الذي** يُثبِطُك؟ ما الذي يؤخرك؟ **لماذا** لا توقن؟ **لماذا** لا تؤمن حق الإيمان، فتستجيب لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟ **لماذا** لا تغتنم فرصة هذا الشهر الكريم، في الطاعة، وتلاوة القرآن، والعمل الصالح، ثم تقيِّم واقعك؛ **لتعرف** ما أنت مقصرٌ فيه، حتى لا تكون ممن يصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيم، **على الذنوب العظيمة: إمَّا** التي فيها تجاوز لحدود الله، **أو** فيها معصية لله تجاه ما أمر به، ووجَّه إليه، وأنت متنصلٌ عنه، مقصرٌ فيه؟ **لماذا** لا تُكثر من الدعاء في هذا الشهر الكريم بالنجاة من العذاب، بالعتق من النار، بالتوفيق لأسباب النجاة؟ **لماذا** لا تربي نفسك في هذا الشهر الكريم على التقوى، فتتعود على التقوى، بما يقيك من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تتعود على الصبر، تتعود على الالتزام، تتجه على أساس الاستجابة العملية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟

نَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَامَ، وَالقِيَامَ، وَصَالِحَ الأَعْمَالِ، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبْرَارَ، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنْصُرَنَا بِنَصْرِهِ، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

وَالسَّـــلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَـــةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـــهُ؛؛؛

كيف نستوعب عظمة القرآن الكريم؟ وكيف تكون علاقتنا به؟

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشهدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الحَقُّ المُبين، وَأشهَدُ أنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُوْلُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، وَبارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وارضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنتَجَبين، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالمُجَاهِدِين.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمْ.

أَيُّهَـا الإِخْــوَةُ وَالأَخَوَات:

السَّـلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَـةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـه؛؛؛

يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

- ☐ **من مميزات شهر رمضان المبارك على بقية الشهور: أنه الشهر الذي أنزل الله فيه كتابه الكريم (القرآن العظيم):**

وهذا يدل على: عظمة وفضل هذا الشهر، بهذه المناسبة العظيمة، أنه شهر نزول القرآن، **كما يدل أيضًا على الصلة الوثيقة، ما بين فريضة الصيام في هدفها التربوي المهم** (التربية على التقوى)، والعلاقة بالقرآن الكريم، والصلة بين ذلك لتحقيق التقوى نفسها.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **قال عن القرآن الكريم:** ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ٢]، فمع التربية على قوة الإرادة، والعزم، والصبر، والتحمل، والالتزام، هناك المنهج الذي يرتبط به المتقون، يتحركون على أساسه، يعملون به، يهتدون به، **في** مواقفهم، **في** أعمالهم، **في مسيرتهم في الحياة:** هو القرآن الكريم، وبذلك تتحقق لهم التقوى، **في كل ما تعنيه:**

- **من** وقايةٍ من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- **من** وقايةٍ من سوء الأعمال السيئة، ونتائجها السيئة في واقع الحياة، إلى غير ذلك.

شهر رمضان فيه ليلة القدر، وهي بالتحديد: الليلة التي كان فيها نزول القرآن، كما قال الله جَلَّ شَأنُهُ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[الفجر: ١-٥]، وهي ليلةٌ عظيمة الشأن، ليلةٌ ترتبط بالتدبير الإلهي، لشؤون العباد، على مستوى شؤونهم التفصيلية في العام الآتي، **ولهذا يتضح لنا الصلة، صلة القرآن الكريم** بشؤون حياتنا، بتدبير أمورنا، وأنه يأتي ضمن تدبير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لشؤون عباده، كما قال جَلَّ شَأنُهُ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[الدخان: ٣-٦]، **فالقرآن الكريم** نزل في ليلة القدر رحمةً من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لعباده، وهدايةً لهم، وإنقاذًا لهم، ودلالةً لهم على طريق نجاتهم، وفلاحهم، وفوزهم، وسعادتهم، في الدنيا والآخرة، فهو نعمةٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

كيف نستوعب عظمة القرآن؟ وكيف يكون ارتباطنا به؟

❑ **والقرآن الكريم كتابٌ عظيم الشأن:**

- **أول ما يلفتنا إلى عظمته، ويدلنا على أهميته: أنه كتاب الله ﷻ، مِن علمه، وحكمته، ورحمته:**

ليس كتابًا ألَّفه شخصٌ ما هنا أو هناك، ولا حتى نبيٌ من الأنبياء، ولا حتى ملكٌ من الملائكة، بل هو من الله ﷻ، والله ﷻ ينبهنا على هذا في القرآن الكريم؛ ليلفتنا إلى أهميته، إلى عظمة شأنه، قال ﷻ يخاطب نبيه ﷺ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾[الإنسان: ٢٣]، **فهو من الله** ﷻ، الذي أنزله على عبده ورسوله وخاتم أنبيائه محمد ﷺ، وقال ﷻ: ﴿تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾[طه:٤]، **فاذا أردنا أن نستوعب**- ولو إلى حدٍ ما- **عظمة القرآن، شأنه المهم والكبير، فلنتذكر أنه من الله**، من الله ربِّ السماوات والأرض، فاطر السماوات والأرض، ربِّ العالمين، ملك الناس، الذي له ما في السماوات وما في الأرض بكله، خالقِ هذا الكون المترامي الأطراف، **بكل ما فيه من:** نجوم، وكواكب، وعوالم، الله ﷻ عظيم الشأن، الرب والإله، الذي خلق كل هذا العالم، الذي خلقنا جميعًا، وهو ربنا، وإليه مصيرنا، فالقرآن هو كتابه، كلماته، آياته، هدايته لعباده، **كلما تذكرت عظمة الله ﷻ، وتذكرت شواهد وتجليات ومظاهر عظمته في هذا العالم الكبير، الشاسع، الفسيح، تدرك عظمة القرآن الكريم وأهميته.**

- **وأيضًا يتصل به تدبيره:**

فكما هو هديه، نوره لعباده، وكذلك مِن علمه، ومِن حكمته، وبرحمته، يتصل به تدبيره، هو صلة بيننا وبين الله ﷻ.

طريقة تعاملنا مع القرآن الكريم، ومدى علاقتنا بالقرآن الكريم، يترتب عليها التعامل من الله معنا، فيما يكتبه لنا، أو علينا، يتصل بالتدبير لله، يتصل بملك الله ﷻ، يرتبط بملكه وتدبيره لشؤون عباده، وهذا ما أكد عليه في القرآن الكريم، فالله ﷻ عندما قال في القرآن الكريم، وهو يبيّن هذه الحقيقة: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦]، الله ﷻ يقول مخاطبًا لنبيه ﷺ: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ۝٩٩ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ۝١٠٠ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾ [طه: ٩٩-١٠١].

مصيرك في الدنيا والآخرة، نجاتك وفلاحك، أو خسارتك وعذابك، يرتبط بطبيعة موقفك من هذا الكتاب، وعلاقتك به (بالقرآن الكريم)، فهو يتصل بتدبير الله ﷻ، ويرتبط به الجزاء في الاتجاهين.

- **في عظمة القرآن الكريم: ما احتواه من النور، والهداية لعباد الله ﷻ:**

فهو كتاب هدايةٍ لهم، كما قال عنه: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾، يدلنا، ويفهمنا، ويعلمنا، ويرشدنا إلى الخير، إلى الحق، إلى الحكمة، إلى ما فيه فلاحنا، نجاتنا، صلاحنا، وصلاح حياتنا، والمصلحة الحقيقية لنا، والخير لنا، يدلنا على ذلك، بكل ثقة، وبكل اطمئنان، ننظر إليه؛ **لأنه** كتاب هدايةٍ وحقٍ، ليس فيه أي شيء على سبيل الخطأ، أو يخطئ في ما يدل عليه، أو يزيغ بنا فيما يدل عليه، أو يهدي إليه، أو يرشد عليه، فيكون خاطئًا، هو كله حق، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢].

هدايته هدايةٌ حقيقية؛ لأنه من الله ﷻ، قال عنه: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[الفرقان: ٦]، **الله** ﷻ **يعلم بكل شيء**، ﴿هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾[الحشر: ٢٢]، المحيط بِكُلِّ شيءٍ عِلمًا، من لا تخفى عليه خافية، **ولذلك** في هدايته في القرآن الكريم **هو** يهدي بعلم، وهو العليم بكل شيء، كما قال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ٩]، يعلم بكل شيءٍ في هذا العالم، يعلم بكل ما خفي عنا، يعلم الغيب والشهادة، يحيط بكل شيءٍ علمًا، فهو يهدي بعلم. ٧

وهو يهدي أيضًا وهو المدبر لشؤون السماوات والأرض، وشؤون العباد، **وهو** الذي سَنَّ سُنن هذه الحياة، في كل ما يترتب على الواقع فيها، على التصرفات فيها، على الأعمال فيها، على المواقف فيها، من نتائج، ومن آثار، والمدبر لكل شؤونها بشكلٍ عام.

فالله ﷻ **يهدي بعلم، ويهدي وهو المدبر، وهو الذي يتدخل في شؤون هذا العالم، وهو الحي القيوم**، فالقرآن الكريم كتابه، وهو الملك، المدبر، المهيمن على هذا العالم، **ولذلك يأتي في القرآن الكريم الوعد والوعيد بكثرة**، ويتصل بواقعنا، وبظروف حياتنا، وبطبيعة علاقتنا بكتاب الله ﷻ.

القرآن الكريم المعجزة الخالدة الكبرى!

- **من عظمة القرآن الكريم: أنه المعجزة الخالدة:**

هو المعجزة الكبرى لنبينا صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ الشاهدة على صدق نبوته، صدق رسالته، وأن الله أرسله إلى الناس، هو المعجزة الكبرى، وجعلها الله معجزةً خالدة، وليست كبعض المعجزات التي حدثت في وقتها، بقيَ ذكرها، بقيَ أثرها، لكن بالنسبة للقرآن الكريم هو باقٍ بنفسه، باقٍ على مدى الأجيال، وإلى يوم القيامة، فهو المعجزة الخالدة، الآية الكبرى الشاهدة على نبوة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ.

وهو في إعجازه له شأنٌ عظيم، ويرتبط ذلك أيضًا بجانب الهداية للناس، نفس إعجازه فيه هدايةٌ للناس إلى طريق الحق، ولذلك يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء: ٨٨]، فإعجازه فيه أيضًا علاقةٌ بكمال هذا الكتاب، بهدايته الواسعة، بإحكامه، إحكام آياته، وما فيه من النور، والهدى، والمعارف الواسعة جدًّا، التي تفوق كل تصورنا، والتي عبَّر عنها في القرآن كريم، في قول الله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[الكهف: ١٠٩].

هو أيضًا محتوى الرسالة الإلهية، وفيه خلاصة الكتب الإلهية، ولذلك هو كتاب مهيمنٌ على ما سبقه من كتب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو مصدق، ومهيمن، على ما سبقه من كتب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وبقي محفوظًا مصونًا في نصه لكل الأجيال، وهذا أيضًا يرتبط بجانب الإعجاز فيه، عندما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر: ٩]، حفظه الله في نصه، فلم يحرَّف نصُه، وبقي متوارَثًا بين الأجيال، وحفظه الله في وجوده، ليبقى موجودًا بين المجتمع البشري، وبين المسلمين، جيلًا بعد جيل، وهذه نعمةٌ كبيرة، وآيةٌ عجيبة، ولها صلةٌ بإعجازه العظيم؛ **لأن** هناك حربًا شرسة ضد القرآن من بداية نزوله، حربًا ضده حتى في الدفع للناس بالكفر به، بالتحذير حتى من سماعه، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾[فصلت: ٢٦]، **محاربةٌ لما** يهدي إليه، **لما** يدل عليه، **لما** يدعو إليه، محاربة شرسة جدًّا، ولكن مع ذلك يستمر وجوده، انزعاجٌ شديدٌ منه؛ **لأن** أهل الباطل، أهل الضلال، فئات الكفر بكلها، ترى فيه أكبر مشكلةٍ أمامها، هي عجزت عن إبطاله، عجزت عن القضاء على أثره في الواقع، بقي أثره رُغمًا عنها، بقي أثره في الأجيال، بقي نوره، بقيت بركاتُه، فهي

في ضعف في محاربته، وهي تحاربه بكل شدة، وهي منزعجةٌ منه غاية الانزعاج.

فالقرآن الكريم له عظمته وشأنه الكبير، يبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أهميته، وقدسيته، ومنزلته الرفيعة، حتى في أوساط الملائكة، ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس: ١٣-١٦]، له قدسيته العظيمة، وشأنه العظيم، حتى بين أوساط الملائكة، وهم الأكثر معرفةً بقدسيته، وعظمة شأنه، والأكثر إجلالًا له، وتقديرًا له. ٧

ولذلك من شأن الإنسان المؤمن، وحتى عندما يقرأ القرآن، هو يتعرف أكثر وأكثر على عظمة القرآن، وعلى أهمية القرآن، وقدسية القرآن، وعلو شأن القرآن، وأنه أقدس المقدسات في هذه الأرض، هذا يؤسس لصلةٍ وثيقةٍ، وعلاقةٍ قويةٍ، بين الإنسان المؤمن، وبين القرآن الكريم.

القرآن كتاب الهداية والنور والحصانة من الضلال

القرآن الكريم، مع علو شأنه وعظمته بكل تلك الاعتبارات، هو فيما يعني لنا:

هو كتاب الهداية والنور، الذي نهتدي به، الذي ينقذنا من الضلال، لا نجاة لنا من الضلال والضياع، إلَّا بالقرآن الكريم، فالإنسان بدون القرآن الكريم، بدون هديه ونوره، سيمتلئ بالضلال، وما أكثر الضلال، وما أكثر الجهات المصدِّرة للضلال، والمروِّجة للضلال، والتي تنشر الضلال، **الضلال في كل شيء:**

- **في** المفاهيم الدينية.
- **في** الوعي.
- **في** النظرة إلى هذه الحياة.
- **في** المواقف.

في كل شيء.

الضلال له جهات كثيرة تصدّره، تسعى لنشره، تسعى للإقناع به، تهدف من خلال ذلك إلى السيطرة على الناس، من وراء إضلالهم، والسيطرة عليهم، بعد السيطرة عليهم فكريًا وثقافيًا، وفي الرؤى والمفاهيم.

فالقرآن الكريم كتاب هداية، يهدينا إلى الحق، يهدينا إلى الحقيقة، يهدينا إلى ما فيه الخير، والفلاح، والرشاد، والفوز، والنجاة، والسعادة، ويُحصِّننا من الضلال، وهذا من أهم ما يتعلق بدور القرآن الكريم، أنه كتاب هداية، ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾، **الناس بحاجةٍ إلى الاهتداء به، إذا لم يهتدوا به، فالبديل عن ذلك هو الضلال، بكل ما يترتب على الضلال من آثار سيئة، في هذه الحياة الدنيا، وفي الآخرة.**

في جهنم أكبر عامل أوصلهم، هو العامل الرئيسي الذي أوصلهم إلى جهنم: هو الضلال، وهم هناك يصيحون في النار من الضلال، ومن المضلين، يقولون في نار جهنم: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾[فصلت: ٢٩].

القرآن الكريم هو النور، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾[المائدة: ١٥]، قال عنه مخاطبًا لنبيه صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[إبراهيم: ١].

كل بديلٍ عن القرآن الكريم، وكل ما يخالف القرآن الكريم، هو ظلمات، أفكار ظلامية، أفكار تحجب الإنسان عن معرفة الحق، عن معرفة الحقيقة، عن معرفة طريق النجاة، طريق الفلاح، الصراط المستقيم، الموصل إلى الغايات العظيمة، والأهداف الكبيرة، التي بها فلاح الإنسان، وفوزه، ونجاته، في الدنيا والآخرة، فالبديل عنه هو الظلام.

والظلاميون، الضالون، المبطلون، هم يعملون على إبعاد الناس عن الاهتداء بالقرآن الكريم، وعن الاستنارة بنوره، والتأثير عليهم ببدائل مخالفة للقرآن الكريم، **من:** المفاهيم، والرؤى، والثقافات، والاعتقادات، والتصورات، والمواقف، وغير ذلك، يحاولون أن يسيروا بهم في هذه الحياة بمنأى عن القرآن الكريم، أن يبقى القرآن هناك، في أكثر الأحوال تبقى الصلة به صلة قراءة عادية، تلاوة عادية، **لكن بعيدًا عن** الاهتداء به، **عن** الاتِّباع له، **عن** التمسك به، **عن** التثقف بثقافته، **عن** الاستنارة بنوره.

٧

لا تتحقق التقوى إلَّا بالتمسك بالقرآن، والاهتداء بالقرآن، والتحرك على أساس القرآن، والارتباط به في مسيرة الحياة، ولهذا يقول الله ﷻ عن القرآن: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾، هم يهتدون به؛ **ولذلك**، عقائدهم، أفكارهم، ثقافتهم، توجهاتهم، مواقفهم، تصوراتهم، كلها مقتبسةٌ من القرآن الكريم، يرجعون فيها، يرجعون بشأنها كلها إلى القرآن الكريم، هذا هو حال المتقين، **حال المتقين: صلتهم بالقرآن، وارتباطهم بالقرآن، وتمسكهم بالقرآن، هو إلى هذا المستوى: إلى مستوى الاهتداء به، والاستنارة بنوره، والرجوع إليه، والتثقف بثقافته، فهم قرآنيون في ثقافتهم، في مفاهيمهم، في عقائدهم، صلتهم بالقرآن الكريم صلةٌ وثيقة.**

القرآن الكريم وأثره التربوي الكبير

القرآن الكريم في أثره التربوي، نعمةٌ كبيرة، ولا مثيل له أبدًا، والإنسان يحتاج إلى تزكية نفسه، الإنسان لكثرة ما يتعرض له من مؤثرات، **تؤثر عليه في نفسيته، وفي** زكاء نفسه، **وفي** أخلاقه، **وفي** سموه، **وفي** إنسانيته، بحاجة ملحة إلى ما يساعده على التزكية، على السمو الروحي والأخلاقي، والارتقاء الأخلاقي، وعلى تطهير نفسيته، فالقرآن الكريم جعله الله ﷻ **كما قال عنه: (شِفَاءٌ)**، هُوَ شِفَاءٌ، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[الإسراء: ٨٢]، له أثره العظيم **في** تزكية النفس، **في** شفاء

القلب، من كل العلل السلبية، التي تُؤثر على إنسانية الإنسان، على أخلاقه، على سمو روحه، على طهارة نفسه، طهارة مشاعره، طهارة وجدانه، يخلصك من المساوئ والمؤثرات السلبية، التي تؤثر سلبًا، تترك تأثيرًا سيئًا على أخلاقك، على نفسيتك، على روحك، وهذا من أهم ما نحتاجه، ومن أهم ما نستفيده من القرآن الكريم، **هذا هو الشفاء في القرآن:** يشفيك من الشك، يشفيك من كل أشكال المرض، المؤثرات السيئة، التي يسميها القرآن الكريم بالمرض؛ **لأنها** تبعد الإنسان عن الصحة النفسية، الصحة الأخلاقية، السلامة الأخلاقية والنفسية، تؤثر على نفسية الإنسان بالتأثيرات السيئة، فالقرآن الكريم هو: ﴿شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٧

له أثره العظيم في العلاقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا مثيل له في ذلك، ليس هناك أي شيء يمكن أن يرتقي بنا في العلاقة بالله جَلَّ شَأْنُهُ، العلاقة الإيمانية، كمثل القرآن الكريم، الله قال عنه: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الحشر: ٢١]، **قال عنه:** ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[الزمر: ٢٣].

له الأثر الروحي، والوجداني الكبير، في الخشوع، في الإحساس بالقرب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **في السمو النفسي، تسمو نفس الإنسان، ترتقي،** ترتقي عن المؤثرات السلبية، عن التوجهات السلبية، يحس الإنسان بقيمة العلاقة الإيمانية بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بالأُنس بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بالاطمئنان، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال في القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨]، **وذِكرُ الله أول ما فيه، وأعظم ما فيه، وأكبر ما فيه: هو القرآن الكريم،** فهو يترك هذا الأثر من الاطمئنان في قلب الإنسان،

في مشاعره، فيتحرك في هذه الحياة، وفي أداء مسؤوليته في هذه الحياة، وهو مطمئِنّ النفس، مطمئنٌ بكل ما تعنيه الكلمة، مطمئنٌ إلى ما هو عليه، يتحرك بثبات، بثقة، **ومطمئنٌ نفسيًا**، في شعوره، في وجدانه، ليس في حالةٍ من الاضطراب الدائم، والتردد الدائم، والقلق الدائم، والتوتر الدائم، بل هو راضٍ بموقفه، بتوجهاته، مطمئِنّ إلى ما هو عليه، واثق ومرتاح البال تجاه ما يقدم، وما يعمل، وما هو عليه، هو مرتاحٌ إلى ذلك، ويمنحه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الشعور بالأُنس به جَلَّ شَأنُهُ، وبالموقف الحق، والأُنس حتى بالقرآن الكريم نفسه، الأُنس بالذكر نفسه.

هذه الحالة الوجدانية من الخشوع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في العلاقة بالقرآن الكريم، التي يصل إليها الإنسان المؤمن، إذا ارتقت علاقته بالقرآن، والتي هي إلى درجة اقشعرار الجلد من خشية الله، بالتأثر بآيات الله في القرآن الكريم، ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[الزمر: ٢٣]، هي حالة راقية جدًّا، **والإنسان إذا انطلق في مسيرة حياته بهذه الروح، الخاشعة لله، المطمئنة، الواثقة، هذه الروح التي تعيش حالة الأُنس بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ينطلق في مسيرة الحياة قويًا، وينطلق بثقة، وينطلق بثبات، وينطلق وهو يشعر بالأنس بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حتى في أصعب الظروف، وأقسى المراحل، وفي مواجهة أكبر التحديات، لهذا أهمية كبيرة جدًّا.**

هكذا يجب أن تكون علاقتنا بالقرآن الكريم

☐ القرآن الكريم الذي هو كتاب الهداية، ومحتوى الرسالة الإلهية، وأساس النجاة والفلاح والفوز، والذي لابدَّ من الاهتداء به في تحقيق التقوى، كيف ينبغي أن تكون علاقتنا به؟

هي العلاقة الإيمانية، من واقع إيماننا به، إيماننا به بأنه كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إيماننا بما يعنيه لنا، وما يترتب على ذلك، إيماننا بعظمته، بأهميته، بقدسيته، بما ذكره الله عنه وعن شأنه.

ثم على المستوى العملي، على المستوى العملي، أن يكون لدينا اهتمام كبير بتلاوته.

- **أولًا: أن يكون هناك عناية بقراءته:**

أن يتعلم الإنسان القرآن، وإذا لم يكن متقنًا للقرآن الكريم في القراءة، فليسعَ إلى أن يتقن قراءة القرآن، حتى لو كان قد تقدم به العمر، ليست مسألة تَعلُّم القرآن خاصةً بالأطفال والصبية، بل هي شاملة للجميع، أن يتعلم الإنسان القرآن، ولو كان قد أصبح كبيرًا في السن، ولو كان في مرحلة الشباب، أو قد تجاوز مرحلة الشباب، **ليكون من ضمن اهتماماته:** أن يسعى لإتقان قراءة القرآن الكريم، ثم أن يكون الإنسان مهتمًا بتلاوة القرآن.

في شهر رمضان عادةً ما يكون من أهم العبادات فيه: العناية بتلاوة القرآن، شهر رمضان هو ربيع القرآن، والقرآن هو ربيع القلوب، في شهر رمضان لا تفوتنا الفرصة؛ **لأن** الإنسان فيه عادةً ما يكون أكثر تأثرًا بالقرآن، وهذا شيءٌ ملموس، الإنسان يلحظه، أنه في شهر رمضان أكثر تأثرًا بالقرآن منه في بقية الشهور، فهي فرصة مهمة، لتلاوة القرآن، لسماع تلاوته، للتدبر لآياته، للاهتمام بثقافته، والتذكير منه، والتذكر به، هذه مسألة مهمة جدًّا.

- **ثم أن تكون مسألة التلاوة للقرآن الكريم (قراءةً، أو سماعاً لتلاوته) مسألة أساسية في حياة الانسان:**

بحيث تكون من اهتماماته اليومية: أن يحرص ألَّا يفوته يومٌ واحد لا يقرأ فيه القرآن، أو يسمع فيه تلاوة القرآن، بإصغاء، وبإقبال، هذه مسألة مهمة جدًّا، الإنسان بحاجةٍ إليها، **بحاجةٍ إليها في:**

- **مسألة** الاهتداء بالقرآن.
- **والتأثر** بالقرآن.

- **والتزكية** للنفس.
- **والحفاظ** على الروحية الإيمانية.
- **والانشداد** إلى الله.
- **والتذكر** لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولهذا جعل الله جَلَّ شَأنُهُ من أهم ما في الصلاة، ومسألة إلزامية في الصلاة: قراءة القرآن، قراءة سورة الفاتحة، وقراءة قرآنٍ معها، جعلها من لوازم الصلاة، لا تصح الصلاة إلا بذلك، كحالة إلزامية، إلزامية؛ **حتى** لا يعرض الإنسان بشكلٍ تام، ويغفل تماماً عن القرآن الكريم، يبقى له شيءٌ إلزاميٌ، هو ذلك الذي في الصلاة، وفي خارج الصلاة علينا أن نكون مهتمين، ولذلك يقول الله: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾[المزمل:٢٠]، يقول جَلَّ شَأنُهُ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأعراف:٢٠٤]، يقول جَلَّ شَأنُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾[فاطر:٢٩].

تلاوة القرآن كما هي مهمة لنا في الاهتداء به، في الحفاظ على الروحية الإيمانية، في التزكية لأنفسنا، في الشفاء لعللنا النفسية، والمؤثرات السلبية، هو قُربةٌ عظيمة إلى الله، في تلاوته الأجر العظيم، الأجر الكبير من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **ولهذا يقول هنا:** ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾[فاطر:٢٩]؛ **ليبين** فضيلة تلاوة القرآن، وأهمية تلاوة القرآن، وما يترتب على ذلك من الأجر العظيم؛ **فهو** من أعظم الأعمال قربةً إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والأجر على تلاوته أجرٌ عظيمٌ وكبير، **ولذلك يقول أمير المؤمنين عليٌّ** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **((وَمَا تَقَرَّبَ العِبَادُ إِلَى اللَّهِ بِمِثْلِهِ))**، **يعني: قربة عظيمة جدًّا، في** تلاوته، **في** الاهتداء به، **في** الاتِّباع له، والإنسان إذا فرط في مسألة التلاوة، والصلة الوثيقة بالقرآن، في التلاوة، والاستماع للتلاوة؛ **يتأثر**

سلباً، هذا شيءٌ حتمي، **يتأثر سلباً:** في نفسيته، في مشاعره ووجدانه، وحتى على مستوى ثقافته، وفكره، وغير ذلك.

ضرورة التدبّر وتوطين النفس على الاتباع والعمل

٧

- **ومع التلاوة يحرص الإنسان على التدبر:**

ألَّا تكون تلاوة الغافلين، الذين يقرؤون القرآن وهم في حالة شرودٍ ذهني تام، لا ينتبه لما يقرأ، ولا يعلم ما يقول، ولا ينتبه إلى تلاوته، بل يحاول أن يركز بذهنه مع تلاوة القرآن الكريم، ويسعى لذلك، يسعى لذلك، ويستعين بالله على ذلك، **الإنسان إذا تعود أن يقرأ القرآن مع الشرود الذهني، تصبح حالة يعتادها، كلما قرأ القرآن بدأ ينشغل ذهنياً بأشياء أخرى، ويشرد ذهنه نحو اهتمامات وتفاكير وانشغالات أخرى، وهي حالة خطيرة على الإنسان، تبعده عن الانتفاع بالقرآن؛ لأن** نفع القرآن عظيم، حتى من ظاهر آياته، وليس فقط من عمقه، نفس التلاوة التي فيها تركيز، الإنسان ينتفع بها، يستفيد منها، يفهم الكثير، يعرف الكثير، ينتفع بالكثير مما في الآيات المباركة، **الله ﷻ قال:** ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[ص: ٢٩].

- **ثم أن نوطن أنفسنا على الاتِّباع للقرآن:**

مسؤوليتنا تجاه القرآن هي في الاتِّباع: على مستوى العمل، **على** مستوى الموقف، **على** مستوى التوجهات، في مسيرة حياتنا أن نكون متبعين للقرآن، الله سبحانه وتعالى قال عنه: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[الأنعام: ١٥٥]، **لننال رحمة الله سبحانه وتعالى، لنقي أنفسنا من عذاب الله، لابدَّ لنا من اتِّباع القرآن الكريم، في ساحة الحساب والجزاء، يحاسبنا الله ويجازينا على أساس علاقتنا بكتابه،** ﴿أَلَمْ تَكُنْ

﴿آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾[المؤمنون: ١٠٥] **هي الحجة التي يحتج الله بها علينا يوم القيامة، آياته، هديه، كتابه**، فلذلك **يجب** أن نحرص على أن نكون متبعين للقرآن الكريم، وأن نسعى لاتِّباعه، والالتزام عملياً به، **وهو كتابٌ عظيم الشأن، مباركٌ:**

٧

- **بركته** فيما فيه من النور، والهدى، والمعارف، والعلوم العجيبة، والواسعة جدًّا.
- **بركته** في أثره في النفس، والحياة.
- **بركته** في نتيجة الاتِّباع له، وما يحظى به من اتبعه، وتمسك به، من رعاية الله، ومعونته، ونصره، وتأييده، والخير الواسع الكبير.

● **ثم أن ندرك مخاطر الإعراض عن القرآن، أنها قضيةٌ خطيرةٌ جدًّا علينا في الدنيا والآخرة:**

- **في الدنيا:** ضنك المعيشة، الشقاء، العناء الكبير (نفسيا، وفي الواقع).
- **أمَّا في الآخرة:** فالنار والعياذ بالله، نار جهنم.

ولهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۝٩٩ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ۝١٠٠ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾[طه: ٩٩-١٠١]، عندما يأتي يوم القيامة فتبعث، وتحشر، وأنت كنت من المعرضين عن القرآن، لم تُقبِل إليه، لم تهتد به، لم توطِّن نفسك على اتِّباعه، وتسعى عمليًا لاتِّباعه، كان لديك بدائل أخرى، اتجهت إليها، انشغلت بها، اغتررت بها، وهي مخالفةٌ للقرآن الكريم، انحرفت بك عن نهجه؛ **فالحال** خطيرٌ عليك، وزرك ثقيل، وحملك سيء، يصل بك إلى قعر جهنم، لا يمكن لك الفوز ولا النجاة أبدًا، حالة خطيرة جدًّا.

خطورة الإعراض عن القرآن الكريم

فوزر الإعراض عن القرآن خطيرٌ جدًّا على الإنسان:

- **على مستوى التوجه العام:** عندما يكون توجهه بشكلٍ تام بعيدًا عن القرآن، لم يبنِ مسيرة حياته على أساس الاهتداء بالقرآن، والتمسك بالقرآن، والاتِّباع للقرآن، والتثقف بثقافة القرآن، والتحرك على أساسه، فهو بشكلٍ عام انصرف كليًا عن مسألة الاهتداء بالقرآن، هذه حالة خطيرة جدًّا على الإنسان، حالة خسرانٍ وتوجهٌ يهلكه، يذهب به إلى نار جهنم، ليس هناك طريق بديل عن القرآن الكريم يوصلك إلى الجنة، يوصلك إلى رضوان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- **أو على المستوى التفصيلي والعملي:** تجاه المواقف، تجاه الأعمال، الإنسان إذا أعرض عن القرآن في شيءٍ من ذلك، لم يلتفت إلى القرآن الكريم، فهذه حالة خطيرة جدًّا، وعندما يُذكَّر بآيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تجاه قضية معينة، أو موقف معين، أو عمل معين، فلا يتأثر، ولا يتذكر، ولا يرجع، ولا يراجع نفسه، على أساس ما هدى إليه القرآن، بل يُصرّ وفق هوى نفسه، يُصرّ على ما تقتضيه رغبته الشخصية، ومزاجه الشخصي، فهي حالة خطيرة جدًّا.

ولهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾[الكهف:٥٧]، هذه حالة خطيرة جدًّا على الإنسان، **في أي** موضوع، **في أي** قضية، **في أي** مشكلة، **الإنسان في مسيرة حياته:**

- **سواءً في** الأشياء التي ترتبط برغباتك، وشهواتك، ورغباتك الشخصية والنفسية.
- **أو** الأشياء التي لها علاقة بانفعالاتك، وسخطك، وغضبك.
- **أو** الأشياء التي تؤثر عليك فيها المخاوف.

لا يصرفك شيء عن الاستجابة لله ﷻ، والاتِّباع لآياته: لا تتأثر بالعوامل النفسية في حالة الانفعال والغضب، فلا تقبل آيات الله فيما تهدي إليه، في قضية، في موقف، في أي مسألة معينة، ولا تؤثر عليك الرغبات والشهوات، فتنحرف بك عمَّا يأمر الله به في آياته المباركة، ولا تؤثر عليك المخاوف كذلك، فتصرفك عن الاهتداء بآيات الله، وعن الإذعان لأمر الله ﷻ.

الإنسان مصيره مرتبطٌ بذلك، بمدى اهتدائه بالقرآن، بمدى إصغائه لآيات الله، لتوجيهات الله ﷻ، وفي ذلك الخير والفلاح، الإنسان إذا استجاب لله ﷻ، واهتدى بهديه، سار على طريق النجاة، والفلاح، والفوز، يؤتى يوم القيامة كتابه بيمينه، يكون من الفائزين، من المفلحين.

أعداء القرآن.. واقعهم. وكيف يجب أن يكون موقفنا منهم؟

ثم نحن كأمةٍ إسلامية، في موقفنا من أعداء القرآن، ولا سيما ونحن في هذه المراحل نشهد حربًا مسيئةً مستمرةً، تستهدفنا كأمة إسلامية، تجاه هذا المقدس العظيم (كتاب الله)، هناك- حتى في هذه الأيام (في الدنمارك، في دول أوروبية)، وتكررت في العالم الغربي- حالات الإحراق للمصاحف، في حفلات يعملونها، يجتمعون فيها، يصورون، يوثقون، ثم يقومون بإحراق المصحف.

جرائمهم تلك هي تشكل خطورةً عليهم، وهي في سياق ما هم فيه- في المجتمع الغربي، في العالم الغربي، في أوروبا والغرب- ما هم فيه من ضلال مبين، وانحراف عن الرسالة الإلهية، وكفرٍ بالله ﷻ ورسله وأنبيائه، وكفرٍ بالشرع الإلهي والتعليمات الإلهية، واتجاهٍ نحو الإلحاد، نحو الكفر، نحو الفساد، إلى أحط مستوى من مستويات الفساد، يروجون لما يسمونه بالمثلية، التي تعني جريمة الفساد الأخلاقي، ومجتمعاتهم

تلك مجتمعات تنتشر فيها الجرائم، والمفاسد، والمنكرات، ويرتبطون بالشيطان، وانحرفوا عن رسالة الله، ورسله، وأنبيائه.

يقودهم في ذلك: اللوبي الصهيوني اليهودي، هو الذي يقود تلك الحالة من الانحراف عن منهج الله، وعن رسالته، ورسله، وأنبيائه، ويدفع بهم إلى الإساءة إلى الله، الإساءة إلى أنبيائه ورسله، الإساءة إلى كتبه، المحاربة لتعليماته، يسعى إلى أن ينحرف بهم عن الأخلاق الفطرية الإنسانية، التي تميز الإنسان عن بقية الحيوانات، يسعى إلى تفريغهم من إنسانيتهم بشكلٍ تام.

وهو بذلك يُضِلهم، يُهلِكهم، وهذا يسبب لهم- بشكلٍ تلقائي في حياتهم- الكثير من المشاكل، والأزمات، والذي يتأمل واقعهم يرى بكل وضوح أنهم يتجهون إلى الانحدار، إلى الحضيض، إلى الهاوية، **مجتمعاتهم غارقة بالمشاكل والأزمات الاجتماعية المتفاقمة:** الأسرة تتفكك، المجتمع يتفكك، الإنسان ينشأ في بيئة لا يحس بأنه في منبت إنساني، في حاضنة إنسانية، يعيش في وضعية مختلفة، مفككة، بدون رعاية، بدون حنان، بدون عاطفة، بدون تربية.

ولهذا آثار سلبية عندهم، الإحصائيات التي تتحدث عن انتشار الجرائم عندهم، إحصائيات مهولة، ورهيبة، ومذهلة، الجرائم عندهم على مستوى الدقيقة الواحدة، أعداد كبيرة تُسجَّل من الجرائم في مجتمعاتهم، أنواع الجرائم، مختلف الجرائم.

كلما غيبوا الرسالة الإلهية في مبادئها، وأخلاقها، وتعاليمها، وانحرفوا عن القيم الفطرية الإنسانية؛ كلما توحشوا، كلما انحطوا، كلما فقدوا إنسانيتهم، وكلما انتشرت معدلات الجرائم وأصناف الجرائم، وارتفعت معدلات الجرائم في واقعهم، إضافةً إلى ما يسببه هذا لهم من سخط الله، وغضب الله، والعقوبات الإلهية، التي لها أنواع

كثيرة، عقوبات الله هي أنواعٌ واسعة، أنواع العذاب أنواع واسعة، فهم لا يزالون تصيبهم بما صنعوا قارعة، والواقع يشهد، واقعهم يشهد، وسيتضح ذلك أيضًا في مستقبلهم أكثر؛ **لأن** الوعيد الإلهي هو وعيدٌ صادق، يتحقق حتمًا، لا ريب في ذلك، لا شك في ذلك.

٧ **لكن بالنسبة لنا نحن المسلمين، يجب أن يكون لنا موقف،** تجاه محاربتهم للإسلام والقرآن، عداؤهم للقرآن هو عداءٌ صريحٌ للإسلام، والإسلام فيما يعنيه لنا هو ديننا، وديننا **يجب** أن يكون أغلى عندنا من كل شيء، أهم عندنا من كل شيء، لسنا بشيء إلَّا بديننا، بدون الدين الإلهي، الذي أكرمنا الله به، بدون القرآن الكريم، محتوى الرسالة الإلهية، الذي شرفنا الله به، وقال عنه: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف:٤٤]، نحن لا شيء، نحن ضائعون في الدنيا والآخرة.

انتماؤنا الإيماني يفرض علينا أن نغضب عندما يحارب ديننا، أن نُستفز عندما تستهدف مقدساتنا، وأن يكون لنا موقف كمسؤولية، الأمة الإسلامية قادرة على أن يكون لها مواقف، مواقف هي بمقدورها، تستطيعها، وليست مكلِّفة، وليست ضارةً بها، وليست مؤثرة عليها، **ولكنها مواقف ذات تأثير كبير على أولئك:** موقف التعبئة التوعوية، وإعلان الموقف في التعبير عن ذلك، والمقاطعة للبضائع.

المال صنمهم ومعبودهم فلنقاطع منتجاتهم

الغرب بشكلٍ عام- والدول الأوروبية منه- صنمهم الحقيقي الذي يعبدونه هو المال، هو صنمهم، هم أمة مادية، غارقة في المادة، أهم شيءٍ عندها هو المادة، هو المال، كل وجهتهم في الحياة نحو المال، كل اهتمامهم منصبٌ نحو المال، لو توحدت الأمة الإسلامية، في هذا الموقف فحسب، في هذا الموقف فحسب، في المقاطعة لبضائع كل تلك الدول، التي تفتح المجال لإحراق المصاحف، وتجعل لذلك حماية قانونية، لو

اتخذت الأمة الإسلامية، وهي أكبر سوق الآن في العالم؛ **لأنها** أمة مستهلكة، وليست منتجة، فهي سوق كبيرة وضخمة، ويعتمد عليها الآخرون إلى حدٍ كبير في بضائعهم؛ لأركعت أولئك، ولأرغمتهم على أن يتراجعوا عن ذلك، وأن يكفوا عن ذلك، وهنا تأتي المسؤولية في الموقف الممكن.

الأمة ستحاسب وتُسأل وتجازى، عندما تترك ما يمكنها أن تفعله وهو في إطار مسؤوليتها، في نطاق مسؤولياتها وواجباتها، ثم لا تفعله، **لو توحدت كلمة المسلمين على هذا المستوى:** مقاطعة جادة، وقرار صارم وحازم في ذلك، لأرغموا أولئك؛ **لأنهم**- كما قلنا- هم عُبَّاد المال، هو صنمهم الأكبر، الذي يعبدونه من دون الله، ويتجهون إليه، ويعطونه أهميةً فوق كل شيء.

طبعًا إذا لم تتجه الأمة الإسلامية بشكلٍ عام، فلا يعني ذلك أن يتنصل الكل، أو أن يرهن الإنسان موقفه بالبقية، هو الموقف الصحيح، الذي سيكون له فاعلية كبيرة جدًّا، **لو اجتمعت كلمة المسلمين**- أكثر من خمسين دولة، أكثر من مليار إنسان- **لمقاطعة تلك البضائع، وهم أكبر سوق لها، هو الموقف الفاعل، الموقف المؤثر، الذي كان- بلا شك- سيرغم أولئك على أن يمنعوا منعًا باتًا إحراق القرآن الكريم، وأن يحترموا هذه الأمة، أن ينظروا إليها باحترام، أن يقدروا لها مقدساتها، وحرماتها، ودينها؛ لأن في** هذا استهتارًا بالأمة، إهانةً للأمة، استخفافًا بالأمة، في أقدس مقدساتها، الذي يفترض أنه أهم شيء لديها، لكن على الإنسان بشكلٍ شخصي، وعلى كل الذين يحملون الوعي ويستشعرون المسؤولية، أن يكون لهم هم موقف، حتى لو لم يحصل الموقف العام؛ **نتيجةً** للتخاذل، والتفريط، والتقصير، ونقص الوعي، ونقص الإيمان، ونقص الاستشعار للمسؤولية، **فأن يكون لهم موقف:**

- **بالكلام**، بالتعبير عن سخطهم، عن غضبهم، بالرد.
- **في التوجه إلى القرآن**، للاهتمام به أكثر؛ **حتى يرى أولئك أن النتيجة هي**: أن تندفع هذه الأمة أكثر وأكثر نحو الاهتمام بالقرآن، والتقديس للقرآن، والصلة الوثيقة بالقرآن الكريم.
- **ثم على مستوى المقاطعة** للبضائع، أن يكون هناك موقف حازم، وأن يكون موقفًا قويًا، في المستوى الذي يمكن أن يتحقق، الدعوة تكون دعوة جامعة وشاملة للجميع، **وفي الواقع العملي التنفيذي**: أن يتجه الإنسان ليكون ممن يتبنى موقفه، ممن لا يتنصل، ممن لا يفرط، ممن لا يهمل، ممن يعبّر عن إيمانه، عن تقواه لله ﷻ، عن استشعاره للمسؤولية، عن التزامه، عن تقديسه لمقدساته؛ **لأن** المسألة- أيضًا كما قلنا- فيها سخرية واستهتار بهذه الأمة، والله المستعان.

في شهر رمضان- كما قلنا- ينبغي أن يكون هناك إقبال أكبر إلى القرآن الكريم، وأثر القرآن التربوي، وأثره العظيم، وبركاته، في نفس الإنسان، وفي حياته، وفي واقع المجتمع الذي يُقبِل إليه، ويسعى للاهتداء به، بركات عظيمة، وأثر عظيم، وهو صلة عظيمة بالله ﷻ.

نَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَهدِيَنَا وَإِيَّاكُم بِالقُرآنِ الكَرِيمِ، وَأَنْ يَتَقبَّل مِنَّا وَمنْكُمُ الصِّيَامَ، وَالقِيَام، وَصَالحَ الأَعْمَال، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبرَار، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنصُرنَا بِنَصْرِه، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاء.

وَالسَّـــلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَـــةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـهُ؛؛؛

الدعـــاء
أهميته وآدابه وثمرته وشروط استجابته

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِينَ، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

أَيُّهَا الإِخْـــوَةُ وَالأَخَوَاتُ:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَـةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـهُ؛؛؛

في سياق الآيات المباركة (في سورة البقرة) التي تحدثت عن فريضة صيام شهر رمضان المبارك، في نفس الآيات، في وسطها، تلك الآيات التي تحدثت عن هذه الفريضة العظيمة، يقول الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة: ١٨٦]، في هذه الآية المباركة- التي عباراتها رقيقةٌ، تُعبِّر عن رحمة الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، ورأفته بعباده، ولطفه بهم- يأتي الحث على الدعاء، والدعاء بشكلٍ عام، في كل أحوال الإنسان، وفي كل الأزمنة،

هو مطلوبٌ من الإنسان، الله أمرنا بذلك، والإنسان بحاجةٍ- أصلًا- إلى ذلك، وهناك مواسم معينة، منها شهر رمضان المبارك، هي من المواسم المميزة في الاستجابة للدعاء.

في شهر رمضان، في إطار اهتمام الإنسان بتقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وسعيه للالتزام أكثر، وتوجهه بالطاعات إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، واهتمامه أكثر بالقرآن الكريم، والأجواء التي يعيشها، فيشعر فيها بالقرب من الله أكثر، كل ذلك يعتبر فرصةً مهمةً في الإقبال إلى الله بالدعاء، والتوجه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالدعاء؛ **لأن** تلك الأجواء التي فيها التوجه نحو الالتزام بطاعة الله، نحو الالتزام بالتقوى، وتلك المشاعر التي تهيئ الإنسان إلى الإقبال بخشوع وتضرع، ورغبةٍ ورهبةٍ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تجعل الإنسان قريبًا من الدعاء، على النحو الذي تتهيأ فيه الاستجابة، **يعني:** تتوفر فيه شروط الاستجابة، وظروف الاستجابة، بشكلٍ أفضل من كثيرٍ من الأحوال الأخرى والظروف الأخرى، فهي فرصةٌ مهمةٌ في الإقبال إلى الدعاء، هذا من جهة.

من جانبٍ آخر، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هيأ الاستجابة للدعاء، وقدَّم- من واسع رحمته، وبفضله وكرمه- هذا العرض المهم لعباده، وخص هذا الموسم بالمزيد من فرص الاستجابة، من عطائه، من رحمته، من كرمه، فهذه فرصة مهمة.

الشعور الفطري بالحاجة إلى الله والتوجه إليه بالدعاء

- **واقع الناس بشكلٍ عام، في حالة الالتجاء إلى الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، والتوجه إليه بالدعاء، هو واقعٌ يفرض عليهم هذه الحالة:**

الإنسان بفطرته، وفي ظروف حياته، يشعر بحاجته إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا سيما في حالة الضر والكرب، وعند الشدائد، وعند المهمات والملمات، فالكثير من الناس- في مثل تلك الظروف- يلتجئون إلى الله، يتوجهون إليه بالدعاء، عند حالة الاضطرار؛ **لأنها**

فطرتهم: الشعور بالافتقار إلى الله، والحاجة إلى الله، وأن الله هو ربهم، وملاذهم، وملجأهم، وهو القادر وحده على إغاثتهم، وعلى أن يَمُن عليهم، وعلى أن يكشف عنهم الكرب، ويكشف عنهم ما يُلِمُّ بهم من المهمات، التي يشعرون بالعجز تجاهها، ويشعرون أيضًا بعجز غيرهم، غيرهم من البشر، غيرهم من الكائنات، في دفعها عنهم، فيبقى أملهم الوحيد ورجاؤهم في الله ﷻ وحده، فيرجعون إليه، مخلصين له الدعاء، ومخلصين له التوجه والعبادة؛ **لأنهم** يدركون في تلك اللحظات أنه لا ملجأ لهم إلَّا الله، ولا منقذ لهم إلَّا الله، ولا قادر على أن يغيثهم ويكشف الكربَ عنهم إلا الله ﷻ.

وهذا يحصل حتى عند غير المؤمنين، في واقع المشركين، في واقع الكافرين، في تلك الحالة الصعبة جدًّا، وفي حالات الشدائد والكرب، كما يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾[البقرة: ١٨٦]، الناس بشكلٍ عام، عند حالة الضر، التي يعجزون عن كشفها، وعن الامتناع منها، وعن وقاية أنفسهم منها، ويشعرون بعجز غيرهم كذلك، يلتجئون إلى الله ﷻ بفطرتهم، يدركون أنه لا منقذ لهم إلا هو، بعد أن يفرج الله عنهم، وأن يذيقهم من رحمته، يتنكر الكثير منهم لله ﷻ ولنعمته عليهم، وينسون ذلك، ويتجهون إلى غير الله جلَّ شأنه.

يقول جلَّ شأنه أيضًا في القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾[الإسراء: ٦٧]، في البحر، حالة الخطر تكون كبيرةً على الإنسان، فإذا أحس بالخطر الكبير، وتوقع الهلاك لنفسه، التجأ إلى الله ﷻ، وكان هذا حال حتى المشركين، يلتجئون إلى الله ﷻ وحده، وينسون كل تلك الآلهة الأخرى، التي يشركون بها، الآلهة المصطنعة المزيفة، التي يشركون بها مع الله ﷻ، ينسونها، ﴿ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾؛ **لأنهم** بفطرتهم يدركون أنها لا تنفعهم بشيء، أنها عاجزة، أن الله وحده هو

المقتدر على أن ينقذهم، وأيضًا يدركون بفطرتهم أنه يسمع دعاءهم، أنه رحيمٌ، يرحم عباده، ويغيثهم، ويستجيب لهم، كل هذا يدركونه بفطرتهم.

يقول جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ [لقمان: ٣٢]، في البحر، تأتي أمواج هائلة جدًّا، فيتوقعون الغرق، ويستشعرون خطر الغرق والهلاك، ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢]، **يعني:** اتجهوا إلى الله وحده بالدعاء، بإخلاص، وبتضرع وإنابة، بخشوع، بإقبال كبير إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. ٨

فهذا على المستوى العام بالنسبة للواقع البشري، الناس عباد الله، يشعرون بالحاجة إليه، عند الاضطرار، عند الكرب، عند الشدة، يدركون أنه المغيث والمنقذ، ولذلك يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢]، هم يدركون أنه وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى القادر على إجابة المضطر، والرحيم، الذي يجيب المضطر، في حالة الاضطرار، والضر، والكرب الشديد، والأهوال الرهيبة، هو المغيث، هو المنقذ، هو الرحمن الرحيم، هو الذي يكشف السوء، والإنسان في عجزٍ تام عن كشفه عن نفسه، وعن دفعه عن نفسه، فيلتجئ إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيكشفه عنه، هو الذي جعلنا خلفاء الأرض، ووهبنا ما فيها من النعم.

مشاعر المؤمن في الالتجاء إلى الله ودعائه

☐ ما يميز الحالة الإيمانية لعباد الله المؤمنين في دعائهم:

أنهم لا يقتصرون فقط في اللجوء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في الالتجاء إليه، بالدعاء في حالة الاضطرار والكرب الشديد، ولا ينطلقون فقط من منطلقٍ واحد، هو ذلك المنطلق الذي انطلق منه الذين شعروا بالضر والخطر الكبير، فالتجأوا اضطرارًا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، شعور الحاجة والافتقار الشديد لتلك اللحظة فحسب.

المؤمن هو يرجع إلى الله، و يلتجئ إلى الله، في حالة الاضطرار، في حالة الكرب، في حالة الشدة، بمشاعر العبودية لله ﷻ، والخضوع، والخشوع، والافتقار التام إلى الله ﷻ، ولكنه أيضًا لا يقتصر على ذلك، هو يرجع إلى الله في كل الأحوال، هو ذلك الذي يدعو الله، في الشدة والرخاء، وفي العسر واليسر، في كل الأحوال والظروف يبقى دائمًا مقبلًا إلى الله، منيبًا إلى الله، يدعو الله ﷻ؛ باعتبار الدعاء- بالنسبة له- صلة عبادة، صلة عبادةٍ يتعبّد الله بها، يتعبّد لله ﷻ بالدعاء، من موقع شعوره أنه عبدٌ لله ﷻ، لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا إلّا ما شاء الله، وأن الله هو الرب والإله، الذي نرجع إليه- باعتبارنا عبيدًا له- في كل شؤون حياتنا، وفي كل متطلبات حياتنا، وفي كل ظروف حياتنا، وفي كل أحوالنا، فهو- بشعور العبودية لله- يتقرب إلى الله بالدعاء كصلة عبادةٍ، يتعبد لله بها.

ولهذا ورد في النص النبوي، في الحديث النبوي الشريف، عن رسول الله ﷺ: ((الدُّعاء مُخُ العِبَادة))؛ **لأن** الإنسان يتوجه فيه من واقع الشعور العميق بأنه عبدٌ لله، لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا إلّا ما شاء الله، وأنه مفتقرٌ افتقارًا تامًا إلى الله في كل شيء، وأنه يتوجه إلى الله ﷻ في كل شؤون حياته، وفي كل مسيرة حياته، معبِّدًا نفسه لله ﷻ.

وأيضا يتوجه في حالة الدعاء من منطلقٍ إيماني: هو يرجو الله ﷻ، يحب الله، ينشد إلى الله ﷻ، يأمل رحمة الله وفضله، مشاعره الإيمانية في الرجاء، والمحبة، والخشية، مشاعر متميزة؛ **لأنها** مشاعر ليست فقط تأتي في حالة الكرب الشديد، والضيق الشديد، والمخاطر الرهيبة؛ **وإنما** تأتي أيضًا في مختلف الحالات؛ **لأنه** يعيش الشعور الإيماني، في حالة العبادة لله، والتقرب إلى الله ﷻ.

تأتي في حالة الانقطاع إلى الله، لا يرجو إلَّا الله، يعتبر البقية كلهم مثله عبيدًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا إلَّا ما شاء الله، وجهته فيما يرجوه، فيما يأمله، إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مخاطباً لنبيه صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾[المزمل: ٨-٩]، فالمؤمن متبتلٌ إلى الله، منقطعٌ إلى الله، كل آماله، كل رجائه، يتوجه نحو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **فله هذه الصلة الإيمانية: هو** يتخذ الله وكيلًا، **يَكِلُ** إليه كل أموره، **يرجع** إليه في كل شؤونه، **يلتجئ** إليه في كل ظروفه، **وجهته** إلى الله في كل اهتماماته وهمومه، **((انقطع الرجاء إلَّا مِنك، وَخَابت الآمَال إلّا فِيك))**، يرجع كحالة عبادةٍ منتظمة، في أوقاتها، وفي حالاتها، كما يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مخاطباً لنبيه صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾[الكهف: ٢٨].

الإنسان يتوجه إلى الله بالدعاء، كجزءٍ من عبادته المنتظمة، المستمرة، التي هي كلها دعاء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾، كلها دعاء، كلها توجهٌ بالعبودية نحو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والافتقار إلى الله، فالمؤمن ليس كحال أولئك، الذين لا يتذكرون الله ويلتجئون إليه، إلَّا عند الكرب الشديد، والضيق الشديد، والعسر، هو يرجع في كل الأحوال.

ما الذي ينبغي التركيز عليه في الدعاء؟

☐ كذلك دائرة الاهتمامات بالنسبة للدعاء:

الآخرون: قد يلتجئون إلى الله عند حالة العسر، والشدة، والضيق، والفقر، وعندما يواجهون مشاكل عصيبة في هذه الحياة يعجزون أمامها؛ حينها يتذكرون الله، وكانوا غافلين، وحتى بعد أن ينقذهم، أو يفرِّج عنهم، أو يمُنّ عليهم، يتجهون فورًا في حالة غفلة عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يتوجهون إليه حتى بالشكر، ثم يغفلون عنه، وينسونه، ويتجهون في معصيته.

٨

الإنسان المؤمن اهتماماته واسعة: في حالة العسر، في حالة الشدة، هو يرجع إلى الله ﷻ، في مهمات الحياة يرجع إلى الله ﷻ، **ولكنّ اهتماماته واسعة:**

- **هو يطلب من الله ﷻ أيضًا ما يتعلق بآخرته،** بمستقبله المهم عند الله ﷻ.
- **ما يتعلق بدينه،** في أداء دِينه، في الالتزام بدِينه، هو يعرف قيمة الدين في هذه الحياة، وأهميته لآخرته.

- **يطلب من الله المغفرة،** هو يدرك حاجته إلى المغفرة، أنها من الاحتياجات الأساسية؛ **لأنه** يعي ما تجره عليه الذنوب من المصائب، من المشاكل، من العقوبات، ما يُحرمُ بسببها من الخيرات، فهو يدرك خطورتها، يحمل هذا الوعي، فيما يؤثر عليه في واقع الحياة، في ظروف الحياة، وعيه أوسع من وعي ذلك الإنسان البعيد عن الحالة الإيمانية.

ولهذا نجد في دعاء الأنبياء والرسل، ودعاء المؤمنين، الوارد في القرآن الكريم، أن في مقدمته، ومن أهمه: التركيز على طلب المغفرة، يطلبون من الله المغفرة، بشكلٍ متكرر، في مقدمة دعائهم، من أهم ما يركزون عليه ويطلبونه من الله؛ **لأنهم** يدركون الحاجة إلى المغفرة، ونجد في دعاء نبي الله آدم، نبي الله نوح، نبي الله إبراهيم، أنبياء آخرين في القرآن الكريم، ذكر الله بعضًا من أدعيتهم، **وتركيزهم فيها هو على المغفرة:**

- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، دعاء آدم وحواء.
- **دعاء نبي الله نوح:** ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨].
- **نبي الله إبراهيم:** ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١].

بعضٌ من أدعيتهم، هناك غيرهم أيضًا، في أدعية المؤمنين، التي يذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، **من أهم ما يركزون عليه فيها:** هو طلب المغفرة، هم يدركون الحاجة، الحاجة إلى المغفرة، وأن كثيرًا من المصائب، من المشاكل، التي يعاني منها الإنسان، تجرُّها عليه ذنوبه، وخطاياه، ومعاصيه، فلذلك يطلبون باستمرار المغفرة، ويتضرعون إلى الله في ذلك.

٨

- **يطلبون العون في دينهم، حتى في الأمور العبادية،** نبي الله ابراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من دعائه: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾[إبراهيم: ٤٠].
- **يطلبون من الله** أن يفرغ عليهم الصبر؛ **ليصبروا،** في الالتزام بدينهم، في مواجهة صعوبات الحياة، في أداء مهامهم الإيمانية: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾، يأتي هذا في دعاء الأنبياء، وفي دعاء المؤمنين.
- **يطلبون من الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **النصر، وهم في ميدان العمل، في مواجهة الأعداء،** فيلتجئون إليه بطلب النصر، مع الأخذ بأسباب الاستجابة.

وهكذا نجد الأدعية في القرآن الكريم، التي ذكرها الله لرسله وأنبيائه، وللمؤمنين من عباده، في مختلف أحوالهم وظروفهم، عند الشدائد، عند المحن:

- **يذكرُ الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **في محنة نبيه يعقوب،** التي كانت محنةً طويلة، لسنواتٍ طويلة، صبر فيها الصبر الجميل: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾[يوسف: ١٨]، صبر متميز، لم يُظهِر معه الجزع، ولا الهلع، ولا غير ذلك، ومع ذلك كان ملتجئًا إلى الله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى ٱللَّهِ﴾[يوسف: ٨٦]، ولم ييأس أبدًا، وبقي ملتجئًا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، في ذروة الشدة، بعد أن بلغت به المحنة مبلغًا كبيرًا، ووصل إلى حالةٍ صعبة، هو الذي يخاطب أبناءه قائلًا لهم: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[يوسف: ٨٧].

- **نبي الله يوسف كذلك،** ذكر الله التجاءه إليه، في مختلف المحن التي واجهها.

- **نبي الله أيوب** عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو الذي عانى من الضر والمرض، والظروف الصحية الصعبة، والظروف النفسية الصعبة، كيف كان صابرًا، وكيف كان ملتجئًا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكيف فرّج الله عنه.

٨ **فالمؤمن في دعائه دائرة اهتماماته واسعة،** لا يكون دعاؤه فقط منحصرًا أن يكشف الله عنه المرض، وأن يوسع له الرزق، ومنحصرًا على المتطلبات المادية، **بل يشمل:** الاهتمام بأمر دينه، بمستقبله عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الآخرة، بطلب النجاة من النار، بطلب الفوز برضوان الله والجنة، وتيسير الحساب، اهتماماته كبيرة؛ **لأنه** يدرك أن تلك الأمور أكثر أهمية بكثير مما قد يركز عليه البعض فقط.

- **ولهذا يقول الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **في الفرق بين الحالتين والاهتمامين:** ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾[البقرة: ٢٠٠]، كل دعائه يتوجه نحو مطالبه الدنيوية، وينحصر على ذلك، ولا يلتفت إلى آخرته، ولا إلى أمر دينه، ﴿مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾[البقرة: ٢٠٠]، اهتماماته كلها متجهة إلى ذلك، تفاصيل تعود إلى الإنسان، فيما يطلبه من أموره الدنيوية، ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾[البقرة: ٢٠٠]، لا يركز- أصلًا- على أن يكون له نصيب في مستقبله الأبدي، الأكثر أهمية من أموره الدنيوية، والتي كان بإمكانه أن يطلبها من الله، لكن لا ينحصر دعاؤه على الطلب لها، والتركيز عليها فحسب، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[البقرة: ٢٠١-٢٠٢].

فنرى الفارق بين الحالتين، بين من لديه اهتمام واسع، لديه وعي بما يحتاجه فعلًا، بما هو متطلبات أساسية له، ذات أهمية كبيرة له؛ **لأن** تلك الأمور التي تجاهلتها، ولم تركز عليها في دعائك، هي أكثر أهمية حتى من تلك التي ركزت عليها، وكان بإمكانك

أن يتوجه دعاؤك واهتمامك بهذا وذاك، ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾.

من مظاهر رحمة الله أن فتح لنا باب الدعاء

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **هو المبتدئ لعباده بالنعم**، وهو الرحيم بهم، ومظاهر رحمته واسعة، في كل أرجاء حياتنا، في كل واقع حياتنا، في كل ما نشاهده، رحمةٌ واسعة، ولطفٌ عجيبٌ بنا، نعيش أجواء رحمته، ومظاهر رحمته، وألطافه، في كل حياتنا، وفي كل أجواء حياتنا، وفي كل ظروف حياتنا، **والله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **من مظاهر رحمته، ومن عظيم رحمته، ومن عظيم كرمه: أن فتح لنا باب الدعاء**، هو يبتدئنا بالرحمة، ويبتدئنا بالنعمة، ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[النحل: ٥٣]، ونحن نعيش في رحمته، ونعمه، وألطافه، وفضله، ونشعر بذلك في حياتنا، عندما نلتفت نرى ذلك جليًّا، ولكن مع ذلك يفتح لنا أيضًا باب الدعاء، ويأذن لنا بالدعاء جميعًا، يأذن لكل عباده أن يتحدثوا إليه، أن يخاطبوه، أن يطلبوا منه مباشرة، هذه رحمةٌ عظيمة، ليس فقط يأذن لهم في ذلك، بل ويأمرهم بذلك، ويحثهم على ذلك، هذه رحمةٌ عظيمةٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفَتَحَ الباب لكل عباده في ذلك، أن يدعوه بشكلٍ مباشر، أن يتحدثوا إليه بشكلٍ مباشر، أن يبثُّوه ويشكوا إليه همومهم، وغمهم، وأوجاعهم، وآلامهم، ومتطلبات حياتهم، وأن يلتجئوا إليه في كل الأحوال، نعمةٌ كبيرة.

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **هو الرحمن الرحيم**، هو الرؤوف بعباده، هو اللطيف بعباده، هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الودود، كم هي أسماؤه الحسنى، التي تعبِّر عن رحمته بعباده وقربه منهم، وفضله وكرمه! هو الكريم، أكرم الأكرمين، والرحيم، أرحم الراحمين، لا أحد أرحم بك منه، أرحم بك حتى من أمك وأبيك، ومن كل الناس أجمعين.

فالله ﷻ فتح لنا باب الدعاء، وأمرنا به، وأيضًا لم يربط ذلك بطريقةٍ صعبة، فتح باب الدعاء في كل الأحوال، وفي كل الأوقات، وفي كل الظروف، أينما كنت، وأينما أنت، وفي كل وقت، وفي كل حال، يمكنك أن تلتجئ إلى الله بالدعاء، هذه رحمةٌ كبيرةٌ من الله ﷻ، لم يربط المسألة فقط بمكان معين، فلا يقبل منك أن تدعوه إلَّا في ذلك المكان، فتجد صعوبةً في الوصول إلى ذلك المكان، أو في حالٍ معين، أو بطريقةٍ صعبة، يحتاج الإنسان- مثلًا- إلى أن يسافر إلى منطقة بعيدة جدًّا، وبكلفة هائلة، وقد لا يستطيع أصلًا، من أجل أن يدعو الله منها ليسمع دعاءه؛ **يسمعك** أينما كنت، وأينما أنت، ولا يحتاج الأمر أيضًا إلى وسيلة اتصال معينة، الأمر متاح وميسر للناس، أن يدعوه بشكل ميسَّر لهم، هذه نعمةٌ من الله ﷻ، **ولهذا قال:** ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾[البقرة:١٨٦]، وأكثر، **وقبل أن يقول:** (أسمع)، **قال: (أُجِيبُ)**، بشكلٍ مباشر، **قبل أن يقول:** [أسمع دعوة الداعي إذا..]، **قال:** ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة:١٨٦].

الله ﷻ أمرنا بالدعاء، وقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر:٦٠]، نتوجه إليه بالدعاء والعبادة، وهو يستجيب لنا، هذا وعدٌ منه ﷻ، قال ﷻ: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[غافر:٦٥]، هو ﷻ الحي الذي لا يموت، فادعوه في كل الأحوال مخلصين له الدين، ادعوه وحده، أخلصوا له في دينكم، لا تتوجهوا إلى غيره بالدين، هو ﷻ الذي لم يربط المسألة بدوام معين، أو وقت معين، أو عبر طريق صعبة، هيأ المسألة ويسرها؛ **إنما** كيف نتوجه إليه.

من أهم المقامات للالتجاء إلى الله واستجابة الدعاء

مع ذلك، مع أنه فتح المجال في كل الأوقات، في كل الظروف، فهو ﷻ هيأ أوقاتًا جعل فرص الاستجابة فيها أكبر، وجعل للدعاء فيها فضلًا أكبر، ومنها:

- **حالة الاضطرار:**

٨

في حالة الاضطرار لا تيأس، في حالة الكرب والشدة لا تقنط من رحمة الله، ارجع إلى الله ﷻ، حالة الإنسان الذي ييأس حالة رهيبة جدًّا، يتجه إلى تصرفٍ آخر، أو تنهار نفسيته، أو غير ذلك، **فالإنسان إذا كان في ظرف اضطرار، أو كرب، أو شدة، فليُدرك أنها من مقامات الالتجاء إلى الله، ومقامات استجابة الدعاء، يعني:** ليكن لديه الأمل أكثر في الاستجابة، وهذا مجربٌ في حياة الناس، الإنسان أحيانًا يكون في ذروة الشدة والكرب والعناء، يلتجئ إلى الله ﷻ من أعماق قلبه، بتضرعٍ وخشوعٍ وإقبالٍ تام، وإقبالٍ صادق إلى الله ﷻ، يُنيب بكل ما تعنيه الكلمة، يرجع رجوعًا صادقًا، بخشوع وخضوع، فيجد كيف فرَّج الله عنه، وكيف كشف الله عنه ذلك الكرب، أو ذلك السوء.

حالة الاضطرار والكرب والشدة: هي من مقامات الاستجابة للدعاء، وعلى الإنسان فيها أن يكون دائمًا يحمل الأمل، والثقة بالله، والرجاء في الله ﷻ، قال جَلَّ شَأنُهُ: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢].

- **في مواقف الطاعة ومقامات العبادة:**

هي من المقامات المناسبة للدعاء، وفرص الاستجابة فيها كبيرة:

- **مثل:** عقب الصلوات.
- **ومثل:** شهر رمضان المبارك، وليالي شهر رمضان المبارك.
- **وليلة القدر.**

- **والثلث** الأخير من الليل.

- **وفي** ميادين الجهاد.

وهكذا، أوقات ومواطن جعلها الله من أهم المواطن لاستجابة الدعاء، فالفرصة فيها كبيرة.

٨

• **ووقت نزول الرحمة والغيث.**

وحالات معينة، الإنسان يغتنم الفرصة فيها، وردت فيها آثار وأحاديث عن رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ.

من أهم آداب الدعاء. وكيف تكون مشاعرك؟ حال الدعاء

❖ **في حالة الدعاء، نتوجه إلى الله بالدعاء بتضرُّع، للدعاء آدابه:**

لا يكون الإنسان أثناء الدعاء غافلًا، وشارد الذهن، وغير مركِّز، **يعني:** بالحد الأدنى أن يكون متوجهًا بذهنه، وقلبه، وشعوره، ولسانه، ونفسه، إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يدعو وهو شارد الذهن، منشغل التفكير في أمورٍ أخرى، غير مركز، ولا مقبل إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الله يقول في القرآن الكريم: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[الأعراف:٥٥-٥٦]، **فحالة الدعاء، يسعى الإنسان إلى أن يكون فيها متضرعًا، مقبلًا إلى الله بقلبه وذهنه، متوجهًا بخشوع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وخضوع، وتذُّلل، يحمل مشاعر الافتقار إلى الله، مشاعر الحاجة إلى الله، مشاعر التذلل والعبودية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا من أهم آداب الدعاء،** ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾، **لا تغيب حالة التضرع عند الإنسان أثناء دعائه،** ﴿وَخُفْيَةً﴾، **يعني:** لا يحتاج الإنسان إلى أن يرفع صوته إلى حدٍ كبير، **قد تكون الحالة التي يرفع صوته:** إذا كان في وضع جماعي،

يدعو عن الجميع، يرفع بالمقدار اللازم فقط، وإلّا فالله سُبحانه وتعالى يسمع دعاءك الخفي، **وهو من آداب الدعاء:** إخفاؤه، والدعاء الخفية، **يعني:** من دون أن ترفع الصوت، هو من آدابه في الأساس.

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾؛ **لأنه** مع الدعاء لابدَّ من الاستقامة، السعي للاستقامة في العمل، في التصرف، إذا كان دعاء مع انحراف، مع فساد، مع معصية، مع إصرار على المعاصي، فهذه حالة بعيدة، تبعد الانسان عن الاستجابة لدعائه.

﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، **أن تحمل في مشاعرك وأنت تدعو الله مشاعر الخوف،** الخوف من التقصير، من عواقب التقصير، الخوف من المعاصي وآثارها، الخوف من عذاب الله وبأس الله، فتدعوه وأنت خائف من آثار ذنوبك، من تبعات أعمالك السيئة، من سخطه وغضبه وعذابه، **وأيضًا مع الخوف الطمع،** وليس فقط مشاعر الخوف، وأنت تطمع فيما وعد الله به، وأنت ترجو الله، لا تدعوه وأنت يائس، الله يعلم، هو يعلم خفايا نفسك، وذات صدرك، لو دعوت وأنت- في نفس الوقت- غير راجٍ، غير مؤمل، أنت تعيش حالة اليأس إلى حدٍ كبير، أنت غير متفائل باستجابة دعائك، فهي حالة خطيرة على الإنسان.

مشاعر الرجاء، مشاعر الطمع فيما عند الله، في الاستجابة للدعاء، هي مشاعر إيمانية أساسية، لابدَّ منها في حالة الدعاء، وهي تعبِّر عن حسن الظن بالله، الإنسان إذا كان لا يرجو الله، فهو سيء الظن بالله والعياذ بالله، هو لا يؤمن حق الإيمان برحمة الله، بلطفه، بأنه الرحمن الرحيم، الرؤوف، الودود، الكريم، الحليم، ذو الفضل الواسع العظيم، **اليأس حالة خطيرة إيمانيًا على الإنسان تجاه الله** سُبحانه وتعالى، ما بينه وبين الله، حالةٌ خطيرةٌ عليه في إيمانه، ولهذا يقول: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، **فكن محسنًا، وكن مستقيمًا، وكن حذرًا من الإفساد، من الإصرار**

على المعاصي، وادع الله، تجد رحمة الله قريبة منك، وستلمس هذا في واقع حياتك.

يقول عن أنبيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[الأنبياء: ٩٠]، **فهم كانوا مستجيبين لله**، وبمسارعة، يسارعون في الخيرات، ومع العمل، ومع السعي العملي، مع الاستجابة، مع المسارعة في الخيرات يدعون، **هكذا** هو حال الإنسان المؤمن، **دعاؤه** جزءٌ من انطلاقته الإيمانية، من استجابته لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. ٨

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾، **هذه مشاعرهم، منطلقاتهم في الدعاء**، حالهم في أثناء دعائهم، يحملون مشاعر الرغبة إلى الله، يرجون رحمته، يؤملون فضله، يحسنون الظن به، يؤمنون برحمته وكرمه وفضله، ﴿وَرَهَبًا﴾، **في حالة الخوف، يحملون مع مشاعر الرغبة، مشاعر الرهبة**، الرهبة من عذاب الله، الرهبة من عواقب الأعمال السيئة، من تبعاتها، الرهبة من وعيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهم كانوا يعيشون حالة الخضوع، الخوف، الرهبة، الرغبة.

﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾، **خاشعين لله في دعائهم، في تعبدهم، في صلاتهم، في أعمالهم العبادية**، يحملون روحية الخشوع لله، والتذلل لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذه مشاعرهم الإيمانية.

ثمرة الدعاء وكيف تحصل على تلك الثمرة؟

❖ **ثمرة الدعاء ونتيجته هي مؤكدة:**

على الإنسان أن يكون موقنًا بذلك، الله وعد بالاستجابة: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، **الدعاء ثمرته ثمرة مؤكدة**، لابدَّ منها، إذا انطلق الإنسان وفق توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتعليماته.

الدعاء، كما ورد في الحديث النبوي الشريف: ((الدُّعَاءُ يَرُدُّ القَضَاءَ مِن السَّمَاءِ، وَقَدْ أُبرِمَ إِبْرَامًا))، بالدعاء يدفع الله عنك **الكثير** من المصائب، **الكثير** من المشاكل،

الكثير مما قد قُضي به عليك، مما قد أصبح في القضاء، وقد أُبرِم إبرامًا، لكن مع الدعاء يرده الله عنك، يأتي بدلًا منه رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فالإنسان بحاجة إلى الدعاء، بحاجة إلى الدعاء، ليدرك أهمية الدعاء، **وفائدة الدعاء:** أن الله يكشف عنه، **ويكف عنه بالدعاء الكثير: من** المصائب، **من** المشاكل، **من** المخاطر، **من** الانزلاقات، **في** أمور دينه ودنياه، إذا كان عنده هذا الاهتمام الواسع- كمؤمن- بأمور دينه، وأمور دنياه، أمور آخرته، عنده اهتمام واسع في مسألة الدعاء.

٨

والناس يجربون في حياتهم، لكل إنسان تجربة في استجابة الدعاء؛ **إنما** البعض- للأسف- ينسى، **وإلَّا فكل إنسان له تجاربه:** [أنه دعا الله؛ **فأنقذه** من حالة كرب، دعا الله؛ **ففرّج** عنه شدة، دعا الله؛ **فغير** له حالًا من حالٍ إلى حالٍ أفضل، دعا الله؛ **فأنقذه** في مقامٍ عصيب]، الناس يدعون الله، ويستجيب الله لهم الكثير من دعائهم، وينسون، فالبعض من الناس إذا واجه مشكلة معينة لم يُستجب له فيها، نسي، كأنّ الله لم يستجب له دعاءً قط! وأصبح يائسًا، ومتذمرًا، وسيء الظن بالله، [لماذا لم يستجب؟]، وهو قد جرَّب أن الله قد استجاب له في الكثير والكثير.

ثمرة الدعاء مؤكدةٌ في الدنيا وفي الآخرة، وهذا من أهم الأمور:

أهل الجنة في الجنة، من أهم ما أدركوا وعرفوا، أنه كان من أهم الأسباب في نجاتهم وفوزهم، وما وصلوا اليه من النعيم: هو الدعاء، ولهذا في تساؤلهم في الجنة، في مجالسهم: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٢٥ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ۝٢٧ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾[الطور: ٢٥-٢٨]، فكانوا مع إشفاقهم وحذرهم من المعاصي، التي تسبب سخط الله، وغضب الله، وعذاب الله، كانوا مع إنابتهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مع رجوعهم إلى

الله، مع توبتهم من الذنوب، كانوا يدعون الله، كانوا يقبلون إلى الله بالدعاء، وأدركوا أنه كان من أهم أسباب نجاتهم، ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **ذكَّر حتى أهل النار في النار، ذكَّرهم** بما كان عليه المؤمنون من الدعاء والإقبال إلى الله، **وكيف** كانوا يسخرون منهم، وكيف كانت عاقبة الطرفين، الله يقول لأهل النار، بعد أن كانوا في النار يدعونه، لكن في وقتٍ متأخر، كان بإمكانهم أن يدعوه ٨
في الدنيا مع الإقبال والاستجابة العملية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فتأخروا، وكانوا في الدنيا يسخرون من المؤمنين، ومن دعائهم، يقول لأهل النار في النار: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾[المؤمنون:١٠٩-١١٠]، فهو يذكِّر أهل النار في النار، عمَّا كان عليه حال المؤمنين في الدنيا، من الإقبال إلى الله، بالإيمان، والاستجابة، والدعاء، فالدعاء جزءٌ أساسيٌ في عبادتهم لله، في إقبالهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في طاعتهم لله، في توجههم إلى الله جَلَّ شَأْنُهُ، ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾[المؤمنون:١٠٩]، يطلبون من الله المغفرة وهم في الدنيا، يطلبون منه الرحمة، فمع إيمانهم ودعائهم، غفر لهم، رحمهم، أدخلهم الجنة، قال: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[المؤمنون: ١١١]، بإيمانهم، وصبرهم، ودعائهم، ورجوعهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كانوا هم الفائزين؛ **فدخلوا** الجنة، وسلموا من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فازوا بمغفرته ورحمته.

ولكن حال أهل النار في النار: لم يهتموا بالدعاء في الأمور المهمة بنجاتهم، بالمغفرة، مع الاستجابة العملية، وعندما وصلوا إلى نار جهنم، أصبحوا حينها يدعون وبتضرّع، بين جحيم جهنم، وجمر جهنم، وعذابات جهنم، لكن بعد فوات الأوان، ليس هو الموطن الذي يستجاب فيه الدعاء، وينفع فيه الالتجاء، فات الأوان، **يدعون في النار:**

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ۝١٠٧ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[المؤمنون:١٠٧-١٠٨]، في الدنيا الله يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، لكن هناك، عندما تدعو، حتى إذا تأخر الدعاء إلى الحشر، أو عند غرغرة الموت، أو في نار جهنم، لا ينفعك الدعاء بشيءٍ، وأنت كنت في الدنيا معرضًا، منحرفًا، لا تستجيب لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **يقول عنهم:** ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾[فاطر:٣٧]، **يعني:** في نار جهنم، صراخ، وصياح، وبكاء، وعذاب شديد، ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾[فاطر:٣٧]، فلا يُستجاب لهم، ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا﴾[فاطر:٣٧]، حالة رهيبة جدًّا، إذا ورَّط الإنسان نفسه، فلم يتجه بالدعاء إلَّا آنذاك، سوَّف.

٨

الشرط الأساس لإجابة الدعاء

فرصتك الآن في هذه الحياة أن تنطلق، ولكن مع الاستجابة العملية، كما في الآية المباركة: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة:١٨٦]، **استجب لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيما أمرك به، فيما دعاك إليه**، مع أن كل ما أمرنا به ودعانا إليه هو لمصلحتنا، هو لم يأمرنا بشيءٍ له، **يعني:** فيه مصلحةٌ له، فيه عائدٌ بالنفع له، هو الغني عنا، وعن أعمالنا، وعن عبادتنا، وعن دعائنا، وعن طاعتنا، ولكن ما أمرنا به هو خيرٌ لنا، فالاستجابة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والإيمان بالله، وبوعده ووعيده، الإيمان الذي يدفعك للاستجابة العملية، لابدَّ منهما، لابدَّ منهما، وأن تنطلق في هذه الحياة مستجيبًا لله، مطيعًا محسنًا، ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾، **ثم ثق أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يستجيب الدعاء**، لكن لا تدع بإثم، فلن يستجيب دعاءك، لا تدع بإثم، لا تدع بقطيعة رحم، لا تدع بما لا يليق الدعاء به.

الدعاء وفق توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفق الاهتمامات الإيمانية، وفق ظروف الحياة، الله يستجيب وفق حكمته ورحمته، وفي نطاق تدبيره وحكمته، ليس وفق مزاج

الإنسان، يدعو الإنسان بأشياء غريبة، ليست في السياق الصحيح ولا الطبيعي في الدعاء، الله ﷻ هو مدبِّرٌ لشؤون السماوات والأرض، وتدبيره يحكم شؤون عباده؛ **ولذلك** فالاستجابة للدعاء هي في نطاق الحكمة، في نطاق الحكمة والتدبير.

والله هو العالم بما هو مصلحةٌ لك، الإنسان قد يطلب من الله شيئًا ليس في مصلحته، ﴿وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً﴾ [الإسراء: ١١]، فالله ﷻ هو الأعلم بمصلحتك، قد لا يستجيب لك في شيءٍ؛ **لأنه** ليس في مصلحتك، قد تكون الاستجابة لك فيما هو أفضل مما طلبته، خيرٌ لك مما سألته من الله ﷻ، قد يدَّخِرُ الله لك ما طلبته، أو خيرًا منه لوقتٍ أهم، أو لظرفٍ أهم، قد تكون الاستجابة للدعاء بأن يكشف الله عنك شيئًا هو خطيرٌ عليك جدًّا، وأنت غافل عنه، وهكذا. ٨

نطاق ثمرة الدعاء واسع، ثمرته واسعة، آثاره واسعة، لكن الإنسان يدعو الله ﷻ، ويفوض أمره إلى الله ﷻ، ويتوجه على أساس الاستجابة العملية لله ﷻ، وعلى أساس الأخذ بالأسباب؛ **لأن** الدعاء ليس بديلًا عن العمل، هو مع العمل، لابدَّ فيه أن يكون مع العمل، عندما نطلب من الله النصر، نأخذ بأسباب النصر، نجاهد، نُعِدّ، العدة، نأخذ بكل الأسباب، وهكذا بقية شؤون الحياة.

الدعاء ليس بديلًا عن العمل، يأتي مع العمل، يأتي مع الاستجابة، يأتي مع التوكل على الله، مع الثقة بالله، مع تفويض الأمر إلى الله، مع الصبر، مع عدم الاستعجال.

وليحذر الإنسان اليأس، اليأس حالة خطيرة جدًّا على الإنسان، اليأس والقنوط من رحمة الله خللٌ كبيرٌ في إيمان الإنسان، ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، **حالة ضلال، وحالة كفر عندما ييأس الإنسان من رَوْحِ الله، ومن رحمة الله**، وحالة خطيرة

على الإنسان، تشقيه، تحطمه، تعذبه نفسيًا، تدفعه إلى التصرفات السيئة، البعض من الناس ينهار نفسيًا وعصبيًا أمام محنة، أمام شدة؛ **لأنه** لم يبق له ذلك الأمل بالله، والالتجاء إلى الله، الذي يخفف عنه حتى صدمة الأحداث، صدمة المشاكل التي يواجهها، البعض من الناس قد ينتحر، قد يتصرف تصرفًا أحمق، يجلب على نفسه الإثم به، قد يتجه إلى ما هو معصية، قد يعالج مشاكله بطريقة خاطئة، تحمّله الإثم والوزر، بدلًا من أن يلتزم حالة التقوى، والصبر، والسعي العملي في إطار توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والالتجاء الدائم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بدون يأس، بدون قنوط، ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾.

في شهر رمضان المبارك فرصة عظيمة لاستجابة الدعاء، واغتنام ليلة القدر، والإنسان بحاجة للاهتمام بكل الشهر؛ حتى لا تفوته ليلة القدر.

أَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَامَ، وَالقِيَامَ، وَصَالِحَ الأَعْمَالِ، وَالدُّعَاءَ، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبْرَارَ، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنْصُرَنَا بِنَصْرِهِ، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

الشيطان رمز الشر (١)

العدو الأول لبني البشر

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِين، وَأشهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، وَبارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وارضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِين، وَعَنْ سَائِرِ عِبادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِين.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّل مِنَّا، إنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيم، وَتُبْ عَلَيْنَا، إنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمْ.

أَيُّهَا الإِخْـــوَةُ وَالأَخَوَات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[الشمس: ٧-١٠]، يبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لنا في هذه الآيات المباركة، وفي آياتٍ أخرى، في عدة سورٍ في القرآن الكريم: أن **النفس البشرية لديها- في فطرتها، وفي تكوينها- القابلية للخير، أو الشر، للفجور، أو التقوى؛ للصلاح، أو الفساد؛ فالله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قد ألهم النفس البشرية فجورها وتقواها، ثم يأتي ما

بعد ذلك- في إطار مسيرة الحياة- دور الإنسان يأتي دور الإنسان، في تزكية النفس، أو في الاتجاه الآخر، الذي يحوّل الواقع النفسي للإنسان إلى واقعٍ خبيث والعياذ بالله.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أيضًا في آية أخرى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[الإنسان: ٢-٣]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يبين في خلقه للإنسان، وما زوّده به من الوسائل: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[البلد: ٨-١٠].

٩

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **على مستوى الحالة الفطرية للإنسان،** فيما منحه من طاقات، وقدرات، وقابليات، وأيضًا فيما عرّفه، وعلّمه، وأرشده، ونبّهه، **ميّز له بين الطريقين:** طريق الخير، وطريق الشر، **(النَّجْدَيْنِ)؛ حتى** تكون الأمور واضحةً بالنسبة للإنسان، فالبشر الآن في فطرتهم- على المستوى الفطري- يعرفون الجرائم بشكلٍ عام، بأنها جرائم، وأنها سيئة، ويصفونها بالجرائم، ويعرفون مكارم الأخلاق، ويعرفون أنها تعتبر أخلاقًا عظيمةً وكريمة، إلى غير ذلك، ثم في الهداية الإلهية عن طريق الرسل والأنبياء، بيّن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على نحوٍ تفصيليٍ وواسع ما يتعلق بذلك.

لكي تحظى بالمعونة الإلهية وتتحرر من مصائد الشيطان

الإنسان إذا اتجه في طريق الخير، نمت فيه عناصر الخير، واتجهت ميوله ورغباته، واتجه بتفاعله نحو الخير، وزكَتْ نفسه، وطابت نفسه أيضًا، زاده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هدىً، ويحظى بالمعونة من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والتيسير من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والرعاية له في اتجاهه العظيم، مثلما قال الله في القرآن الكريم: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[الحجرات: ٧]، كما قال جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[محمد: ١٧]، وكما قال جَلَّ شَأْنُهُ

: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾[الليل: ٧]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾[الليل: ٥-٧]، كما قال جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾[الأنعام: ١٢٥].

وانشراح الصدر مسألةٌ مهمةٌ جدًّا؛ لأن هذا سيجعل الإنسان يتجه برغبة وارتياح، تتجه طاقاته الفطرية في الانسجام، والأنس، والاطمئنان، وانشراح الصدر، والارتياح للخير، وفعل الخير، والعمل الصالح، ومكارم الأخلاق، والانسجام مع الحق، والتقبل للحق، والتفاعل مع هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والانشداد إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ينفر من طريق الشر، يكره الجرائم، يمقُت مداني الأخلاق، والمذامّ والتصرفات السيئة، تتعزز عنده حالة التقوى تجاه هوى النفس، فحتى لو تحركت فيه الأهواء النفسية والرغبات النفسية بشكلٍ سلبي، فالحالة عنده، حالة التقوى لديه، ترسيخ معاني الخير في نفسه، الزكاء الذي ينمو في نفسه، الحالة الإيجابية، والتذكر لهدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والرعاية الإلهية التي يحظى بها، تجعله في موقف المتماسك تجاه هوى النفس، في حالة متماسكة؛ **فهو ينهى النفس عن الهوى**، ينهاها، يزجرها، يذكِّرها بمعائب، ومخاطر، وسلبيات، وعواقب، تلك الأشياء السيئة، التي تحركت لها أهواء نفسه، فينهى النفس عن الهوى، ويزجرها عن الهوى، ويصرفها عن الهوى في الاتجاه السيء، في الاتجاه الذي هو معصية، ولهذا يقول الله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝٤٠ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[النازعات: ٤٠-٤١]، ويكتسب في إطار هذا التوجه، يكتسب المنعة تجاه وساوس الشيطان، التي تأتي كعاملٍ آخر مع هوى النفس، لتحريك حالة الهوى والاستغلال لحالة هوى النفس.

الإنسان بين اتجاهي الخير أو الشر ونتائج كل منهما

الإنسان في اتجاه الخير، والزكاء، والإيمان، والتقوى، يكتسب المنعة تجاه وساوس الشيطان ومساعيه للإغواء، ويتحرر من سلطان الشيطان، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الآية المباركة: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾[النحل:٩٩]، وهو يتحدث عن الشيطان، ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[النحل:٩٩-١٠٠]، الإنسان يكتسب المنعة أكثر، ويحظى برعايةٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومعونةٍ من الله، وتثبيت في المزالق الخطرة، والمصائد التي يحاول الشيطان أن يصطاد الإنسان فيها، تأتي الرعاية؛ **لأن** اتجاه الإنسان أساسًا بعزمٍ صادق، وإقبالٍ جادّ، يجعله محطّ رعايةٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وتوفيقٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولو زلَّ في بعض الحالات، يرجع، ويكون زلله محدودًا وبسيطًا، مقارنة بالآخرين، الذين قد تأثروا بالشيطان.

أمَّا إذا اتجه الإنسان في اتجاه هوى النفس، والفجور، والشر، فإنها تتنامى فيه عناصر الشر، ويتراكم الخبث في نفسه؛ تدريجيًا، كلما استمر أكثر وأكثر في الاتجاه السيء، والأعمال السيئة، والانحرافات، يتراكم الخبث في نفسه، حتى تخبث نفسه، وتكبر الميول السيئة في نفسه، وأهواؤه السيئة، حتى تكون ضاغطةً على نفسه ضغطًا شديدًا، في الاتجاه السيء، في الأعمال السيئة، نحو التصرفات السيئة، التي هي معصيةٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولها آثارها السيئة في الإنسان، في نفسه، وفي حياته، وفي واقع المجتمع، لكنه يحس بضغط شديد في داخله، في واقعه النفسي، يُحس ويشعر بضغط كبير على المستوى النفسي في تلك الميول، **وإذا استمر أكثر وأكثر، يصل إلى درجة الخبث التام لنفسه، ويزيغ قلبه والعياذ بالله، ويُزَيَّن له سوء عمله.**

ولهذا أتى التحذير في القرآن الكريم، التحذير من اتِّباع الهوى، أن يصبح الإنسان متبعًا لأهواء نفسه وميولها السيئة، فبمجرد أنه يشعر أن نفسه تميل إلى أعمال وهي سيئة، أو تصرفات وهي سيئة، أو رغبات وهي سيئة: **اتبعها**، ونفذ تلك الرغبات، وعمل تلك الأعمال السيئات؛ **اتِّباعًا** لهوى النفس، ينجرّ تلقائيًا وراء هوى النفس، هو يريد أن ينفذ تلك الرغبة النفسية، ولو كانت كيفما كانت.

٩ **يقول الله ﷻ عن حالة الزيغ، وهي حالة خطيرة جدًّا:** ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[الصف: ٥]، الإنسان عندما يصل إلى درجة أن يميل قلبه، يزيغ بشكلٍ تام **عن** الحق، عن الهدى، **عن** الخير، **عن** الرشاد، **عن** الصلاح؛ **يُخذل** من جانب الله ﷻ، ويُسلب التوفيق، ويتركه الله في زيغه، فيتحول في واقعه النفسي إلى زائغٍ، زائغٍ عن الحق، مائلٍ عنه تمامًا، مُجانبٍ له والعياذ بالله.

يحذِّر الله ﷻ من هذه الحالة، ويقارن في القرآن الكريم ما بينها، بين حالة من يتجه في هذه الحياة ليس على أساس أهواء نفسه، ومزاجها ورغباتها، وتفاعلاتها، واندفاعاتها؛ **وإنما** على أساس هدى الله ﷻ، يُخضِع نفسَه ومشاعره لتعليمات الله، لهدى الله؛ **ولذلك يقول:** ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾[محمد: ١٤]، **الحالة السلبية السيئة لدى الإنسان:** عندما يتحول إلى تابع لأهواء نفسه، لمزاج نفسه، لرغبات نفسه، لانفعالات نفسه، يكفي عنده ما دامت تلك المشاعر النفسية- بالرغبة، أو الانفعال، أو أيٍ كان- موجودةً، فهو يريد أن يتبعها، لا يُخضع نفسه لتعليمات الله ﷻ، كلما تمادى الإنسان في ذلك، في مسيرة حياته، وكثرت انحرافاته، أعماله السيئة، اتجاهاته السيئة؛ **كلما** تراكم الخبث في نفسه أكثر وأكثر.

ولهذا في الاتجاهين:

- الاتجاه الإيماني الصادق الصالح، اتجاه الزكاء للنفس.
- **أو الاتجاه الآخر:** الاتجاه السيء، اتجاه الشر، والفجور، والهوى، والطريق السيئة التي يسلكها الكثير من الناس.

يصل الحال في الاتجاهين بالفريقين إلى نتيجة معينة، هي:

- **في واقع** أولئك الذين يتجهون طريق الخير، طريق التقوى، **طريق الزكاء:** يصلون إلى درجة الطيب للنفس، أن تطيب نفوسهم.
- **والآخرون:** إلى درجة الخبث، أن تخبث نفوسهم والعياذ بالله.

ولذلك يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[آل عمران: ١٧٩]؛ **لأن** الإنسان يصل إلى حالةٍ منهما، **إمَّا أن تطيب نفسه، إذا اتجه الاتجاه الصحيح:** اتجاه التزكية، والتقوى، والإيمان، والصلاح، والخير، والاستجابة لهدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فتطيب نفسه، إذا طابت نفسه، **معناه:** أن عناصر الخير في نفسه نَمَتْ، وأن مشاعره قد تنقَّت كثيرًا، حتى أصبحت نقيةً من كثيرٍ من الشوائب الخبيثة والسيئة؛ **فأصبح** اتجاهه نحو الخير، نحو العمل الصالح، نحو التقوى، نحو الأعمال الزاكية، انشداده النفسي، تفاعله النفسي، رغباته، انسجامه، تفاعله، ويغلب عليه ذلك، **يعني:** يكون الغالب، يكون البارز، يكون الأكثر حضورًا في شعوره ووجدانه هو ذلك؛ **ولذلك** يكون عنده قابلية أكثر وأكثر لهدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، واستجابة في الواقع العملي لتوجيهات الله، وأوامر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **وإذا اتجه في الاتجاه السيء، تخبث نفسه،** ثم يأتي الاختبار، الذي يكشف هذه الحالة النفسية لدى الإنسان، الاختبار في الواقع، ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾[آل عمران: ١٧٩].

في الحالة التي تخبث فيها نفس الإنسان، اتجاه سيء، كلما تمادى فيه، كلما خبثت نفسه أكثر، يبرز عنده جانب الهوى (هوى النفس) أكثر من الهدى، فيتجه إليه، يميل نحوه، يتبعه، هي حالة يفتح الإنسان فيها على نفسه ثغرةً خطيرةً للشيطان، وهنا يبرز دور الشيطان كعاملٍ إضافي إلى هوى النفس، إلى الاتجاه السلبي، إلى الحالة السلبية التي تتنامى في نفسية الإنسان؛ **نتيجةً** لاتجاهه الخاطئ، اتجاهه في طريق الشر، في الطريق السيء؛ **فيكون** أكثر تقبلًا لوساوس الشيطان وإغوائه، والشيطان هو عدوٌ مبينٌ للإنسان.

٩

الشيطان رمز الشر.. فلماذا الغفلة عن خطورته؟

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حذّر البشر جميعًا، حذّر بني آدم من الشيطان، وبيَّن لهم أنه عدوٌ مبين لهم، يستهدفهم جميعًا، يستهدف كل المجتمع البشري، والحديث عن الشيطان في القرآن حديثٌ مهمٌ جدًّا، ومع معرفة البشر جميعًا بأنه عدوٌ لهم، وهم يذمونه، ويلعنونه، وينظرون إليه كعنصر شر، وعدو، وسيء، ورمز للشر، ورمز للسوء، ورمز للفجور، ورمز للكفر، لكن الكثير منهم يتأثرون به، وتغيب- في كثيرٍ من الأحوال- لدى الكثير من الناس في ذهنيتهم حالة الاستحضار للشيطان، وعدائه الشديد، ومساعيه المستمرة لإغواء الإنسان.

ما أكثر حالة الغفلة لدى الكثير من الناس عن خطورة الشيطان، عن مساعيه لاستهدافهم، بل البعض في حالةٍ معينة، أو مقامٍ معين، وهو يتأثر نفسيًا، سواءً وراء رغبة، أو وراء انفعال، نحو اتجاهٍ سيء، أو عملٍ سيء، أو موقفٍ سيء، أو تصرفٍ سيء، عندما تذكره وتحذره من الشيطان، قد يسخر منك، ويرى نفسه وكأنه بمنأى عن مسألة أن يؤثر فيه الشيطان وهو في تلك الحالة السلبية.

ولذلك من المهم جدًّا أن يلحظ الإنسان ما ورد في القرآن الكريم عن الشيطان، وعن خطورته، **وعن** عدائه الشديد للإنسان، **وعن** أساليبه في الاستهداف للإنسان، **وعن** الثغرات التي ينفذ من خلالها للتأثير على الإنسان.

في القرآن الكريم يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مخاطبًا لكل المجتمع البشري: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾[فاطر: ٥]، **وعد الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالحساب والجزاء، والجنة والنار، **وعد الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في عاجل الدنيا وآجل الآخرة، فيما وعد به الإنسان، **وعد الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المتعلق بما يترتب على أعمالنا، وتصرفاتنا، ومواقفنا؛ **هو حق**، لا شك فيه، وهو آتٍ، وهو متحقق، لا ريب في ذلك.

٩

﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾[فاطر: ٥]، **(الْغَرُورُ) من هو؟** الذي قد **يسعى** لأن يغركم، لأن يجعلكم تغفلون عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعن المسؤولية ما بينكم وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **ويسعى** لإبعادكم عن طاعة الله، وعمَّا فيه الخير لكم.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[فاطر: ٦]، **هو الشيطان، (الْغَرُورُ): هو الشيطان**، الذي **يسعى** لأن يغركم، لأن يجعلكم تغفلون عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعن وعده، وعن وعيده، وعن المسؤولية أمامه، **ويسعى** أن يجركم إلى هلاككم، إلى خسرانكم.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾، **عدو بكل ما تعنيه الكلمة، عدوٌ مبين**، حاقدٌ عليكم، **يسعى** لهلاككم، **يسعى** لخسارتكم، **يسعى** لإلحاق أكبر الضرر بكم، **يسعى** لمضرتكم، ولما فيه الخطر عليكم، هو عدو بكل ما تعنيه الكلمة، وعداء شديد جدًّا.

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، **وهذا ما يفقده الكثير من الناس:** هم لا يتخذونه عدوًا؛ **ولذلك** فحالهم مهيأ **لأن** يؤثر عليهم، **ولأن** تنفذ مؤامراته عليهم، **ولأن** يستطيع أن يدفع بهم إلى ما فيه خطرٌ عليهم وشرٌ لهم.

من شدة عدائه وحقده، هو كما قال عنه: ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، وهم حزبه، الذين استجابوا له، الذين اتجهوا في الاتجاه السيء الذي أراد أن يتجهوا فيه، وسعى لأن يتجهوا فيه، وأصبحوا يوالونه في واقعهم، أصبحوا في واقعهم موالين له؛ **لأنهم** يتجهون الاتجاه الذي يريده، ويعملون في واقع الناس- في واقع المجتمع البشري- **الأعمال التي يريدها هو:**

- **ينشرون** الفساد.
- **يضلون** عباد الله.
- **ينشرون** الفتن.

يفعلون الأفاعيل السيئة، التي يسعى لأن تكون هي سائدةً في واقع المجتمع البشري، فهم يعملون ما يرغب هو أن يعملوه، ويتجهون الاتجاه الذي يريد هو أن يتجهوا فيه، مع هذا لا يُقَدِّرُ لهم ذلك، ولا تتغير نفسيته تجاههم، **فيقول:** [بما أنهم أصبحوا يوالونه، يتجهون اتجاهه، وهم في نفس الطريق الذي يريد منهم، فيغيِّر موقفه نحوهم بشكلٍ إيجابي]، لا، هو يرتاح بأنه نجح في أن يتجه بهم إلى حيث يصل بهم إلى قعر جهنم، إلى أكبر خطر، إلى أشد العذاب، إلى أكبر الخسران، هذا حاله مع من؟ مع حزبه، يدعوهم، ويسعى لأن يصل بهم وأن يورطهم ليكونوا من أصحاب السعير (من أصحاب جهنم)، ليصل بهم إلى نار جهنم، ليحترقوا فيها، ويتعذبوا فيها، وهو يعتبر هذه أشد طريقة لإلحاق أكبر الضرر بالإنسان، وفعلًا لا يوجد طريقة أخرى أكبر ضرر منها، تُلحق أكبر ضرر بالإنسان منها، **أكبر ضرر بالإنسان:** أن يوصله إلى جهنم، إلى نار جهنم؛ **ليتعذب** للأبد، ليلقى أشد العذاب، ليخسر الجنة، ويخسر رضوان الله، ويعيش شقيًا للأبد، يرى أنها أكبر طريقة يوجه بها أكبر ضربة للإنسان، هذا حاله مع حزبه، إذًا هو عدوٌ شديد العداء للبشر جميعًا.

كيف بدأت المشكلة مع الشيطان؟ ولماذا يحقد على الإنسان؟

وفي القرآن الكريم يبين أيضًا بداية المشكلة، كيف بدأت المشكلة مع الشيطان، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ۝١٠ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۝١١ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[الأعراف: ١٠-١٢].

٩

البداية بدأت منذ استخلاف الإنسان على الأرض، والإشكال الذي حصل نتيجةً لذلك، والتساؤلات بين أوساط الملائكة، وعندما استخلف الله الإنسان على الأرض، وهيأ له فيها معايشه، ومكّنه في الأرض، من بداية خلق الإنسان، بخلق الإنسان الأول، الذي هو أبونا آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، أسجَدَ الله له الملائكة، والقصة طويلة (في سورة البقرة) لسنا في سياق الحديث عن تفاصيلها، عندما أتى الأمر بالسجود لآدم سجد الملائكة كلهم أجمعون، إلا إبليس، إبليس امتنع عن السجود لآدم.

إبليس كان بين أوساط الملائكة؛ أمَّا أصله فهو من الجن، في الآية الأخرى (في سورة الكهف): ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[الكهف: ٥٠]، أصله في خلقه وتكوينه من الجن، من عنصر الجن، وليس من عنصر الملائكة، ولكنه ارتفع إلى أوساط الملائكة، وبقي بينهم يتعبد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى زمنًا طويلًا؛ **حتى** صار في جُملتهم، أصبح أيضًا مأمورًا بما يُؤمرون به من الأوامر العامة، ولذلك شمله الأمر بالسجود، فبعد تعبُّده لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لزمنٍ طويل في أوساط الملائكة في السماوات، وبعد أن وصل إلى مرتبة من العبادة، **في بعض الأخبار**: (أنه بقي يتعبد الله- في السماوات مع الملائكة- لآلاف السنين).

عندما أتى ذلك الاختبار عاند، وعصى أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وكشف عن حقيقةٍ كامنةٍ في نفسه هي:** الكبر والكفر، فاستكبر، وأبى السجود، وامتنع، واعترض على مسألة السجود لآدم، تبعًا لمسألة الاستخلاف في الأرض؛ **وحينها** طرده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من السماء، ولعنه، وخذله: ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[الأعراف: ١٣]، طُرد بإذلالٍ وإهانة، وأصبح من الصاغرين، هو تكبر، وأراد أن يكون كبيرًا، وأن يتعاظم، فإذا به أُذِلّ وأُهين، وأصبح صاغرًا ذليلًا، مذمومًا مدحورًا، مطرودًا مرجومًا، ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾.

٩

فما حدث له، نتيجةً لكفره وتكبره، وعصيانه، التي معصيته تلك- ربما- كانت أول معصية يُعصى الله بها، فلطرده من مقامه ذلك، ومن السماء صاغرًا، استكبر، وغضب، وحقد أشد الحقد على الإنسان، الإنسان ليس فقط آدم وحده، على المجتمع البشري بشكلٍ عام، حقده على كل الناس، على آدم وذريته إلى آخرهم، إلى آخر إنسان، حقد شديد جدًّا، ولذلك ماذا طلب؟ ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[الأعراف: ١٤]، **لماذا طلب الإنظار إلى يوم البعث؟ يريد أن يسعى لهلاك كل المجتمع البشري**، لهلاك كل الأجيال في المجتمع البشري، جيلًا بعد جيل، يريد أن تكون حربه وأن يكون استهدافه لهم جميعًا، وليس فقط مع آدم لوحده، أو لجيلٍ وحده، يريد أن يسعى لهلاك أكبر قدر ممكن من البشر، هذا حقد شديد جدًّا عنده.

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾[الأعراف:١٤-١٥]، هو هنا كشف له، وليس استجاب لدعوته وطلبه؛ **وإنما** كشَفَ له أنه منْظَرٌ، وأنه سيتأخر، وسيطول عمره جدًّا، ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ۝١٧ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الأعراف:١٦-١٨].

طريقة الشيطان في التأثير على الإنسان

فهو طُرد، وذهب من السماء مطرودًا، وهو يحمل أشد الحقد والعداء لآدم ولذريته عبر الأجيال، وهو يتجه إلى السعي والعمل لإهلاك أكبر قدرٍ منهم، لكن عن طريق ماذا؟ هل يمتلك القدرة على الإضرار بهم رغمًا عنهم؟ هل يمتلك القدرة على أن يرغمهم ليسيروا في طريق الشر والفساد؟ لا؛ **إنما يسعى عن طريق الوسوسة، عن طريق الإضلال، عن طريق الإفساد**، وهو بذلك يسعى إلى استغلال هوى النفس لدى الإنسان، الميول السيئة، التوجهات السيئة، إذا اتجه فيها الإنسان نفسه، حينها يحاول أن يدخل على الخط؛ **ليحاول** أن يؤثر على الإنسان أكثر فأكثر، فهو يسعى لإغواء الإنسان؛ **لأنها** أكبر طريقة للاستهداف للإنسان، وإلحاق أكبر الضرر به، ويستخدم الوسوسة في السعي لذلك. ٩

طريقة شياطين الجن، وعلى رأسهم كبيرهم إبليس لعنه الله هي: استخدام الوسوسة في السعي للتأثير على الإنسان، كما في قصة آدم وحواء عليهما السلام: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾[الأعراف: ٢٠]، وفي (سورة طه): ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾[طه: ١٢٠].

ما هي الوسوسة التي يستخدمها إبليس، ويستخدمها شياطين الجن في التأثير على الإنسان؟

الوسوسة: هي طريقة خفية لإحداث الأثر، أو التأثير النفسي والذهني في الإنسان.

فمثلًا: في الحالات التي تتحرك فيها رغبات الإنسان، ويبدأ يفكر تفكيرًا خاطئًا، لتلبية رغبات نفسه، وشهوات نفسه، من خلال أعمال سيئة، أو تصرفات سيئة، تظهر مثل هذه الحالة النفسية، وما يتزامن ويترافق معها من اهتمام ذهني وتوجه ذهني، قد

تظهر للشيطان، **يعني:** يلحظ- من واقع ذلك الإنسان- أنها تحركت في نفسه مشاعر الرغبات والأهواء والشهوة النفسية، وبدأ يفكر في الموضوع، ففي حالة الوسوسة، **التي فيها** مداناة واقتراب، **وفيها** إضافة خواطر معينة تُحرِّك الإنسان أكثر، وتحفزه أكثر، لأن يتجه ذلك الاتجاه السيء، لتلبية رغبات نفسه، فهنا- في مثل تلك الحالة- يشعر الإنسان أن تلك الرغبات، التي تحركت- بدايةً- في نفسه، يشعر بأنها ازدادت كحالة توجه نحو العمل السيء، وذهنيته كذلك، تفاعلت بخواطر إضافية، وتفكير أكثر، وانشداد ذهني أكثر، نحو تلك الأعمال السيئة؛ **لتلبية** الرغبة النفسية.

٩

فالشيطان يتدخل كعامل إضافي لدى الإنسان، مستغلًا تلك التفاعلات لدى الإنسان، للرغبة النفسية في حالة الرغبة، وذلك التوجه في التفكير السلبي والتفكير السيء، الذي يسعى لإيصال المزيد من الخواطر السيئة إليه؛ **فيتفاعل** الإنسان أكثر وأكثر، وخصوصًا إذا فصل نفسه عن المؤثرات الإيجابية، التي تردُّه عن ذلك الاتجاه السيء.

في حالة الانفعالات كذلك، يظهر في الإنسان واقع الغضب، تظهر فيه حالة الانفعال والغضب، ويبدأ الإنسان- مع تلك الحالة النفسية- يفكر التفكير السيء، الذي يؤجج الحالة النفسية فيه، والانفعالية، أكثر وأكثر، **فالشيطان بمقاربته ومداناته يزيد من تفاعل تلك الحالة النفسية،** كما تقرب الحرارة من الحرارة، النار من النار؛ **لأن** الشيطان كتلة من الحالة السلبية والسيئة، تزداد الحالة السلبية في الإنسان أكثر، وتتأجج حالة الانفعال فيه أكثر، ويضيف (يوصل) المزيد من الخواطر السلبية لدى الإنسان، التي تزيد من تفاعله، وانفعاله، واتجاهه نحو عملٍ سيء، نتاجًا لتلك الحالة النفسية، وذلك التفكير السيء.

تلك هي حالة الوسوسة، والكثير من الناس يتصور وهو في مثل تلك الحالة: **إمّا** في حالة الرغبة، **وإمّا** في حالة الانفعال والغضب، **وإمّا** في حالة المخاوف، ونفسه تعتمل فيها (تتحرك فيها) **تلك الحالة:** (**من** رغبة، **أو** مخاوف، **أو** انفعالٍ وغضب)،

وذهنيته تتجه، **يتصور أنه لوحده**، لا يدرك أنه قد انضم إليه في تلك الحالة شيطانٌ من شياطين الجن، إبليس يُحَرِّك شياطينه الكُثُر، والذين على مدى الزمن أصبحوا ينشطون، وربما تتطور أنشطتهم كما تتطور الأنشطة في الواقع البشري، وأساليبهم في الاستقراء لواقع الناس، ومشاكلهم، وقضاياهم، واهتماماتهم، وتفكيرهم، ورغباتهم، وانفعالاتهم، فيعملون على أساس ذلك- مع طول الزمن، وما قد اكتسبه من خبرةٍ في ذلك- يعملون على التأثير من خلال ذلك على الإنسان.

٩

لأهمية الموضوع، ولما يتعلق به من تفاصيل كثيرة، نستكمله- إن شاء الله- في محاضراتٍ قادمة.

نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُرْضِيهِ عَنَّا، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبْرَار، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنصرنا بِنَصْرِه، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

الشيطان رمز الشر (٢)

شدة حقده وفرصه للتأثير على الإنسان

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِين، وَأَشهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنتَجَبِين، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِين.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيم، وَتُبْ عَلَيْنَا، إنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمْ.

أَيُّهَا الإِخْــوَةُ وَالأَخَوَات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَــةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـه؛؛؛

في حديثنا بالأمس، في محاضرة الأمس، عن عدونا الشيطان الرجيم، وطبيعة الصراع معه، تحدثنا عن أن الدور الذي يقوم به الشيطان، بهدف التأثير على الإنسان، هو يأتي كعاملٍ إضافيٍ إلى هوى النفس، الذي هو المؤثر الأول، في توجه الإنسان، وفي نفسية الإنسان، **ولذلك فلا صحة لتصوّر البعض:** أنه بسبب الشيطان فقط كان هناك

من البشر من يَضلّون، وينحرفون، ويُفسدون، ويكفرون، وأنه لولا الشيطان لكان كل البشر مؤمنين، وصالحين، ومتقين، وأزكياء.

في واقع الحال، حتى لو لم يكن هناك شيطانٌ من الجن، فالإنسان بطاقاته، وقدراته، وقابليته، لديه القابلية في الاتجاه في طريق الخير، أو الاتجاه في طريق الشر، ولربما كان الكثير من الناس سيتجهون في الاتجاه السيء، حتى لو لم يكن هناك شيطان من الجن، ولكان هناك من شياطين الإنس من يقوم بالدور بشكلٍ تام، بدلًا عن الشيطان (إبليس)، والشياطين من الجن.

في نفس الوقت، من المهم- بالنسبة لنا- أن نعرف أن الشيطان (إبليس الرجيم والشياطين من الجن لا يعلمون الغيب، فهم لا يعلمون عن الإنسان ما توسوس به نفسه، ولا يعلمون عنه ما هو يتعلق بمستقبله من المغيبات؛ **وإنما هم يعرفون بالمؤثرات التي تؤثر في الإنسان عادةً،** وهذا شيءٌ معروفٌ في واقع البشر بشكلٍ عام، أي إنسان يعرف- بشكلٍ عام- **ما هي المؤثرات التي تؤثر على الإنسان:**

- **من** جهة الرغبات.
- **من** جهة الشهوات.
- **من** جهة المخاوف.
- **من** جهة الغضب والانفعال.

وكذلك ما يعرفونه من ظاهر حال الإنسان، فيما يعيشه الإنسان من مشاكل وظروف، واهتمامات عملية، وواقع عملي، **يتضح من خلال ذلك أشياء كثيرة عن الإنسان: فيما يتعلق** برغباته، **فيما يتعلق** بشهواته، **فيما يتعلق** بطموحاته، **فيما يتعلق** بمخاوفه، **فيما يتعلق** بمشاكله، **فيما يتعلق** بانفعالاته، إلى غير ذلك، **ثم هم**

يتحركون بناءً على ذلك، يعني: قد يوسوسون للإنسان من جهة الرغبات المعروفة عنه، فإذا تفاعل أكثر، نشطوا معه أكثر، وسعوا إلى الوصول به إلى أن يتورط؛ **فيقع** في المعصية- والعياذ بالله، ثم في ظروف الحياة وواقع الحياة يلحظون من خلال ما يعرفونه في واقع الشخص الذي يستهدفونه- يستهدفونه للإضلال له، والإغواء له- ما هو ثغرةٌ عليه، فيركزون على ذلك، فهم يحاولون أن يتحركوا من هذه المداخل.

لهذا السبب يحقد الشيطان على الإنسان

❖ **عقدة الشيطان على الإنسان، وحقده على الإنسان شديدٌ جدًّا، وكبيرٌ جدًّا:**

ولذلك هو يتحرك باهتمام وجد، ويستغل فرصته، إذا تهيأت له فرصة على أي إنسان، يستغلها إلى أقصى حد، ومن المهم الوعي بذلك، والانتباه تجاه ذلك، فلديه اندفاع كبير، هو يعمل بجد واهتمام كبير.

الشيطان يعتبر الإنسان سببًا في خسارته الكبيرة، وخسارة الشيطان هي خسارة رهيبة جدًّا، خسارته على المستوى المعنوي لمقامه الذي كان قد وصل إليه، فمع أن أصله من الجن، إلَّا أنه كان قد ارتقى إلى صف الملائكة، واستوطن السماء، وسكن فيها، فيما يدل عليه ذلك من مقامٍ معنويٍ كبير، وأصبح في صف الملائكة يتعبد معهم، وبقي على ذلك الحال لآلاف السنين.

لكنّ أصل مشكلته من نفسه، لم تزكُ نفسه بذلك، بل استعظم نفسه، وَكَبُرت عنده نفسه، فأصبح عنده خللٌ كبيرٌ جدًّا، كُشِفَ ذلك الخلل من خلال الاختبار الذي حصل للملائكة، عندما أتت مسألة الاستخلاف للإنسان في الأرض، وأتى الأمر بالسجود لآدم، فكان ذلك الاختبار العملي كاشفًا لما انطوت عليه سريرته من الخلل الكبير، عُقدة الكبر، والاستعظام للنفس، التي أفسد بها نفسه.

فعندما عصى أمر الله- وهي تقريبًا أول معصية عُصي الله بها معصيته- **وخالف توجيهات الله** ﷻ، **لُعِن، وطُرِد، وذُمّ،** وخسر كل ذلك المقام الذي كان قد وصل إليه، إلى صف الملائكة، وطُرِد من السماء، التي كان يعني استيطانه لها تعبيرًا عن مقامه الذي وصل إليه، كان يدل على ذلك المقام العالي الذي قد وصل إليه، بحيث أمكنه أن يسكن السماء، ويستوطنها، وأن يكون في صف الملائكة، ويتعبد معهم، وطُرِد بشكلٍ مُذلٍ ومُخزٍ ومُهين، وهو يستحق ذلك؛ **بسبب** عصيانه لله ﷻ، وتكبره على الله.

١٠ **ولذلك في طرده من السماء، قال الله** ﷻ: ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣]، مع طموحه، وما وصل إليه من مقام، ثم تكبره، طُرِد كصاغر، بالصغار، حقير، فقد كل قيمته المعنوية، ومكانته المعنوية، وتحول لا قيمة له، لا وزن له، بل أصبح صاغرًا مذؤومًا مدحورًا، كما قال الله له: ﴿قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨]، **(مَذْؤُومًا):** يُذَمّ، **و(مَدْحُورًا):** مطرودًا، مطرودًا لسوئه، لشره، لعصيانه، لمخالفته، لما هو عليه من السوء، ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾[الحجر: ٣٤]، **يعني:** من السماء، ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾[الحجر: ٣٤]، تُرجَم وتُطرَد وتُدحر، ليس من الممكن له أن يعود إلى السماء، إذا حاول أن يعود إليها، يُرجم بالشهب ويُطرد، ممنوع، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾[الحجر: ٣٥]، نعوذ بالله.

الحالة التي وصل إليها: لعنه الله، يعني: طرده وأبعده من رحمته نهائيًا، وهي حالة خطيرة جدًّا، **معناها:** خسر كل شيء، خسر إيمانه، وخسر علاقته بالله ﷻ، سُلِب التوفيق، ابتعد عن الرحمة الإلهية في كل مظاهرها، في كل ما يتعلق بها في التدبير الإلهي لشؤون الخلق، تدبير الله لشؤونه- وهو من خلق الله، وفي إطار سلطان الله- بعيدًا عن الرحمة، في إطار الغضب عليه، واللعن له، فلا يحظى بأي رحمةٍ من الله أبدًا، في أي تدبيرٍ، في أي شأنٍ من شؤونه، وأصبح بعيدًا عن الخير، بعيدًا عن الرحمة،

بعيدًا عن الفلاح، أصبح مصيره إلى الهلاك، إلى العذاب، إلى الخزي، خزي منذ بداية انحرافه، وهي عبرة كبيرة في واقعه، فأُخرِجَ مذمومًا، مدحورًا، ملعونًا، وأصبح رمزًا للشر، رمزًا للكفر، رمزًا للفجور، رمزًا للعصيان، وأصبح رجسًا خبيثًا، خَبُثَت نفسه، وضل، أصبح ضالًا، وعلى رأس المضلين- والعياذ بالله.

ولذلك فهو اتجه بحقدٍ شديد على الإنسان، على آدم وذريته بكلهم، **وبكل** أجيالهم، **إلى** آخر إنسان، ومع ذلك أيضًا خَبُثَت نفسه، هو خَبُث وفسد، فسدت نفسه تمامًا، وضل، وتغيّر حاله تمامًا، من المقام الذي كان فيه، في إطار العبادة، بين أوساط الملائكة، في السماء، فسدت نفسه بشكلٍ تام، وَخَبُثَت نفسه نهائيًا، وأصبح الشر فيه متمكنًا منه بشكلٍ تام، أصبح كائنًا شريرًا، خبيثًا، فاسدًا، سيئًا، لم يعد فيه شيءٌ من الخير، ولا شيءٌ من الصلاح، ولو بنسبة ضئيلة، أصبح كل توجهه ومنطلقه من خلال ما هو عليه من السوء، والفساد، والضلال، والشر، فهو يتجه في كل مؤامراته، في كل أعماله، في كل تصرفاته، يتجه من خلال ما هو عليه من سوء، وكفر، ورجس، وخُبث، ودناءة، وحقد، وكفر، والعياذ بالله، تغيُّر شامل في واقعه، فهو يحرص على أن يوقع بالناس **في** الفساد، **في** الكفر، **في** الضلال، يحرص على أن يصدهم عن صراط الله المستقيم، أن يثبطهم عن الاستجابة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أصبح متباينًا مع الخير، مع الصلاح، مع الفلاح، مع طريق الخير، مع الزكاء، مع القيم الفاضلة، مع الإيمان، أصبح متباينًا بشكلٍ تام مع كل ذلك، ولربما أيضًا عنصره الناري- وهو خلِق من النار؛ **لأن** الجن هم كائنات مخلوقةٌ من نار السموم، من الحرارة- ولربما عنصره الناري مساعدٌ على استعار حقده إذا حقد، **يعني:** تكون حالة الحقد عنده أكثر، ولكن لن يكون ذلك هو العامل الأساس؛ **إنما** إذا زاغ، مثلما هو حال الإنسان، إذا زاغ وفسد، كانت طاقته تتجه به في حالة الانحراف، كطاقة معينة تتجه به في حالة الانحراف؛ بسبب فساده أصلًا؛ **إنما** هي عامل وظفها في اتجاهه السيء.

الشيطان يعلنها حربًا لا هوادة فيها على الإنسان

بكل ما هو فيه من حقد، وبكل ما تحول إليه من خُبث، وفساد، وكفر، وشر، وحقد، أعلن حربه على آدم وذريته، على الإنسان، على البشر، ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾[الإسراء: ٦٢]، وهو يقصد آدم، يُخاطب الله بهذا الكلام، ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾؛ **لأنه** اعتبر تكريم الله لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وكأنه تكريمٌ عليه، وحَطٌّ لمكانته، وهذه حالة تكبُّر بالنسبة له، الملائكة بكلهم سجدوا لآدم، ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾، وهو تكبر وطغى، ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء: ٦٢]، **يعني**: لأُسَيْطِرَنَّ عليهم ولأقودنهم وأتجه بهم نحو الهلاك، حالة حقد شديد جدًّا أعلن بها الحرب على المجتمع البشري بكله، وطلب المهلة؛ **من أجل** أن يوظف كل ذلك العمر الطويل- الذي طلبه- في حربه على المجتمع البشري، الله كشف له عن أنه من المنظرين، وهو اتجه على أساس أن يوظف كل ذلك العمر الطويل في الانتقام من البشر؛ **بدافع** عقدة الحقد والكبر، بعد أن وصل من المقام المعنوي الكبير، إلى الحضيض. ١٠

ولا مجال للمصالحة معه، في حقده وحربه على المجتمع البشري، لا يمكن عقد اتفاقات هدنة معه، [أن توقف عنَّا، واتركنا، وهدنة لمرحلة معينة، أو صلح]، لا مجال لذلك، هو في حرب مستمرة ضد الإنسان، **لكن الذي يمكن: هو المنعة من تأثيره، التحصّن من اختراقه، الحماية من تأثيره السيء**، هذا هو الذي ممكن إلى حدٍ كبير، وسيأتي الحديث عن هذه النقطة، **فلا مجال إلَّا للمباينة معه، أو أن يتحول الإنسان إلى خاضعٍ لتأثيره**، ومستجيب له والعياذ بالله.

طبيعة حربه على الإنسان تحددت من أول يوم، من يوم إعلانه لحربه على الإنسان، ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الأعراف: ١٦]، **يعني:**

سأعمل على صدهم عن صراطك، عن **الطريق** الذي رسمته لهم، وفيه خيرهم، وفلاحهم، ونجاتهم، وفوزهم، **الطريق** الذي يصل بهم إلى الجنة، إلى رضوانك، **الطريق** الذي إذا ساروا فيه، تتحقق لهم الكرامة، والعزة، والسمو الإنساني، **الطريق** الذي تبقى لهم فيه كرامتهم الإنسانية، ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، سأسعى لصدِّهم **عنه**، لتثبيطهم **عنه**، لتخذيلهم **عنه**، لصرفهم **عنه**، ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[الأعراف: ١٧].

١٠

❖ **الشيطان يتحرك في إطار هدفين في مواجهته للإنسان:**

- **الهدف الأول:** سلب الإنسان من كرامته الإنسانية، من قيمته الإنسانية، وتجريده مما حظي به من التكريم الإلهي، وتحويله إلى إنسان مذموم، ملعون، سيء، فاسد، وخاسر، كحاله هو، مثلما حصل للشيطان نفسه.
- **والهدف الثاني:** هو الاتجاه به ليخسر ويشقى، وليُلحق به أقصى الضرر، وأشد الضرر، ليصل به إلى نار جهنم؛ **فيتعذب** معه في نار جهنم.

هو يحمل هذا الحقد على الإنسان؛ ولذلك حتى حزبه، يتجه بهم، وهم الذين استجابوا له، وهم الذين وصلوا إلى الانقياد له، لا يرعى لهم ذلك الجميل؛ **وإنما** يسعى للوصول بهم إلى أن يحترقوا معه، ويتعذبوا معه أشد العذاب في نار جهنم، ثم سيسخر منهم، ويهزأ بهم، ويتبرأ منهم، ويشمت بهم، فهذا هو اتجاهه في تعامله مع الإنسان.

وهو يعتمد على أسلوب الإضلال، كما قال: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾[النساء: ١١٩]، الإضلال والإغواء، **كذلك يستخدم أسلوب الإغواء للإنسان**، أسلوب المخادعة للإنسان، والتزيين، والغرور، والأماني، يزين للإنسان الأشياء القبيحة، فيحاول أن يقنع الإنسان بأنها أشياء جيدة ورائعة وجذابة، يحاول أن يقدم له فهمًا خاطئًا عن الأمور؛ **حتى** يرى الحق

باطلًا، والباطل حقًا، وينجذب للأشياء السيئة، من واقع نظرة خاطئة تجاهها، حالة الإغواء مثلما قال في قسمه، أقسم بعزة الله، هو يدرك أن ذلك قسمٌ مهم، ولذلك ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[ص: ٨٢]، لم يستثنِ إلا مَن؟ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[ص: ٨٣]، قال: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٣٩]، قال أيضًا: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾[النساء: ١١٩]، فهو يستخدم أسلوب الإضلال للإنسان، وتصوير الأمور تصويرًا خاطئًا للإنسان؛ **لجذبه إلى ما فيه** ضلال، **إلى ما فيه** فساد، **إلى ما فيه** غواية، **إلى ما فيه** شر، ويستخدم أسلوب الإغواء والتزيين.

١٠

الثغرات التي ينفذ منها الشيطان للتأثير على الإنسان

❖ **هو يأتي للإنسان من كل الثغرات، التي يجد من خلالها فرصةً للتأثير عليه:**

قوله: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧]، **هذا يعني:** أنه سيبحث عن أي ثغرة، وعن أي نقطة ضعف تؤثر على الإنسان، بحسب اختلاف الناس، فيما يؤثر عليهم، تختلف حالة البشر فيما هو مؤثرٌ على نفسياتهم، **بحسب** ميولهم، **بحسب** رغباتهم، **بحسب** ظروف حياتهم، **بحسب** واقعهم، **بحسب** طموحاتهم وأهدافهم، **بحسب** توجهاتهم، فهو يبحث في واقع الإنسان عن ما هي نقطة الضعف، **والثغرة التي ينفذ من خلالها للتأثير عليه:**

الرغبات والشهوات

- **إمّا من خـلال الرغبـــات:**

الرغبات والشهوات، عنوانٌ واسع ومؤثرٌ في حياة الإنسان، على المستوى المعنوي، وعلى المستوى المادي، وعلى مستوى مختلف الرغبات لدى الإنسان:

- **البعض مثلًا رغباتهم المعنوية: يحب** الشهرة، **يحب** الجاه، **يحب** المنصب، **يحب** المكانة العالية، أو **يحب** السلطة؛ **فهو** سيسعى إلى التأثير عليه من خلال هذه النقطة، يرى فيها نقطة ضعف، ويرى فيها فرصةً للتأثير عليه، وكم هم الناس في هذه الحياة، **الذين** ضلوا، **أو** ظلموا، **أو** فسدوا، **أو** انصرفوا عن نهج الله وعن طريق الحق، **بسبب هذه الرغبة:**
  - الرغبة في السلطة.
  - أو الرغبة في المنصب.
  - أو الرغبة في الجاه والمكانة!

كم هي أنواع المعاصي التي تدخل تحت هذه الرغبة، وتأتي تحت هذه الرغبة؟

- الرياء.
- الظلم.
- التعدي.
- الفساد.

أشياء كثيرة جدًّا- من التفاصيل، التي هي تفاصيل- تدخل في التصرفات والممارسات؛ **بهدف** تحقيق هذا الهدف لدى الكثير من الناس.

- **الأطماع، والأهواء، والرغبات المادية:** كم يدخل تحتها من التصرفات والممارسات، التي هي سيئة، **تُعتبر من المعاصي: من** ظلم، **من** طمع، **من** سرقة، **من** نهب، **من** تعدٍّ، **من** وسائل وأساليب كثيرة جدًّا، **من** معاملات في الحرام، **من** ربا، **من** كسبٍ للحرام، **من** نهبٍ للإرث، تصرفات كثيرة، وتفاصيل كثيرة تأتي تحت الرغبات والشهوات المادية.

▪ **الرغبة الجنسية:** كم يستغلها الشيطان على الكثير من الناس، في الدفع بهم نحو الحرام، والممارسات الحرام، وإبعادهم عن الحلال.

وهكذا جانب الرغبات والشهوات (المادية والمعنوية) كم يشتغل عليها، وينفذ من خلالها، إذا وجد لدى الإنسان اتجاهًا نحوها، واتِّباعًا لهوى نفسه فيها، فيتحرك من خلال ذلك.

المخاوف.. وهدفه من ذلك

• **المخـــــاوف أيضًا:**

الشيطان يركز على المخاوف لدى الإنسان:

- **الخوف** من الموت.

- **الخوف** من الفقر.

- **الخوف في الاتجاهات المعنوية:** من فقدان المنصب، الخوف على المقام (مقام معنوي، أو منصب معين).

أنواع المخاوف التي تؤثر على نفسية الكثير من الناس، يحاول أن ينفذ من خلالها، وكم تحصل أيضًا من الممارسات، وكم يصرف الإنسان عنه من أعمال مهمة وأعمال عظيمة، **هي** طاعةٌ لله، **هي** استجابةٌ لأمره، **هي** خيرٌ للإنسان، فلاحٌ للإنسان، عزةٌ للإنسان، كرامةٌ للإنسان.

ولهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾[البقرة: ٢٦٨]، **هذه حالة تخويف، حالة تخويف:**

- **يصد** الإنسان من خلاله **عن** الإنفاق، **عن** العطاء.

- **يدفع** بالإنسان **نحو** اكتساب الحرام، **نحو** الخيانة، **نحو** السرقة، **نحو** النهب، **نحو** الفساد، **نحو** أشياء كثيرة تحصل، ﴿وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾[البقرة: ٢٦٨].

يقول أيضًا: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[آل عمران: ١٧٥]، **التخويف الذي يسعى من خلاله:**

- **إلى** إركاع الناس للطاغوت، للظالمين، للمجرمين، للأعداء.
- **إلى صد الناس عن القيام بمسؤولياتهم المهمة: من** الجهاد في سبيل الله، **من** التحرك في سبيل الله، **من** إقامة القسط، **من** الأمر بالمعروف، **من** النهي عن المنكر، المسؤوليات التي بها عزتهم، وقوتهم، ومنعتهم، وحمايتهم، والدفاع عنهم من شر الأشرار. يستخدم حالة التخويف.

١٠

في **قصة آدم** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **حاول أن يستخدم في أسلوب الإغواء لآدم: حالة الترغيب، وحالة المخاوف**؛ ولهذا عندما حاول أن يزين له أكل الشجرة، التي نهاه الله عن أكلها: ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾[طه: ١٢٠]، هو يعرف أن الإنسان بغريزته **يحب** البقاء، **يحب** الحياة، **يحب** الخلود في الحياة، **وينفر** من الموت، **وينفر** من الفناء، فأتى ليشتغل على هذه الرغبة؛ **مع أنه** لا يحقق للإنسان رغباته بشكلٍ صحيح، الرغبات الحقيقية، هو يضيّع الإنسان، يضله، يغويه، الشجرة ليست شجرة خلد، وليس هناك شجرة إذا أكلها الإنسان يحيا ولا يموت، ولا يفنى، ليس هناك شيء (نبات) على وجه الأرض له هذه الخاصية، أو في أي مكان، ﴿وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾، **يعني:** ملك يتجدد، ملك للأبد، وليست حياةً نكدة، بل مع مُلْك، في المقام المعنوي، والإمكانات المادية، التي تكون مع المُلك، ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[الأعراف: ٢٠]، فحاول أن يشتغل على قصة الرغبات، وعلى قصة المخاوف؛ **بهدف** التأثير.

حالة الغضب والانفعال

- **من المؤثرات، التي ينفذ من خلالها في التأثير على الكثير من الناس: هي حالة الغضب والانفعال:**

مثلما حالة الشهوات والرغبات، وحالة المخاوف، حالة الغضب والانفعال.

البعض من الناس- والبعض انفعالي أكثر- هو يغضب بشدة، غضبًا وانفعالًا شديدًا، فالشيطان يَنْزَغُ، يَنْزَغُ بين البشر في حالة الغضب والانفعال. **(يَنْزَغُ):** يستهدف الإنسان بالنزغ، **يعني:** بمحاولة إثارة الشر فيه، والتهييج لحالة الانفعال، إلى درجة تدفع بالإنسان إلى اتخاذ موقفٍ خاطئ.

١٠

ولهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأعراف: ٢٠٠]، **يجب أن يكون لدى الإنسان فهم مسبق، وقناعة مسبقة، بأن الشيطان يحاول أن يستغل حالة الغضب والانفعال لديه، هذه أول نقطة؛ لأن** البعض من الناس لا يتفهم حتى هذه النقطة، لا يتفهم، يبرر لنفسه حالة الانفلات عنده أثناء الغضب والانفعال، **ولا يريد أن يتفهم هذه النقطة:** أن الشيطان يستغلها، ويؤجج حالة الغضب والانفعال في الإنسان، ويهيجها، ويسعى لاستعارها؛ **حتى** تصل بالإنسان إلى الخروج عن حالة الانضباط والالتزام والتقوى، وتدفعه **لتبني** مواقف خاطئة، **أو** تصرفات خاطئة، **أو قرارات خاطئة:**

- **إمَّا فيما يقدم عليه من أفعال وتصرفات فيها:** ظلم، أو سوء، أو تعدٍّ، ويتحمل بسببها الإثم.
- **أو فيما** يتركه **من** الأعمال الصالحة، **من** الأعمال العظيمة، **من** الأعمال المقربة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ليعصي أمر الله، أو يخالف فيما نهى الله، في أحد الأمرين: إمَّا يدفعه غضبه إلى مخالفة أوامر الله، **أو** التجاوز تجاه ما نهى الله عنه.

فالله ﷻ يحذر من هذه الحالة: حالة النزغ الشيطاني، في حالة الغضب، في حالة الانفعال، ويوجه إلى الاستعاذة بالله: ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، التجئ إلى الله، ليُعيذك ويُجيرك من تأثير الشيطان عليك في تلك الحالة، وحاول أن تخرج من حالة تأجج الانفعال والغضب الذي يؤثر عليك.

يقول الله ﷻ أيضًا عن هذه الحالة: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾[الإسراء: ٥٣]، **يعني:** أن الشيطان يركز على هذه المسألة؛ **ولذلك** يحاول أن يستغل ما يقوله الناس، من الكلام الجارح، أو الكلام المستفز؛ **ليُثير** الشر فيما بينهم، ليؤجج حالة الغضب والانفعال فيما بينهم، ويدفع بهم- بالتالي- **إلى المواقف السيئة:**

١٠

- **يُثير** بينهم العداوة، والبغضاء، والكراهية.
- **يعقّدهم** على بعضهم البعض.
- **يزرع** في قلوبهم الكُره الشديد لبعضهم البعض.
- **يصل** بهم- في كثير من الحالات- إلى الشر فيما بينهم.

كم هي الحوادث التي تحدث نتيجةً لحالة الغضب والانفعال: من القتل، من الجرح، من الكلام المسيء الذي فيه إثمٌ كبير، من المعاملة السيئة، من الظلم، من التعدي؛ **نتيجةً** لحالة الغضب والانفعال؟ **هي مما ينتج عنها جرائم يومية في واقع البشر:**

- **جرائم** قتل بشكلٍ يومي.
- **جرائم** اعتداء- لو لم يصل إلى درجة القتل- بشكلٍ يومي.
- **جرائم** أيضًا في الإساءات في الكلام، إلى درجة يتحمل الإنسان فيها الوزر والإثم والذنب بينه وبين الله.

كم يحصل للكثير من الناس بشكلٍ يومي، في العداء، والأحقاد، والبغضاء، والكراهية، التي لا مبرر لها، لا داعي لها، فيما لا يستحق من الإنسان- أصلًا- أن يفعل ذلك الشيء، أو أن يصل به الحال مع ذلك الشخص، أو ذلك الشخص، أو الآخرين، إلى أن يكون بينه وبينهم عداء، وكراهية، وبغض، وشدة؛ **نتيجةً** لذلك.

ولذلك يقول الله: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[الإسراء:٥٣]، لأن الالتزام في الكلام، بالقول بالتي هي أحسن، (العبارة التي هي أحسن)، وتجنُّب العبارات السيئة، والجارحة، والمستفزة، والمهينة، التي يستغلها الشيطان لإثارة الشر، وتأجيج حالة الانفعال والغضب، هذا مهمٌ جدًّا في تفادي الكثير من الإشكالات، ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾[الإسراء:٥٣]، فهو يستغل هذه المسألة استغلالًا كبيرًا.

١٠

كيف نواجه حالة الغضب والانفعال؟

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾[فصلت:٣٤]:

- **سواءً** في الكلام.
- **سواءً** في المعاملة.
- **سواءً** في طريقة الإنسان في تعاطيه مع الأمور.

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[فصلت:٣٤]؛ **لأن** الإنسان إذا قابل السيئة بالسيئة، فتح أبواب الشر بكلها، وتأججت المشكلة بشكل أكبر، وكثيرٌ من الأمور لا تستحق ذلك، لا تستحق ذلك، **لا** تستحق من الإنسان أن يفتح فيها بابًا للخصومة، **ولا** بابًا للنزاع، **ولا** بابًا للشجار، **ولا** بابًا للعداء، **ولا** بابًا للكراهية، يشغل نفسه، ويشغل ذهنه، ويشغل قلبه، يشغل تفكيره، يبني على ذلك تصرفات خاطئة نتيجةً لذلك، فالدفع بالحسنة هي الطريقة الصحيحة.

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾، إذا كان لا يزال إنسانًا بمشاعره الإنسانية، سليم الفطرة، فالدفع بالتي هي أحسن سيؤثر فيه، سيؤثر فيه أثرًا بالغًا، إذا كان صاحب ضمير، له ضمير، له إحساس إنساني، يحتفظ بمشاعره الإنسانية، إذا كان كريم النفس، ليس لئيمًا، فهو يؤثر فيه الدفع بالتي هي أحسن تأثيرًا عميقًا، ولهذا قال: ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾[فصلت: ٣٥]؛ **لأن هذا يحتاج إلى صبر وتحمُّل**، مقابلة ودفع السيئة بالحسنة يحتاج إلى صبر وإلى تحمُّل، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[فصلت: ٣٥]؛ **لأن هذا مقام رفيع عند الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والأجر عليه عظيم، ونتائجه في الواقع نتائج كبيرة.

١٠

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾[فصلت: ٣٦]، في نفس سياق الآيات، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[فصلت: ٣٦]؛ **لأن الذي يؤثر على الإنسان، وقد يُبعده- أصلًا- عن دفع السيئة بالتي هي أحسن: هو النزغ من الشيطان**، يؤجج فيه حالة الغضب والانفعال؛ **حتى** تستعر نار الحقد فيه، فتؤثر عليه، **يدخل في ذلك:**

- **الأوهام.**
- **سوء الظن.**
- **الحسابات الخاطئة.**
- **الاستفزاز.**

يبقى الإنسان يفكر، ويحسب المسألة بحسابات أكبر وأكبر وأكبر، حتى تستعر فيه نيران الحقد، وتتأجج إلى حدٍ كبير، ينسى كل شيء، يبقى منشغل الذهن والنفس والتفكير في ذلك، يتعبأ باستمرار غيظًا وحنقًا وحقدًا، ويؤثر عليه ذلك، يخرجه عن

الحد الطبيعي للإنسان، **في** رزانته، **في** تفهُّمه، **في** التعامل بشكلٍ متوازن مع الأمور، **في** النظرة الصحيحة للأمور، تتغير حتى نظرته للأمور، ينظر إليها **بمستوى** حنقه، **بمستوى** غضبه، **بمستوى** انفعاله، يتعامل معها بناءً على ذلك، يؤثر ذلك **على** كرامته الإنسانية، **على** مستوى توازنه، ونضجه، ورشده، وفهمه، **على** أشياء كثيرة.

فحالة الغضب والانفعال، وحالة الرغبات والشهوات، وحالة المخاوف، هي من الحالات التي يحاول الشيطان أن يشتغل من خلالها، وأن ينفذ من خلالها؛ **ليصد** الناس عن الصراط المستقيم، ليبعدهم عن طريق الله، عن الأعمال التي **فيها** الخير لهم، **فيها** الفلاح لهم، **فيها** كرامتهم، **فيها** عزتهم، **فيها** الرفع من منزلتهم وقدرهم عند الله وفي واقع الدنيا، في واقع هذه الحياة، ويريد أن يجرِّدهم من كرامتهم الإنسانية، وأن يسعى بهم إلى هلاكهم، **من خلال** أنفسهم، **من خلال** أعمالهم، **من خلال** تصرفاتهم؛ **ليُلحق بهم أكبر وأقصى الضرر**: وهو الخزي في الدنيا، والعذاب في الآخرة، والوصول إلى نار جهنم، والاحتراق معه والتعذّب معه في نار جهنم.

نكتفي بهذا المقدار، ونكمل الحديث عن الموضوع- إن شاء الله- في المحاضرة القادمة.

أَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَامَ، وَالقِيَامَ، وَصَالِحَ الأَعْمَالَ، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبْرَارَ، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنصُرَنَا بِنَصْرِهِ، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

١٠

الشيطان رمز الشر (٣)

أخطر أساليبه ومدى توسع نشاطه

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِينَ، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

أَيُّهَا الإِخْـــوَةُ وَالأَخَوَاتُ:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

في سياق الحديث عن حرب الشيطان على الإنسان، وعن استهدافه للإنسان، تحدثنا كيف أن الشيطان ينطلق في ذلك من واقع حقدٍ شديد، وعداءٍ شديد، ومن واقع الخسارة الرهيبة التي تكبدها، وهو السبب في خسارة نفسه، ولكنه اتجه بكل حقده وعدائه نحو الإنسان، نحو البشر، نحو آدم وذريته إلى قيام يوم الدين.

خسارة الشيطان رهيبة، فهو خسر مكانته ومقامه، كان من الجن، وارتقى إلى صف الملائكة، واستوطن السماء، وعبد الله بين صفوف الملائكة، بما يدل عليه ذلك من مقام رفيع ارتقى إليه، وبقي للعبادة بين أوساط الملائكة لآلاف السنين، **لكن مشكلته:** أنه اغتر، وأُعجِب بنفسه، وعَظُمَت عنده نفسُه، لم تتزكَ نفسه بعد وصوله إلى ذلك المقام الرفيع، انحرف في واقعه النفسي، نحو العجب بالنفس، والغرور، وحالة الكبر في داخله؛ **ولذلك** عندما أتى الاختبار كشف واقعه النفسي، الاختبار بالأمر بالسجود لآدم، والاستخلاف لآدم وذريته في الأرض.

فهو عندما خسر ذلك المقام الرفيع، الذي كان يحظى فيه باحترام حتى الملائكة، وطُرِد من السماء مذءومًا مدحورًا ملعونًا، ولعنه الله، وغضب عليه، وطرده من سماواته، وطرده من رحمته، وخَبُثَت نفسه بعد ذلك أكثر وأكثر، حتى تحوّل إلى عنصرٍ وكائنٍ خبيثٍ، ضالٍ، فاسقٍ، مفسد، خَبُث إلى أسوأ مستوى- والعياذ بالله.

ثم أيضًا مع ذلك، مع خسارته لإيمانه، لمقامه الرفيع بين أوساط الملائكة، مكانه المحترم في السماوات، أصبحت خسارته رهيبةً جدًّا فيما يتعلق بالآخرة، أصبح مصيره المحتوم هو نار جهنم والعياذ بالله، يُعذَّب فيها للأبد، وأصبح هو رمز الشر والكفر والإجرام، الذي يتولاه المجرمون، والفاسقون، والكافرون، وكل فئات جهنم- والعياذ بالله- من المجتمع البشري.

فهو اتجه بكل ذلك الحقد ومن واقع الشعور بالخسارة الرهيبة، الذي خسر فيها مقامه، ودينه (إيمانه)، تحوّل من عابدٍ من العُبَّاد، من كبار العُبَّاد، إلى فاسقٍ، مجرمٍ، خبيثٍ، سيءٍ، ضالٍ، كافرٍ، فاسد، والعياذ بالله، تحوّل بكل حقده لاستهداف الإنسان.

لا سلطة للشيطان إلا على ضعاف الإيمان

ولكن الله ﷻ **لم يجعل له سلطانًا على الإنسان،** ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ﴾[الحجر: ٤٢]، تكون المشكلة عند الإنسان هو، **أمّا** في البداية فليس للشيطان أي سلطان عليه.

﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[النحل: ١٠٠]، إذا كان الإنسان هو اتجه الاتجاه السيء، وفسدت نفسه، وفتح الثغرات على نفسه للتأثير الشيطاني؛ **فحينها** يبدأ تأثير الشيطان عليه، وكلما فسد الإنسان، وانجر أكثر وأكثر وراء أهواء نفسه، وانزلق به الشيطان أكثر فأكثر؛ **كلما** قويت سيطرته وتأثيره على الإنسان- والعياذ بالله- **أمّا الله** ﷻ **فلم يجعل للشيطان سلطانًا على الإنسان،** بل وفضح أساليبه لكل المجتمع البشري، بدءًا من آدم عليه السلام، وحواء عليها السلام، ثم ذريتهما جيلًا بعد جيل، **وكذلك جعل الله كيد الشيطان ضعيفًا،** هو في أصله ضعيف؛ **إنما** يقوى تأثيرُه على الذين ينحرفون؛ **لأنها** ضَعُفَت لديهم كل عوامل المنعة الفطرية والإيمانية، **وإذا ضَعُف إيمان الإنسان، قوي عليه تأثير الشيطان والعياذ بالله.**

الإنسان- بنفسه- كان بالإمكان له أن ينحرف وراء أهواء نفسه، حتى لو لم يكن هناك شيطانٌ من الجن، لكنّ وجود شيطان من الجن، هو عدوٌ للإنسان على رأس طريق الشر والزيغ والفساد، وقد أخبر الله عنه أنه عدوٌ للإنسان، يمثل حافزًا للإنسان- إذا كان واعيًا، إذا كان موقنًا، إذا كان فاهمًا، إذا أخذ بأسباب التوفيق والهداية- أن يتجنب تلك الطريق، **الطريق السيئة:** طريق الانحراف، الفساد، المعصية، الضلال، طالما على رأسها عنصرٌ خبيثٌ سيءٌ جدًّا، هو رمز الشر والفساد، والخبث، والإجرام، والفسق، والفجور، هو الخبيث الرجس، هو عدوه (الشيطان الرجيم)، **لكن الإنسان بحاجة إلى:**

- **أن** يستوعب هذه العداوة من جانب الشيطان.

- **وأن** يتخذه أيضًا عدوًا له، أن يكون معاديًا للشيطان.

- **وأن** يُحيي هذا العداء في نفسه، وهذه المشاعر العدائية نحو الشيطان في نفسه.

ليكون ذلك عاملًا من العوامل المهمة التي تَحُدّ من تأثير الشيطان عليه، بل وتدفع الإنسان إلى الاستقامة، في طريق الحق، والخير، والفلاح، والفوز، والسمو، والكرامة الإنسانية، بعيدًا عن ذلك الطريق الذي ينحرف به ويُخضعه للشيطان الرجيم والعياذ بالله.

أسلوب الخطوات.. الأسلوب الأخطر المعتمد للشيطان

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فضح أساليب الشيطان، وأنه يعتمد أسلوب الإغواء، والخداع، والتغرير بالإنسان، ويحاول أن يضل الإنسان، وأن يزين له القبائح، مع أنها قبائح لا تنسجم مع فطرته، ومع ذلك يعتمد **أسلوب الخطوات**؛ **وهو من** أخطر الأساليب التي يعتمد عليها في الاستدراج للإنسان، والانزلاقة به في طريق الفساد، أو الضلال، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾[النور: ٢١]، تحذيرٌ مهمٌ جدًّا، كفيلٌ- إذا أخذنا به- بحمايتنا بشكلٍ تامٍ من تأثير الشيطان على أنفسنا، من توريطنا، من الانزلاقة بنا، في كبائر المعاصي، في كبائر الموبقات، التي تسبب سخط الله، وتسبب خسارة الإنسان.

الشيطان هو يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، يعني: من كل الاتجاهات، من كل الجوانب التي يبحث فيها عن نقطة ضعفٍ في الإنسان، أو ثغرة، يؤثر من خلالها على الإنسان، فهو يدرك أن بعض الموبقات،

بعض المواقف، بعض المعاصي، البعض من التصرفات، لو يوسوس لك بها، ويخطر لك بها في البداية، لاستفزك بذلك، ولما قبلتها أصلًا، لا زالت فطرتك السليمة، واقعك الإيماني، وازع الضمير والإيمان، لا زال حيًا، في نفسك، في مشاعرك، في وجدانك، بمجرد أن تخطر تلك المعصية، أو ذلك الموقف السيء، أو تلك الخطوة الخطيرة جدًّا على بالك، فإنك على الفور تستنكرها في نفسك، وتشمئز منها في ضميرك، وتنفر منها بشكلٍ تام، **لذلك كيف يعمل الشيطان؟** يحاول أن يستدرجك نحوها خطوةً فخطوة، بالتدريج، وأن يهيئك نفسيًا؛ **حتى** تصل إلى مرحلة معينة، ينزلق بك في ذلك الجرم، أو الموقف، أو التصرف، بشكلٍ مباغت، وقد أصبحت نفسيتك مهيأة والعياذ بالله. ١١

مثلًا: البعض من الناس، لو يطرح الشيطان عليه جريمة الزنا، أو جريمة الفساد الأخلاقي من اللحظة الأولى، لاستفزه ذلك غاية الاستفزاز، فطرته، إيمانه، وعفته، شرفه، كرامته، غيرته، حميته، ضميره الحي، يأبى له ذلك أشد الإباء، أشد الإباء، ويستفزه ذلك غاية الاستفزاز، هو يمقت مثل ذلك الفعل الشنيع، الدنيء، الفظيع، القبيح، الإجرامي، الذي هو معصية عظيمة من المعاصي لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الذي يجلب الإنسان به سخط الله على نفسه، الذي يُحبط أعماله الصالحة، الذي يؤثر على نفسيته تأثيرًا شنيعًا فظيعًا، **لكن** الشيطان يبدأ بجرِّه للإيقاع به في ذلك خطوةً فخطوة، يبدأ بخطواتٍ تدنس نفسية الإنسان، تضعف فيه هذه الحالة الإيمانية، تميت ضميره ومشاعره الحية الإيمانية، تضرب عفته تدريجياً شيئًا فشيئًا، تعزز وتؤجج حالة المشاعر والميول الفاسدة نحو الفساد، من خلال المشاهد الخليعة، في القنوات الفضائية، في مواقع التواصل الاجتماعي، من خلال المراسلات الخليعة، المغازلات الفاسدة، وهكذا، خطوةً، فخطوةً، فخطوة؛ **حتى** يضرب في نفسك كل

تلك الحواجز، من المعاني الإيمانية والفطرية العظيمة والمهمة، ثم يسعى للإيقاع بك في نهاية المطاف والعياذ بالله، وتكون قد تورطت ورطةً عظيمةً جدًّا، شنيعةً للغاية والعياذ بالله.

في المواقف الأخرى، في الاتجاهات الأخرى: في الأطماع المادية: يبرر لك، يزين لك، يأتي لك بآمال، بتسويفات، بتبريرات متنوعة؛ **حتى يُضعِف** إيمانك شيئًا فشيئًا، ويبدأ معك بالتدريج، شيء بسيط تتهاون به، تراه أنت بسيطًا، يبسطه لك.

في مسألة الأعمال المهمة، والتخاذل عنها: يحاول أن يصدك عنها ولو بالتدريج، أن يستغل أي عوامل تؤثر عليك سلبًا، وتصدك عنها؛ **لأنه** قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[الأعراف:١٦]، كيف يصدك عن العبادات المهمة، عن المسؤوليات العظيمة المقدسة؟ **يبحث عمَّا هي المؤثرات التي تؤثر عليك:** من المخاوف، من الغضب والانفعال، من الأمور النفسية، أي عامل يمكن أن يكون مؤثرًا عليك، في سبيل صدك عن ذلك يشتغل عليه باستمرار، وهكذا. ١١

والإنسان إذا سار وراء أول خطوة، يتشجع الشيطان، ويطمع فيه أكثر، ويحاول أن ينزلق به نحو الخطوة الثانية، فإذا انزلق نحو الخطوة الثانية، تشجع عليه أكثر، وقوي تأثيره عليه أكثر، ويحاول أن ينزلق به نحو الخطوة الثالثة، وهكذا، ولذلك يقول الله: ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، **من الخطوة الأولى، اغِلق المجال عليه**، لا تخطو وراءه ولا خطوة؛ **لأنك** عندما تخطو وراءه الخطوة الأولى، هو يقوى في تأثيره عليك، وأنت تضعُف، بمقدار كل خطوة تخطوها أنت تضعُف

شيئًا فشيئًا في إيمانك، وهو يبعدك عن كل عوامل المنعة الإيمانية والفطرية، التي وهبك الله إياها، يضعف ضميرك الحي، الذي- في البداية- يوبخك، وازعك الفطري الإيماني، الذي تشعر من خلاله بالندم العميق عند الزلل، يحاول أن يؤثر عليه شيئًا فشيئًا والعياذ بالله.

﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء﴾، من أولويات الشيطان التي يسعى للإيقاع بالناس فيها: **هي الفحشاء**، وفي واقع الأمر فإنها من أكثر المعاصي في العالم انتشارًا (الفحشاء)؛ **لأنه** يركز عليها بالدرجة الأولى، ويدفع كل أعوانه، والموالين له، والخاضعين له، للعمل في هذا الاتجاه، في العالم الآن، في مختلف البلدان، بدءًا من العالم الغربي، الذي أصبح منطلَقًا لنشر الفحشاء في بقية العالم، هي أولوية مهمة بالنسبة للشيطان، يسعى لنشرها، وهم يعملون على ذلك بشكلٍ كبير، ﴿وَالْمُنكَرِ﴾، بقية المنكرات والمعاصي.

الشيطان هو يسعى في اتجاهين:

- **اتجاه** الدفع بك نحو التجاوز لحدود الله، في فعل المحرمات، والانتهاك للحُرُمات.
- **والتنصُّل**، والتخلي، والتفريط، في المسؤوليات والالتزامات والأعمال المهمة الإيمانية.

فتُخِلُّ بأوامر الله التي أمرك بها، وهذه معصية، وتتجاوز تجاه ما نهى الله عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وذلك معصية، فهو يشتغل في الاتجاهين بالتأثير على الإنسان.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **حينما يقول:** ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً﴾، **الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **حذّرنا، بيّن لنا أساليب الشيطان، طُرق إغوائه، الثغرات التي ينفذ منها، عوامل المنعة التي تحمينا منه**، إذا كان الشيطان يوسوس لنا، فالله بيَّن غاية التبيين، أوصل هداه إلينا وتحذيره لنا، وقدَّم لنا ما يساعدنا على صلاح

أنفسنا، وزكاء أنفسنا، وطهارة أنفسنا، بكل الطرق العظيمة، والقوية، والواضحة، التي تصل إلى الإنسان بكل وضوح، بكل قوة، بكل بيان، لتصل إلى قلبه، إذا فتح مسامعه وقلبه لتصل، تصبح المسألة واضحة عنده تمامًا.

تنوع أساليب الشيطان على ضوء استقرائه لواقع الإنسان

أسلوب الشيطان في الاستدراج للإنسان، والإيقاع به عبر الخطوات، أسلوبٌ يستمر فيه من خلال تكرار المحاولات، يعني: هو يحاول فيك مرة، يحاول فيك مرةً أخرى، يكرر محاولاته، يحاول أن يستقرئ واقعك، إذا وجد عندك ثغرةً معينة، أو غفلة معينة، يحاول أن يصطادك فيها، يحاول أن يستغل الحالة التي يجدك فيها في حالة ضعف، ضعف في إيمانك، في تماسكك، أو في حالة انخداع، أو انجذاب نحو المعاصي، أو عندك مؤثرات سلبية تتفاعل معها.

بعض الحالات التي يقع الإنسان فيها، في حالة غفلة، وحالة انجذاب، إمَّا نحو عملٍ سيء، أو الإخلال بعملٍ مهم، هي حالة خطيرة على الإنسان، هي مصيدة من مصائد الشيطان، التي يرى فيها الفرصة للاصطياد لك، والإيقاع بك، فهي حالة **يجب** الحذر منها.

ثم هو ذلك الذي يواصل محاولاته، مثلما فعل مع أبينا آدم وأمنا حواء، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾[الأعراف: ٢٢]، استمر في عمله في التزيين للأكل من تلك الشجرة، التي نهاهما الله عنها، وليسا بحاجة إلى الأكل منها، قد وفر الله لهما في تلك الجنة العيش الرَّغَد، العيش الواسع، كل شيء متوفر، ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى﴾[طه: ١١٨-١١٩]، لكنّ وساوس الشيطان المستمرة، والتزيين المستمر، والتأثير التدريجي، تأثير بمستوى معين، في المرة الأخرى تأثير بمستوى أكبر، وهكذا، تستمر المسألة، تغرير، خداع، تزيين أكثر،

تبريرات أكثر، تسهيل للمسألة من جوانب أخرى، وهكذا؛ **حتى** يوقع بالإنسان، يشتغل بمرونة، ينشط في أي مجال، إذا استعصى عليه الحال معك في جانب معين، بحث عن جانب آخر، إذا كنت- مثلًا- من ذوي العفة والعزة والشرف، لم يستطع أن يوقعك في الفحشاء، فلا مشكلة عنده، طالما أمكن أن يصطادك من جانبٍ آخر، **مثلًا:** يجد فيك جانب الكبر والغرور، ويرى مدخلًا له في ذلك للإيقاع بك في معاصٍ هناك، أو يدفعك للتنصل عن أعمال عظيمة ومهمة، هي من صميم التزاماتك الإيمانية بينك وبين الله، وهكذا، المهم أن تضل بأي شيء، أن تعصي بأي شيء، في أي مجال، ولو بقطع أُذن نعجة، ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ [النساء: ١١٩]، ثم لا مشكلة، سيجرك إلى خطوةٍ أخرى، المهم أن يجد له ثغرةً عليك في أي مجال من المجالات، وأن يجرك من خلاله إلى معاصٍ ومعاصٍ أخرى، هَمُّه توريط الإنسان بأي شكلٍ من الأشكال؛ **ليخسر**، ليشقى، ليضل، ليكون مصيره العذاب والعياذ بالله.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، **يشتغل حتى في المجالات التثقيفية، فيما يُقدَّم باسم الدين،** ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، **يعني:** يستهدف حتى الفئة المثقفة، والنخبة العلمائية، في نشاطهم التثقيفي والعلمي والتقديم للدين نفسه، كيف يورطهم في القول على الله بغير علم، وهذا يستهدف به بشكلٍ عام، لكن تلك الفئة يستهدفها بشكلٍ أخصّ.

ولهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦]، **عالِم** آتاه الله

١١

المعرفة بالآيات، بالهدى، بكتاب الله، بتعليمات الله ﷻ، ولكنه انحرف عنها، في مقام الاتِّباع، والاهتداء، والتمسك بها، لمَّا بدأ هو حالة الانحراف، واتجه نحو البديل، الذي هو الاتِّباع لهوى نفسه، والإخلاد إلى الأرض، تحركت لديه الأطماع المادية، وأثرت عليه، واتجه نحوها؛ **وجد** الشيطان حينها فرصته عليه، فعمل على التأثير عليه أكثر، والإيقاع به في المواقف التي هي معصية لله، وصد عن سبيل الله، ومعاداة لأولياء الله، إلى غير ذلك، وأصبح يشتغل تبعًا للشيطان، فالشيطان استكمل الدور والمهمة، واغتنم الفرصة، ونفذ من تلك الثغرة، التي وجدها من جانب ذلك الشخص.

ولذلك هو يستهدف الجميع، وتحت كل العناوين، قد يجد صعوبةً في التأثير على البعض؛ **لأن** روح التَديُّن عندهم متأصلة، **فيقول:** [لا بأس، صلِّ وصم، واهتم بالأمور العبادية، لكن ليس لك حاجة من الأمور الأخرى، ليس لك حاجة من المسؤوليات الكبرى، في الاهتمام بأمر المسلمين، في الموقف من أعداء الله، وأعداء الدين، وأعداء الإنسانية، في الموقف من الطغاة والظالمين والمجرمين، ليس لك علاقة بمسؤولية الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والمسؤوليات الأخرى، اترك ذلك]، وهنا وجّه لك ضربة، في تلك الأمور التي تركك عليها، ضرب عليك صلاتك، وصيامك، والأعمال العبادية، لإخلالك بتلك الأعمال الكبرى والمسؤوليات المهمة، فلم تُقبَل منك تلك الأعمال، وهكذا، المهم عنده أن يوجه لك ضربة، تضرب عليك دينك.

قد يُمنِّيك بالتوبة، يُجَرِّؤك على فعل، أو معصية، أو إخلال بمسؤولية مهمة، **ويقول:** [لا عليك ستتوب من ذلك، ستتلافى تقصيرك ذلك، سترجع عن معصيتك تلك بالتوبة إلى الله سبحانه وتعالى]، ثم يشجعك من خلال ذلك على الوقوع في الجريمة، أو الذنب العظيم والعياذ بالله، وهذه قضية خطيرة جدًّا؛ **لأنك** لا تدري أنك ستخسر الكثير من زكاء نفسك، ستجر على نفسك سخط الله، لا تدري بعد ذلك ما ستقع فيه من ورطة إلى أخرى، من جريمة إلى أخرى، من ذنب إلى أكبر، وهكذا، وأنت تسهِّل لنفسك من خلال التسويف الذي زينَّه لك، **تقول:** [قد نصلح إن شاء الله، قد نهتم في المستقبل]، أو مثلما قال إخوة نبي الله يوسف: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾[يوسف: ٩]، جريمة كبيرة جدًّا يفكرون فيها، ويوسوس لهم فيها، وعلى أمل، هكذا يصور لهم المسألة، وهم يفكرون ذلك التفكير الخاطئ، ﴿وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾.

الشيطان لعنه الله، بدأ نشاطه- بعد أن طُرِد من السماء، وتحول إلى عنصر خبيث، ضال، فاسق، مجرم فاسد- **بدأ نشاطه لوحده**، يتحرك بمفرده، وعمل على الاستهداف- في أول جولة في الصراع له مع آدم وذريته- عمل على الاستهداف لآدم وحواء؛ **لإخراجهما** من الجنة، التي كانا فيها، ليبدأ مسيرتهما في الاستخلاف في الأرض من خلالها، فعمل على الإيقاع بهما فيما يخرجهما من الجنة؛ **بهدف** أن يشقيا، أن يُعانيا، أن يفقدا تلك الراحة التي هما فيها، فالله سبحانه وتعالى عندما كان نهاهما عن الأكل من الشجرة، وحذرهما من الشيطان، وأنه عدوٌ مبينٌ لهما، وأنهما إن أكلا من تلك الشجرة، **سيتم** إخراجهما من الجنة، فركز على أن يأكلا من تلك الشجرة، وزين لهما الموضوع، وعظَّم لهما أمر تلك الشجرة بالخداع والتغرير؛ **حتى** صورها أنها نبتة إذا أكل الإنسان منها لا يموت أبدًا، ويتجدد ملكه فلا يبلى، فيعيش

١١

للأبد وهو في إطار الملك، بل قد يتحوَّل إلى مَلَك، ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ [الأعراف: ٢٠]، وهكذا، حتى أوقعهما في أكل الشجرة، ولم يبقَ لهما حتى الملابس في الجنة، فأُخرِجا منها وهما يخصفان من ورق الجنة؛ **ليسترا** به سوءاتهما، وارتاح بذلك، أنه أسهم، أو عمل على إشقائهما، على إخراجهما من تلك الراحة التي هما فيها؛ **لأنه** يريد أن يُشقي الإنسان، وأن يُضله، وأن يورطه ليخسر معه، **وصولاً إلى الخسران العظيم:** خسران الجنة ورضوان الله، والتورط للوقوع في عذاب الله، وأن يكون مأوى الإنسان ومصيره جهنم والعياذ بالله.

١١ توسع نشاط الشيطان عبر تشكيلاته الواسعة

فهو بدأ نشاطه بمفرده، ولكنه بعد ذلك توسع نشاطه، وعمل من خلال تشكيلات واسعة، واقع البشر- أنفسهم- توسع، آدم منَّ الله عليه ورزقه الذرية الكثيرة، وفق تدبير الله سبحانه وتعالى؛ **لأن** الله خلقه ليخلق منه ذريةً كثيرة، يستخلفهم على الأرض، تكاثر الناس جيلًا بعد جيل، أكثر فأكثر، في هذا العصر الناس بالمليارات، البشر موجودون على الأرض بالمليارات، في العصور الماضية كَثُرَ الناس، في مراحل كثيرة من التاريخ، كانت الأمم تكثر، وأحيانًا تأتي عقوبات فتنخفض نسبة أعدادهم، ولكن مع توسع النشاط البشري، وكثرة البشر، في المقابل كان هناك أيضًا توسُّع في نشاط الشيطان لعنه الله، وتحركت معه تشكيلات تعمل معه في نفس توجهه، بدءًا من ذريته، هو أيضًا له ذريته، قد تختلف طريقة التناسل والتفرُّع في واقع الجان عنها في واقع الإنس.

يقول سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]، فله ذريته، الذين تفرعوا منه، وهم

معه يتجهون بالخبث، والشيطنة، والعمل للإغواء للناس، وهم أعوانه، يتحركون على ذلك الأساس، وتوسع نشاطهم، **يعني:** لا يحتاج الشيطان أن يتحرك بمفرده ليلاحق بني آدم شخصًا شخصًا، ويسافر ويتنقل من بلد إلى بلد، ليلاحق كل شخص، لا يحتاج إلى ذلك، أصبح يعمل وفق نظام، وشبكة، وتشكيلات واسعة، ينشرهم ويعملون حتى بشكلٍ منظم.

معه قَبِيْلُه؛ يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف:٢٧]، **فالشيطان له قَبِيلُهُ، يعني:** أعوانه، أعوان كُثُر من الجن، من الجن معه ذريته، ومعه أعوانه الذين استقطبهم من الجن، وهم يتحركون معه، وفي الوقت الذي قد لا ترى بجوارك أحدًا، قد تتصور نفسك تفكر لوحدك، لكنك تفكر تفكيرًا سيئًا، سلبيًا، ثم ترى نفسك تتأجج فيك المشاعر السلبية والسيئة، والتفاعلات السيئة، والانشداد السيئ، في حالة رغبات، أو مخاوف، أو غضب وانفعال، فقد يكون إلى جوارك البعض منهم، أحيانًا عددًا منهم وليس شيطانًا واحدًا، قد يكون إلى جانبك عدة شياطين، وهم يحاولون أن يؤججوا فيك تلك المشاعر، أو أن يدفعوك؛ **لأنهم** استقرأوا من واقعك، من أفعالك، من تصرفاتك، أن عندك تفاعلًا مع موضوع معين، أو رغبة معينة، أو جربوا أن يُخطِروا لك تلك الوساوس، فوجدوك تفاعلت معها، فواصلوا عملهم بنشاط حولك، وأنت لا تراهم، تتصور أن تلك الخواطر، والأفكار، والهواجس، هي من بنات أفكارك أنت، هي تفكيرك أنت فقط، لا تدرك أنك قد أصبحت خاضعًا للتأثير الشيطاني، وأن تلك التطورات في هواجسك وأفكارك، وتلك المشاعر المتأججة، أسهم فيها شيطان، أو مجموعة من الشياطين، تحلّقوا حولك وأحاطوا

١١

بك، ونشطوا معك، واستغلوا غفلتك وإعراضك، وانشدادك نحو الاتجاه السيء، فهذه حالة خطيرة على الإنسان.

الشيطان يتحرك ومعه قبيله وذريته، وجنوده كُثُر، يقول الله في حال أهل النار: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا﴾[الشعراء:٩٤]، **يعني:** كُبُّوا على وجوههم في نار جهنم والعياذ بالله، ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ۝٩٤ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾[الشعراء:٩٤-٩٥]، كل جنوده.

نظام التخصصات لدى شبكات الشيطان الرجيم!

فاتساع دائرة النشاط الشيطاني- من خلال شبكات، وأعوان وشياطين، من الجن كُثُر- **مسألة يجب أن نستوعبها جيدًا**، وحتى فيما ورد عن رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله من الأحاديث، أنهم يعملون وفق نظام التخصصات، **يعني:** يتخصص شياطين في مجال معين، ويحاولون أن يُبدِعوا في التأثير فيه، **مثلًا:**

- **شياطين** يعملون في مجال الإفساد ونشر الفساد والفحشاء.
- **شياطين** يتفرغون وينشطون في المجالات التثقيفية والتعليمية؛ **لنشر** الضلال عبرها ومن خلالها، ويحاولون أن يعرفوا، أن يكون لديهم معرفة بأمور العلم، والدين، والأفكار، والعقائد، وما يتصل بها؛ **لأنهم** لا يتمكنون من التأثير فيها، حتى من التأثير في صناعة الشُّبَه والعناوين، إلَّا من خلال التركيز على ذلك المجال.
- **البعض منهم** في مجال النزغ بين الناس، **يعني:** إثارة الشر والمشاكل، حسب التعبير المحلي [المحارشة]، يتخصصون في تلك المجالات، كيف يثيرون المشاكل، كيف يؤججونها- إذا وجدت- فيما بين الناس، كيف يعملون على إذكاء الصراعات فيما بينهم.
- **البعض منهم** إلى مستوى التشكيك في الأمور العبادية، كيف يشكك عليك في وضوئك، في صلاتك، في أعمالك العبادية.

ويرفعون تقاريرهم بشكلٍ يومي إلى إبليس لعنه الله، يخبرونه بما أنجزوه، وهو يفرح في الحالات التي تحققت فيها نجاحات، ناس أوقعوهم، وهم يوقِعون يوميًا، لكن ليس فقط لتأثيرهم؛ **بل لأنه** انضاف تأثيرهم وانضم كعامل إضافي إلى أهواء النفوس، يفرح- حسب التقارير- إذا أوقعوا الكثير، يفرح بإيقاع من لم يكن قد أوقع بهم من قبل، لا هو ولا أعوانه، **يعني:** إذا كان هناك إنسان بقي مستقيمًا لفترة معينة، كانت استقامته تمثل إزعاجًا لهم، كيف لم يوقعوا به! إذا أوقعوا به، فرح الشيطان بذلك فرحًا كبيراً؛ **لشدة** عداوته، لشدة عداوته، يُغيظه استقامة إنسانٍ مؤمن، ثباته، تمسكه بأسباب التوفيق الإلهي، والمنعة والحفاظ من الله ﷻ عليه، التوفيق له، فيبقى- بالنسبة للشيطان- أمرًا مزعجًا ومغيظاً له، لكن إذا غفل وزل، تصبح مشكلةً عنده، إذا اهتدى إنسان، وتاب، وأناب ورجع إلى الله، يغيظه ذلك جدًّا، ويعتبره فشلًا له، أو لأعوانه، أولئك الذين شغَّلهم وخصصهم لملف ذلك الشخص، وهكذا، هو في عمل نشط، يرى نفسه في حرب مستمرة، ميدانها هم الناس، هم المجتمع البشري (رجالًا، ونساءً)، يخصص منهم- من شياطينه- من يركز على النساء، من يركز على الرجال... عملهم منسق، تقاريرهم يومية، يحاولون أن يستفيدوا من تخصصاتهم في المزيد من التأثير، وهكذا.

نكتفي بهذا المقدار؛ لأن الموضوع طويل، لا يزال له عناوين مهمة، نتحدث- إن شاء الله- عنها في المحاضرة القادمة.

أَسْأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَامَ، وَالقِيَامَ، وَصَالِحَ الأَعْمَالِ، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبْرَارَ، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنْصُرَنَا بِنَصْرِهِ، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمبين، وَأشهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُوْلُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، وَبارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ وَعلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنتَجَبين، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالمجَاهِدِين.

اللَّهُمَّ اهدِنَا، وَتَقَبَّل مِنَّا، إنَّكَ أنتَ السَّمِيعُ العَلِيم، وَتُبْ عَلَيْنَا، إنَّكَ أنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمْ.

أَيُّهَا الإِخْـــوَةُ وَالأَخَوَات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

في سياق الحديث عن خطر الشيطان، وسعيه للتأثير على الإنسان، وعدائه الشديد للإنسان، وما تحدث عنه القرآن الكريم فيما يتعلق بذلك، تحدثنا عن بعض النقاط فيما يتعلق بهذا الموضوع، **وكان من آخرها في محاضرة الأمس:** الحديث عن اتساع نشاطه عبر ذريته، وعبر قبيله، وعبر جنوده وأعوانه، وأنه لم يعد يتحرك بمفرده في الاستهداف للإنسان، بهدف إغوائه وإضلاله وتوريطه، في المعاصي والجرائم والموبقات،

بل يتحرك من خلال شبكاتٍ واسعة، بما في ذلك متخصصون من الجن، من شياطين الجن، **متخصصون بحسب المجالات:**

- **من** يتخصص لإثارة الشر والفتن بين بني آدم.
- **من** يتخصص فيما يتعلق بالفساد الأخلاقي.
- **من** يتخصص فيما يتعلق بالإضلال الثقافي والفكري.

وهكذا، من يتخصص في المجالات الأخرى، بحسب مجالات الحياة.

دائرة الاتساع للنشاط الشيطاني، اتجهت في وسط الإنس، بحيث تَشَيْطَنَ البعضُ من الإنس، تحولوا إلى شياطين، وهذه حالةٌ مستمرةٌ في واقع البشر عبر الأجيال، أنَّ منهم من يتحول إلى شيطان تمامًا، ولو أنه من الإنس، هو شيطانٌ في صورة إنسان، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم في آياتٍ كثيرة، وموارد متعددة، منها قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾[الأنعام: ١١٢-١١٣].

في هذه الآية المباركة، يبين الله لنا أن أعداء الأنبياء، الذين حاربوا الأنبياء، حاربوا الرسالة الإلهية، **في كل ما تدعو إليه:** من الاستقامة، من الصلاح، من الزكاء، من الخير، من المعروف، من الطاعة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **وما تُحذر منه:** من الفحشاء، والمنكرات، والفساد، والبغي، والظلم، والعدوان، وبقيت المنكرات، مَن تصدوا لمحاربتها هم من؟ شياطين، شياطين من الجن ومن الإنس، يتعاونون في أداء مهمتهم، في المحاربة للرسالة الإلهية، والسعي لإعاقة انتشارها في أوساط الناس، والسعي لإبعاد الناس عن الاستجابة لها، الاستجابة للرسالة الإلهية، والاستجابة للرسل والأنبياء بشكلٍ عام، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا

﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾، فما من نبيٍّ إلَّا وواجهه أعداء، وواجه مساعيه لهداية الناس، لإصلاحهم، للإنقاذ لهم، للسعي بهم نحو الفلاح، نحو الخير، نحو ما يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **وفيه عاقبتهم الحسنة:** الفوز بالجنة، والنجاة من النار.

قلق الشيطان من عمل الرسل وأتباعهم لهداية الناس

فالأعداء لهم- من شياطين الإنس والجن- يُغيظهم ذلك، فالشيطان يُغيظه أي نشاط لإنقاذ الناس منه، لحماية الناس من تأثيره، للحفاظ على الناس، والدفع بهم نحو **ما فيه** نجاتهم، **ما فيه** فوزهم وفلاحهم، **ما فيه** خلاصهم، من الشقاء والضلال، والعذاب الأبدي، هو يريد أن يعمل في وضعٍ بدون تعقيدات، بدون إعاقة، ألَّا يكون هناك ما يؤثر على نشاطه الشيطاني، **في** الإغواء، **في** الإضلال، **في** الإفساد، **في** الاتجاه بالناس نحو هلاكهم وشقائهم وعذابهم.

١٢

عمل الأنبياء، والعمل الذي هو امتدادٌ له، للسعي لهداية الناس، والإنقاذ لهم، والسعي للدفع بهم نحو فلاحهم، ونجاتهم، وفوزهم، وما يحقق لهم الفوز العظيم في الآخرة، هو عملٌ يُغيظ الشيطان، يُقلقه، يزعجه، يرى أنه يُفشل عليه مهمته، أنه يَحُدّ من تأثيره؛ **لأنه** حريصٌ على أن يهلك أكبر قدر ممكن من الناس، وفي قَسَمِه، أقسم: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[ص: ٨٢-٨٣]، استثناء القِلَّة القليلة **جدًّا**، ممن يدرك أنه لا يستطيع أن يؤثر عليهم أبدًا، وأن يجرّهم إلى الهلاك والضلال، والعصيان لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أبدًا، **قال:** ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾[الإسراء: ٦٢]، يعني ذرية آدم، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء: ٦٢]، فهو يسعى لهلاك الأغلبية الساحقة من البشر، ولا يستثني إلا من يعجز عنه، من يعجز عن التأثير عليه؛ **ولذلك** هو يقلق من مساعي الأنبياء، وأي عمل هو في إطار وفي سياق عملهم لهداية الناس، هو امتداد لعملهم،

امتداد لهداية الله ﷻ وكتابه، وكتبه إلى عباده، في السعي لإنقاذهم، والعمل على نجاتهم، ولذلك يعادون الأنبياء، يعادون أولياء الله، ويغتاظون منهم، ويقلقون منهم، في الآثار، في الأخبار، وفي الروايات ما يُفيد الكثير من التفاصيل المتعلقة بذلك.

في الرواية: أنه لما بُعِثَ رسول الله محمد ﷺ قلق الشيطان، عندما عرف بالمسألة، وحَزِن، حَزِن كثيراً، وغاظه ذلك، وقلق من ذلك قلقًا كبيرًا، وَرَنَّ، **يعني:** حُزن، عبَّر عنه تعبيرًا معينًا، **فلماذا؟** لأنه يرى أن رسول الله ﷺ، في عمله لهداية البشر، في سعيه للإنقاذ لهم، وهو الذي قال له الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، سيحد من تأثيره، في الوقت الذي كان الجو فيه، والوضع فيه بشكلٍ عام، قد تهيأ له كثيرًا- في زمن الجاهلية- للإغواء للمجتمع البشري، والإضلال له، والإفساد له، والإمعان في الاتجاه به نحو الهلاك، والإبعاد له بشكلٍ كبير- إلى درجةٍ عجيبة- عن الهدى، وعن الحق، الإبعاد للناس، قد ضلوا ضلالًا بعيدًا، فهم يتحركون سويًّا للتعاون، ما بين شياطين الإنس وشياطين الجن.

شيطان الجن- وفي المقدمة كبيرهم إبليس لعنه الله- لا يستطيع أن يمنع الرسل والأنبياء من الحركة، وسعيه في إعاقة نشاطهم وتأثيرهم في الناس هو من خلال الوسوسة للناس، ولذلك يشعر بالحاجة إلى أن يكون بينه تعاون وبين مَن يغويهم من البشر، إلى درجة أن يتحولوا إلى شياطين.

متى يتحول الإنسان إلى شيطان؟!

متى يتحول الإنسان إلى شيطان؟ الإنسان يتحول إلى شيطان عندما يفقد عناصر الخير في نفسه، يخسر زكاء نفسه، يبتعد بعدًا كبيراً عن الخير والزكاء والصلاح، ويخبث، تخبث نفسه، يتراكم الخبث فيها، ويزداد، وتفسد نفسيته، حتى يتحول- هو- إلى عنصرٍ مُضِلٍّ، أو مُضِلٍّ ومفسد، يتحرك هو ليُفسد الآخرين، لم يعد شيطان الجن بحاجة إلى أن يؤثر عليه، ليدفع به نحو الفساد، أو ليدفع به نحو الضلال؛ هو- بنفسه- قد فسدت نفسه، وخبثت نفسه إلى حدٍ بعيد، وتحول هو بنفسه إلى السعي للإيقاع بالآخرين، لإفسادهم، لإضلالهم؛ **أمَّا** هو فقد أصبح فاسدًا بشكلٍ تام، خبيث النفس بشكلٍ تام، لم يعد الشيطان- الجني- بحاجة إلى أن يُتعب نفسه عليه، وأن يوسوس له، أصبح جاهزًا، يتجه تلقائيًا بخبث نفسه، بفساد نفسه الرهيب، بموت ضميره، بالتأثيرات السيئة، التي قد طغت على تفكيره واتجاهاته، فهذه الحالة يتحول فيها الإنسان إلى شيطان.

12

ويختلف الحال في أوساط الناس، بمستوى خبثهم، وبمستوى فسادهم، وبمستوى طاقاتهم وقدراتهم، التي يوظفونها في عملهم السيء لخدمة الشيطان، للإغواء، للإفساد، للإضلال؛ **لأن** الناس يتفاوتون، حتى في مستوى قدراتهم، وخبراتهم، ومستوى قدرتهم على التأثير في الآخرين، وطاقاتهم، وما يمتلكونه من مواهب وقدرات.

الإنسان الذي خبثت نفسه، وفسدت، ووصل إلى درجة أن يتحول إلى شيطان، يسعى هو دائمًا لإغواء الآخرين، أو لإفسادهم وإضلالهم، هو يوظف كل قدراته وطاقاته، وتأثيره، إذا كان صاحب نفوذ وتأثير في المجتمع، إذا كان في موقع وجاهة اجتماعية، أو في موقع مسؤولية معينة، أو في مستوى، أو في مجال معين، له فيه تأثير معين؛ **فهو** يوظف تأثيره ونفوذه في أداء تلك المهمة الشيطانية، في تلك الحالة يصبح

بينهم تعاونٌ مشترك، ما بين شياطين الإنس وشياطين الجن، ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾[الأنعام: ١١٢].

التعاون المشترك بين شياطين الإنس وشياطين الجن: هو تبادل الآراء، **تبادل** الخبرات، فيما يتعلق بالخطط، فيما يتعلق بالأفكار، فيما يتعلق بالمؤامرات، التي تُعتمد في الإغواء للآخرين، والتأثير على الآخرين.

والإنسان إذا وصل إلى درجة أن يتحول إلى شيطان- والعياذ بالله- يصبح مهيَّأً لتقبل الوساوس من شياطين الجن، والانسجام معها، والتحرك بها، فهو إلى جانب خبراته، ومهاراته، وقدراته، التي هو مستفيدٌ منها، أو هي متوفرةٌ، هي متوفرةٌ له كإنسان، يتلقى المزيد أيضًا من وساوس الجن، والذي عبَّر عنه القرآن الكريم بهذا التعبير: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾، في ما يستطيع من خلاله أن يغوي به الآخرين، ﴿زُخْرُفَ الْقَوْلِ﴾، القول المزخرف، المزين، الذي يخادع به الآخرين، الذي يؤثر به على الآخرين، الذي يصور لهم من خلاله أنه يدفع بهم إلى مصلحتهم، أو يغريهم من خلاله، بما تتفاعل معه شهواتهم ورغباتهم، فيتحركون على أساس ذلك.

من غير المستبعَد أيضًا أن بعض الشياطين من الإنس، يستفيد منه أيضًا بعض شياطين الجن؛ لأن بعض شياطين الإنس قد يكون أكثر مهارةً في الإغواء والإضلال، والتأثير السلبي من بعض شياطين الجن، وخاصةً أن البعض من شياطين الإنس يكون له نفوذ في أوساط الناس، **إمَّا** بمنصب معين، **أو** بصفة معينة، **أو** بموقع معين، **أو** بأي شكلٍ من الأشكال؛ **مما** يساعده على التأثير أكثر، والبعض في مستوى ذكائه، في مستوى تجربته في الحياة، معايشته للناس، معرفته القوية بالمجتمع، معرفته ببيئته ومحيطه القريب منه، تساعده على أن يكون أكثر تأثيرًا في الإغواء والإضلال من الكثير من

شياطين الجن، فيصبح هو أيضًا ممن يستفيد منه شياطين الجن، ومن تجربته التي اتضح أثرها في الواقع، في أماكن أخرى، وفي مناطق أخرى، وتجاه أشخاص آخرين، وهم يسعون للإيقاع بذلك الإنسان، أو ذلك الإنسان، أو التأثير على ذلك الإنسان، وهكذا.

فنشاطهم أصبح نشاطًا مشتركًا، وأصبح بينهم هذا التعاون، الذي هو تبادل الآراء، تبادل الخبرات فيما يتعلق بالخطط، بالمؤامرات، من خلال الوساوس واكتساب المهارات من بعضهم البعض.

الإيمان بالآخرة ودوره في كبح جماح الشيطان والأهواء

١٢ ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾[الأنعام: ١١٣]، تميل إليه أفئدة الذين لم يتحصنوا بالإيمان الصادق.

الإيمان بالآخرة، الإيمان الصادق الذي يجعلك تذعن لله، تتخلص- تمامًا- من كل المؤثرات النفسية، مؤثرات الهوى، التي تنحرف بك؛ **لأن الشيطان يقوى تأثيره عليك عندما تميل أنت**، عندما تتأثر أنت سلبًا، عندما تنحرف أنت يزيدك انحرافًا، عندما تتأثر تأثيرًا سيئًا يزيدُك، لكن عندما يكون إيمانك بالآخرة على النحو الذي يخضعك لله تمامًا، فوق كل أهواء نفسك، في الطموحات المعنوية، أو الطموحات المادية، أو أيٍّ من المؤثرات، تختلف أحوال الناس، البعض قد لا تؤثر فيهم الميول المادية والأطماع المادية، ولا حتى الشهوات المتعلقة- مثلًا- بالجوانب الأخلاقية، أو بالفساد الأخلاقي، أو بمتع الحياة من ذلك القبيل، ولكن هناك جوانب معنوية تؤثر فيهم، طموحات معنوية تؤثر فيهم، وتنحرف بهم، وفيهم عقدة الكبر، أو عقدة العُجب، أو عقدة الغرور، أو أي عوامل أخرى تؤثر فيهم حتى مع احتفاظهم بالجانب الديني، في الشعائر الدينية،

في طبيعة التوجهات الدينية، ولكن عنده مشكلة خطيرة **جدًّا**، **والشيطان يهمّه أن تنحرف بأي شكلٍ كان:**

- **أردت** أن تكون إنسانًا ماجنًا، تافهًا، فاسقًا، فاجرًا؛ **هذا** يعجبه.

- **أردت** أن تكون إنسانًا طماعًا، لاهثًا وراء المال بأي ثمن، بأي شكل، بأي طريقةٍ، بحرام، بمعاصي، بفساد، بظلم؛ **هذا** يعجبه.

- **أردت** أن تكون بشكل متدين، عندك عقدة العُجب والغرور والكِبر؛ **هذا** يعجبه.

المهم أن تنحرف، أن تكون وجهتك نحو جهنم، هذا هو المهم بالنسبة له.

١٢

والفئات التي يتجه بها نحو جهنم فئات متنوعة: من الكافرين، والمنافقين، والفاسقين، ومن البيئة الدينية، والبيئة غير الدينية، من المضلين، من شخصيات علمائية، من مُختلَف الناس، مختلف فئات المجتمع، يجمعهم جميعًا حالة انحراف- بشكل أو بآخر- عن منهج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإيثار، إيثارٌ لأهواء أنفسهم بشكلٍ أو بآخر، فهو يتجه بهم، وهم يتأثرون بما يقدمه الشياطين، يتأثرون من أعماق قلوبهم، ما يقدمه الشياطين لهم، هو يلامس ما في أهواء أنفسهم، **مثل ما يُقال في التعبير المعاصر:** [يتناغمون معه]، ينسجمون معه، يرتاحون له، ويميلون إليه؛ **فيتأثرون به**، وينطلقون في واقعهم العملي على أساس ذلك، ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾، **قبل ذلك:** ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾، ينسجمون معه، ويرتاحون به، ويرتضونه، ويتفاعلون معه، يعتبرونه عين الصواب، ثم يتجهون عمليًا على ذلك الأساس، وهذه حالة خطيرةٌ **جدًّا**.

المشروع الكبير للشيطان. وتوظيفه طاقات البشر لخدمته!

مع تحول البعض إلى شياطين، واتساع دائرة النشاط الشيطاني؛ ليكون له تشكيلات من الإنس، يتحركون وهم بصفة إنسان، وبصفات مختلفة في الواقع البشري، بحسب أدوارهم، مقاماتهم، مهامهم في الحياة، وهم يتحركون معه في ذلك، لكنه يسعى بشكلٍ عام إلى السيطرة- بشكلٍ عام- على بني آدم، إلا القليل، الذين استثناهم، وهو يدرك أنه لا سبيل له في السيطرة عليهم.

يقول الله ﷻ وهو يبين لنا هذا التوجه الحاقد جدًّا من جانب الشيطان، في سعيه على أن يسيطر على المجتمع البشري، ثم أن يحرِّك المجتمع البشري، بكل إمكاناتهم، وطاقاتهم، وقدراتهم، فيما فيه هلاكهم، وشقاؤهم، وخزيهم، وهوانهم، وعذابهم والعياذ بالله، يحكي الله ﷻ في القرآن الكريم موقف الشيطان، وغيظه، وحقده، وتوجهه ذلك: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢-٦٥].

هو عبَّر في تعبيره: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾، بما يفيد السيطرة التامة والاستئصال لمجموعهم بالإغواء والإهلاك، والدفع بهم نحو الهلاك، ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾، هو يستثني؛ **لأنه** يعرف أنه لا سبيل له عليهم.

١٢

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أجابه: ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا﴾؛ **لأنه** لا يستطيع أن يسيطر بالقَسر والغلبة؛ **إنما** المشكلة، مشكلة الكثير من الناس أنهم يتبعونه، **ولهذا قال:** ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾، جهنم، العذاب الرهيب، ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾، جزاءً كافيًا، هذا جزاء رهيب **جدًّا**، والله غني، غنيٌّ عن الناس، عن طاعتهم، عن عبادتهم.

﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ﴾، استخف من استطعت منهم أن تستخفه، وأن تستجهله، وأن تدفع به- بإغوائك وإغرائك- نحو ذلك المصير المشؤوم، ذلك المصير السيء، نحو جهنم.

﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾، وظّف كل قدراتك، كل ما تستطيعه في التأثير عليهم.

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، **الشيطان وهو يتجه بذلك المشروع الكبير: الإغواء للمجتمع البشري عبر الأجيال،** مجتمع كبير، المجتمع البشري مجتمع كبير، وهو يريد أن يغويه، أن يضله، **هذا يحتاج إلى إمكانات ضخمة،** العمل لإغواء وإفساد وإضلال مليارات البشر عبر الأجيال، **ويحتاج إلى جهود،** والدفع بهم إلى ممارسات أعمال هي معاصٍ، هي أعمال سيئة، هي أعمال لها تأثيرات سيئة عليهم في عاجل الدنيا، وعواقبها عليهم وخيمةٌ **جدًّا** في آجل الآخرة، كيف يقوّي نشاطه ذلك؟ كيف يتحرك بهذا المستوى؟ هذا عمل يحتاج إلى تمويل، ويحتاج إلى جهود، ويحتاج إلى من يعمل معه من الكثير، بأعداد كثيرة، فكيف فعل؟

هو اتجه على أساس أن يُفعِّل دور البشر، الذين يسيطر عليهم ويؤثر فيهم، لا يحتاج إلى أن يخسر ولا فلسًا واحدًا من جانبه هو، لا يحتاج أن يتعب في سبيل الوصول إلى إمكانات مادية؛ **ليؤثر** عليهم، أو ليحرك أنشطته في واقعهم، لا يحتاج إلى أن يبذل جهده في أنشطة- مثلًا- استثمارية، أو كدّ وعناء وتعب، ليجمع الأموال في سبيل تنفيذ مشروعه ذلك، كذلك لا يحتاج إلى أن يعاني في مسألة توفير طاقات، وقدرات، وإمكانات، للتأثير في الأنشطة التثقيفية والتعليمية، فلن يحتاج هو إلى توفير جامعات متخصصة، أو نحو من ذلك، هو يتجه إلى بني آدم بأنفسهم؛ **ليوظف** كل طاقاتهم، كل قدراتهم، كل إمكاناتهم، فيما فيه هلاكهم، فيما فيه شقاؤهم، فيما فيه عذابهم، يجعلك أنت تقدم من مالك ما تشقى به، تشتري لك العذاب، تدفع فيما فيه هلاكك وعذابك والعياذ بالله، يجعل الكثير على المستوى الشخصي، أو دول، أو مؤسسات، أو جهات، تموّل هي بأموال ضخمة، وميزانيات ضخمة، ما يحتاج إلى تمويل من أعمال فاسدة، من أعمال مضلة، من أعمال مسيئة، من أعمال إجرامية متنوعة في كل مجالات الحياة. ١٢

أيضًا يدفع بالبشر إلى العمل في النشاط التجاري، النشاط الاقتصادي، في إطار المحرمات؛ لكسب المال بالطرق المحرمة، الاتِّجار بالربا، بالمخدرات، بالأعمال السيئة، بالعقود المحرمة، بالطريقة المحرمة، بالوسائل المحرمة، بالمواد المحرمة، وهكذا، أنشطة يشاركهم فيها، ويصبح شريكًا في تلك الأموال، يصبح شريكًا لدول في ميزانيات ضخمة، لشركات، لمؤسسات، لأشخاص من الأثرياء والأغنياء والفقراء حتى في مالهم القليل، عندما يكون الإنسان الفقير يتجه هو ليُخصص مبلغًا من أمواله في الحرام، أو الفسق والفجور، أو في الفساد، أو في الظلم، أو في أي شيء من المحرمات، فهو اتجه على هذا الأساس.

وله أيضًا صوته المُفسد المُغوي، الذي يترك التأثير السيء، **إمّا** في إفساد نفسيات الناس، **مثل:** الأغنية الماجنة المفسدة، **مثل:** صوت الضلال والباطل، الذي ينشط في الساحة البشرية؛ **لإغواء** الناس، وإضلالهم، والتأثير عليهم، وهكذا، النشاط الواسع من داخل الواقع البشري.

وهذه السيطرة خطيرة جدًّا على الناس، الذين يتجهون هم بما يمكِّن الشيطان من التأثير عليهم، والسيطرة عليهم، وتسخير كل طاقاتهم، وإمكاناتهم، وقدراتهم المالية، وثروتهم المادية، لخدمته.

ثم الثروة البشرية، ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، الثروة البشرية، **كم يتجند له في كل المجالات:** في أعمال الضلال، في أعمال الإثم والعدوان، في ارتكاب الجرائم؟ كم له من شبكات إجرامية، ممن يتحركون لنشر الجرائم؟ كم له من جنود، يتحركون بقدرات عسكرية؛ **لقتل** الناس ظلمًا، للاستحواذ عليهم، والإخضاع لهم للطاغوت والباطل، لمحاربة عباد الله المستضعفين وظلمهم، والاضطهاد لهم، وارتكاب أبشع الجرائم بحقهم؟ هي من المشاركة في الثروة البشرية. ١٢

فهو يتحرك بإمكاناتهم وقدراتهم البشرية والمادية، فيما فيه هلاكهم، وهو بذلك يسيطر عليهم، وسيطرة سيئة، الإنسان إذا أصبح خاضعًا لسيطرة الشيطان على نفسه، بنفسه هو، بتوجهه هو، فهو قد مكّن أسوأ وأحقد عدو من السيطرة على نفسه، **وهي أسوأ حالة يكون الإنسان فيها، عندما يكون تحت سيطرة الشيطان،** شيءٌ مذلّ، ومخزٍ، ومُهين، أن يصل الإنسان إلى حالة **أن** يكون الشيطان مسيطرًا عليه، عدوك، الرجس، النجس، الخبيث، الفاسق، السيء، الذي هو رمزٌ للشر، رمزٌ للباطل، رمزٌ للضلال، رمزٌ للكفر، **أن** يكون مسيطرًا عليك، **أن** تخضع لتأثيره، **أن** تتجه حيث يريد منك أن تتجه، **أن** تفعل

ما يريد منك أن تفعله، وكل ذلك خسرانٌ لك، شقاءٌ عليك، عذابٌ لك، حالة سيئة **جدًّا**!

حينما يصل حال الإنسان إلى مستوى العبادة للشيطان!!

ولهذا يصل الحال كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مبينًا لنا في القرآن الكريم، فيما ينبهنا عليه في الدنيا، وفيما يحتج به علينا في الآخرة: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[يس: ٦٠]، عندما تصبح متأثرًا بالشيطان، عندما تتحرك فيما يريد منك أن تتحرك فيه، عندما تُؤثِر طاعته فوق طاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تعصي الله وتطيع الشيطان، فالحالة نفسها أصبحت حالة عبادة للشيطان، عبادة للشيطان، ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾، **فأنت تعبد عدوك**، عدوك الذي هو عدوٌ مبين، يسعى بك إلى الخسران، إلى الهلاك، إلى الشقاء، **تعبد عدوك** الذي هو سيءٌ **جدًّا**، ليس فيه ما يجذبك إليه، هو حاقدٌ عليك، هو يرتاح بأنك ستشقى، يرتاح بالإيقاع بك إلى ما فيه العذاب لك، الخسران لك، الهوان لك، يرتاح عندما ينجح؛ **بسبب** استجابتك أنت، بسبب ميلك أنت، واندفاعك أنت نحو الذي يريده منك، أنه يهبط بك، وينزل بك، مما كان الله قد كرمك به من إنسانيتك، **من جانبٍ مهمٍ جدًّا**: هو الجانب الإنساني والإيماني، الذي هيأ الله لك فيه سُلَّم الارتقاء أكثر؛ **لتنطلق** من واقع إنسانيَّتك نحو الإيمان، فترتقي أكثر وأكثر إلى مصافِّ أولياء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولينصرف بك إلى نار جهنم، وينحرف بك عن الوجهة التي تصل بك إلى السعادة الأبدية، إلى رضوان الله والجنة، حالة رهيبة!

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[الكهف: ٥٠]، **عندما توالي وتعبد من هو عدوٌ لك**، وعدوٌ سيء، وعدوٌ حاقد، كل ما يهمه أن يسعى لهلاكك، لشقائك، لإهانتك، يدفع بك إلى الأعمال المهينة، التي تحط من قدرك، البعض من الناس قد يكون في واقعه يحظى بالشرف، بالكرامة،

١٢

وهذا يغيظ الشيطان من جانبه، هو يريد أن يهينك، يريد أن يشوهك، يريد أن يدفع بك إلى الأعمال السيئة، التي تخزيك، يريد أن يشقيك، إذا كنت في حياة مستقرة صالحة؛ **لأنك** مستقيمٌ فيها، يريد أن يدفع بك إلى أعمال سيئة، مخزية، هو عدو لك، هو يحاربك، الحالة التي يصل فيها الإنسان إلى الخضوع للشيطان هي حالة رهيبة **جدًّا!**

هو أيضًا يسيطر على البعض سيطرةً تامة، ومنهم فئة المنافقين، كما قال الله عنهم في القرآن الكريم: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[المجادلة:١٩]، **الذين ينحرفون، إلى درجة أن يكون تحركهم ونشاطهم صدًّا عن سبيل الله، وصرفًا للناس عن التمسك بهدى الله** ﷻ، **وعملًا لخدمة الباطل، يصبح هذا برنامج عمل لهم، يصبح مسيطرًا عليهم بشكلٍ تام**، وهذا ما عبَّر عنه- فيما يتعلق بالمنافقين- بهذا التعبير: ﴿اسْتَحْوَذَ﴾، بما تفيده هذه المفردة من سيطرة تامة عليهم، وتأثير كبير عليهم، ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾.

١٢

والمنافقون هم فئة تنتمي للإسلام، ولكن في ولائها، وفي اهتماماتها وأنشطتها، تعمل لصالح أعداء الإسلام؛ ولذلك عندما يصبح برنامج العمل هو برنامجًا لخدمة أعداء الله، **يعني:** لخدمة الشيطان في نفس الوقت، أصبح عملًا يخدم الشيطان، **ولسيطرته عليهم ينسيهم ذكر الله**، فهم يفقدون التذكر لله ﷻ في مقام عظمته، قدرته، تدبيره، حكمته، قوته، ينسون الله، يغفلون عن الله ﷻ، فيرون الأعداء كل شيء، ليس عندهم ثقة بالله، ولا أمل في نصر الله ﷻ، **فيعتبرون أن الطريقة الصحيحة للحفاظ على مصالحهم وأنفسهم، وللسلامة من شر الأعداء، هو أن يعملوا لمصلحة الأعداء، فيتجهون على ذلك الأساس.**

﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾، **الشيطان هو أكبر خاسر،** هو الخاسر الأكبر في الكائنات بكلها، ويخسر معه حزبه، وكل من يتجهون معه في طريقه، كل من يخضعون لتأثيره.

هو أيضًا فيما يتعلق بالكافرين، الذين أصبح توجههم في الحياة متباينًا تمامًا مع منهج الله، مع دين الله، مع هدي الله، وأصبحوا اتجاهًا مضادًّا، اتجاهًا معاكسًا، **معناه:** أنهم أصبحوا يعملون لمصلحة الشيطان، حتى ضد أنفسهم، وضد المجتمع البشري من حولهم، ولهذا يصبح ما هم فيه من الضلال، ما هم فيه من توجُّهٍ سيءٍ **جدًّا،** متضادًا مع هدى الله، مع دين الله، مع أنبياء الله، مع رسل الله، حالة رهيبة **جدًّا** من الضلال يصلون فيها فيُخذلون، وتُسلَّط عليهم الشياطين.

١٢

الإنسان إذا ضل، إذا فسد، إذا انحرف انحرافًا تامًا، إذا عاند، عاند الله، عاند الحق؛ يصبح جزءًا من العقوبة له: أن يُخذل، وأن تُسلَّط عليه الشياطين، **ولذلك** يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيما يتعلق بالكافرين: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾[مريم: ٨٣]، **نتيجةً** لكفرهم، وعنادهم، وتباينهم مع الحق، وإصرارهم على التوجه الباطل؛ **يُخذلَون**، وتُسلَّط عليهم الشياطين، ويُترك لها المجال في التأثير عليهم، في العمل للدفع بهم أكثر وأكثر نحو الضلال؛ **بسبب** ضلالهم هم، **بسبب** عنادهم هم، **بسبب** إصرارهم على توجههم المضاد لهدى الله، لدين الله، لمنهج الله، لرسول الله، لأنبياء الله؛ **فتتحرك** الشياطين باستمرار للدفع بهم أكثر وأكثر نحو ما هم فيه من كفر، من باطل، من سوء، وتزعجهم باستمرار، لا تترك لهم المجال ليهدأوا، ليرتاحوا، تُحرِّكُهم، تدفع بهم، تزعجهم، بشكلٍ مستمر، وهذا ملحوظٌ في واقعهم، لا يَقِرُّون ولا يهدأون، هناك من يزعجهم باستمرار، من يدفع بهم- والعياذ بالله- باستمرار، حالة رهيبة، وحالة خطيرة **جدًّا**، نعوذ بالله من ذلك!

نكتفي بهذا المقدار.

وَنَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُرضِيهِ عَنَّا، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبرَار، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنصُرَنا بِنَصْرِه، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاء.

وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَامَ، وَالقِيَامَ، وَصَالِحَ الأَعمَالِ.

وَالسَّـــلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَـــةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـه؛؛؛

١٢

الشيطان رمز الشر (٥)

الثغرات المساعدة له وسبل الوقاية من تأثيره

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين، وَأَشهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِين، وَأَشهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنتَجَبِين، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِين.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمْ.

أَيُّهَا الإِخْـــوَةُ وَالأَخَوَات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

في سياق الحديث عن خطر الشيطان على الإنسان، وأساليبه وطرقه في التأثير على الإنسان، ومدى حقده على المجتمع البشري، وعداوته الشديد لآدم وذريته جيلًا بعد جيل، وما قدمه القرآن الكريم من تفاصيل بهذا الشأن، كنا تحدثنا على ضوء قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، في الآية المباركة بعد قوله: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾

قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢-٦٥].

في الآية المباركة، عندما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، تحدثنا بالأمس كيف أن الشيطان يعتمد بشكلٍ أساسي، بعد أن يتمكن من الإغواء بمجاميع كثيرة من البشر، بالاستغلال لهم، **وتوظيف كل قدراتهم وإمكاناتهم المادية والبشرية لخدمة أهدافه:**

١٣

- **أولًا في الإيقاع بهم هم، في ممارسة الأعمال السيئة،** التي تسبب لهم الخزي، والعذاب، والشقاء، والتي تبعدهم وتحطهم عن كرامتهم الإنسانية، وتسبب لهم أن يكون مصيرهم- والعياذ بالله- إلى نار جهنم.
- **ثم هو لا يحتاج إلى جهود ذاتية لعملية التمويل لمشروعه الشيطاني الواسع،** لإفساد الناس، وإفساد حياتهم، وإغوائهم، والدفع بهم نحو الشقاء والهلاك، لا يحتاج إلى أي جهد في ذلك، ولا يحتاج إلى أن يخسر ولا ريالًا، ولا درهمًا، ولا دولارًا، ولا فلسًا، ولا بأي جهدٍ، أو مبلغٍ مالي، ولا أن يقدم أي عناء في سبيل ذلك، **فمعناه أنه:** يدفع بالبشر ليكونوا هم من يمولون الأعمال السيئة، وينفذون تلك الأعمال السيئة، التي تحقق أهدافه، في إفسادهم، وفي إشقائهم، وفي المصير بهم نحو العذاب والعياذ بالله.
- **ثم نحو أن يُفسِد واقع هذه الحياة بالنسبة لهم، أن ينتشر** فيها الفساد، **أن تنتشر** فيها الجريمة، **أن ينتشر** فيها الظلم، **أن تنتشر** فيها السيئات التي لها آثار سيئة على الناس أنفسهم، على واقعهم، على استقرارهم، على استقرار معيشتهم، ولها آثار

سلبية في كل مجالات الحياة عليهم، ينتج عن ذلك مضار، ومفاسد صحية، وأمنية، واجتماعية، وغير ذلك.

فتكون النتائج السلبية بكلها على البشر أنفسهم، فهم من يتضرر، وهم من يخسر.

وللأسف الشديد، يمتد التأثير الواسع في واقع حياة الناس نتيجةً لذلك، نتيجةً لتلك الاستجابة، من جانب الكثير من البشر، والذين يتحول البعض منهم إلى شياطين، كما تحدثنا على ضوء الآية المباركة: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾[الأنعام: ١١٢]، **تتسع دائرة الشيطنة، والعمل الشيطاني، والنشاط الشيطاني، إلى الواقع البشري، وتمتد إلى البعض من الناس أنفسهم، الذين يتحولون إلى شياطين،** فيتحركون لإفساد الناس ولإغوائهم، يَفسُدون هم في أنفسهم ويضلون، ثم يتحولون إلى القيام بهذا الدور في أوساط المجتمع، في أوساط الآخرين والعياذ بالله، فيشتد نشاطهم في هذا الاتجاه، ويحاولون أن ينشطوا في أوساط المجتمعات، وأن يستهدفوا الناس، على المستوى الشخصي، وعلى المستوى الجماعي، أنشطة عامة وجماعية، وأنشطة شخصية، قد يركزون عليك هنا، في حال بعض الأشخاص، يكفي لإغوائهم البعض من شياطين الإنس، ويقومون بالمهمة بشكلٍ تام، البعض يتعاون عليهم شياطين الإنس وشياطين الجن، شياطين الجن يغتنمون الفرصة في خلواتهم، في الحالات التي ينفردون فيها بأنفسهم، فيُكمِلون ما بَدَأَهُ شياطين الإنس، وهكذا يتحرك شياطين الإنس أيضًا بالإغراءات والوسائل التي يحاولون من خلالها السعي لإفساد الآخرين، ويأتي شياطين الجن لإكمال الدور، بالإغراء، والتزيين، والوسوسة، وغير ذلك، فالحالة خطيرة جدًّا.

وفي بعض المراحل يزداد النشاط الشيطاني، وفقًا لهذا التعاون، ما بين شياطين الإنس وشياطين الجن، وفي مثل هذا الزمن كثرت الوسائل والإمكانات، التي تُروِّج للفساد، تروِّج للضلال، تروِّج للباطل، تستهدف النفس البشرية؛ **للتأثير** عليها بوسائل وتقنيات

١٣

العصر بشكلٍ كبير، فيزداد الخطر، **ويحتاج الإنسان إلى أن يدرك هذه المخاطر، وأن يسعى للتحصن منها.**

الثغرات التي تساعد الشيطان في التأثير على الإنسان

❑ **هناك ثغرات تساعد على أن يكون الإنسان قابلًا للتأثير الشيطاني، سواءً عبر شياطين الإنس، أو عبر شياطين الجن:**

- **من أولها ومن أخطرها: هو الغفلة عن ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والنسيان لله:**

الإنسان بحاجة إلى أن يستحضر في وجدانه، وفي باله، وفي تفكيره، وفي نفسه، أن يتذكر الله، وأن يستحضر ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تَذكُّر الله، تتذكر عظمته، ووعده ووعيده، وجلاله، وعِظَم شأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والمسؤولية أمامه، ونعمه عليك، **وأنه** ربك، **وأنه** خالقك، **وأنه** ولي نعمتك، **وأن** إليه مصيرك، **وأنه** رقيبٌ عليك على الدوام، لا يغفل عنك لحظةً واحدة.

١٣

إذا غفل الإنسان عن الله، ونسي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا يؤثر عليه، ويضعف مناعته تجاه مساعي التأثير الشيطاني، المحاولات في التأثير عليه، سواءً من شياطين الجن، أو من شياطين الإنس، ولهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن المنافقين: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩]؛ **لأنه** يرى في ذلك وسيلةً للسيطرة التامة عليهم، والتأثير الكبير عليهم؛ **لنسيانهم** لله، لغفلتهم عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

- **من الثغرات الخطيرة جدًّا على الإنسان، التي تفتح كل أبواب التأثير على نفسه، لشياطين الجن والإنس: هي الابتعاد عن هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والتعامي عنه:**

حينما لا تكون صلتك بهدى الله صلةً وثيقة، صلة الاهتداء، والتمسُّك، والاتِّباع، والتَقبُّل، وتتحول إلى مُعرض عن هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إلى متعامٍ عنه، إلى متغافلٍ له، إلى متجاهلٍ له، فهي حالة خطيرةٌ جدًّا عليك، **لأن هدى الله له أثره الكبير:**

- **على** المستوى التربوي في تزكية نفسك.

- **وعلى** مستوى الوعي.

- **وعلى** مستوى تعزيز وترسيخ حالة التقوى في نفسك، والمنعة الإيمانية.

تحمل روحًا يقظة، نفسيةً متنبهة، تجاه مكائد الشيطان، تحمل روح العداء للشيطان، تتحصن بذلك؛ **فبالتالي** إذا تحول الإنسان إلى مُعرِض عن هدى الله ﷻ، متعامٍ، ومتجاهل، ومتغافل، كذلك يفتح المجال للتأثير عليه، بل يُسلَّط الشياطين عليه، كما في الآية المباركة: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦]، حالة خطيرة جدًّا، يكون البديل عن هدى الله ﷻ، إذا لم يكن هدى الله هو قرينك، إذا لم تكن صلتك به هي الصلة الوثيقة، صلة الاهتداء، الاتِّباع، التمسُّك، التقبُّل، التفهم، الإصغاء، الإقبال، وتحولت إلى حالة الإعراض والتعامي، فهي حالة خطيرة جدًّا، **يتحول قرينك- البديل عن القرآن، البديل عن ذكر الله** ﷻ، **البديل عن هدى الله** ﷻ- **شيطانٌ من الشياطين،** يكون قرينك شيطانٌ من الشياطين، ويلازمك، يتمكن من ملازمتك، يتمكن من التأثير عليك في كثير من الأحوال، ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾، مما يفيده ذلك من ملازمته لك؛ **وبالتالي** يبقى في عملٍ مستمر للتأثير عليك، ويبقى مغتنمًا لأي فرصة في ظروف حياتك، للإيقاع بك؛ **لأنه** يعيش معك في كثيرٍ من الأحوال والظروف، ويدرك الفرص، ويدرك الظروف التي يرى فيها الفرص للتأثير عليك، **في أحوالك:**

- **في** حالة الغضب.

- **في** حالة الرضا.

- **في** حالة الإغراء.

- **في** حالة الانجذاب والميل النفسي نحو شهوات ورغبات.

فهو حاضر لاغتنام الفرصة، والإيقاع بك في أي لحظة، وقد يكون هذا من شياطين الجن، وقد يكون أيضًا من شياطين الإنس، وقد يجتمع الأمران، يكون معك من يلازمك من هناك وهناك، ويتعاونان في المهمة تجاهك، فهي حالة خطيرة جدًّا.

لكن بصلتك بهدى الله ﷻ وذكره، صلة الاهتداء، الاتِّباع، التمسُّك، التقبُّل، التفهم، هذا يحصنك ويبُعدك عن التأثير الشيطاني، وحتى في الرعاية الإلهية، تحظى برعاية من الله ﷻ، وبتوفيق من الله ﷻ، وبعونٍ من الله ﷻ.

وبزكاء نفسك، تعشق قيم الخير والحق، وتمقَت وتكره وتبغض الأعمال السيئة، وتنفر منها، يقوى فيك الوازع الفطري الإيماني، الذي يعبَّر عنه بالضمير، فيكون له أيضًا تأثير إيجابي، في اندفاعك نحو الأعمال الصالحة، وتلافيك لأي تقصير، أو خطأ، أو تجاوز، أو زلل، للرجوع إلى الله ﷻ، والإقلاع عن ذلك. ١٣

- **من الثغرات أيضًا الخطيرة على الإنسان: التفريط في بعض الأعمال المهمة:**

التي من أهم ما فيها هو: تحصين نفسيتك، وتقوية الدافع الإيماني لديك، مثلما هو حال الصلوات الخمس؛ **لأنها تعود أيضًا:**

- **إلى** مسألة الذكر لله جَلَّ شَأنُهُ.
- **وإلى** تعزيز الروح الإيمانية في نفسك.
- **وإلى** التزكية لمشاعرك ووجدانك، وتطهير نفسيتك.
- **وإلى** الإبعاد لك عن الأجواء المفسدة، والأجواء المغوية، والأجواء السيئة.

وتعيش في الجو الروحي الإيماني، الذي تُقبِل فيه إلى الله ﷻ، تتوجه فيه إلى الله، وخاصةً عندما يكون أداؤك للصلاة بتوجه من قلبك، ووجدانك، ولسانك، إلى الله ﷻ، هذا له أهميته الكبيرة في نفسك.

لكن عندما تفرط فيها، فلذلك مخاطر كبيرة جدًّا على نفسيتك، ولذلك ورد في الحديث النبوي الشريف: **((لَا يَزَالُ الشَّيطَانُ هَائِبًا مَذعُورًا مِن المُؤمِنِ، مَا حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، فَإِذَا ضَيَّعَهُنَّ، تَجَرَّأَ عَلَيهِ، فَأَلقَاهُ فِي العَظَائِمِ))**، فالشيطان يتهيَّب وينظر إلى المؤمن بمهابة وذعر، ليس جريئًا عليه، ليس مؤملًا أملًا كبيرًا في إغوائه، عندما يرى ما هو عليه، من إقبالٍ إلى الله سبحانه وتعالى، وتوجهٍ صادق، **((فَإِذَا ضَيَّعَهُنَّ))**، **والتضييع يبدأ بكثير من الممارسات:** غفلة، إهمال، تساهل، انشغال بأشياء تافهة؛ **حتى** يفوت الإنسان فرضًا معينًا بشكلٍ تام، **يخرج** وقته بشكلٍ كامل، وأداء بدون إقبال، بدون جد، ثم وصولًا إلى الإهمال والتفريط- بشكل تام- ولو في بعض الفروض، مثلما هو حال البعض تجاه- مثلًا- فريضة صلاة الفجر، أو بعض الفرائض، وهي حالة خطيرة على الإنسان، ثم يتجرأ عليه، فإذا **تَجَرَّأَ عَلَيهِ ((أَلقَاهُ فِي العَظَائِمِ)):** الجرائم الكبيرة، الذنوب العظيمة، المعاصي العظيمة الخطيرة جدًّا.

- **من المخاطر على الإنسان، التي تفتح أبواب التأثير عليه، من جانب الشيطان، هي ما تحدثنا عنه سابقًا: في الانجرار وراء خطوات الشيطان:**

حالة خطيرة جدًّا على الإنسان، يبدأ يتساهل، ويسوّل لنفسه، ويُبَسِّط لنفسه المسألة في بعض الأمور، وهي تؤثر عليه، وهي تمثل خطوة من خطوات الشيطان، تجر إلى خطوة أخرى:

- **مثلما هو حال البعض- مثلًا- في التعامل عبر الوسائل الحديثة:** الجوالات، أجهزة الاتصالات، الإنترنت، ومواقع التواصل الاجتماعي، قد يدخل في علاقة محرمة، بدءًا بالمغازلة مثلًا، **ثم ما وراء ذلك:** الحديث السيء عن المعاصي، والإغراء بها، وصولًا إلى ارتكاب الفواحش والجرائم الفظيعة والعياذ بالله، **فهي خطوات تُحطِّم فيها الحواجز، وتُدنَّس فيها النفوس، ويُضرَب من خلالها زكاء النفس.**

- **أو- مثلًا- البعض يورِّط نفسه ابتداءً بمشاهدة المواقع الإباحية، أو القنوات التي تنشر مشاهد فاضحة وسيئة؛ فيدنس** نفسه، ويضرب زكاء نفسه، ويهيئ نفسه للخطوات التي تليها، والانجذاب إلى ما هو أسوأ، وهكذا؛ **حتى** يتورط في الجرائم العظيمة الفظيعة، القبيحة والشنيعة والعياذ بالله.

- **في التصرفات الأخرى، تجاه الأطماع المادية،** قد يبسِّط لنفسه المسألة قليلًا قليلًا؛ **حتى** يصل إلى خيانة كبيرة، أو معاملات محرمة خطيرة، أو ما شابه ذلك.

- **في المواقف والأعمال الأخرى،** في التفريط والتقصير في المسؤوليات المهمة، في التقصير والتفريط فيما أمرنا الله به من التزاماتنا الإيمانية، حالة التهاون، والخطوة وراء الخطوة، إذا فتح الإنسان لنفسه فيها المجال، هي تجره إلى ما وراء ذلك.

فينبغي الحذر والانتباه؛ لأنها طريقة أساسية يعتمد عليها الشيطان في استهدافه للإنسان. ١٣

ثم يتأثر، حتى قد تؤثر عليه معصية في أمر آخر، في موضوع آخر، تأثير خطير، ولهذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيما يتعلق بهزيمة المسلمين في **(غزوة أحد)**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾[آل عمران: ١٥٥]، فالشيطان تمكَّن من أن يستزلهم، وأن يدفع بهم إلى الهزيمة، وكانت معصية، وكانت خطيرةً عليهم، وكانت لها آثارها السلبية في جوانب كثيرة، لكن كيف تمكّن من أن يدفع بهم إلى الهزيمة؟ قال: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾، كسبوا أعمالًا معينة، هي مخالفَة لتوجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **أضعفت تماسكهم الإيماني في الموقف المطلوب منهم:** في الثبات في الجهاد في سبيل الله، أضعفت من نفسياتهم، أثَّرت على مدى تمكنهم من الثبات في ذلك الموقف المهم، وفتحت المجال لأن يكون للشيطان تأثير أقوى عليهم، ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾.

- **من المخاطر الكبيرة جدًّا، التي تؤثر على الإنسان هم: قُرنَاء السوء:**

قرناء السوء هم صنف من الشياطين، وامتداد للنشاط الشيطاني، **الذي** يؤثر على الكثير من الناس، قرين السوء الذي له علاقةٌ بك قوية، وصداقة حميمة بك، **يدخل من مداخل تلك العلاقة والصداقة في التأثير عليك:**

- **في** تغيير قناعات.
- **في** الدفع نحو تصرفات.
- **في** ترسيخ مفاهيم خاطئة.
- **في** الدفع بك نحو مواقف سيئة.
- **في** فصلك والابتعاد بك عن الأمور المهمة في الدين.

١٣

وهكذا، يترك تأثيره عليك؛ وبالتالي يهيئك للتأثير الشيطاني بشكل أكبر وأكبر.

الشيطان يوسِّع نشاطه عبر شبكاته الواسعة، وكما قلنا في بداية الحديث: لا يحتاج إبليس- لعنه الله- أن يتحرك بنفسه، ليلاحق بني آدم شخصًا شخصًا، قد يكون هناك بعض المهام الخاصة التي ينفذها شخصيًا بشكلٍ مباشر، قد يكون له أنشطة، أو جولات، لتفقد بعض الأجواء، أو بعض الأمور، في بعض المناطق، أو بعض البلدان، ثم هو يكتفي بمتابعة شبكاته الواسعة، التي تنقل له التقارير اليومية عن إنجازاتها، وما حققته في سبيل الدفع ببني آدم نحو الهلاك، نحو الشقاء، نحو العذاب، هدفه الأساسي كعدوٍ مبين.

إن كيد الشيطان كان ضعيفًا.. لكن أمام من؟

على مرِّ التاريخ هو حاول أن يستهدف حتى الأنبياء، ولكنه فشل فشلًا ذريعًا، وقصته مع نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ معروفة ومشهورة، كيف فشل، ولا تزال مسألة (رمي الجمار) من المعالم والمناسك المتبقية المشروعة في الحج؛ **لتُذكِّرنا** بذلك الموقف، ولتدفع بنا إلى الاقتداء بنبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، في الموقف الحاسم تجاه الشيطان،

وفي مواجهة الشيطان، والمباينة للشيطان، وعندما تنطلق من منطلق إيماني، يضعف أمامك الشيطان، يضعف أمامك.

في مسألة رمي الجمار بالحصى، بالحصى وليس بالصخور، وليس بالأحجار الكبيرة التي تملأ كفك، وليس بأسلحة عنيفة جدًّا، ما يبيّنُ ضعفَ كيد الشيطان! لكن إن توفر الإيمان، إن توفرت هذه الصلة الإيمانية بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، التي تجعلك قويًا أمام الشيطان، ويضعف أمامك.

بل يبين القرآن ضعفَه- ليس فقط أمام الأنبياء- حتى في مواجهة المتقين، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن عباده المتقين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝٢٠١ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ﴾[الأعراف: ٢٠١-٢٠٢]، **الذين اتقوا لا يلازمهم الشيطان، ولا يستقر لمقارنتهم**، وهم في حالة انتباه ويقظة؛ **ولذلك** هو بعيدٌ عنهم، فإذا عَرَضَ لهم أحيانًا- في حالات معينة- عَرَض لهم شيءٌ من وساوس الشيطان، تنبهوا؛ **يحملون** روحًا يقظة، نفسيةً متنبهة، صلةً وثيقةً بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تَذَكُّرًا لله جَلَّ شَأْنُهُ، علاقةً قويةً بهدي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ **فلذلك** لا تطول غفلتهم، لا يغفلون لفترات طويلة، يتنبهون.

﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ﴾، عرض لهم- في بعض الحالات- شيءٌ من وساوس الشيطان ومحاولاته، هو يحاول فيما إذا مشت المسألة، وإلَّا تركهم، ﴿تَذَكَّرُواْ﴾، **وتذكرهم يُنهي تلك الوساوس؛ لأنهم يلتجئون إلى الله، يستعيذون به من الشيطان**، يهتمون ويَجِدُّون، ويتجهون عكس ما يوسوس به الشيطان، وبالتالي ينتهي التأثير الشيطاني فورًا، لا يتمكن من أن يصل بهم إلى حالة الانجرار، والانقياد، والتمادي، والإصرار بالشيء الذي يوسوس به.

﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾، **يتنبهون، يحملون حالة الوعي، يدرك ما دامت تلك الوساوس، ما دامت تلك الحالة التي هو فيها لا تنسجم مع هدى الله، مع تعليمات الله، هي إذًا من الشيطان**، فورًا يُدرك ذلك، هي إذًا من الشيطان، لديه معايير واضحة، لديه ثوابت، الاتجاه الصحيح هو الذي أمر الله به، ووجه إليه، ما يعارضه، ما يختلف معه، **ما هو بعيدٌ عنه:** هو من الشيطان؛ **فيتنبه**، ويرجع، ويدرك خطورة المسألة.

أمَّا الآخرون، فهم يدفعون بهم أكثر، ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾، يدفعون بهم باستمرار؛ **ليستمروا**، ليستمروا وليواصلوا إلى مَدَيَات بعيدة، يصلون بهم إلى مواصل سيئة جدًّا، يدفعون بهم إلى نهاية الطريق السيئة والعياذ بالله.

١٣ نقاط مهمة للوقاية من تأثير الشيطان الرجيم

❑ **فيما يتعلق بسبل الوقاية من التأثير الشيطاني، هناك نقاطٌ مهمة، علينا أن نأخذها بعين الاعتبار، من خلال تأكيد القرآن الكريم عليها:**

- **في مقدمتها: الاستعاذة بالله تعالى، والالتجاء إليه، والإكثار من ذِكره:**

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول في القرآن الكريم: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨]، **يقول:** ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

في واقع الإنسان إذا كان متنبهًا، وعنده قناعة: أن الوساوس التي تدفعه بعيدًا عن توجيهات الله وتعليمات الله، ولا تنسجم مع حالة التقوى والإيمان، هي من الشيطان؛ فبالتالي يتنبّه، ويلتجئ إلى الله، **ويستعيذ به:** يطلب منه أن يعيذه، أن يعيذه، **يعني:** أن يحفظه، وأن يحميه، وأن يعصمه من الشيطان، ومن تأثير الشيطان، ومن حضور الشيطان، **فهذا الالتجاء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، التجاءً صادقًا وإيمانيًا، ضِمنَ توجهك**

للابتعاد عن تأثير الشيطان، وعن الطاعة للشيطان، يوفر لك الحماية، يحميك من تأثير الشيطان، ومن نزغاته، ومن وساوسه، فهو مهمٌ جدًّا، أكَّد عليه القرآن الكريم في عدة آيات، وفي عدة موارد (في عدة سور)، هذا شيءٌ مهم.

فليُعوِّد الإنسان نفسه على ذلك: أن يُكثر من الاستعاذة بالله، **ويعي معنى الاستعاذة:** أنها التجاء إلى الله؛ **للامتناع** بحمايته وحفظه من تأثير الشيطان، ليكون في إطار الاستعاذة متوجها كذلك، متوجهًا إلى الله، **وليس يقول:** [أعوذ بالله من الشيطان الرجيم]، لكن وهو يحمل نفسية الإصرار في الاندفاع فيما وسوس له الشيطان به. موقفٌ خاطئٌ وسوس لك به الشيطان، وأنت تريد أن تستمر فيه، **وإذا قلت:** [أعوذ بالله من الشيطان الرجيم]، تقولها بلسانك؛ **أمَّا** التوجه الذي أنت عليه فهو الاستمرار، والمواصلة لِما وسوس لك به الشيطان، في حالة غضب، أو في حالة رضا، أو في حالة مخاوف. ١٣

- **يكون مع الاستعاذة توجه إلى الله ﷻ:**

﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾، أستجير بك، وألوذ بك؛ **لتحفظني**، وتحميني، وتمنعني، تمنع عني التأثير الشيطاني، ﴿أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾، من وساوسهم ونزغاتهم، التي يحاولون التأثير بها عليّ، ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾؛ **لأن** الحضور الشيطاني- بنفسه- قد يترك تأثيرًا على نفس الإنسان، في الحالات التي يتجه فيها نحو التفكير السلبي، ويعيش فيها حالة التفاعل مع **إمَّا** إغراءات، **أو** التفاعل في حالة الغضب وهيجان الغضب مع الموقف السلبي، **يعني:** تتأجج في مشاعره الحالة السلبية وهو يتفاعل معها، فمقاربتهم للإنسان في مثل تلك الحالة- كما شبهنا في المحاضرات الماضية- كما تقترب الحرارة من الحرارة فتزداد، تزداد نسبتها عندما اقتربت.

الشياطين هم رجس، هم خبث، هم نجس، ومداناتهم للإنسان، وقربهم منه، في الوقت الذي تتأجج فيه الرغبات السلبية مع التفكير السيء، أو الانفعالات السيئة مع التفكير السيء، **فهم يتركون تأثيرين عليه:**

- **تأثيرًا في تأجج تلك الحالة السلبية**، التي هي عبارة عن مشاعر، **تستعر فيه أكثر: إمَّا** رغبات، **إمَّا** انفعالات وغضب، **إمَّا** مخاوف.
- **وفي الحالة الذهنية، في التأثير الذهني والتفكير** كذلك، تأتي المزيد من الوساوس والأفكار والخواطر السيئة، التي هي إيحاءٌ منهم، وسوسةٌ منهم، تواصلٌ من خلال طريقة خفية، أوصلوا إلى ذهنية الإنسان تلك الأفكار السيئة.

فحضورهم خطير، فلذلك الاستجارة بالله والاستعاذة به حتى من حضورهم، ألَّا يحضروا بجوارك، أن يبعدهم الله عنك تمامًا، فلا يوسوسون لك، ولا يحضرون عندك.

١٣

أمَّا شياطين الإنس فيُفترَض أن يقاطعهم الإنسان، لا حاجة له بمجالستهم، ولا بالإصغاء إليهم، لا في مجالس يحضرون فيها بأبدانهم، ولا في هذا الزمن عبر وسائل العصر وتقنيات العصر، **مثل:** القنوات الفضائية، **أو** مواقع التواصل، **أو** غير ذلك، يُفترَض أن يقاطعهم الإنسان، وأن يتركهم بشكل تام.

- **وأن يكون الإنسان متنبهًا في هذه المسألة (مسألة الوساوس)، ومركزًا على (مسألة الاستعاذة) في الحالات التي تعرض فيها الخطورة أكثر:**

- **في وقت** الرغبات والشهوات، لمَّا تتأجج في مشاعر الإنسان، وتتحرك حالة الرغبات، والشهوات، والميول، التي يرى أنها بدأت تتجه به نحو أشياء سيئة.
- **أو في** حالة الانفعالات والغضب، والتي تتجه به أيضًا نحو الإفراط في مواقفه، والتجاوز للحق، سواءً في كلامه، أو في فعاله، أو في كليهما (الكلام والفعال).
- **المخاوف** كذلك.

في الحالات الثلاث ينبغي أن يكون الإنسان حذرًا ومتنبهًا، ومتنبهًا من الخطوات نفسها.

وأن يهتم بالعمل الصالح، الذي يزيده إيمانًا، يزيده صلاحًا، يزيده زكاءً، يبعده أكثر عنهم، وعن تأثيرهم.

- **وأن يرسخ الإنسان في نفسه العداوة للشيطان، وكل الشياطين:**

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[فاطر: ٦]، **الشيطان هو عدو**، لكن المشكلة كيف يفرِّط الكثير من الناس فلا يتخذونه عدوًّا، لا يتخذونه عدوا؟! **رسِّخ في نفسك العداء للشيطان، ونمِّ في نفسك العداء للشيطان، وهي مسألة ممكنة**، البشر في واقعهم، يحملون أحيانًا تجاه بعضهم البعض العداء، وينمونه، ينمِّي البعض في نفسه حالة العداء لشخصٍ معين، أو لقومٍ معينين، أو لجهة معينة، حتى يصل إلى الذروة، إلى العداء الشديد جدًّا، فالإنسان بحاجة إلى أن يرسِّخ باستمرار، من خلال القرآن الكريم، وما عرضه لنا عن الشيطان، وحقده، وعدائه، وما يعمله تجاهنا، وما يسعى له، كلما ترسخ العداء أكثر، واستحضرت هذه الحالة، في الظروف التي قد يؤثر عليك فيها الشيطان، كما ذكرنا في الحالات الثلاث: **حالة الرغبات، والانفعالات، والمخاوف**، فهذا يفيدك جدًّا؛ **استحضار** ذلك، ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾.

- **ثم لتسعَ إلى الأعمال التي تغيظه، وتقهره، وتحطمه، وتبعث فيه حالة اليأس تجاهك:**

يرى إيمانك، توجهك إلى الله، إقبالك إلى الله، أخذك بوسائل النجاة منه، بأسباب الوقاية منه، يراها بالشكل الذي يُبعده عنك، ويُضعف تأثيره بشكلٍ كبيرٍ عنك، هذه مسألة مهمة.

- **وأن يأخذ الإنسان بأسباب التوفيق.**
- **وأن تحذر من أعوان الشيطان، ومن أتباعه، فلا يؤثرون عليك:**

١٣

الشيطان وأعوانه ومستوى تأثيرهم في الواقع البشري

عندما نتأمل في واقعنا البشري، والشيطان قد قطع شوطًا على مدى أجيال كبيرة في الواقع البشري، في التأثير على الكثير منهم، إلى درجة أن الكثير من البشر يوم القيامة يُحشرون، ويُعتبرون ممن عبدوا الشيطان، ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[يس: ٦٠]، ويظهر ويتجلى مدى التأثير الكبير في واقع البشر، من جانب شياطين الجن، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾[الأنعام: ١٢٨]، **يعني:** أغويتم الكثير، في الآية السابقة نفسها يقول الله بعد قوله: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۝٦٠ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾[يس: ٦٠-٦٢]، أضلّ أممًا كثيرة، أضلّ أعدادًا هائلة من البشر، وأثّر عليهم، إلى درجة أن يُؤثِروا طاعته على طاعة الله، وأن يعصوا الله ويطيعوه، هذه مسألة رهيبة جدًّا، وتتحول تلك المسألة إلى مسيرة حياة، يغلب عليهم الطاعة للشيطان والمعصية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حالة خطيرة جدًّا.

في ظل ذلك، وفي ظل: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، تتطور الحالة في الواقع البشري، إلى أن يتحرك أتباع الشيطان وجنوده، وأعوانه، وشياطين الإنس، ليشكلوا جبهةً ونشاطًا منظمًا وكبيرًا في واقع البشر، **يتجه في نفس الاتجاه الشيطاني:**

- **لنشر** الفساد.
- **لنشر** المنكر.
- **لممارسة** الظلم بحق عباد الله.
- **لمحاربة** الرسالة الإلهية، في مبادئها، في قيمها، فيما تقدمه من الحق، في إقامة القسط، فيما تقدمه من عدل وقيم عظيمة، يسعون لمحاربتها وإزاحتها من واقع الحياة.

ويتجهون بكل ممارساتهم- التي هي للإفساد، وللإضلال، وللإغواء، وللمحاربة لهدى الله وتعاليمه- **إلى** نشر الفساد، **إلى** الترويج له، **إلى** فرض حالة الباطل، ويمارسون أبشع الظلم بحق عباد الله، يتحركون بذلك المستوى، ليس فقط بمجرد وسوسة وإغراء، بل بأوامر، بسعيٍ لفرض حالة الباطل في الساحة البشرية، وفي المجتمع البشري، مثلما قال الله عن المنافقين: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾[التوبة:٦٧]، **(يَأْمُرُونَ)**، ليست فقط مجرد وسوسة عادية، أو عرض عادي، أو إغراء عادي، بل نشاط لفرض حالة المنكر، نشاط للنهي عن المعروف ولمنع المعروف.

حالة أولياء الشيطان، يصل بهم الحال إلى أن يقاتلوا في سبيل الشيطان، في سبيل الطاغوت، في محاربة الرسالة الإلهية، في محاربة الحق، في محاربة العدل، **وأن يمارسوا أبشع أنواع الظلم بحق الناس، أن** يستبيحوا حياتهم، **وأن** يستبيحوا ممتلكاتهم، **أن** يستبيحوا أعراضهم، فيتحركون بالشر، والظلم، والطغيان، والإجرام، في ساحة الحياة، ويستهدفون الناس بذلك، فتتحول المسألة إلى حالة خطيرة من جانبهم.

التصدي لأولياء الشيطان هو جزء أساسي من التصدّي له

ولذلك جزءٌ أساسيٌ من التزاماتنا الإيمانية والدينية في التصدي للشيطان، واتخاذه عدوًّا: أن نتصدى لأوليائه، وهم يتحركون بالشر، يتحركون بالإجرام، بالظلم، بالفساد، بالمنكر، بالباطل، في واقع الحياة، والمتضرر من كل ذلك هم الناس، الشر هو يطال الناس، الباطل هو يستهدف الناس، هو خطرٌ عليهم، خطرٌ على حياتهم، هو استباحةٌ لحرماتهم، هو إهدارٌ لحقوقهم؛ **ولذلك** يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[النساء: ٧٦].

١٣

أولياء الشيطان: عنوان ينتظم فيه كل جبهة الشيطان، كل الذين يقاتلون ظلمًا، وإجرامًا، وبغيًا، وعدوانًا، وإفسادًا، جبهة الشر، جبهة الباطل، جبهة الظلم، جبهة الطغيان، الجبهة التي تسعى هي لنشر الفساد في أوساط المجتمعات، لنشر المنكر في أوساط المجتمعات، لممارسة الظلم والعدوان والطغيان بحق المجتمعات، وهذه مسألة واضحة في كل زمن، **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾:** المجرمون، مثلما سبق في قول الله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾[الفرقان: ٣١]، المجرمون، الذين يرتكبون الجرائم، الذين ممارساتهم إجرامية، أعمالهم إجرامية، توجههم، ونزعاتهم، وتصرفاتهم، في السياق الإجرامي، مؤامرات إجرامية يستهدفون المجتمع البشري.

فيكون جزءًا من التصدي للشيطان وأنشطته المعادية في الواقع البشري: التصدي لجنوده، لأعوانه؛ **لأنهم** يتحركون معه، إلى درجة أن يقاتلوا معه، ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾، يقاتلون في فرض باطلهم، في فرض فسادهم، في الإيصال لباطلهم إلى كل مكان، يستهدفون المجتمع بالظلم، والعدوان، والطغيان، والشر؛ **فلذلك** جزءٌ من الصراع مع الشيطان، **جزءٌ أساسيٌّ من الصراع مع الشيطان: هو التصدي لجنوده، لأعوانه،** في نشاطهم الإجرامي، في نشاطهم بالشر، والطغيان، والعدوان، والظلم، والباطل، التصدي لهم بكل الوسائل التي أرشدنا الله إليها، فإذا قاتلوا- هم- في سبيل الطاغوت، إذا اعتدوا على المجتمعات البشرية، أن نتصدى لهم، أن نتصدى لعدوانهم.

ليس المطلوب من المؤمنين في الساحة البشرية، مِن الذين لا يقبلون بسيطرة الشيطان، أن يخضعوا، وأن يخنعوا، وأن يستسلموا، ليستبيحهم أولياء الشيطان، ويعملوا على الظلم لهم، والإبادة لهم، والقهر لهم، والإذلال لهم، والامتهان لهم، ليست حالة إيمانية مطلوبة من جانب المؤمنين؛ بل أنْ يتحركوا في سبيل الله ﷻ،

والله سيعينهم، وعدهم بالنصر، يُمِدُّهم بمعونته، بنصره، بتأييده، فلذلك قال ﷻ: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾؛ **لأن جبهة الشر تقوى، وتطغى، وتتمكن من ممارسة الظلم بحق الناس؛ نتيجةً لتخاذل الناس**، نتيجةً لتقصيرهم، لتفريطهم، لتهاونهم، لتنصلهم عن مسؤولياتهم الجماعية المهمة، في إقامة العدل، في التصدي للطغاة، والظالمين، والمجرمين.

طليعة أولياء الشيطان. ومسؤولية الأمة في مواجهته

❑ في عصرنا وفي زمننا، فإن اللوبي الصهيوني اليهودي: هو طليعة أولياء الشيطان:

هو طليعة أولياء الشيطان، هو رأس أولياء الشيطان، هو الذي يقود النشاط الشيطاني الإجرامي المفسد في المجتمع البشري، ومن خلفه تشكيلات واسعة من الإنس، من الكافرين والمنافقين، لكنه في الطليعة، في المقدمة، وهو يؤدي هذا النشاط بشكلٍ واسع، **يقف اللوبي الصهيوني وراء نشر الفساد في العالم**، على المستوى الأخلاقي، الفساد على المستوى السياسي، الفساد على المستوى الاقتصادي، **ممارسة الظلم للمجتمعات البشرية**، والاستهداف لها، والإضرار بها، وإلحاق المعاناة بها، والاستباحة للحرمات، والاستهداف للناس في حياتهم، يقف هو في هذا العصر في طليعة أولياء الشيطان، الذين يعملون لإفساد حياة المجتمع، وإفساد الناس أصلًا، ثم يلحق بهم- كما قلنا- تشكيلات واسعة.

ما نشاهده هذه الأيام في فلسطين، وبالأمس، والبارحة، واليوم، من اعتداءات على المسجد الأقصى، على المصلين في المسجد الأقصى والقدس، على المصلين والمعتكفين في المسجد الأقصى، ما نشاهده من انتهاك لحرمة تلك المقدسات، من جانب اليهود الصهاينة، هو ممارسة شيطانية، هو من تلك الجرائم التي يمارسها أولياء الشيطان، التي تكشف عن سوئهم، عن إجراميتهم، عن وحشيتهم، عن ضرورة التصدي لهم.

وهنا تأتي المسؤولية، المسؤولية على المسلمين بشكلٍ عام، أن يقفوا إلى جانب الشعب الفلسطيني، **وأن** يعملوا على أن يكون لهم موقف واضح، يؤثر على العدو الصهيوني، ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، لو وقفت الأمة- كما هي مسؤوليتها أمام الله- الوقفة الصادقة، الوقفة الجادة مع الشعب الفلسطيني، لاندحر العدو الإسرائيلي، لاندحر بشكلٍ تام، **الإعانة للشعب الفلسطيني بكل وسائل التعاون:** بالكلمة، بالموقف، بالصوت، بالمال، الموقف الصحيح تجاه العدو الإسرائيلي، بالمباينة، بالعداء، له أهمية كبيرة، وهو ضمن الالتزامات الإيمانية والدينية.

في مقابل سعي الآخرين إلى التطبيع مع العدو الصهيوني الإسرائيلي، يجب أن يكون هناك موقف قوي، وفي شهر رمضان، شهر التقوى، **أن يكون** هناك موقف نشط، **وأن ندرك** أن المعركة مع العدو الصهيوني اليهودي **هي** من ضمن الصراع مع الشيطان، **هم** أولياء الشيطان، ونشاطهم الإفسادي والتخريبي عبر كل الوسائل، وعبر الشبكات المرتبطة بهم، من الكافرين، ومن المنافقين، هو النشاط الشيطاني المكثف في هذا العصر، الذي يستخدم حتى الوسائل والتقنيات المعاصرة، فهم يعملون كجبهة في الساحة البشرية؛ **لفرض** الباطل، لفرض الفساد، لممارسة الظلم، **وجزءٌ من الصراع مع الشيطان:** هو في التصدي لأعوانه، ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، وهذا يجعلك في موقف قوي في مواجهة الشيطان، عندما تعيش حالة الصراع معه ومع أوليائه، ولست في حالة الجمود والركود، التي تهيئك لتأثيره.

المستجيبون للشيطان وخسارتهم الرهيبة!

❑ في واقع الدنيا، كل الذين يستجيبون للشيطان، ويلتحقون بصفه، هم خاسرون:

حتى في توظيفهم لإمكاناتهم، لطاقاتهم، لقدراتهم، في خدمة الشيطان، هي خسارةٌ كبيرةٌ عليهم، هم يتحملون بذلك الأوزار، والعواقب السيئة، **عندما يشاركونه في أموالهم:**

- **سواءً من خلال المعاملات المحرمة:** الكسب الحرام، الأسلوب الحرام في الحصول على المال.

- **أو التعامل في صرف المال في المحرمات:** في معاصي، في مفاسد، في منكرات، في تمويل أعمال ظالمة، أعمال مضلة، أعمال سيئة، في تمويل أنشطة عدوانية إجرامية، في أي مجال من المجالات التي هي تخدم الشيطان في الاتجاه الشيطاني.

هم يشترون لأنفسهم العذاب، يدفعون قيمة عذابهم. أنشطة عملية، **أنشطة بأي شكلٍ من الأشكال:** في قتال، أو في موقف إعلامي، أو في أي عمل يخدم الشيطان، هم يخسرون، هم يُعِدُّون لأنفسهم العذاب، هم يشترون لأنفسهم العذاب والعياذ بالله.

❑ وتتجلى الخسارة الرهيبة لكل الذين استجابوا للشيطان في يوم القيامة، يوم الحشر، يوم الحساب، يوم الجزاء الآتي حتمًا:

عندما يُحشرون، ويدركون خسارتهم، ويدركون أنهم إلى النار، وقد خسروا رضوان الله، وخسروا الجنة وما فيها من النعيم العظيم الأبدي، خسارة رهيبة جدًّا الخسارة للجنة! وأن مصيرهم هو جهنم، ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥]، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم، **يشعرون بفداحة الخسارة.**

ويُجمَعون، والشيطان على رأسهم، وقبل الذهاب بهم إلى النار يُوجِّهُ إليهم كلمة، تحدث عنها القرآن الكريم: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، انتهى

١٣

الحساب، مُيِّزَ أهلُ جهنم لوحدهم، أُعِدُّوا وهُيِّئُوا للانتقال بهم إلى نار جهنم، أصبحوا في حالة اليقين التام بالخسارة الدائمة، والخسارة الرهيبة والفظيعة، يتحدث إليهم، ويقول لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾[إبراهيم: ٢٢]، وعدكم- اذا استجبتم له- برضوانه، بالجنة، بالسعادة، بالفلاح، بالنجاة من العذاب، بالكرامة، بالعزة، بالخير، كم هي الوعود التي وعد الله بها! **لكن من أعظمها: هو** رضوانه والجنة، **والحياة السعيدة الأبدية، والنجاة من عذابه،** ووعدُ الله حق، الذين استجابوا لله حقق لهم وعده، وأنجز لهم وعده، ﴿وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾[إبراهيم: ٢٢]، [لكنكم لم تستجيبوا لله]، يخاطب أصحابه، أتباعه، الذين استجابوا له، لم يقبلوا وعد الله الحق، لم يصدقوا وعد الله الحق، لم يستجيبوا لوعد الله الحق.

١٣

﴿وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾[إبراهيم: ٢٢]، هم استجابوا لوعد الشيطان، الوعود التي هي غرور، ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾[النساء: ١٢٠]: **للخداع**، للأماني الفارغة.

﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾[إبراهيم: ٢٢]، **يقول:** [أنا لم أرغمكم، لم أقسركم، لم أُجبركم، إلى أن تسيروا في طريقي؛ **إنما** كانت دعوة، أنتم الذين استجبتم]، ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾[إبراهيم: ٢٢]، [لن أفعل لكم شيئًا لإنقاذكم، لإغاثتكم]، **ويقول:** لن يفعلوا له أيضًا شيئًا، ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾[إبراهيم: ٢٢].

ثم يُنقل، ويُنقلون معه إلى نار جهنم؛ للعذاب الدائم فيها، للاحتراق الدائم، للحالة الرهيبة، للعذاب الشديد والعياذ بالله، خسارة رهيبة جدًّا! هي تلك الحالة التي ينادون فيها بالثبور، عندما يلقى بهم في نار جهنم، في عذابها الشديد، ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾[الفرقان: ١٣]، ينادون بالهلاك، يشعرون بالخسران الرهيب، والندم الشديد

الفظيع، فالشيطان هو خاسر، وخسر كل شيء، وهو رأس الخاسرين، وأكبر الخاسرين، وكل أتباعه يخسرون، هم الذين يخسرون الخسارة الرهيبة العظيمة والعياذ بالله!

في القرآن الكريم الحديث واسع عن الشيطان، وعن الصراع مع الشيطان، وعن خطورة الشيطان على الإنسان عندما يغفل، عندما لا يستجيب لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عندما لا ينتبه، لا يتذكر، **وفي القرآن الكريم** ما يرشدنا الله إليه من الأعمال المهمة، التي تبعدنا عن التأثير الشيطاني، **وفي القرآن الكريم** التنبيه والتحذير من أعمال الشيطان ومكائده، ومكائد أتباعه وأوليائه من شياطين الجن والإنس.

ليحرص الإنسان خلال تلاوته للقرآن أن يستفيد من ذلك، أن يتفهم، أن ينتفع، وليستعذ بالله، وليلتجئ إلى الله دائمًا؛ **ليحميه**، ويقيه، ويعيذه، ويجيره من تأثير الشيطان، وليسعَ الإنسان إلى الاستعانة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **وكيد الشيطان هو ضعيف**، ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾، **لا يقوى تأثيره على الإنسان، إلَّا بسبب خللٍ من جانب الإنسان نفسه.**

أَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَامَ، وَالقِيَامَ، وَصَالِحَ الأَعْمَالَ، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبْرَارَ، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنصُرَنَا بِنَصْرِهِ، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

وَالسَّـــلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْـمَـــةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـهُ؛؛؛

١٣

الكـــــبر (١)

حقيقته ومظاهره ومساوئه وعواقبه

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِين، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِين، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِين، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِين.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمْ.

أَيُّهَا الإِخْـــوَةُ وَالأَخَوَات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَـةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـه؛؛؛

في المحاضرات السابقة، وفي سياق الحديث عن خطورة الشيطان، وعن عداء إبليس للإنسان، كان في مقدمة ما تبيّن لنا من خلال آيات الله ﷻ، **وما بيّنه الله في تلك القصة هو: أن** الدافع الأساسي للشيطان، **في** عصيانه لأوامر الله ﷻ، **وفي** رفضه للسجود لآدم، هو الكبر.

الكبر هو من أعظم الذنوب، ومن أخطرها، ومن أكثرها تأثيرًا سيئًا على الإنسان، أو على أي مخلوقٍ كان من الكائنات المكلفة (كالجن).

الكبر يتفرع عنه الكثير من المفاسد الكبيرة والرهيبة، والذنوب العظيمة الفظيعة؛ **ولذلك** كان هو أول معصية عُصي الله بها، وكان هو ذنب إبليس، الذي تورط به، وسبّب لنفسه من خلاله أن يخسر مكانته، وإيمانه، ومستقبله عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الله جَلَّ شَأنُهُ يقول في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[البقرة:٣٤]، **فعصيانه كان تكبرًا**، كان من منطلق التكبر.

مفاسد الكبر ودور المستكبرين في الصد عن سبيل الله

١٤

☐ **والمفاسد الرهيبة لتلك المعصية (معصية التكبر والكبر) هي خطيرةٌ جدًّا:**

- **في مقدمتها الكفر:** في كثيرٍ من الحالات، حالات الكثير من الأمم، من الملأ، من الشخصيات، كان الدافع لهم إلى الكفر هو تكبرهم.
- **أيضًا من المفاسد الرهيبة جدًّا للكبر هي: الصدّ عن سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:** فكثيرٌ من الذين يتحركون في الصدّ عن سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الدافع لهم إلى ذلك هو الكبر، جدالهم في آيات الله، عملهم على التصدي لأولياء الله، وصد الناس عن اتِّباع هدي الله ونهج الله، والتَّمسك بالحق، دافعهم إلى ذلك بشكلٍ أساسي هو الكبر.
- **من المفاسد الرهيبة للتكبر: هي الظلم:** كثيرٌ من الظالمين، وكثيرةٌ هي أسباب الظلم، التي تعود إلى الكبر.

وهكذا مفاسد أخرى- يأتي الحديث عن بعضها في سياق الكلام- تتفرع عن ذلك الذنب، **فإذا كان ما يتفرع عنه هو الكفر**، **هو الصد** عن سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **هو الظلم**،

هو الأنفة من اتِّباع الحق، **فكيف لا يكون ذنبًا عظيمًا،** وهذه فروعه، فروعه من الموبقات الكبيرة **جدًّا**؟!

في كل التاريخ، وفي التصدي للرسالة الإلهية، كان الذي يتصدَّر الموقف: هم المستكبرون، كان الذي يَبرُز في الواجهة، ويتصدر الموقف، ويحرِّك الآخرين، في التكذيب برسالة الله، والكفر برسل الله، والمحاربة لأنبياء الله، والسعي لإبعاد الناس عن نهج الله وعن دين الله، هم المستكبرون.

ولذلك تكرر في القرآن الكريم، وهو يعرض ما عرضه عن الأمم الماضية، وعن موقفها من الرسل والأنبياء، ومن دعوة الله ورسالته، **فيقول:** ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾[الأعراف: ٨٨]، **ثم يذكر موقفهم في التكذيب، في** الصد عن سبيل الله، **في** الدفع بالناس إلى المحاربة لرسالة الله، فهم كانوا يتصدرون الواجهة، ويبيّن أن الدافع لهم هو الاستكبار (حالة التكبر)، **يقولون:** ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾[إبراهيم: ١٠]، **يعني:** كيف نؤمن بكم، كيف نقبل باتِّباعكم، وأنتم بشرٌ مثلنا؟ ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾، كل هذا يعبِّر عن حالة التكبر. ١٤

من النماذج- أيضًا- السيئة للاستكبار والتكبر: هو فرعون، فرعون، وهامان، وملأه، الملأ من قوم فرعون. قوم فرعون كان لهم قصة طويلة وكبيرة، تكرر الحديث عنها في القرآن الكريم، وبيّن في كثيرٍ مما ذكره عنهم أن السبب الأساسي والرئيسي- إلى حدٍ كبير- هو التكبر، ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾[المؤمنون: ٤٧]، هكذا.

الكبر.. حقيقته. مخاطره. مظاهره

فالتكبر هو حالة خطيرة جدًّا، والتعريف له، كما في الحديث النبوي عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ: ((الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ))، عندما ترفض الحق، تأنف من تقبُّل الحق، أو إعطاء الحق؛ **لأنك** ترى نفسك فوق ذلك، إمَّا بشكلٍ عام، أو تجاه بعضٍ من أمور الحق، من أمور الدين، من أمور ما في تعليمات الله وتوجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ **أمَّا (الغمط للناس)** فهو احتقارهم وازدراؤهم، ليس هناك ما يبرر للإنسان أن يحتقر أي أحدٍ من الناس، فالمتكبر هو يرى نفسه أعلى شأناً، وأهم من أن يقبل بشيءٍ من الحق، إمَّا بشكلٍ عام، **أو** أشياء معينة من الحق، **أو** أن يعطي ذلك الحق على نفسه، **أو** يكون في تعامله مع الناس وفي نظرته إليهم يحتقرهم، ويزدريهم، فاحتقاره لهم، وازدراؤه لهم، وما يُبنى عليه من طريقةٍ في التعامل معهم، هو يعود إلى الكبر والعياذ بالله.

١٤

من أهم ما ورد في القرآن الكريم، مما يبين خطورة التكبر هو: موقف الإنسان من هدى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عندما لا يقبل بهدى الله، هي على كل حال حالة تكبر؛ **لأن حق الله عليك في أن تقبل هديه،** أنت عبدُه، أنت مربوبٌ له، هو خالقك، هو ربك، هو إلهك، فعندما لا تقبل بآياته، لا تقبل بتعليماته، ترفضها، تُذَكَّرُ بها، ثم تستكبر، تُصرّ على ما أنت عليه ولا تقبل بها، الحالة هذه هي حالة تكبر، ولهذا يقول الله في القرآن الكريم عمَّن هذا حاله: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان:٧]، **عندما تُذَكَّرُ بآيات الله تجاه أي شيء من الأمور:**

- **إمَّا شيء لتفعله،** أنت غافلٌ عنه، أو أنت مقصرٌ فيه.
- **أو لتقبله،** تُذَكَّرُ بشيءٍ من الحق، من خلال آيات الله تُتلى عليك؛ **لتقبل** بذلك الحق.
- **أو لتُقلِع عن شيءٍ** من المعاصي، أو الذنوب، أو الأعمال السيئة، فَتُذَكَّرُ بآيات الله، وتُتلى عليك آيات الله؛ **لإقناعك** بذلك، لتنبيهك تجاه ذلك، لتذكيرك من خلالها تجاه ذلك.

فلم تقبل، ولم تبالِ، ولم تتأثر، واتجهت اتجاه الإعراض والرفض والعناد، فهذه الحالة هي حالة تكبر؛ لأن حق الله العظيم عليك، وهو ربك العظيم، إلهك المنعم عليك، الخالق لك، **هو ملك السماوات والأرض:** أن تقبل توجيهاته، تقبل تعليماته، أن تتجه وفق أوامره، أن تنتهي عمَّا نهاك عنه، فكيف إذا ذُكِّرْتَ بآياته، بكلماته، بتوجيهاته، فلا تقبل؟! حالة خطيرة، تتعامل كما ورد في الآية المباركة: ﴿كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾، كأنك لم تسمع تلك الآية التي ذُكِّرْتَ بها، فيما ورد فيها، فيما يدعوك الله من خلالها إليه، فيما ينهاك عنه، فأنت ذلك الذي لم تقبل، ولم تتأثر، وبقيت مُصِرًّا على ما أنت عليه، **إمَّا** من فِعلٍ مُحرم، **أو** من تركٍ لما أمر الله به، فهذه الحالة حالة خطيرة من حالات التكبر تجاه آيات الله ﷻ، وتجاه قبول الحق من الله ﷻ، أو إعطاء الحق الذي عليك، وهي حالة خطيرة **جدًّا**.

١٤

من مظاهر التكبر: التكبر الذي في سلوك الإنسان، في تعامله، في حركته في الحياة، في طريقة تعامله مع الناس، أو في سلوكه العام، الذي يظهر فيه- من أُسلوبه وطريقته- ما يعبِّر عن حالة الازدراء للناس، أو التعالي على الحق، فهو ذلك الذي يتعامل بطريقة سلبية مع الناس، مثلما ورد في التحذير في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[لقمان: ١٨]، **(لَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ):** لا تُشِح بوجهك مُعرضًا عنهم إلى الأعلى تكبُّرًا عليهم، ازدراءً لهم، هذا من مظاهر السلوك الذي يعبِّر عن التكبر، عندما لا تُقبِل على من تتخاطب معه، لا تلتفت إليه، لا تنظر إليه، أو هو يتخاطب معك، وأنت ذلك الذي- لازدرائك له- لا تتنازل إلى درجة أن تُقبِل عليه، أن تصغي له، أن تلتفت إليه، فهي حالة من حالة التكبر.

وكم هناك من السلوكيات، التي من المتعارف على أنها تعبِّر عن حالة التكبر والازدراء للآخرين، في طريقة تخاطب الإنسان مع الآخرين، في صوته، في عباراته، هناك عبارات تعبِّر عن حالة تكبُّر، وعن حالة ازدراء لمن تتخاطب معه، أو احتقار، وهي حالة خطيرة **جدًّا** على الإنسان.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾، حتى حركتك لا تكون حركة المتكبر المتبختر، المغرور، (في سورة الإسراء) **يقول:** ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾[الإسراء: ٣٧]، أنت إنسان صغير، كائن بسيط، عندما تقارن نفسك عند جبل، ما هو حجمك؟ كيف أنت؟ فاعرف قدرك، عجزك، ضعفك...إلخ.

البعض من الناس- مثلًا- في حركة السير، لا يلتزم بقواعد السير التي يعرفها، لا يقف في الأماكن التي عليه أن يقف فيها، ويقف في الأماكن التي لا ينبغي أن يقف فيها، يتجاوز الإشارة، يتجاوز قواعد السير، التي من المتعارف عليها في المرور، لتنظيم إجراءات السير في المدن والأماكن المزدحمة؛ **لأنه** يرى نفسه فوق أن يلتزم مع الآخرين بذلك، هذه حالة من حالات التكبر، من حالات المرح في حركته، ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾؛ **لأنه** يرى نفسه مختلفًا عن الآخرين، ليس عليه التزام بما على الآخرين أن يلتزموا به! مع ما يسببه ذلك من إشكالات في واقع الناس، قد تُسبب لحوادث، قد يكون لها ضحايا، قد ينتج عن ذلك تأثيرات سيئة، البعض تكون حتى مستوى السرعة بالنسبة له تعبِّر عن هذه الحالة السلبية.

فالإنسان ينبغي أن يحذر من كل مظاهر التكبر: في سلوكياته، في أعماله، في تصرفاته، في طريقته في التعامل مع الناس، أن يحذر من كل مظاهر التكبر، هي حالة خطيرة جدًّا.

من عواقب التكبر وآثاره السيئة

من عواقب التكبر وآثاره السيئة: الخِذلان وسَلْبُ التوفيق، الإنسان إذا أصبح متكبرًا تجاه الحق، يأنف من قبول الحق، في أي قضية، في أي موضوع، أو يأنف من تقبُّل الحق، وإعطاء الحق على نفسه، أو يأنف من السير في طريق الحق، لكي لا يتَّبع أهل الحق؛ **لأنه** يرى نفسه أعلى شأنًا من ذلك، هذه الحالة خطيرةٌ **جدًّا**، تؤدي إلى أن يُخذَل الإنسان والعياذ بالله، ولهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾[الأعراف:١٤٦]، فهم يعاندون، يدفعهم إلى ذلك التكبر والعياذ بالله، حالة رهيبة **جدًّا**.

١٤ **فالحالة التي يكون الإنسان فيها يعيش حالة الكبر، يكون ذلك عائقًا حقيقيًا بينه وبين الاهتداء بهدى الله، وبين السير في طريق الحق، حتى لو كانت بنسبة معينة، مستويات ونسبة الكبر خطيرة على الإنسان، خطيرةٌ جدًّا**، حتى مثقال حبة خردل من الكبر، قد تؤثر عليك تجاه موقف معين، تجاه قضية معينة، تجاه مقام معين، تجاه التزام إيماني معين، قد تؤثر على الإنسان، ولهذا ورد في الحديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ: **أَنَّهُ** ((لَا يَدخُلُ الجَنَّةَ مَن فِي قَلبِهِ مِثقَالُ حَبَّةِ خَردَلٍ مِن كِبر))؛ **لأن** تلك النسبة ستؤثر عليك، في مقام معين، أو موقف معين، أو قضية معينة، الكبر حالة خطيرة **جدًّا** على الإنسان.

هذا معروفٌ في واقع الحياة، البعض من الناس ينحرف في مرحلة معينة عن طريق الحق؛ **نتيجة** الكبر، عرض له الكبر، أصبح يرى نفسه أعلى شأنًا في أن يقبل الحق في موضوع معين، أو قضية معينة، ثم يسبب ذلك إلى الانحراف والعياذ بالله.

المؤمنون وبُعدُهم عن حالة التكبر

ولذلك يقول الله في القرآن الكريم فيما يتعلق بالجانب الإيماني، الإيمان بآيات الله: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[السجدة: ١٥]، **كل هذه الحالات الثلاث: ((خَرُّوا سُجَّدًا، وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ، وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ))، كلها تجعل الإنسان بعيدًا عن حالة الكبر**، عندما يكون الإنسان خاضعًا لله سُبحانه وتعالى بشكلٍ تام، مسلِّمًا لأمر الله وتوجيهات الله في كل شيء، مُوطِّنًا نفسه على الطاعة لله سُبحانه وتعالى، ليس عنده استثناءات، وشروط، واعتبارات معينة، هو يُعبِّد نفسه لله سُبحانه وتعالى بشكلٍ تام، ويتقبل من الله سُبحانه وتعالى أوامره وتوجيهاته، بدون قيود، بدون أنفة، بدون أن يستكبر تجاه أي شيء، **فالخضوع التام لله سُبحانه وتعالى يُبعِدُ الإنسان عن حالة الكبر، التسبيح لله، والتحميد لله، والتقديس لله سُبحانه وتعالى، له أهميته الكبيرة في إبعادك عن حالة التكبر؛ لأن المتكبر عَظُمَت عنده نفسه، يُسبِّح بحمد نفسه**، هو دائمًا يُسبِّح بحمد نفسه، ويتعاظم نفسَه، وإذا حقق نجاحًا معينًا، أو أعطاه الله شيئًا معينًا، عَظُمَت عنده نفسُه أكثر، بدلًا من أن يَعظُمَ الله في نفسه، تعظم نفسه عند نفسه، سواءً فيما أعطاه الله على المستوى المعنوي في نفسه، أو المادي، أو المكانة، أو الموقع، أو فيما تحقق له من نجاحات، أو فيما أنجزه من أعمال، أو مهام، أو غير ذلك، تعظُم عنده نفسُه؛ **أمّا** الإنسان المؤمن، فهو المسبِّح بحمد ربه، بحمد الله سُبحانه وتعالى، الذي يعظم الله عنده، وفي نفسه، وكلما مَنَّ الله عليه بنعمة، أو توفيق، أو حقق الله على يديه أي إنجاز، أو أعطاه الله سُبحانه وتعالى، فهو يُسبِّح بحمد ربه، يعظم الله في نفسه أكثر وأكثر، وليست نفسه هي التي تكبر عند نفسه وفي باله.

﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾، **هم بعيدون تمامًا عن التكبر**، لا يستكبرون أبدًا تجاه أي شيءٍ من الحق، ولا تجاه أي التزامٍ إيماني، في أي عمل، في أي موقف، فيما عليهم أن

يعملوه، ليس هناك أعمال معينة يأنف من أن يعملها، هي رضا لله، وأمره الله بها، هي ضمن التزاماته الإيمانية، لكنه يرى نفسه أعلى من أن يقبل بذلك، ويرى نفسه أنه لو قَبِلَ ذلك الحق، أو عمل ذلك العمل، فإنه يهبط بمستوى نفسه، عن مكانته التي يفترضها لنفسه، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾؛ **فلذلك** يتقبلون الحق، يتجهون في طريق الحق، بدون أي تكبر ولا أنفة، لا من عمل معين، لا من شخص معين، ولا من مقامٍ معين، ولا موقفٍ معين، عندهم تسليمٌ تامٌ لأمر الله سبحانه وتعالى، **هذا هو حال أولياء الله جل شأنه.**

الله يقول حتى عن ملائكته وعن أنبيائه ورسله: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢]، ملائكة الله المقربون، هم يُعبِّدون أنفسهم بشكلٍ تامٍ لله سبحانه وتعالى، ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢]، الحشر إلى الله، ثم الحساب، ثم الجزاء.

١٤

فحالة التكبر هي حالةٌ خطيرةٌ جدًّا على الإنسان، تجاه الحق، تجاه الناس، في النظرة إليهم، في التعامل معهم، وليس هناك أي شيءٍ يبرر لك أن تتكبر على الناس، أو أن تحتقرهم وتزدريهم، وتتعامل معهم بناءً على ذلك، أو أن تأنف في قبول أي شيءٍ من الحق، أو أي شيءٍ من آيات الله تُذَكَّر به، ليس هناك ما يبرر لك ذلك.

الموقف من أعداء الله- فيما هم عليه- من المجرمين الظالمين السيئين، ليس من التكبر المُحرم، هو موقف حق، فيما هم عليه، الحُكمُ عليهم، والموقف منهم: مما هم عليه من ظلم، من سوء، من طغيان، من إجرام، من صد عن سبيل الله، من جرائم، الموقف منهم هو موقف حق، ليس موقف تكبر، ولذلك هو خارج عن هذا السياق.

الترفُّع عن مجالسة السفهاء السيئين، أصحاب اللغو، والكلام السيء، والأعمال السيئة، والرذائل، والمفاسد في السلوك والتعامل، أيضًا هو من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا

﴿مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[الفرقان: ٧٢]، لا ينزل إلى مستوى السفهاء، في كلامهم السيء، في سلوكياتهم السيئة والمسيئة، هذا موضوع آخر أيضًا، ليس من قبيل التكبر.

بين من يسبّح بحمد نفسه ومن يسبّح بحمد الله

التكبر عادةً ما يكون فرعًا عن حالة الغرور والعجب، عندما يغتر الإنسان بنفسه، فيما وهبه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إياه، أو فيما تصوّر أنه فيه، وليس بمستوى ما تصور، أو ظن، أو توقَّع، فسواءً كان في نفسه، أو فيما مكَّنه الله فيه من إمكانات معنوية، أو مادية، أو موقع، أو جاه، أو سلطة، أو ما تحقق على يديه من مهام معينة، أو أعمال معينة، فأصبح مُعجَبًا بنفسه، يرى أن ذلك يعود إليه هو، ومغرورًا، مغرورًا بنفسه، يتصور أنه أصبح شيئًا مهمًا وكبيرًا وهذا يعود إليه، بدلاً من أن يَعظُم الله في نفسه، فهذه الحالة حالة خطيرة، حالة رهيبة، ولهذا عندما قال الله جَلَّ شَأنُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ١٤
[لقمان: ١٨]، **(مُخْتَالٍ)**: مغرور بنفسه، معجب بنفسه، هو ممقوتٌ عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ **لأنه** لم يرَ النعمة لله، نظر إلى نفسه هو، ولم يرَ النعمة لله، فيتوجه إلى الله بالحمد والشكر، بل اغتر بنفسه، وكأنه هو منشأ ما تحقق له، وأساس ما تحقق لنفسه، إن كان تحقق شيء، وإلَّا فقد يكون ما تصوره عن نفسه وهمًا وخيالًا، أو شيئًا ليس بمستوى ما تصوره.

قال أيضًا في القرآن الكريم: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[الحديد: ٢٣]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[النساء: ٣٦]، **في ثلاث موارد في القرآن الكريم، يؤكد على هذا، (فَخُور)**: كثير الافتخار بنفسه، **دائمًا يتحدث عن نفسه:** [أنا وأنا، وفعلت كذا، وعملت كذا]، يُعظِّم نفسه، يمجِّد نفسه، يتحدث عن نفسه، يضخِّم نفسه.

الحالة الصحيحة بالنسبة للإنسان المؤمن: أنه عندما يمنُّ الله عليه بشيءٍ من التوفيق، أو النعم المعنوية، **أو المادية:**

- **هو يرى الفضل لله،** المِنَّة لله، الحمد والثناء لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويعظُم الله في نفسه، ويتجه إلى الله بالشكر.
- **ويدرك** أن ما أعطاه الله يترتب عليه مسؤوليات والتزامات في الواقع.
- **ثم مع ذلك، هو** ذلك الذي يوطِّن نفسه على أن يقبل الحق، وأن يعطي الحق، وأن يكون منصفًا، وألَّا يتكبر على أحد، ألَّا يزدري، أو يحتقر أحدًا من الناس، لا في نفسه (شعوره تجاه الآخرين)، ولا في طريقته في التعامل معهم.
- **ويتجنب السلوكيات والتصرفات والأعمال المعبرة عن حالة التكبر:** حالة المرح، البطر، الغرور، الخارجة عن حد الوقار والتواضع، يكون حذرًا من ذلك، حتى في تعامله وفي سلوكه.
- **ثم هو ذلك** الذي يعتبر نفسه مهما عمل، ومهما بلغ، ومهما تحقق على يديه، لا يزال مقصرًا وقاصرًا وناقصًا، ولا يزال عنده نقص، ولا يزال عنده تقصير.

هذا هو الشعور الإيماني، وهي الحالة الواقعية، الصحيحة للإنسان، في الحديث النبوي: ((كُلُّ بَنِي آدَمَ طَفُّ الصَّاعِ))، كلهم عندهم نقص، مهما بلغوا، مهما عملوا، كل إنسان مهما بلغ، مهما عمل، يبقى عنده نقص، يبقى عنده تقصير، لن يصل إلى مرحلة أصبح ينظر إلى نفسه أنه لم يعد عنده تقصير، وأصبح مغرورًا بنفسه، متكبرًا.

فحالة التكبر خطيرةٌ جدًّا، ومفاسدها رهيبةٌ جدًّا، والإنسان المؤمن مهما عمل، هو يرى عظيم حق الله عليه كبيرًا **جدًّا**، وما عمله لا يساوي شيئًا في مقابل حق الله العظيم عليه، إضافة إلى أنه لا يزال لديه نقص وتقصير.

وقدَّم الله لنا في القرآن الكريم الدرس العظيم عن أنبيائه وأوليائه، في مشاعرهم بالتقصير، مهما عملوا ومهما أنجزوا، فالله يقول لنبيه وسيد رسله محمد صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[النصر: ١-٣]، في ذروة الإنجاز، الإنجاز الكبير، الإنجاز العظيم، الذي لا يماثله إنجاز، إنجاز الهداية للناس إلى دين الله، إخراجهم من الظلمات إلى النور، إنقاذهم وهم على شفا حفرة من النار، **الانتقال بهم- على ما كانوا عليه:** من سوء، وشرك، وكفر، وباطل، ومداني الأخلاق- **إلى** شرف الإسلام، **إلى** نعمة أخلاقه، وعلوِّ وسموِّ الإنسانية الحقيقية، التي يرتقي بالإنسان إليها، إلى آخر ما تقول عنه وتعبِّر عنه عن مستوى ذلك الإنجاز، والنصر العظيم، واقتلاع جذور الشرك والكفر، والإطاحة بالطغيان، إنجازات كبرى **جدًّا**، إنجازات في غاية الأهمية.

فالمقام تجاه ذلك الإنجاز الكبير ما هو؟ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾، لا تستغرق في ذهنيتك بالتسبيح بحمد نفسك، بالثناء على نفسك، [أنا صاحب الإنجاز، أنا فعلت، أنا عملت، أنا أنا أنا...إلخ.]، اعرف الفضل لصاحبه، لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، المنَّة له.

﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾؛ **لأنك** لا زلت مقصرًا، ولا زال للتقصير من جانبك تأثيرات في مستوى الإنجاز، أو في تأخير الإنجاز، أو في غير ذلك.

١٤

هذا هو رسول الله ﷺ **الذي بلغ إلى ذروة الكمال البشري**، وحقق أهم الإنجازات الحقيقية في التاريخ البشري بكله، فما هو حالك أنت؟!

قد لا يكون لدى الإنسان شيء، قد يكون فقط وَهْم، استعظمَ نفسه بناءً على وَهْم، وهو في غاية النقص والتقصير، **الإنسان عليه أن يتواضع**، **أن يتذكر** في خلقه وتكوينه أنه من نطفة، **أن يتذكر** في مسيرة حياته ما هو عليه من العجز والضعف، في كل أحواله، **وأن يدرك** أيضًا ما هو عليه- على مستوى المقام الأخلاقي والكمال- من النقص والتقصير، **وكذلك** في مجال العمل، ما هو فيه من النقص والتقصير، **وأن يتواضع** في تعامله مع الناس، **وأن يكون عنده** توطينٌ لنفسه لتقبُّل الحق، دون أنفةٍ من أي أحد، هذه مسألة في غاية الأهمية.

١٤

أمَّا عاقبة التكبر والمتكبرين:

- **في الدنيا هي الذل والهوان**، الإنسان المتكبر لابدَّ أن يُعاقب بالذل، لابدَّ أن يخزيه الله سبحانه وتعالى، في عاجل الدنيا هناك عقوبات لإذلالهم، بأن يعيشوا حالة الذل والهوان والخزي.
- **أمَّا في الآخرة فجهنم**، ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[الزمر: ٧٢].

لو لم يكن للإنسان في مسألة التكبر إلَّا أخذ العبرة مما حصل لإبليس، وأنت إنسان، **لا** تفعل كما فعل إبليس، **لا** تتجه في الاتجاه الذي اتجه فيه إبليس، **لا** ترتكب ذنب إبليس، **لا** تفعل كمثله، أبعِد نفسك عن التكبر، أبعِد نفسك عن الغرور والعجب، الذي يوصلك إلى التكبر، كن إنسانًا واقعيًا، **تعرف** واقع نفسك، **تعرف** عجزك، **تعرف** ضعفك، **تعرف** نقصك، **تعرف** جوانب التقصير لديك، أو من جانبك.

لو لم يكن من مفاسد التكبر إلّا أنه عائقٌ بين الإنسان وبين الارتقاء في درجات الإيمان والكمال، لكان كافيًا، فما بالك وفيه الفظائع الكبيرة **جدًّا**، من المفاسد الرهيبة، الموبقة، المهلكة والعياذ بالله.

الكبر داءٌ خطيرٌ جدًّا، وكل ممارسات الإنسان المعبرة عن التكبر هي خطيرةٌ **جدًّا**، وهي مما يحبط أعماله الصالحة والعياذ بالله.

نكتفي بهذا المقدار.

وَنَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَامَ، وَالقِيَامَ، وَصَالِحَ الأَعْمَالِ، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبْرَارَ، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنصُرَنَا بِنَصْرِهِ، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِينَ، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

أَيُّهَا الإِخْـــوَةُ وَالأَخَوَاتُ:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

استكمالًا لحديثنا بالأمس، عن خطورة ذنب التكبر، وفظاعته، وسوئه، وتداعياته، وآثاره السيئة، وعواقبه الوخيمة، نتحدث اليوم لنسلط الضوء على هذا الموضوع، ولنستكمل بعض النقاط المهمة؛ **لأهمية** هذه المسألة، وخطورة هذا الذنب، والذي قد يتهاون به الكثير من الناس.

مما يبين لنا خطورة هذا الذنب، ويكشف لنا عن مدى سوئه، وعن مدى عواقبه وآثاره السيئة: هو أنه- كما قلنا بالأمس- ذنب إبليس، وسبب ورطته، وسبب خسارته الرهيبة جدًّا، بالرغم من أنه كان في أجواءٍ يعيش فيها حالة العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي أجواء مؤثرة على المستوى الإيماني، في رفقة الملائكة في السماء، وأمضى في ذلك الحال الآلاف من السنين، في أجواء العبادة، في أجواء الذكر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في أجواء التقرب إلى الله جَلَّ شَأْنُهُ، وبرفقة صفوة خلق الله (الملائكة) الأبرار، الأخيار، الذين كل توجههم هو عبادةٌ لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كل أوقاتهم هي في العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فمع ذلك الوضع الذي هو فيه، عندما نشأت في نفسه حالة انحراف، فبدلًا من أن يَعظُم الله في نفسه، بدأت تَعظُم عنده نفسه، ويشعر بالغرور تجاه نفسه، فوصل إلى حالٍ خطيرٍ جدًّا، عندما أتى الاختبار في الواقع العملي كشفه، **فإذا كانت حالة التكبر قد تحصل لدى الإنسان، حتى لو كان في بيئة إيمانية، وفي أجواء إيمانية، وفي مسار حياته في واقعٍ عمليٍ إيماني، وإذا حصلت، تُدمر كل شيء، تُدمر إيمانه، يخسر بها توجهه وعبادته، تؤثر على نفسيته تأثيرًا بالغًا،** فإبليس خسر عبادته، خسر مقامه، خسر كل شيء، وخسر مستقبله عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأيضًا ساءت نفسه أكثر وأكثر.

١٥

بعض الذنوب خطيرة جدًّا، إذا حصلت من الإنسان، تضرب روحيته الإيمانية ضربةً قاضية، وتفسد نفسيته إلى حدٍ كبير، وتغيره، تغيره تغييرًا خطيرًا جدًّا، فيتحول تحولًا تامًا، من واقعٍ إيماني، إلى واقعٍ مختلف، والتكبر هو من تلك الذنوب، التي لها هذا الأثر السيء جدًّا على نفسية الإنسان، **ولذلك يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في قصة إبليس:** ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[ص: ٧٣-٧٤].

إذا كان الكفر بكله، بسوئه، وهو في مرتبة العصيان: من أعلى مراتب العصيان، من أسوأ ما يعصي الإنسان به الله، عندما تعصي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالكفر، فأنت بلغت أبلغ

درجات المعصية، فالإنسان عندما يعصي الله بالكفر، إذا كان الكفر بكله قد يكون ناتجًا عن التكبر، فرعًا عن التكبر، فهذا يبين خطورة ذنب التكبر.

كما اتضح لنا أنه سببٌ وعاملٌ من الأسباب الرئيسية، والعوامل السيئة، التي دفعت الكثير من الأمم بشكلٍ جماعي، والأقوام، ووجاهات وشخصيات، وتكتلات، وكيانات، ورموزًا من الطغاة، وشخصيات كانت بارزة في التاريخ في موقعها، فيما يتعلق بدورها، فيما يتعلق بإمكاناتها، دَفَع بهم ذلك الذنب إلى التكذيب لرسالة الله، إلى المحاربة لرسل الله، إلى المعاداة لأولياء الله، إلى الصد عن سبيل الله، وتلك هي من أكبر الجرائم، ومن أفظع الذنوب، ومن أسوأ المعاصي، تفرعت عن التكبر، فهناك الكثير من الأمم، والكثير من الطغاة، الذين برزوا في التاريخ، وكان لهم موقفٌ سيءٌ جدًّا في المحاربة للرسالة الإلهية والرسل والأنبياء، **وكان السبب هو ذلك:** ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾[الأعراف: ٨٨]، **يقول عنهم:** ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[فاطر: ٤٣].

من أبرز المفاسد الناتجة والمتفرعة عن التكبر

ما يتفرع عن التكبر مِن المفاسد الرهيبة، مثل: الصد عن سبيل الله، والظلم لعباد الله، **الظلم هو من أبرز نتائج التكبر،** الطغاة الظالمون هم مستكبرون، هم متكبرون، وبشاعة ظلمهم وإجرامهم بحق عباد الله ناشئةٌ عن مستوى تكبرهم، كلما كانوا أكثر تكبرًا؛ كانوا أكثر ظلماً لعباد الله.

وعامل من عوامل الطغيان والحقد، الإنسان المتكبر يمكن أن يُقدِم حتى على قتل نبيٍ من أنبياء الله، أن يحارب رسول الله، أن يعادي أولياء الله، أن يكون جريئًا على

ظلم عباد الله، بأبشع أنواع الظلم؛ **لأنه** يحتقرهم، ولا يبالي بهم، ويعيش عقدة التكبر والعياذ بالله، **ولهذا يقول الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **عن بني إسرائيل:** ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[البقرة: ٨٧]، **رسل من عند الله، يأتون إليهم؛ لهدايتهم، لنجاتهم، لإصلاحهم،** للتوجه بهم نحو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، نحو الخير في الدنيا والآخرة، نحو النجاة من عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بكل ما يمتاز به رسل الله، **من** الخير، **من** الكمال الأخلاقي والإيماني، **من** الرحمة، **من** الإنسانية، **من** الجاذبية، في سلوكهم، في أعمالهم، من الكمال المذهل، الكمال الإنساني الراقي جدًّا، **يعني:** ليس فيهم ما يُنفِّر منهم، أو يبرر التعقد عليهم، أو المعارضة لهم، لا في أنفسهم، ولا في رسالتهم، التي يأتون بها من الله، وهي خيرٌ للناس، وإنقاذٌ للناس، **فما الذي كان يحصل؟**

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾، **يستكبرون**، يحكي عن بني إسرائيل، يستكبرون؛ **لأنهم** أتوا بما لا تهواه أنفسهم، بما لا يتناسب مع طموحاتهم ورغباتهم الشخصية، فحينها يستكبرون، **ونتيجةً لاستكبارهم ماذا يحصل؟** ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾[البقرة: ٨٧]، **هكذا ينشأ ويتفرع عن ذنب التكبر مثل تلك الجرائم:**

- **التكذيب** لرسالة الله.
- **التكذيب** بآيات الله.
- **المعارضة** للحق.
- **الصد** عن سبيل الله.
- **القتل** حتى لرسل الله وأنبيائه.

على مدى التاريخ تشكلت كيانات، وجماعات، وأقوام، واتجهت بشكلٍ جماعي اتجاه الاستكبار، فالاستكبار والتكبر من الذنوب التي:

- **يمكـن أن تكـون جماعيـة:** أن يتحـرك فيهـا جماعـات، كيانـات، دول، زعامـات ومعهـا أتباعهـا.
- **ويمكن أن يكون حالة فردية:** حالة شخصية، مثل ما تحدث القرآن أيضًا عن بعض الأشخاص، الذين بلغوا مبلغًا سيئًا في تكبرهم وعتوهم، **كحديثه عن** فرعون، **عن** هامان، **عن** قارون، كأشخاص، يلتف حولهم أيضًا آخرون من المستكبرين.
- **وأيضًا تمتد سيئة التكبر، ويمتد ذلك الذنب الكبير والخطير جدًّا إلى واقع الضعفاء، الذين يرتبطون بالمستكبرين،** هو في نفسه ضعيف، **من** حيث الإمكانات، **من** حيث النفوذ، **من** حيث التأثير، **من** حيث واقعه، ولكنه يحمل مشاعر التكبر؛ **ولذلك** يرتبط بالمستكبرين، ويميل نحوهم، وينجذب نحوهم، ويتفاعل معهم، أو أن عقدة الضعف أثَّرت عليه، إلى درجة أن يتجه في صفهم، حتى وهو يحمل الشعور بالضعف.

١٥

والبعض أيضًا- مثلًا- من الفقراء، البعض من الناس العاديين، حتى لو لم يكن في واقعه ما يغريه للتكبر، لا في إمكاناته، ولا في منصبه، ولا في اعتبارات معينة، أو إمكانات معينة، ولكنه يحمل عقدة التكبر، ولو تمكَّن، أو حصل على مقام معين؛ **لكان** من أسوأ المتكبرين والطواغيت، ولطغى طغيانًا رهيبًا، ولكنه في واقعه مكبَّلٌ، لا يستطيع أن يتحرك وأن يُبرِز حالة التكبر وعقدة الكبر التي في نفسه، تظهر منه في تكذيبه بآيات الله، في صده عن هدى الله، في موقفه وعناده الشديد تجاه الحق، الذي يظهر فيه الأنفة، ويظهر في الاستكبار من تقبُّل الحق، ومن الإيمان بآيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والتقبُّل لهدى الله جَلَّ شَأْنُهُ.

التكبر.. العنوان الأبرز في مواقف الطغاة المجرمين

عندما يتحدث القرآن الكريم عن فرعون، عن هامان، عن قوم فرعون، عن الأمم والأقوام الماضية، يقدم العنوان الأبرز لموقفهم، وهو الاستكبار: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[فصلت: ١٥]، ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾[العنكبوت: ٣٩]، وهكذا، **عندما تحدث عن بقية الأقوام، يقول:** ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾[الأعراف: ٧٥]، فتبرز حالة وعنوان الكبر في موقفهم.

ويبرز هذا العنوان أيضًا في الآخرة، في سياق العذاب لهم، إلى درجة أنه يتحول إلى عنوان أساسي في تصنيفهم، وفي الحديث عن عذابهم، وعن أحوالهم في العذاب.

في يوم القيامة، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن يوم القيامة: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾[الواقعة: ٣]، **القيامة والمتغيرات التي تأتي فيها من أهم ما فيها:** أنها خافضة، خافضةٌ لمن؟ للمستكبرين، المستكبرين في هذه الدنيا، الذين انحرفوا عن نهج الله، الذين تكبروا تجاه آيات الله، لم يستجيبوا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، صدوا عن سبيل الله، في يوم القيامة تخفضهم تلك المتغيرات الرهيبة، لا وزن لهم، لا قيمة لهم، لا أهمية لهم، يُحشرون وهم في حالةٍ من الضعف، والعجز، والاستسلام، والذل، والهوان، والتندم، والتحسر، تنتهي حالتهم تلك، التي كانت في الدنيا.

ويقول عنهم في ساحة القيامة: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾[إبراهيم: ٢١]، يبرز عنوان الاستكبار، وحال الذين انبهروا من مستكبرين في الدنيا؛ **فارتبطوا** بهم، وانضموا إلى صفهم، واتجهوا في اتجاههم؛ **فكانوا** يوم القيامة في غاية الخسران.

في حالة العذاب في النار والعياذ بالله: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾[غافر: ٤٧-٤٨]، **فيبرز هذا العنوان في حال أهل النار:** بين مستكبرين، وضعفاء ارتبطوا بهم، كعنوان بارز جدًّا.

يقول أيضًا عن يوم القيامة: ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[الأحقاف: ٢٠]، وفعلًا حالة الإهانة في يوم القيامة حالة رهيبة، في واقعهم، مقارنةً بما كانوا عليه في الدنيا، في حالة الاستكبار والطغيان، حالة رهيبة جدًّا.

ولذلك عندما نتأمل أن هذا العنوان حاضر على مستوى الماضي، وهو أيضًا على مستوى الحاضر بارزٌ جدًّا، كيانات الطاغوت، والظلم، والعدوان، والإجرام، والصد عن سبيل الله، والمحاربة لرسالة الله، والسعي للانحراف بالناس عن المبادئ الإلهية، والقيم الإلهية، هي كيانات مستكبرة في عصرنا وفي حاضرنا، الدور الذي يتحرك فيه الأمريكيون والإسرائيليون وقوى الكفر والطاغوت هو استكباريٌّ، هم مستكبرون، هم جبهة استكبار، تسعى للسيطرة على كل المستضعفين، والاستضعاف للمجتمع البشري، والهيمنة عليه، والاستغلال له، والاستعباد له، والانحراف به عن منهج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الكيانات المستكبرة أساس شقاء البشرية

إذا تأملنا في عصرنا، في واقعنا، في زماننا، من الذي يتولى بشكلٍ أساسي السعي بالانحراف بالناس **عن** رسالة الله، **عن** الاتِّباع لرسل الله وأنبيائه، **عن** مبادئ الحق، **عن** قيم الخير، **عن** مكارم الأخلاق، **عن** القيم الفطرية الإنسانية الراقية، التي تميز الإنسان عن بقية الحيوانات؟ **هي تلك** الكيانات المستكبرة. **من الذي يباشر** الظلم للمجتمعات البشرية، القتل للمجتمعات البشرية، النهب لثروات الشعوب، الاعتداء على الشعوب؟

هي تلك الكيانات المستكبرة الظالمة. **من الذي يسعى** لضرب- حتى- حالة العفة في أوساط الشعوب، وضرب البنية الاجتماعية للشعوب، والسعي لتفكيكها وبعثرتها، من خلال نشر الفساد الأخلاقي، بشكلٍ غير مسبوق في الأزمنة الماضية؟ **هي تلك** الكيانات المستكبرة، التي تنشر الفحشاء، تنشر المنكر، تروِّج للفساد، أتوا حتى بعنوان (المثلية) لنشر الفساد بشكل غير مسبوق في أرجاء العالم، ولتوفير الحماية له، والدعم له بكل أشكال الدعم، ومحاولة أن يتحول المنكر إلى حالة مقبولة في أوساط الشعوب، **هي تلك** الكيانات المستكبرة، **من المتسبب في** بؤس معظم البشرية، **في** معاناة أكثر المجتمعات، **في** مختلف القارات على وجه الأرض، **من** الجوع، **من** الفقر، **من** المعاناة الشديدة؟ **هي تلك** الكيانات المستكبرة، التي تسرق ثروات الشعوب، وخيرات المجتمع البشري، وتسعى للاستحواذ عليها والاستئثار بها. **أكبر المفاسد، أكبر المظالم، حالة الطغيان، أكبر الجرائم، أكبر الانحرافات، تأتي من تلك الكيانات المستكبرة في عصرنا.**

١٥

وهكذا هو في الأزمنة الماضية، تبرز كيانات مستكبرة، يبرز طغاة، ظالمون، مستكبرون، مجرمون، فيؤدُّون ذلك الدور السيئ في واقع البشر؛ **من** واقع استكبارهم في الأرض، وسعيهم لمحاربة رسالة الله، **في** قيمها، **في** مبادئها، **في** شرعها ونظامها، الذي يحقق للمجتمع البشري الارتقاء في الإنسانية، وأيضًا يحقق لهم العدل والخير.

الغرور والتكبر.. الضربة القاضية للحالة الإيمانية!

❑ **على مستوى الساحة الإيمانية، يجب الحذر والانتباه من التكبر:**

الإنسان الذي ينشأ في بيئة إيمانية، يعيش في مجتمعٍ مؤمن، عليه أن يكون حذرًا من التكبر؛ **لأنه** حالة إذا طرأت في نفس الإنسان، وفي واقعه، وفي سلوكه، تمثل ضربةً قاضيةً لإيمانه، كما تحدثنا عن واقع إبليس، كان في ظل بيئة إيمانية، بين أوساط الملائكة، وفي واقع عبادة، يمارس عبادةً معينة.

فحالة التكبر يمكن أن تطرأ للإنسان حتى لو كان في بيئة إيمانية، في بيئة جهادية، في بيئة صالحة؛ عندما يبدأ الغرور يتسلل إلى مشاعره، **إلى** نفسه، **إلى** وجدانه، **وتنمو** بذراته الخطيرة في أعماق قلبه، **ثم** تبدأ تعظم عنده نفسه، كلما عمل عملًا صالحًا، أو توفق لشيءٍ، لم تزدد حالته الإيمانية انشدادًا نحو الله، بقدر ما كبرت عنده نفسه، حتى تتحول نفسه إلى صنم في داخله، يتوجه كل اهتمامه، تتوجه كل عباداته، كل أعماله، نحو التضخم، ونحو التمحور حول الذات، نحو التعظيم للنفس، يزداد شعوره كلما عمل أكثر، وكلما أنجز أكثر، هي حالة خطيرة جدًّا.

- **هي تسبب للإنسان الانحراف.**

حتى لو قد استمر في العمل لمراحل طويلة، أو عمل أعمالًا ذات أهمية كبيرة، يمكن أن ينحرف بعد ذلك انحرافًا تامًا.

١٥

- **تمثل عائقًا خطيرًا جدًّا عن تقبُّل الهدى.**

فالإنسان إذا نمت فيه حالة الغرور والعجب بالنفس؛ لم يعد يتقبل النصح، لم يعد يتقبل التذكير، لم يعد يرى في أحد أنه في مستوى أن يذكِّره، يصبح عنده موقف حتى ممن يذكِّره، وقد يحتقر من يذكِّره، أو يحمل عنه- فورًا- نظرة سلبية، أنه لا يدرك أهميته وعظمته، أو أنه ينتقص منه، أو غير ذلك، وقد لا يسمح للآخرين أن يذكِّروه، قد يصل إلى هذه الدرجة، ألَّا يقبل منهم حتى أن يذكِّروه أصلًا، ويتكون حاجزٌ بينه وبين التذكر بآيات الله، الاهتداء بآيات الله، الانتفاع بآيات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولهذا حينما قال الله جَلَّ شَأنُهُ عمّن يؤمنون حقيقة الإيمان بآياته: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا﴾[السجدة: ١٥]، من يحملون مشاعر الخضوع التام لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والاستسلام التام، والتسليم التام لأمره جَلَّ شَأنُهُ، ليس عندهم أي أنفة من

أي شيءٍ من أوامر الله وتوجيهاته، عندهم انقياد تام، وطاعة تامة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ليس هناك في الواقع أي شيءٍ يمكن أن يؤثر عليهم، فينشئ فيهم حالة التكبر والأنفة.

﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[السجدة: من الآية ١٥]، **لن يستكبر تجاه أي عمل** هو رضا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أي مهمة عملية هي رضا لله جَلَّ شَأْنُهُ، ليست الحالة العملية مفصلة عنده بمعايير نفسية، وأهداف نفسية، ومقاسات نفسية، تُرضِي عنده حالة الغرور، حالة التكبر؛ **عنده** انقياد تام لأمر الله، وحرص كبير على رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

التكبر وتأثيره على العلاقات الأخوية الإيمانية

- **حالة التكبر إذا طرأت في واقع الإنسان، وهو ينتمي إلى الساحة الإيمانية، تؤثر على علاقاته الأخوية الإيمانية بالآخرين:**

لأنه من حين تبدأ فيه حالة العجب والغرور، تتكون عنده حواجز ما بينه وبين الآخرين على الفور؛ **ولهذا يقول أمير المؤمنين عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عن العُجب:** ((أَوحَشُ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ))، يبدأ الإنسان يشعر بهذه الحواجز ما بينه وبين الآخرين، وتبدأ نظرته تتجه نحو نفسه، التي تتضخم أكثر وأكثر، نحو ذاته، يتمحور حول ذاته، كلما تمحور حول ذاته أكثر؛ **كلما** تكونت تلك الحواجز بينه وبين الآخرين.

ثم يصبح المعيار عنده في علاقته معهم: مدى إرضائهم لغروره، مدى تفاعلهم مع حالة التكبر وعقدة الكبر في نفسه، ما مدى الاحترام له، ما مدى التعظيم له، ما مدى تعاملهم معه على أساس التضخيم له، يصبح هذا هو الموضوع الأهم، لم يعد ذائبًا في الله، متجهًا نحو الأعمال الصالحة التي ترضي الله، يهمه منهم إيمانهم، اتجاههم نحو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، صلاحهم، استقامتهم على منهج الله، ينظر إلى كيف هم تجاهه، الموضوع الأساسي دائمًا، والموضوع الأهم على الإطلاق، وليس كيف هم تجاه الله، كيف إقبالهم إلى الله، كيف توجههم الإيماني، وهي حالة خطيرة جدًّا.

- **ثم هي تضرب إخلاصك لله، روحيتك الإيمانية، تغيّر نظرتك تجاه الأعمال:**

قد يكون هناك أعمال في غاية الأهمية، لكنها ليست ذات شهرة، ذات سمعة، ليست ترضي حالة الغرور لديك، حالة التكبر عندك؛ **فلا** تعطيها أي أهمية ولا أي قيمة، أنت تريد من تلك الأعمال التي لها سمعة، لها شهرة، **الصيت لها:** أنه من كان فيها له أهمية؛ **لأن** حالة الغرور، حالة العجب، حالة التكبر، والأهداف الشخصية، طغت على اهتمامك، على نفسيتك.

- **تكون جريئًا في الإساءة إلى الآخرين في التعامل معهم:**

تبرز حالة التكبر عندك كسلوك في تعاملك معهم، الله يقول عن المؤمنين: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[المائدة: ٥٤]، **(أَذِلَّة)**، هذا هو تعبير ليس وراءه أي تعبيرٍ آخر عن مدى التواضع، عن مدى التواضع الكبير، فحالة الإنسان المؤمن تجاه بقية إخوته المؤمنين، تجاه الناس المستضعفين، هي حالة تواضعٍ تام، لكنَّ الإنسان إذا طرأت له حالة التكبر، تتغير نفسيته، ويتغير أسلوبه في التعامل، يحمل مشاعر الاحتقار للناس، مشاعر الازدراء لهم، ومن ثم يبرز تكبره عليهم كسلوك، في التعامل، في التخاطب، في الكلمات، في طريقة التعامل، وهي حالة خطيرة جدًّا، **ثم هي تؤثر على واقع الإنسان.**

١٥

العزة الإيمانية مطمح أولياء الله!

حالة الإنسان المؤمن هو يتربى- إذا تربى تربيةً إيمانيةً صحيحة- يتربى على الخضوع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يحرص دائمًا على أن يكون له مكانة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **طموحاته متجهةٌ في المقام الأول:** أن يحظى برضوان الله، بالتكريم الإلهي، الذي له أهمية فوق كل شيء، هو التكريم الحقيقي، هي الكرامة الحقيقية، ولهذا يركز القرآن في مساحة واسعة حول هذه النقطة، عندما يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[الواقعة: ١٠-١١]، **تقريبهم هذا معناه:** أنهم يحظون بتكريمٍ واسع، **تظهر هذه الحالة من**

التكريم في أشياء كثيرة: فيما يعطيه الله لهم يوم القيامة، فيما ينعم به عليهم، فيما يهيئ لهم، فيما يعطيهم، تظهر مظاهر هذا التكريم يوم القيامة، في معاملة الملائكة معهم: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[الرعد: ٢٣-٢٤]، ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾[مريم: ٨٥]، مظاهر التكريم كبيرةٌ جدًّا عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وعظيمة، وراقية للغاية، راقيةٌ جدًّا.

بينما حالة التكبر هي حالة سلبية جدًّا وسيئة، ومعروف ما حصل لإبليس، تحول إلى صاغر، ﴿مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[الأعراف: ١٣]، مذمومًا، مدحورًا، ملعونًا، رجسًا، خبيثًا، لا يحظى بالاحترام عند أحد، لا عند الملائكة، ولا عند الجن، ولا عند الإنس.

المتكبرون تنطبع في نفوس الناس عنهم انطباعات سلبية، يمقتون تصرفاتهم، يمقتون أساليبهم، لهذا آثار سيئة عليهم؛ **أمَّا** الإنسان المؤمن فهو في تربيته الإيمانية ينشد التكريم الإلهي، والمكانة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولهذا يقول الله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[هود: ٢٣]، **(وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ)**، اتجاههم نحو الله قائمٌ على فهم معنى العبودية لله، والخضوع التام لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والتواضع التام مع عباده، مسيرة حياتهم سليمةٌ من التكبر، ومظاهر التكبر، ومظاهر الغرور، ومظاهر الطغيان، طريقتهم في التعامل مع عباد الله قائمة على أساس الرحمة، والإنسانية، والتكريم للناس؛ **لأنهم** لا يحملون مشاعر الازدراء للناس، ولا الاحتقار للناس، وهذه مسألة مهمة جدًّا.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فتح الباب لعباده المستضعفين- كبديل عن حالة التكبر- أن يمنحهم عزة الإيمان، وعزة الإيمان هي نعمة كبيرة جدًّا؛ لأنها ليست قائمة على حالة الغرور، ولا على حالة الطغيان، ولا على حالة الممارسات الإجرامية، ليست مبنية على عقدة وهمية

يعيشها الإنسان في نفسه، ثم يبني عليها تعاملات سيئة مع الناس، فيها ظلم، فيها عناد، فيها رفض للحق، فيها تعنت تجاه عباد الله، وطغيان في التعامل معهم، **عزة الإيمان يُبنى عليها سلوك نقي، سليمٌ من شوائب الطغيان، والإجرام، والظلم، والتصرفات السيئة.**

الإنسان المؤمن، المؤمنون كما قال الله عنهم: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[المائدة: ٥٤]، **تبرز عزتهم، وشموخهم، وقوتهم، في مدى** ثباتهم على الحق، **في مدى** مواجهتهم للطغيان، **في مدى** تحررهم من هيمنة المستكبرين، يبرز شموخهم، ومكانتهم، وعزتهم، **في** ثباتهم على نهج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **في** قيمهم الراقية والأصيلة، **في** احترامهم لإنسانية الناس، وتكريمهم للناس، واهتمامهم بأمر الناس، واهتمامهم بأمر المستضعفين، **فهم:** ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، **وهم:** ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، **وهم** في تعاملهم يلتزمون الحق والعدل، فيتميزون بتلك الميزة الراقية جدًّا؛ **لعزة** الإيمان، البعيدة عن التسلط، بالطغيان، والظلم، والفساد، والإساءة، والممارسات المشينة، وممارسات الغرور والإجرام.

١٥

ولهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون: ٨]، **عزة الإيمان لن تدفع بك إلى العناد أمام حق،** إلى رفضٍ لحق، إلى ممارسةٍ لظلم، إلى تصرف هو طغيان، لن تجعلك متكبرًا أبدًا، الفارق بينها وبين التكبر فارقٌ كبير جدًّا.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **يمنح عباده المستضعفين،** عندما لا يرتبطون بالمستكبرين، ولا يتجهون اتجاه المستكبرين، أن يرعاهم بعظيم رعايته، كما قال الله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[القصص: ٥-٦]، يعطيهم الله التمكين، يُمكِّن لهم، ينقذهم من استكبار المستكبرين، من ظلم المستكبرين، من طغيان المستكبرين، ويمنحهم عزة الإيمان، ويمكِّن لهم؛ **ليقيموا** العدل، ليجسدوا القيم الإلهية، **يقول** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ

الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾[الأعراف: ١٣٧].

بل إلى درجة أن المستضعفين- على مر التاريخ- هم من قامت على أكتافهم الرسالة الإلهية، عندما اتجهوا بإيمان، ولم يرتبطوا بالمستكبرين، ولم يتجهوا اتجاه الاستكبار، **كان البديل عن ذلك:** أن يتحقق على أيديهم الأمور العظيمة، تنهض رسالة الله في الأرض، يتوفقون لأن يتحركون هم لإعلاء كلمة الله في الأرض، أن يكونوا هم من يحققون الإنجازات المهمة في واقع المجتمع البشري، ذات القيمة الأخلاقية والإنسانية، أن يعتقوا المجتمعات من هيمنة المستكبرين وظلمهم، ثم تأتي الرعاية الإلهية من المراحل التي هم فيها في غاية الاستضعاف، لتغير واقعهم، ثم تغير الواقع بهم من حولهم إلى حدٍ كبير.

وهكذا حصل في صدر الإسلام، عندما تحرك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وتحرك معه قِلَّةٌ من المستضعفين، وتحرك لمواجهته بقية المستكبرين، امبراطوريات ودول كبرى، المستكبرون في الجزيرة العربية، المستكبرون حتى من قومه، واجهوه وحاربوه، حاربوا الرسالة الإلهية، لكنه انتصر، وأولئك القِلّة المستضعفون، الذين تحركوا معه، تغير واقعهم هم؛ **حتى** أصبحوا هم سادة العالم، أصبحوا هم القوة الأبرز في الساحة العالمية، بعد سنوات معدودة، بعد مراحل معينة، تغير واقعهم تمامًا، وتغير الواقع من حولهم، ولهذا يقول الله: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[الأنفال: ٢٦].

هذا هو التوجه الصحيح للحصول على العزة والرفعة

ولذلك فالتوجه الصحيح هو: العبودية لله، الذوبان في طاعة الله، وأنت بذلك تَكْرم، تعتزّ، تَشرُف، يمنحك الله الود في قلوب عباده، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾[مريم:٩٦]، يمنحك الله عزة الإيمان، بدلًا من أن تتورط في عقدة الكبر، والممارسات التي فيها تكبر، **وكلما ذُبت في عبادة الله** ﷻ؛ **كلما** أعزك الله أكثر، **كلما** رفع قدرك هو ﷻ، **كلما** أعلى شأنك، **كلما** جعل لك- هو- الود في قلوب عباده، كلما أعزك بعزة الإيمان.

لكن كلما اتجه الإنسان هو، يريد أن يفرض لنفسه في أوساط الناس، عن طريق ممارسات التكبر، ومظاهر التكبر، وسلوك التكبر، وتصرفات التكبر، هيمنة، مساحة معينة، نفوذًا معينًا، أهمية في النفوس؛ **كلما** مقتوه، **كلما** استاؤوا منه، **كلما** صَغُر في أنفسهم وفي أعينهم، **كلما** احتقروه في نفوسهم، **تختلف الحالة اختلافًا تامًا.** ١٥

ثم في الآثار السلبية المدمرة لإيمان الإنسان، لعلاقته بالله ﷻ، **للتسبب بالمقت من الله** ﷻ، إبليس عندما استكبر لعنه الله، طرده من رحمته، غضب عليه، الإنسان بذنب التكبر يمكن أن يلعنه الله، أن يمقته، أن يطرده من رحمته، ولو كان له دهر طويل من العبادة، أو من الأعمال الصالحة، إبليس كان له آلاف السنوات من العبادة، لكنَّ ذنب التكبر من أخطر الذنوب، من أسوئها.

على الإنسان أن يحذر، ألَّا يفعل كإبليس، إذا اتجه الإنسان في ساحة الإيمان، ليحذر من حالة التكبر، **ألَّا** تطرأ في واقعه، **أن** يحترس من حالة الغرور، **أن** يحترس ويتنبه من حالة العجب بالنفس، التي تتولد عنها حالة التكبر، **أن** يستشعر دائمًا تقصيره أمام الله ﷻ، **أن** يستوعب جوانب النقص لديه، **أن** يسعى دائمًا للذوبان في توجهه الإيماني نحو الله ﷻ،

أن يستفيد من القرآن أكثر وأكثر، فيما يتحدث به القرآن عن خطورة التكبر، وعن ترسيخ القيم التي تحميك من التكبر، وتحميك من الغرور، وتحميك من العجب والعياذ بالله.

الإنسان إذا كان في منصب، **أو** سلطة، **أو** وجاهة، **أو** له مقام معين، **أو** مسئولية معينة، **أو** له مكانة في أوساط الناس، **عليه أن يكون حذرًا جدًّا؛ لأنه** من أكثر الناس عُرضةً للتكبر، فليحذر؛ **حتى** لا يتحول إلى متكبرٍ، إلى مغرور، إلى معجبٍ بنفسه والعياذ بالله.

نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُرْضِيهِ عَنَّا، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبْرَارَ، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنْصُرَنَا بِنَصْرِهِ، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَامَ، وَالقِيَامَ، وَصَالِحَ الأَعْمَالِ، وَأَنْ يُزَكِّيَ أَنْفُسَنَا، وَأَنْ يُعِينَنَا عَلَى طَهَارَةِ أَنْفُسِنَا، وَزَكَاءِ أَنْفُسِنَا، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

وَالسَّـــلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَـــةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـــهُ؛؛؛

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِينَ، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

أَيُّهَا الإِخْـــوَةُ وَالأَخَوَات:

السَّـلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْـمَـةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـهُ؛؛؛

يوم السابع عشر من شهر رمضان المبارك: هو ذكرى لغزوة بدرٍ الكبرى، التي وقعت في السنة الثانية للهجرة النبوية، وهي غزوةٌ ذات أهميةٍ كبرى؛ **باعتبارها** أول معركةٍ خاضها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، ومعه المسلمون، الذين استجابوا له وانطلقوا معه في تلك الغزوة، في مواجهة الكفر، والتصدي لأعداء الإسلام والمسلمين.

ولأهمية تلك المعركة، وما نتج عنها من المتغيرات الكبيرة، سمَّى الله ذلك اليوم بيوم الفرقان، حينما قال شَأنُهُ في القرآن الكريم: ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا

عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾[الأنفال: ٤١]؛ **باعتبار** ذلك اليوم بما وقع فيه من انتصار تاريخي عظيم ومهم، كان له أهميته الكبيرة، وشكّل فارقًا حقيقيًا في مسيرة البشرية بشكلٍ عام، وفي واقع المسلمين على وجهٍ أخص، فما بعد ذلك اليوم اختلف تمامًا عمّا قبله، وهذه مسألةٌ مهمة بالنسبة لنا؛ **باعتبار** أن آثار تلك الأحداث والمتغيرات، وتلك الوقعة المهمة، امتدت إلينا إلى عصرنا، وامتدت عبر الأجيال إلى قيام الساعة، فهي ذات صلةٍ بما تحقق من نتائج مهمة، ليس فقط لعصرها وزمنها، أو في عصر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ فقط؛ **وإنما** امتد ذلك الأثر بشكلٍ عام لصالح الأمة، لصالح المسلمين، لصالح قيم الخير والعدل، لصالح الرسالة الإلهية، وعبر الأجيال، ويمتد إلى قيام الساعة.

يومٌ بهذه الأهمية، فيما تحقق به للبشرية بشكلٍ عام، وفيما تحقق به للمسلمين على وجهٍ أخص، هو جديرٌ بالاهتمام به، بالتذكر له، بالدراسة له، بالحديث عنه، بالاحتفاء به؛ باعتبار ما حصل هو نعمةٌ عظيمةٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وباعتباره أيضًا محطةً مهمةً للدروس، للعبر، للاستفادة منها بشكلٍ كبير، فيما تحتاج الأمة إليه، وهي في أمسِّ الحاجة إلى أن تستفيد من تاريخها، وهي تواجه التحديات والأخطار الكبيرة في هذا العصر. ١٦

غزوة بدر مدرسة تبني الأمة لأداء الفريضة المهمة

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذكر فيما يتعلق بغزوة بدر في القرآن الكريم، ووثّقها في سورةٍ من أهم السور القرآنية، التي تحدثت عن الجهاد في سبيل الله، وهي (سورة الأنفال)، مساحة كبيرة من هذه السورة تحدثت عن غزوة بدر، ولكنها قدمتها تقديمًا يختلف عن تقديم أصحاب السير والتواريخ، قدمتها كمدرسة للأمة، تستفيد منها، تستلهم منها، تأخذ الدروس والعبر منها، تهتدي بها، وتنتفع وتتأثر على المستوى التربوي والروحي، بما يبنيها لأداء هذه الفريضة المهمة، فريضة الجهاد في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، التي لابدَّ منها

للأمة، في حمايتها، ومنعتها، وقوتها، وعزتها، واستقلالها، وكرامتها... إلى غير ذلك.

يبين الله سبحانه وتعالى **(في سورة الأنفال) بقوله:** ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝٥ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[الأنفال: ٥-٨]، في هذه الآيات المباركة لوحدها كم هناك من الحقائق المهمة، التي فيها الكثير من الدروس والعبر لنا نحن في هذا الزمن وفي هذا العصر، وبحسب ما نواجهه من أخطار وتحديات وعوائق في واقعنا العام.

الأمر بالجهاد للنبي صلوات الله عليه وعلى آله، والتحرك لتلك الغزوة المهمة، كان من الله سبحانه وتعالى، كان توجيهًا إلهيًا، الله سبحانه وتعالى شرع الجهاد لعباده المؤمنين، وفرضه عليهم فرضًا، ليكون من ضمن التزاماتهم الإيمانية والدينية، بل من أهمها، مثلما فرض عليهم الصلاة، والصيام، وسائر الفرائض، فرض الجهاد.

وأول من تحرك ليمثل القدوة هو رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، كما هو القدوة في كل أمور ديننا، هو يتحرك من موقع القدوة والقيادة والهداية، وما تحرك فيه هو يرسم للأمة عبر الأجيال، يرسم لها فيه طريق الهداية، ويبين لها دينها والتزاماتها الدينية والإيمانية.

والله سبحانه وتعالى **حينما شرع الجهاد، هو غنيٌ عنا، غنيٌ عن أعمالنا، غنيٌ عن جهادنا،** ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[العنكبوت: ٦]، **ولكنه شرعه ليكون** وسيلة خيرٍ لنا، لحمايتنا، لقوتنا، لعزتنا، لكرامتنا، لدفع الأخطار عنا.

حالة الصراع في الواقع البشري هي حالةٌ قائمة بين البشر، ليست المسألة أنه حينما أتى الإسلام أتى بالجهاد، فأثار مشكلة في الواقع البشري، كان البشر يعيشون في أمن، وسلام، واستقرار، وليس بينهم صراعات، ولا مشاكل، ولا أحد يعتدي على أحد، ولا أحد ينال أحدًا بشرّ، فجاء الإسلام بالجهاد، فأثار مشكلةً كبيرةً، وفتح بابًا للقتل والقتال، والصراعات، وسفك الدماء، وغير ذلك!.

الإسلام بفرض الجهاد هو يحدّ أصلًا، يحدّ أصلًا **من حجم** المظالم، **من حجم** سفك الدماء، **من حجم** العدوان، هو يمثل عامل حماية للأمة، عامل قوة، وحماية للمستضعفين، ومنعة، وردع لأعدائهم، **وهذا ما أثبته التاريخ:**

- **في المراحل التي استجاب المسلمون فيها لله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأحيوا هذه الفريضة، كانوا هم في حالة منعة وعزة وقوة، ووفروا لأنفسهم الأمن والسلام والاستقرار إلى حدٍ كبير.

- **والمراحل التي عطلت فيها الأمة هذه الفريضة**، وشطبتها، وتنصلت عنها، وتقاعست عنها، هي المراحل الأكثر مأساة في واقع الأمة، الأكبر مظلومية ومعاناة ومخاطر، والثمن الذي دفعته الأمة فيها- في مثل تلك المراحل- من أمنها، واستقرارها، وسلامتها، وكرامتها، واستقلالها، هو ثمنٌ باهظٌ ورهيبٌ جدًّا، قُتِل من الأمة الملايين، في مثل تلك المراحل، التي تقاعست فيها الأمة عن الجهاد، أُستُبيحت الأمة، أُستُبيح أبناؤها بالقتل، وأُستُبيحت أوطانها بالاحتلال، وثرواتها بالنهب، صودرت حريتها، وكرامتها، واستقلالها.

فحينما نعود إلى فريضة الجهاد، وندرس غزوة بدر الكبرى، نرى أن الأمر من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **لنبيه** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ**:** ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾[الأنفال: ٥]، الأمر هو حق، هو أمرٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى للتحرك في موقف حق، وقضية حق، **قضيته: هي الإسلام**، والتصدي للأعداء الطغاة المعتدين، **الذين** يحاربون الإسلام في مبادئه وقيمه، **والذين** يسعون إلى إذلال المسلمين، وقهرهم، وفتنتهم، والسيطرة عليهم، والاستعباد لهم، ويريدون ألَّا تقوم قائمة لأمر الإسلام والدين الإلهي.

الظروف التي تحرك فيها النبي للجهاد.. درس مهم!

رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله هو تحرك في ظروف صعبة، من حيث العدد، والعدة، والإمكانات، ولا يوجد مقارنة في حجم ما يمتلكه الأعداء من الإمكانات المادية والعسكرية، وفي العدد والعدة، وبين واقع المسلمين.

ولذلك كانت هناك مخاوف مؤثرة على البعض من المسلمين، الذين خرجوا مع رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله وكانوا يعترضون؛ **بالنظر إلى تلك الظروف:** الواقع المادي، الإمكانات، قلة العدد، وقلة العدة، النقص الكبير في الإمكانات؛ **فكانت** مخاوفهم كبيرة، يرون واقع المسلمين- بحسب الإمكانات والنظرة المادية- أنه ضعيفٌ جدًّا، وينظرون إلى الأعداء في قدراتهم، وإمكاناتهم، ونفوذهم، وتأثيرهم، أن المعركة قد تكون لصالحهم، ﴿وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾[الأنفال: ٥-٦]، هذا هو حال فريق من المؤمنين، الذين خرجوا مع رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، وهم في هذه الحالة، من الاضطراب، والتردد، والقلق، والتوتر، وربما البعض قريبًا من حالة اليأس، إن لم يكن يائسًا، فما بالك بالواقع من حولهم.

المنافقون، والذين في قلوبهم مرض: كانوا مثبطين، مرجفين، ومحاولين أن يهزوا الموقف بكل ما يستطيعون، وحكى الله عنهم قولهم: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[الأنفال: ٤٩].

أمّا واقع الأعداء فهو ذاك: كل البيئة المحيطة بالإسلام- على المستوى المحلي، والإقليمي، والدولي- معادية للإسلام، الإمبراطوريات القائمة تكره الإسلام وتعاديه، **الواقع على مستوى الجزيرة العربية والمناطق المختلفة،** الكل معادٍ للإسلام.

لكن في ظل تلك الظروف، بكل ما فيها من تعقيدات، بكل ما فيها من واقعٍ ليس هو- بحد ذاته- يخدم الإسلام، **لكن رسول الله** صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ **تحرك،** استجاب لأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ووَثِقَ بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، من منطلق أمر الله والاستجابة له، ومن منطلق الثقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والتمسك بالقضية الحق، والموقف الحق، تحرك صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ بكل عزم، بكل شجاعة، بكل تفانٍ في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بكل تصميمٍ لأداء تلك المهمة في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

كانت إرادة الله بالرغم من إمكانية أن تقع المعركة، وألَّا تقع، أن تقع؛ لأن في وقوعها الخير للمسلمين، يتحقق لهم نصرٌ كبير، يترتب عليه نتائج مهمة، **هي:** إحقاق الحق، ولهذا قال الله: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾[الأنفال: ٧-٨]، **إحقاق الحق في الساحة، في الواقع، فرضه في الواقع، منع الباطل، إزهاقه من الواقع، لابدَّ فيه من الجهاد في سبيل الله، وإلَّا فإن أهل الباطل يسعون هم إلى فرض باطلهم،** يتحركون بباطلهم، وشرهم، ومنكرهم، وفسادهم، وطغيانهم، في الساحة؛ ليسيطروا بذلك كله على الناس. ١٦

وفعلًا عندما تحرك رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ**، وَوثِق بالله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، ووقعت المعركة**- تفاصيلها في سورة الأنفال، وبعض التفاصيل في كتب السير والتاريخ- **حدثت المفاجأة الكبيرة،** التي مثلت صدمةً كبيرةً لكل الأعداء، ولكل المتوجسين، ولكل المترددين؛ **أمَّا** بالنسبة للمسلمين فكانت مفاجأة سارة جدًّا، المفاجأة الكبيرة كانت بذلك النصر التاريخي العظيم، حيث حصلت في تلك المعركة ضربة كبيرة لقريش، قُتِل الكثير من كبارهم، من فرسانهم، من قادتهم، وأُسر البعض منهم، وانهزم الباقون هزيمةً كبيرةً جدًّا، وعاد النبي صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ منتصرًا، وعاد بذلك النصر الذي غيَّر المرحلة، غيَّر الواقع تمامًا، ولهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[آل عمران: ١٢٣].

وبذلك النصر اعتز المسلمون، نصرهم الله وهم أذلة، وبعد ذلك الانتصار أصبحوا في عزة، في قوة، في منعة، في مهابة أمام أعدائهم، واطمأن الكثيرون إلى مستقبل الإسلام أنه منتصر؛ **لأنه** لم يكن قد واجه مثل ذلك التحدي فيما سبق، يخوض معركةً مع الأعداء، ويتصدى لهم، عندما يتحركون بخياراتهم العسكرية، وقدراتهم العسكرية، بهدف القضاء على الإسلام، **كان هناك الكثير من المتوجسين والمترددين:** [ماذا لو واجه الإسلام هذا التحدي؟ ماذا لو تحرك الكافرون بإمكاناتهم العسكرية وقدراتهم العسكرية، واتخذوا الخيار والقرار العسكري للقضاء على الإسلام والمسلمين، هل سيصمد رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، ومعه القلة القليلة من أولئك المستضعفين، بإمكاناتهم المتواضعة؟ وإذا صمدوا وثبتوا، هل سينتصرون؟]، تحقق ذلك النصر وتغير الواقع تمامًا.

فكان فاتحةً مهمة، تلاه الكثير من المعارك، والأحداث، والمتغيرات، وتلاه الكثير من الانتصارات، وفي بعضها إخفاقات، كان منها دروس مهمة، مثلما هو حال (غزوة أحد)، من السنة الثانية للهجرة، وصولاً إلى السنة الثامنة للهجرة، وكانت في شهر رمضان من السنة الثامنة للهجرة، والتي تم فيها الفتح الإلهي الكبير لمكة، عندما تحرك النبي في غزوة فتح مكة، فكان أيضًا انتصارًا عظيمًا جدًّا، وثبَّت أمر الإسلام والمسلمين في الجزيرة العربية بشكلٍ عام، ودخل الناس في دين الله أفواجًا.

فغزوة بدرٍ الكبرى، وأيضًا فتح مكة، كلاهما حدثان مهمان، نتج عنهما متغيرات مهمة جدًّا لصالح الأمة، لصالح الإسلام والمسلمين، لصالح قيم الخير، والعدل، والسلام، والعزة، للمستضعفين، وللبشرية، **كلاهما حصل في شهر رمضان المبارك:** غزوة بدر في السنة الثانية، وفتح مكة في السنة الثامنة، كلاهما أسس مرحلة كبيرة ومتغيرات مهمة، لصالح المستضعفين بشكلٍ عام، لخير البشرية عمومًا، إلَّا من أبى.

وهكذا ما بعد ذلك، يعني: **غزوة حنين، غزوة تبوك، غزوات أخرى،** رسول الله ﷺ **واصل مسيرته الجهادية حتى الرمق الأخير**، ما قبل وفاته، وهو على فراش المرض، قبل وفاته أعدّ جيشًا ليُنفذه بقيادة أسامة بن زيد، وتوفي قبل تحرك ذلك الجيش، **لكن حتى وهو في الرمق الأخير يقول:** ((أَنفِذوا جَيشَ أُسَامة))، يأمرهم بأن يتحركوا للجهاد في سبيل الله.

مميزات المسيرة الجهادية للنبي والمستجيبين له

رسول الله ﷺ، في ما يميز حركته ومسيرته الجهادية: أنه رسم للأمة كلها طريق الخير، طريق العزة، طريق الهداية، ما هو من دينها، ما هو من تعليمات ربها، وما هو من التزاماتها الإيمانية الدينية، وما فيه الخير لها؛ **ولذلك** فحركته حركة هداية للأمة، حركة خيرٍ للأمة، إنجازاته لها أثرها المهم لمستقبل الأمة، وليست فقط لعصره ﷺ ولهذا يقول الله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب: ٢١]. ١٦

فالنبي ﷺ هو النبي المجاهد، هو من أعظم الأنبياء جهادًا في سبيل الله، هو الذي أمره الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، والذي قال له الله: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾[النساء: ٨٤]، فتحرك وأعطى الجهاد في سبيل الله جزءًا مهمًا من اهتماماته، من أنشطته، ليس هناك أحدٌ يمكن أن يصل إلى مستوى اهتمامه بأمر الجهاد في سبيل الله، فهو الذي تحرك، وحرّك الأمة، وكان يعد العدة، ويحرِّض، ويجهز، ويتابع تحركات الأعداء بنشاط واهتمام كبير، ويبعث

السرايا، ويبعث العيون والرَصَد، اهتمامٌ كبيرٌ جدًّا بأمر الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى.

وكان ما يميز المستجيبين له من المسلمون: هو مدى استجابتهم له في أمر الجهاد، ما يبيّن ويوضح الأكثر إيمانًا، الأكثر صدقًا، الأكثر اهتمامًا واستجابةً لرسول الله صلى الله عليه وآله هم الأكثر تفاعلًا معه من المسلمين في أمر الجهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، ولذلك يقول الله: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[التوبة: ٨٨]، فكانت ميزة المؤمنين الصادقين، الأوفياء، **المستجيبين:** هي استجابتهم في أمر الجهاد في سبيل الله.

وكان ما يكشف حال البعض، إمَّا في نفاقهم، أو في مرض قلوبهم، أو في ضعف إيمانهم: هو عدم تفاعلهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله، في أمر الجهاد، من خلال- بالنسبة للمنافقين- ما يقومون به من تخذيل، وإرجاف، وتثبيط، وسعي لإبعاد الناس عن مسألة الجهاد في سبيل الله، وتخويف كبير من الأعداء، وتشكيك كبير في الموقف، أو غيرُهم، من يتأثر بهم، أو يتأثر بعوامل أخرى، فيتخاذل، ويقعد، ويتخلف، ولا يستجيب، لا يتفاعل، لا بنفسه، لا بماله، لا بموقفه، لا بنصحه.

فكان القرآن الكريم (في سورة التوبة، وفي كثير من السور) يوبخ تلك الفئات، تلك النوعيات، يهاجمهم، يعيب عليهم موقفهم، يتوعدهم حتى، يتوعدهم بالعذاب على موقفهم المتخاذل، والسيئ، والمثبط والمرجف، والمشكك، والذي يحاول أن يُضعف الأمة لصالح أعدائها، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾[التوبة: ٨٧].

بينما قدَّم الإيمان في سبيل الله على أنه معيار مهم لمصداقية الانتماء الإيماني، المؤمنون الصادقون عندهم استجابة لله في أمر الجهاد، **من** واقع التزامهم الإيماني والديني، وحرصهم على أن يستجيبوا لله، وأن يطيعوا الله، **ومن** واقع وعيهم، وفهمهم، ويقينهم، وبصيرتهم، بأهمية الجهاد في سبيل الله، وأنه ضرورة لمصلحة الأمة؛ **لعزتها،** لقوتها، لمنعتها، لحمايتها، لدفع شر الأعداء عنها، فيقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[الحجرات: ١٥]، جاهدوا، آمنوا ولم يرتابوا، ليسوا ممن ليس لديه بصيرة، ولا يقين، ولا وعي، سُرعان ما يرتاب ويشك، ويؤثر عليه المشككون، والمنافقون، والذين في قلوبهم مرض، يتأثر بالحرب الدعائية، بالشائعات، بالدعايات، لم يرتابوا؛ **هم** أصحاب يقين، أصحاب ثقة، يثقون بالله، يثقون بوعده الحق، أصحاب وعي وبصيرة بقضيتهم، بعدالة قضيتهم، بأنهم في الموقف الحق، ﴿وَجَاهَدُوا﴾، جاهدوا بالنفس والمال في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، استجابةً لله، وفق توجيهاته، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾. ١٦

النظرة الخاطئة للجهاد. وبيان مكاسبه وخطورة التنصل عنه

يقول الله سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤٢]، **لابدَّ من الجهاد والصبر؛ لكمال إيمانك، وقبول إيمانك.**

والمشكلة لدى الكثير، حتى من غير المنافقين، لدى المنافقين والذين في قلوبهم مرض، **ولكن حتى مِن غيرهم: هي** في النظرة الخاطئة إلى الجهاد في سبيل الله، نظرة أنه شر، أنه خطر، أنه تهديد لحياتك، لراحتك، لاستقرارك، أنه مبعث شرٍّ على الأمة، ومشاكل لها مع الآخرين، **وكما قلنا:** كأنه لو لم يكن هناك جهاد سيكون واقع الناس من دون صراع، ولا مشاكل، ولا حروب، ولا أحداث! نظرة خاطئة.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، القتال- بحسب المزاج الشخصي، والرغبة النفسية، التي تميل إلى الدعة، إلى الهدوء، إلى الابتعاد عن كل ما يُتوهَّم فيه أنه خطر- مكروه لدى الكثير من الناس، لكن لا ينبغي التعامل مع الأمور من خلال المزاج الشخصي، والأهواء النفسية، فقد تتجه بالإنسان الاتجاه الخاطئ، تُبعده عمَّا هو في الواقع خيرٌ له، وتدفعه إلى ما هو في الواقع شرٌّ له، **الشر على الأمة ليس في الجهاد، الشر على الأمة، الشر الكبير والخطر الرهيب في دينها ودنياها: هو في ترك الجهاد في سبيل الله**، عندما تبقى أمة ضعيفة، عاجزة، مستسلمة، متنصلة عن مسؤولياتها، خانعة، ميتة، ليس لديها كرامة، ولا عزة، ولا تتحرك للتصدي لأعدائها.

الوضعية التي تُطمِع أعداءها، وهم أشرار، وهم طامعون، وهم حاقدون، وهم خطيرون، وهم مجرمون، وهم سيئون، عندما يرون في واقع الأمة واقعاً مُطمِعاً لهم، أمة ضعيفة مستسلمة، هيَّابَة من القتال، عاجزة، جامدة، غير متفاعلة مع قضاياها، ولا مهتمة بدفع الأخطار عن نفسها، هذا يشجعهم عليها. ١٦

كما ورد في الحديث النبوي الشريف: ((يُوشك أَنْ تَتَدَاعى عَلَيكُمُ الأُمَم، كَمَا تَتَدَاعى الأَكَلَةُ عَلَى قَصعَتِها))، تتداعى عليكم الأمم الأخرى، من أعدائكم، من الطامعين فيكم، يتداعون في تحالفات عليكم؛ **للهجوم** عليكم، للسيطرة عليكم، لاحتلال أوطانكم، لنهب ثرواتكم، لاستعبادكم، للتنكيل بكم، والقهر لكم، يتداعون بطمع كبير؛ **لأن** هناك واقعًا مطمعًا لهم، أمة تصبح مغنمًا لأعدائها، مستباحةً لأعدائها، لا يخشاها أعداؤها، لا يقلقون منها، يطمعون في أن يسيطروا عليها بكل راحة، بدون عناء، وكأنما

الأكلة المدعوون إلى وليمة، إلى وليمة طعام، يتداعون إلى وجبة طعام مغرية دسمة، **((كَمَا تَتَدَاعى الأَكَلَةُ عَلَى قَصعَتِها))**، كأن هناك قصعة مملوءة بالطعام، تصبح الأمة طُعمًا لأعدائها، وجبةً دسمةً لأعدائها، فريسةً سهلةً لأعدائها.

((قَالُوا: أَمِن قِلَةٍ نَحْنُ يَا رَسُوْلَ اللَّه يَوْمَئِذٍ؟))، هل السبب الذي يطمعهم فينا إلى هذه الدرجة، فيتداعون علينا أمة من هناك، وأمة من هناك، ودولة من هناك، ودولة من هناك، يتداعون هذا التداعي، بهذا الطمع، بهذا الإغراء، أمِن قِلَة؟ **((قَالَ: أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِير، وَلَكِنَكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْل، يُنزَعُ الوَهَنُ مِن قُلُوبِ أَعْدَائِكُم، وَيُزرَعُ الوَهَنُ فِي قُلُوبِكُمْ))**، وما هو الوَهَنُ هذا؟ فسَّره رسول الله ﷺ: **((بِحُبِّكُم الدُّنيَا وَكَرَاهِيَّتِكُم المَوْت))** على هذا، أو معناه.

فالرسول ﷺ يبيّن للأمة الخطورة الكبيرة عليها في الوضعية التي تتخلى فيها عن الجهاد، الذي يبنيها لِتُعِد ما تستطيع من القوة، لتكون على المستوى النفسي والتربوي أمةً عزيزة، أمة لا تهاب أعداءها، أمة تعيش حالة العزة والكرامة، والجهوزية لمواجهة أعدائها، والتصدي لهم، عندها على المستوى النفسي، والمعنوي، والتربوي، وعلى مستوى الإعداد لما تستطيع من القوة، والبناء لنفسها في كل مجالات حياتها، ما يرتقي بها إلى مستوى مواجهة التحديات والأخطار.

السكون والجمود، والتنصل عن الجهاد في سبيل الله، وتعطيل هذه الفريضة، وشطبها من قائمة الاهتمامات لدى الناس: هو شرٌّ على الأمة، ولمصلحة أعدائها، ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

ما يمكن أن ينتقل بالأمة من وضعيتها، التي تتلقى فيها الضربات، وتدور فيها على رأسها المؤامرات، وهي جامدة، ساكنة، تترك لأعدائها أن يفعلوا بها ما يشاؤون، بل أحيانًا تتحرك وفقًا لمخططات أعدائها، التي يريدون ضربها من خلالها، يكون جزء كبير من مهمة التنفيذ لضربتها بنفسها من خلالها هي، أو تدفع هي كلفة ضربها، وكلفة إذلالها، وقيمة مؤامرات أعدائها، فتصل إلى حدّ رهيب جدًّا من الوضعية المهيأة للأعداء، للتلعب بها كيفما يشاؤون ويريدون، الانتقال بها إلى أن تكون في وضعية المتصدي للعدو، المواجه للتحديات والمؤامرات، الذي يتصدى لمؤامرات الأعداء، الذي يحرّك الإمكانات والقدرات، ويبني الواقع، ليكون في مستوى مواجهة الأخطار، هو بإحياء فريضة الجهاد في سبيل الله، بمفهومها الصحيح، بمفهومها القرآني، وليس بمفهومها الداعشي، الذي يحرّكها خِنجرًا لطعن الأمة في ظهرها لمصلحة أعدائها، ويتحرك بالطريقة التي يرسمها أعداؤها تمامًا، طريقة لإثارة الفتنة من الداخل، تحت العناوين التكفيرية، وعناوين أخرى، والتحرُّك وفق البوصلة الأمريكية والإسرائيلية.

١٦

ممارسات الأعداء تحتم علينا تحمل المسؤولية الجهادية

ممارسات الأعداء التي يمارسونها بحق الأمة ممارسات عدائية، واضحة العداء، أعداؤنا في هذا العصر يتحركون ضدنا في كل شيء، في ديننا ودنيانا، يعملون كل ما يوجب علينا حتمًا أن نعيش المسؤولية الجهادية، في كل مجالاتها، في كل أنحائها، **في كل أسبابها ووسائلها المشروعة:**

- **الاستهداف لديننا، والعداء الصريح والواضح لديننا:**

O **تلحظ إحراقهم للمصاحف،** المصاحف التي هي من أقدس مقدساتنا، كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا تعبير عن عداء شديد للإسلام، ممارسة عدائية كبيرة لنا، فيما يتعلق بديننا.

o **إساءات إلى رسول الله** صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، كتابات، ورسوم، وغير ذلك من الإساءات، وأشكال وأنواع الاستهداف المسيء إلى رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ.

o **حرب على المقدسات،** استهداف للمقدسات الإسلامية، ومن أبرزها ما يحصل للمسجد الأقصى والقدس.

- **استهداف لنا بالفتنة في ديننا،** بفرض باطلهم، بفرض ضلالهم، **كبدائل في واقع حياتنا في كل شؤوننا:**

o **على** المستوى السياسي، فرض باطلهم، فرض إملاءاتهم، في بقية شؤون حياتنا.

o **حتى على** المستوى التعليمي والمناهج التعليمية.

o **على** المستوى الثقافي والفكري، حرب ثقافية وفكرية، تستهدف تقديم بدائل ثقافية وفكرية؛ **لتحل** محل مفاهيم القرآن الكريم، محل ثقافة الإسلام، محل مبادئ الإسلام.

- **استهداف في القيم والأخلاق.**

١٦

- **استهداف على المستوى الاقتصادي.**

- **استهداف بالقتل والإبادة،** كل يوم يُقتل مسلمون هنا أو هناك، في ذلك القطر، أو في ذلك البلد، أو في تلك المنطقة.

- **استهداف أيضًا باحتلال الأوطان،** بلدان تُحتَل بأكملها، أو قواعد تُفرَض في بلدان أخرى؛ **للسيطرة** عليها، احتلال للبحار، احتلال للجزر، احتلال لمساحات وأماكن واسعة، وقواعد مهمة يفرضون لهم وجودًا عسكريًا، يسيطرون من خلاله على هذا البلد، أو ذاك.

- **ثم مع ذلك، مؤامرات في الواقع الداخلي للأمة؛** لإثارة الفتن بين أبناء الأمة، وتحريك فئة المنافقين، وفئة الفاسقين والمجرمين، للاعتداء على أبناء الأمة، والاستهداف لأبناء الأمة.

- **عمل** دؤوب لمنع أبناء الأمة من أي نهضة حقيقية.

- **ومحاربة** أي صوت حر وواعٍ بين أوساط الأمة، يستنهض الأمة؛ **لإنقاذها** من واقعها الذي هي فيه.

فهجمتهم على الإسلام والمسلمين، على الأمة الإسلامية، على كل شعوبها، على كل أبنائها، هي هجمة شاملة.

كيف تتصدى الأمة لهذه الهجمة الشاملة؟

ما يرتقي بالأمة لتتصدى لهذه الهجمة، في كل المجالات، في كل الميادين، لتحرّك كل الطاقات والقدرات، في التصدي لهم، هو:

- **إحياء** الروحية الجهادية، وإحياء هذه الفريضة.

- **والوعي** عنها كفريضة من فرائض الله، والتزام إيماني، وأخلاقي، وديني.

- **وكذلك** الوعي عن أهميتها، عن الحاجة إليها.

١٦

لأن هناك الكثير من الوسائل المهمة ذات الأثر الكبير، ولكن عندما تعوّد الناس على التنصل التام عن كل شيء، عن موت الروحية الجهادية في نفوسهم، أصبحوا لا يعملون أي شيء، مهما كان في متناولهم، مهما كان في مقدورهم، مهما كان باستطاعتهم، **وفاعلًا ومؤثرًا:**

- **برودة في التفاعل** مع مسألة المقاطعة الاقتصادية، مع أنها حرب حقيقية على الأعداء، ومؤثرة تأثيرًا كبيرًا عليهم، وعاملًا مهمًا في نهضة الأمة؛ **لتصنع** هي وتنتج هي البدائل، بدلًا من اعتمادها على أعدائها، كثير من الناس لا يتفاعل.

- **التعبئة** المعنوية.

- **التعبئة** التوعوية.

- **الموقف** الإعلامي.

- **الموقف** العام.

- **الشعارات**.

- **المواقف** المعبِّرة عن موقفنا من الأعداء، عن حياة هذه الأمة.

مع وجود ما يعطي الأمل- إضافةً إلى حقائق القرآن الكريم، ووعد الله الصادق الذي لا يتخلف- من خلال النماذج الموجودة، التي تحركت، فكان لتحركها ثمرة ونتيجة، **وهذا:**

- **يمثل** حجةً لله على الناس من جهة.

- **وفي** نفس الوقت هو يعطي أملًا.

- **ويعالج** حالة اليأس في واقع الأمة.

نحن رأينا الثمرة الكبيرة لصمود شعبنا وجهاده وتضحياته، ما حققه من انتصارات، ما حققه من نتائج مهمة، **مع أن الحرب عليه حرب دولية وإقليمية وشاملة:** عسكرية، واقتصادية، وغير ذلك.

رأينا ثمرة لنهضة الجمهورية الإسلامية في إيران، ثمرة مهمة جدًّا.

رأينا نتيجةً مهمةً لجهاد المجاهدين في فلسطين، والواقع في غزة يثبت ذلك.

رأينا ثمرةً عظيمةً ومميزةً جدًّا لحركة حزب الله في لبنان، وجهاده، وتضحياته، وما حققه من انتصارات عظيمة جدًّا، والهزائم التي لحقت بالعدو الإسرائيلي، بالرغم من كل إمكاناته، وما حظي به من مساندة دولية، وفي ما عاناه- في المقابل- حزب الله من مؤامرات إقليمية، حتى من الداخل العربي، لكن تحققت انتصارات مهمة، وتحقق مع ذلك ردع كبير جدًّا، نجد ثمرة هذا الردع في الفارق بين الواقع تجاه حزب الله، وبينما يحصل على سوريا للأسف الشديد، التي أصبح العدو يضربها في أكثر الأيام، ويستهدفها في أكثر الأيام؛ **لغياب** استراتيجية الردع في الضرب للعدو، في مقابل أي ضربة يضربها، ونحن نأمل- إن شاء الله- أن ينتقل الإخوة في سوريا إلى هذه الاستراتيجية؛ **ليعرف** العدو أنه إذا ضربهم، فسيتلقى الضربات في المقابل، هذا يمثل عامل ردع للعدو.

هذه النماذج أيضًا في العراق، في أماكن أخرى، في كل ما حصل من تحركٍ واعٍ ومسؤول في واقع الأمة، يلمس الناس ثمرة، نتيجة، عزة، منعة، قوة، **هذا** يمثل حُجةً كبيرة على الناس من جهة، **ويعالج** حالة اليأس من جهة، **ويبيّن** أهمية أن تتحرك الأمة في كل المجالات، **كأمة مجاهدة:**

- **في** الإعلام.
- **في** السياسة.
- **في** الاقتصاد.
- **في** بناء قدراتها العسكرية.
- **في** التصدي لأعدائها، في كل مجال يتحركون فيه بشكل عدائي، ويستهدفونها فيه، إذا تحركوا عسكريًا؛ تتحرك الأمة عسكريًا لاستهدافهم، بكل جرأة، بكل ثقةٍ بالله، وتوكلٍ على الله سُبحانهُ وتعالى، وهكذا في كل المجالات.

هذا ما هو كفيل بأن يغيّر واقع الأمة؛ لتكون الأمة مقتديةً بنبيها المجاهد، برسول الله صلواتُ الله عليه وعلى آله، الذي أحيا الجهاد، والذي قدَّم أرقى وأعظم صورة ونموذج وقدوة للجهاد في سبيل الله سُبحانهُ وتعالى. ١٦

أَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أن يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُرْضِيهِ عَنَّا، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبْرَارَ، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنْصُرَنَا بِنَصْرِهِ.

نَسْأَلُهُ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَامَ، وَالقِيَامَ، وَصَالِحَ الأَعْمَالِ، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ،،،

الاختبار بالغنى والفقر
وعواقب إيثار الدنيا على الآخرة

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ المُبين، وَأشهَدُ أنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُوْلُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، وَبارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وارضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ المُنتَجَبين، وَعَنْ سَائِرِ عِبادِكَ الصَّالِحِينَ وَالمُجَاهِدِين.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيم، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمْ.

أَيُّهَا الإِخْــوَةُ وَالأَخَوَات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَــةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـه؛؛؛

الإنسان في هذه الحياة في ميدان مسؤوليةٍ واختبار، وهو يحظى برعايةٍ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في إطار دوره في هذه الحياة، كمستخلفٍ لله في أرضه، وعملية الاختبار للإنسان هي واسعة، يُختبر في هذه الحياة ويبتلى بأشياء كثيرة ومتنوعة.

من أكثر الأمور حساسيةٍ لدى الإنسان فيما يختبر به، وأهميةً: هي الاختبار بالغنى والفقر، وسعة الرزق، وتقدير الرزق، هذا الاختبار لمَّا كان له علاقة بحياة الإنسان

المعيشية، ومتطلبات حياته الأساسية؛ **كان** مؤثرًا على الكثير من الناس، وحساسًا لديهم.

الله ﷻ بحكمته يختبر البعض بسعة الرزق، ويختبر البعض بتقدير للرزق، التقدير للرزق عكس السعة، يقابل سعة الرزق، يكون بِقَدَر محدود، وقد تتغير أحيانًا أحوال الإنسان نفسه، في مسيرة حياته، **فقد يشمله الاختبار بالأمرين:** بسعة الرزق، وأحيانًا بتقدير الرزق، وقد تتكرر هذه الأحوال بالنسبة للإنسان في مراحل حياته لمرات متعددة، أحيانًا يمر بظروف متيسرة وسعة رزق، وأحيانًا بظروف يُقدَّر عليه فيها رزقه، وقد يبتلى البعض، أو يختبر البعض، بأن يكون الأغلب في حاله هو تقدير الرزق، والبعض بأن يكون الأغلب في حالته هو سعة الرزق، أو الغنى بأكثر من ذلك سعة، إلى درجة الغنى، وامتلاك ثروة كبيرة.

حكمة الله في سعة الرزق وتقديره وفي مواهبه ونعمه

كل هذه الحالات هي اختبار:

- **الإنسان في حالة الفقر هو في مقام اختبار،** وفي حالة تقدير الرزق هو في حالة اختبار، هل سيصبر؟ هل سَيَعِفّ عن المحرمات؟ هل سيبقى متوكلًا على الله، راجيًا لله، ملتجئًا إلى الله، يحمل اهتمامات أكبر، نظرته وامتداد آماله إلى ما وراء هذه الدنيا، إلى عالم الآخرة، وما فيها من الخير، وما وعد الله به من الأجر العظيم؟ أم سيؤثر عليه تقدير الرزق، فيفعل المحرمات، ويتجاوز الحدود، وهو يسعى للحصول على المال، والخروج من ضائقة الظروف؟

- **في حالة سعة الرزق، الإنسان في محل اختبار،** هل سيشكر هذه النعمة؟

ولله حكمة في مسألة هذا التدبير، في سعة أرزاق الناس، وفي تقدير الرزق على بعضهم، حكمة هي ضمن تدبيره الواسع في شؤون الخلق، لتسخير بعضهم البعض

للتكامل فيما بينهم، كما هي بقية مواهبه؛ **لأن** مواهب الله ﷻ لعباده، ونعمه عليهم، هي واسعةٌ جدًّا، ليس المال، أو السعة في الرزق ومسألة الرزق، إلَّا واحدة منها، **هناك مواهب على المستوى النفسي والمعنوي:**

- **البعض**- مثلًا- يهبهم الله الذكاء، والفطنة، وحسن التدبير، والحكمة.
- **البعض** يهبهم الشجاعة، والقدرة.
- **البعض** يهبهم الصحة والعافية، والصحة والعافية من أعظم وأهم النعم.
- **البعض** يهبهم القدرة البدنية، والتحمل، والطاقة، والقوة في أجسامهم، وأبدانهم، وحواسهم.

وهكذا، مواهب الله لخلقه مواهب واسعة جدًّا، هذه نماذج وأمثلة فقط.

وسنة الله فيهم هي: أن يتكاملوا، أن يكمّل بعضهم بعضًا، وأن يحتاج بعضهم إلى بعض، هذا عنده في مجال معين موهبة أعطاه الله إياها، وأنعم عليه في مجال معين، **وكل هذا في إطار المسؤولية، هي نعم يترتب عليها مسؤوليات والتزامات في هذه الحياة**، تحدث عنها هدى الله ﷻ، تشريعاته، أتت بها تعليماته.

١٧

فالإنسان في هذا الاختبار، هو في إطار حكمة الله ﷻ في تكامل البشر فيما بينهم، فيما وهبهم الله إياه؛ لأن الله لو جعلهم كلهم أغنياء، لتعطلت الحياة من الأعمال، إذا كان الكل غنيًا، كيف يبقى عنده حافز للعمل، وخصوصًا الكثير من الأعمال التي فيها مشقة؟ لامتنع الكثير منها؛ **لأن** همّه من العمل هو السعي لتوفير الرزق، فبذلك تُعْمَر الحياة، ويأتي العمل في كافة المجالات، بما في ذلك أعمال شاقة، لكنها أعمال مهمة في الحياة، وفي عمارة الحياة، وفي توفير متطلبات الحياة، والخدمات المهمة للإنسان، **هذا جانب.**

الجانب الآخر: يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أيضًا في القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾[الشورى: الآية٢٧]، **الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قادر على أن يبسط الرزق لكل عباده، وأن يكون متوفرًا بشكلٍ كبيرٍ جدًّا للكل،** لكنّ هذا- والله هو الخبير بعباده والبصير بهم- **كان سيترتب عليه:** بغيهم الرهيب في الأرض، لحصلت مفاسد، وبغي، وظلم، ومفاسد رهيبة جدًّا، فمسألة أن تبقى هناك ظروف معينة، سقف معين للكل، حتى الأغنياء، حتى الأثرياء، حتى للمتمكنين، حتى للدول الغنية، في نهاية المطاف تصل عند سقف معين من الإمكانات، يفرض عليها، في واقعها، في سياساتها، في مواقفها، مستوى معين لا تقدر أن تتجاوزه، لا تمتلك الإمكانية لذلك، والبعض أيضا يُضرَبون فيما بعد، بسبب بغيهم؛ **فيخسرون** ما هم فيه من النعم، ويتحولون إلى واقع مختلف، والحديث عن هذه النقطة يمكن أن يطول، ونحن نريد أن ندخل في كثيرٍ من التفاصيل.

النظام في الإسلام وإرشاده لمواجهة حالة البؤس

١٧

في إطار الظروف الحياتية للناس والمعيشية، وفي مسألة تقدير الرزق، هناك أيضًا نظامٌ في الإسلام يخفف من حالة البؤس، ويمنح الفقراء رعاية ومساندة، **من خلال** الزكاة، **من خلال** الصدقات، **من خلال** وجوه البِر وسبل الخير، التي أمر الله بالإنفاق فيها، لإغاثتهم، والوقوف إلى جانبهم، وحمّل الأغنياء مسؤوليات والتزامات مالية تجاه ذلك، هذا جانب.

الجانب الآخر: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يعطي الأمل للناس، أنهم إذا استقاموا، ورجعوا إليه، والتزموا بهديه وتعليماته، وصبروا؛ **يغيِّر** الكثير من أحوالهم، ويوسِّع لهم في ظروف حياتهم.

إضافةً إلى أن الإنسان المؤمن الصابر يمنحه الله القناعة، ويسلم حالة الطمع، التي هي تؤثر على الإنسان، وتزيد من مستوى فقره وبؤسه، كلما كان طمعه أكثر، كلما صَعُبَ عليه التحمل، واتجه بِشَرَهٍ وراء متطلبات الحياة، وباندفاع غير طبيعي، حالة الطمع حالة رهيبة جدًّا، ولهذا يقول الله: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: من الآية ١٦].

إضافةً إلى ذلك: أن المسؤوليات على الجميع هي- فيما يتعلق بالأمور المالية- بحسب إمكاناتهم وظروفهم، وما يستطيعون توفيره، ليس عليهم التزامات أكثر من ذلك، فهناك تخفيف عن الفقير، وتكون مسؤولياته حتى في النفقة على أسرته، في التزاماته الأخرى، بحسب ظروفه وما يستطيع توفيره، ليس عليه مسؤوليات كحال غيره ممن هو ميسور، وممن وُسِّعَ له في رزقه.

ثم يرشد الإسلام إلى الاقتصاد في الواقع المعيشي، والحذر من الترف، **والحذر** من التبذير، الذين يطلبون الترف في هذه الحياة، والتوسّع في النعمة، والوصول إلى كل المشتهيات والملذات، ويصبح همهم في الحياة هو ذلك؛ **يضيعون**، يتورطون، يدخلون في المعاصي، ويُتعِبون أنفسهم، ويخسرون حتى من دينهم، من أخلاقهم، من إنسانيتهم، من كرامتهم، إلى غير ذلك.

ثم الإسلام يرشد إلى أن تكون اهتمامات الناس، ونظرتهم إلى الإمكانات المادية، من دافع المسؤولية، وبنظرةٍ ترتبط بالمسؤولية، مثلًا:

- **أن يسعى** المسلمون كأمة إلى أن يعدوا ما يستطيعون من القوة؛ **ليكونوا** أمةً قوية، **تنهض بمسؤولياتها الإيمانية أمام الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: **من** الجهاد في سبيل الله، **من** الأمر

بالمعروف، **من** النهي عن المنكر، **من** التصدي لأعدائها، وتحقيق استقلالها على أساسٍ من هويتها وانتمائها.

- **وأن يبنوا** واقعهم الاقتصادي ليكون قويًا بشكلٍ عام، وأن يحققوا الاكتفاء الذاتي؛ **لكي** لا يكونوا خاضعين لأعدائهم، ولا يكون قُوتُهم بيد أعدائهم.

ولهذا عندما يتجه الناس على هذا الأساس، يصبح اهتمامهم بالأمور المعيشية، وأمور النهضة الاقتصادية، جزءًا من جهادهم وأعمالهم التي يتقربون بها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتتزكى أنفسهم **عن** الترف، **عن** البطر بالنعمة، **عن** التبذير، **عن** السلبيات التي تحصل عندما يكون الاتجاه **اتجاه الهوى**: الشهوات، الرغبات، الملذات، الترف، تتغير المسألة إلى حدٍ كبير.

الاختبار بالسعة أو التقدير في الرزق

في مسألة الاختبار باليُسر وسعة الرزق **من جهة، أو تقدير الرزق، يقول الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **في القرآن الكريم:** ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾[الفجر: ١٥-٢٠].

يبيّن الله في هذه الآيات المباركة (من سورة الفجر) أنه يختبر الإنسان- والاختبار هذا تترتب عليه التزامات ومسؤوليات- **بالنعمة، يعطيه النعمة، ويوسع له في النعمة،** فالبعض من الناس لا يفهم المسألة بأنها مسألة اختبار، يتصور وكأن الله أحبه هو شخصيًا، وأكرمه، وأعطاه لجدارة، لاستحقاق، وينسى مسألة الاختبار، والمسؤوليات، والالتزامات، التي عليه تجاه ما أنعم الله به عليه، كيف يشكر هذه النعمة، ويؤدي ما عليه من مسؤوليات تجاهها؛ **فيغترّ**، ويبطر، ويتجه فقط للتنعم

بالمال، والانشغال به، والالتهاء بتنميته وتثميره، وتوفيره، والاتِّجار فيه، إلى غير ذلك.

﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾، **اختبره بتقدير الرزق**، فينسى أن هذا اختبار، **وكيف يتعامل مع هذا الاختبار:** بالصبر، بالالتجاء إلى الله ﷻ، بالعفة عن الحرام، بالاقتصار على السعي الحلال، بالرجاء فيما عند الله ﷻ، بالأمل أيضًا فيما أعد الله للصابرين من جزاءٍ عظيم في الجنة، إلى غير ذلك، بل يستاء، يتعقد، تتحول عقدة عنده، ظروفه الصعبة تؤثر على نفسيته، هذا حال الكثير من الناس، ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾، يتصور أن الله لا يحبه، وأن الله أهانه بذلك، وأن الله أكرم أولئك، وأهانه في المقابل، ينسى مسألة الاختبار.

﴿كَلَّا﴾، **تفنيد لهذه النظرة الخاطئة، والتصور الخاطئ**، من الكثير ممن يُوسَّع لهم في أرزاقهم، ومن الكثير ممن يُقَدر لهم في أرزاقهم، المسألة ليست كما تتصورون، هي مسألة اختبار، وهناك في هذا الاختبار التزامات، التزامات على الغني تجاه الفقير، ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝١٨ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾، جمعًا بين الحلال والحرام، وبأي وجه.

خطورة التوجه نحو زخرف الدنيا ونسيان الآخرة

﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾، **المشكلة هنا:** عندما **يحب** الإنسان المال زيادةً على الحب الفطري الطبيعي، في إطار النظرة إليه كحاجة ووسيلة للمعيشة، **ويتحول الحب إلى حب كبير:** ﴿حُبًّا جَمًّا﴾، **حبًا يطغى على كل شيء، فوق كل شيء، يجعل الإنسان:**

- **يُقدِم** على المحرمات.
- **ويُخِلّ** بالالتزامات.
- **ويفرط** في واجباته ومسؤولياته.

هذه الحالة خطيرة جدًّا.

واضح أن الاختبار بهذه الأمور حساس على الناس؛ ولذلك ركز القرآن على تصويب التوجه في إطار المسؤولية، وأن تبقى حسابات الإنسان أوسع من هذه الحياة، أنت إذا كنت تنشدّ إلى ما في هذه الحياة، من احتياجات، ومتطلبات، ورغبات، وشهوات، هذه الاحتياجات- بنفسها- سيتوفر لك منها بما هو أعظم منها، وأكثر منها، وأرقى منها، وللحياة الأبدية، للدائم، في الجنة، **لو كانت طموحاتك:** كيف تحصل على قصر، على مزرعة، على إمكانات ضخمة، كيف تعيش مستريحًا بدون متاعب، بدون صعوبات، **هذا المجال مفتوحٌ أمامك:** في الجنة أكثر مما هو في الدنيا، في الدنيا حتى لو حصل الإنسان على نعمة معينة، أو سعة، هناك المنغصات، هناك الاختبارات، هناك الالتزامات، هناك المخاوف، هناك المخاطر، هناك الظروف التي قد تؤثر على الإنسان...إلخ. فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ينبهنا كيف تتوجه إرادتنا إليه، وإلى الآخرة، فلو حصلنا على شيءٍ من الدنيا، نوظِّفه للوصول إلى تلك النعم العظيمة، الأبدية، الدائمة، ولا يبقى كل اهتمامنا وكل توجهنا نحو رغبات هذه الحياة.

١٧ **يقول الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾[هود:١٥-١٦]، **إذا كان كل اهتمامك وتوجهك في هذه الحياة نحو هذه الدنيا، ومتطلباتها، وأموالها، وزينتها، وليس عندك أي اهتمام بأمر آخرتك، ولا التفات لمستقبلك في الآخرة، المستقبل المهم الأبدي؛ فأنت ستحصل من هذه الدنيا على ما يُكتب لك، ولكن ستخسر مستقبلك الأبدي، النعيم العظيم**، إذا كنت انشددت إلى هذه الدنيا؛ **لأن** فيها وفيها وفيها، من تلك الرغبات، والأهواء، والشهوات، ففي الآخرة **ما هو** أعظم، ما هو أرقى، **ما هو** أبقى، **ما هو** أدوم، بدون منغصات، فكيف تختار القليل الزائل، على حساب الكثير الباقي،

الراقي، الدائم، العظيم، **حسابات خاطئة من البداية، عندما تتعامل على هذا الأساس.**

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[الإسراء: ١٨-٢٠]، **من كانت كل إرادته نحو هذه العاجلة، في هذه الدنيا:** مُتَعِها، شهواتها، أموالها، وليس عنده أي اهتمام بأمر الآخرة، ﴿عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾، لكن يخسر مستقبله في الآخرة بشكلٍ نهائي، لن يكون له في الآخرة إلا النار، إلا العذاب الدائم، وهو من أول وهلة، من أول لحظة يدخل في نار جهنم، سينسى أي نعيمٍ قد تنعمه في الدنيا، أي شيءٍ قد حصل عليه في هذه الحياة.

لكن ذلك الذي إرادته الآخرة، وسعيه لها، حتى في اهتماماته في هذه الدنيا: اهتماماته المعيشية، اهتماماته العملية، اهتماماته الاقتصادية، ربطها بمسألة الآخرة، بأعمال الآخرة، بأمور الآخرة، هذا كيف؟ هذا هو وعد الله: ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾، ولن يبقى في هذه الحياة بدون رزق، بدون رعاية، فالله يقول: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ﴾: أصحاب العاجلة، ومَن إرادتهم الآخرة، ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ﴾، هذا في الدنيا، ﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾.

يُقَدِّم الله العرض للإنسان بالرعاية والخير، يُقَدِّم لك العرض بخير الدنيا والآخرة، وترضى بما أعطاك في هذه الحياة، تقنع؛ **لأنك** ترجو ما هو أعظم، ما هو أهم، ما هو أكبر، ولهذا يقول الله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[النساء: ١٣٤]، **ويعلمنا الله** في الدعاء أن ندعو: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[البقرة: ٢٠١].

إذا اتجهت اهتمامات الإنسان بكلها إلى الدنيا، إلى رغباتها، إلى مالها، إلى زينتها، إلى الثروة فيها، إلى الترف فيها، على حساب الآخرة، نسي الآخرة، لم يعد يهمه أمر آخرته، **فهنا مكمن الخطورة؛ لأنه يؤثر دنياه على آخرته، يعني:** يعصي الله سبحانه وتعالى، **من أجل** الحصول على شيءٍ من الدنيا، يفرِّط في التزاماته الإيمانية والدينية؛ **من أجل** الحصول على شيءٍ من الدنيا، يرتكب المحرمات؛ **من أجل** الحصول على شيءٍ من الدنيا، يقول الله: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[الأعلى: ١٦-١٧]، **صفقة خاسرة**، عندما يخسر الإنسان مستقبله في الآخرة، **يقول:** ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[النازعات: ٣٧-٣٩]، والعياذ بالله، فالحالة خطيرةٌ جدًّا.

صور من المفاسد الخطيرة لإيثار الدنيا على الآخرة!

❐ **إذا اتجه الإنسان، كل اهتماماته ورغباته نحو هذه الدنيا، فهناك الكثير من المفاسد الخطيرة جدًّا، الخطيرة للغاية:**

- **في مقدمتها: بيع الدين بالدنيا، والاشتراء بآيات الله ثمنًا قليلًا:**

هذه واحدة من مفاسد أن تتحول رغباتك، اهتماماتك، توجهاتك، نحو هذه الدنيا وما فيها، والترف فيها. ١٧

الكثير من الناس يقعون في هذا المحذور الخطير جدًّا، الخطير للغاية، محذور بيع الدين بالدنيا، والاشتراء بآيات الله ثمنًا قليلًا، **ولذلك أشكال وصور متعددة، منها:**

▪ **الوقوف في صف الباطل ضد الحق:**

أن تؤيد الباطل؛ لأنك ستُعطَى شيئًا من المال، **أو** ستحصل على شيءٍ من المصالح المادية، **أو** لتحافظ على مصالح مادية أنت تخاف عليها، فوقفت في صف الباطل، هذا هو من بيع الدين بالدنيا، أنت بعت دينك من أجل الحصول، أو المحافظة، على شيءٍ من الدنيا، وهذه خسارة رهيبة جدًّا.

■ **من أشكال ذلك: الصد عن سبيل الله:**

عندما تتحرك لتصد عن سبيل الله، سواءً بلسانك، **أو** بأعمالك، **أو** بقتالك، **أو** بأي شكلٍ من الأشكال، كل أشكال الصد عن سبيل الله، مقابل أيضًا مصالح مادية، هذا هو من بيع الدين بالدنيا، والاشتراء بآيات الله ثمنًا قليلًا.

■ **تأييد للباطل:** إعلاميًا، **أو** ثقافيًا، **أو** عسكريًا، **أو** بأي شكلٍ من الأشكال، بالدعاية، **أو** بالموقف، **أو** حتى بالمال، عندما تؤيد الباطل بالمال.

■ **التزييف للحقائق، والافتراء على الله تعالى:**

مثل ما يفعله علماء السوء، الذين يفترون على الله الكذب لدعم الباطل؛ من أجل مصالح مادية، من أجل أن يصبح له رصيد مالي، ومبالغ مالية يراكمها، ومصالح مادية، يحصل هذا عند علماء السوء، الذين يقفون في صف أعداء الله، يؤيدونهم **على** باطلهم، **على** ظلمهم، **على** جرائمهم، يشرعنون لهم ما يفعلونه من الموبقات والكوارث، يسهلون ذلك، يبررون جرائمهم، انحرافاتهم، باطلهم، ضلالهم، فسادهم، عدوانهم، ما فعلوه برروه لهم، ويراكم مبالغ مالية.

١٧

في الفترة الأخيرة، في قصة السديس، عندما حصل عليه مشكلة فيما قد راكمه من أرصدة مالية، وأُخِذ عليه البعض، أو صودر عليه البعض منها، واتضح كم في حسابه من مئات الملايين، أو عشرات الملايين! في هذا السياق، علماء السوء الذين يبررون للأعداء وللظالمين، ويفترون على الله الكذب في مقابل ذلك.

■ **من حالات بيع الدين بالدنيا، والاشتراء بآيات الله ثمنًا قليلًا: عندما يصبح الجانب المادي والمصالح الدنيوية هي السقف في تعاملك مع دين الله، ومع أوامر الله، وتوجيهات الله ﷻ:**

فأنت تطيع الله، لكن بمقدار ما لا ترى أنت أنه يؤثر على مصالح مادية، وفي إطار أنه إذا توفرت مصالح مادية فلا بأس، فأنت ستتجه، إذا لم تتوفر فأنت لن تتجه، فربطت توجهك (سواءً فيما تعمل، أو فيما تترك) تحت هذا السقف، في إطار المصالح المادية، ولذلك ستترك من الدين ما ترى أنه يؤثر على مصالحك المادية، أو يفوِّت عليك مصالح مادية معينة، أو يشكِّل تهديدًا على مصالح مادية أصبحت هي الأصل عندك، والدين هو شيءٌ ثانوي، أوامر الله، توجيهات الله، هي شيءٌ ثانوي، **سواءً** في مسألة الحلال والحرام، **أو** المواقف، **أو** الأعمال، **أو** الالتزامات، **أو** غير ذلك.

هذا كله من أشكال بيع الدين بالدنيا.

والله حذر كثيراً من هذا، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**:** ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[البقرة: ٨٦]، **يقول** جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾[التوبة: ٩]، من يصد عن سبيل الله، ويتحرك ضد هدى الله، ضد الحق؛ **من أجل** مصالح مادية، ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[التوبة: ٩].

من يكتم الحق، ويؤيد الباطل، ويفتري على الله، من أجل مصالح مادية، يقول عنهم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[آل عمران: ١٨٧]، **فهو يقول عنهم هكذا:** أنهم (**اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا**): مصالح مادية من هذه الدنيا، مكاسب مادية، لكن وراءها جهنم، ويخسر الجنة، يخسر نعيم الجنة بما فيه، ثم يكون مصيره للعذاب الأبدي والعياذ بالله.

يقول عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[البقرة: ١٧٤]، اتجاه نحو الترف، نحو المصالح المادية، فيكتمون ما أنزل الله من الكتاب، ويشترون به ثمنًا قليلًا، في مقابل كتمانهم للحق، وتأييدهم للباطل، يسعون للحصول على أموال، وعلى ترف في هذه الحياة؛ **فتكون النتيجة:** ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ﴾، أراد ترفًا، ونعمة، ووجبات دسمة، لكن في مقابل ماذا؟ كتمان حق، وتأييد باطل، والدعم للضلال، والدعم للباطل، والظلم، تكون العقوبة خطيرة جدًّا، ﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

يحذِّر الله في القرآن الكريم من ذلك: كل أشكال المخالفة لدين الله، والسعي وراء ترف الدنيا، والتأييد للباطل، والصد عن سبيل الله، كل أشكال بيع الدين بالدنيا، والاشتراء بآيات الله ثمنًا قليلًا، يحذِّر من ذلك في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[البقرة: ٤١]؛ **لأنه** ثمنٌ قليل، لو كانت هي الدنيا بكلها؛ **لأنك** خسرت رضوان الله، خسرت الجنة، الحياة السعيدة الأبدية، وخسرت إنسانيتك، وكرامتك، ودينك، وشرفك، وأصبح مصيرك هو العذاب الأبدي، نار جهنم والعياذ بالله.

١٧ **هذا واحد من المفاسد: التوجه نحو الدنيا وملذاتها بشكلٍ كلي، هو مفسدة بيع الدين بالدنيا.**

من المفاسد الرهيبة الأخرى للطمع في الدنيا

- **من المفاسد أيضًا: جرائم القتل لأخذ شيء من الدنيا، أو مقابل شيء من الدنيا:**

عندما يدفع بك الطمع، الطمع في الحصول على المال بأي طريقة، فيدفع بك إلى أن تقتل ظلمًا، عدوانًا، سواءً لتأخذ على أحد شيئًا من المال بغير حق، أو قتلت مقابل أن تُعطى مالًا، مثلما هو حال الكثير ممن يتجندون في صف العدوان، وفي صف الباطل، ومع الأعداء، في مختلف بقاع الدنيا، **تحصل هذه على مر الزمان:** أن يتجند

البعض ليقتل مقابل المال، في موقفٍ هو ظلم، هو عدوان، هو باطل، جريمة رهيبة جدًّا، ومحذور رهيب، يقع فيه، وهو يريد أن يحصل على مقابل مالي، المهم عنده هو المال؛ **دفع** به الطمع إلى ذلك والعياذ بالله.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٩٣]، فنرى وعيدًا شديدًا في القرآن الكريم لمن يرتكب مثل هذه الجريمة، فكيف عندما يتجه الإنسان لارتكاب مثل هذه الجرائم مقابل الحصول على أموال؟! أمر خطير جدًّا! أو يطمع في مال أحد فيقتله؛ **بهدف** الحصول على ماله، يقتله بهذا الهدف، جريمة رهيبة جدًّا! كم تحصل في الدنيا من هذه الحوادث، أن البعض بسبب طمعه قد يقتل إنسانًا ويأخذ ماله بغير حق، ظلمًا وعدوانًا، فيجمع بين جرمين، عظيمين، فظيعين، **كلٌّ منهما يُخلِّد صاحبه في النار:**

- **قتل** ظلمًا عدوانًا.
- **وأخذ** المال الحرام.

١٧

- **من المفاسد للطمع في الدنيا: الظلم في الإرث، والظلم أيضًا في أكل أموال اليتامى:**

منه ما يحصل في إطار الإرث نفسه، وفي غيره، بالنسبة لأكل أموال اليتامى.

قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾[الفجر: ١٩]، ما أكثر ما يحصل الظلم في الإرث، خاصةً على النساء.

البعض من الناس يأكلون نصيب أخواتهم، أو قريباتهم، من الإرث، يستأثرون به عليهن، ولا يعطونهن، وهو حقهن وملكهن، فنتيجةً للطمع يرى أنهن ضعيفات، ولا يردن أن يشاجرنه، وأن يخاصمنه على حصتهن ونصيبهن؛ **فيستأثر** به عليهن: **إمّا** بأسلوب الإحراج، **أو** بأسلوب التهديد، **أسلوب الإحراج لا يبرئ الذمة للإنسان، لا يبرئ**

ذمتك، إذا كنت ترى أنها هي لا تريد أن تستلم حصتها من الإرث بيدها، فلتبقَ شريكًا معها، لكن بشراكة منصفة، بشراكة عادلة، كما لو كنت شريكًا مع أي شخص ندّ لك، لن يسمح لك أن تغالطه ولا في درهم واحد، ولا في فلس واحد، هذا أقل الأحوال؛ **لأن** هذه المسألة مما تسبب للكثير من الناس الهلاك، يتساهلون فيها، وهي خطيرة، يستبسطونها، وهي كارثة؛ **لأنها** من كبائر الذنوب، وعليها وعيد شديد.

وعندما يكون هناك يتامى (سواءً إناث، أو ذكور)، ويُظلَمون: سواءً في أخذ حصتهم بشكلٍ كامل، أو في أخذ البعض منها، أو في الاستبدال منها، كما سيأتي في الآية المباركة، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾ [النساء: ٢]، ترغب في شيءٍ من أموالهم؛ **لأنك** وجدته طيبًا، أحسن مما عندك، فتريد أن تأخذه، وتبدله بشيءٍ دونه، دون مستواه، أو خبيثًا سيئًا، ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[النساء: ٢]، إثمًا دنيئًا، إثمًا شنيعًا، فظيعًا، قبيحًا، **من كبائر الذنوب**: أن تأكلوا شيئًا من أموالهم، أو تضمّوها إلى أموالكم وتضيعوها عليهم، أو تتبدلوا الخبيث بالطيب.

١٧

ومِن أسوأ الظلم: ظلم اليتامى، وقد يكون من قريبٍ لهم، قد يكون الأخ الأكبر يظلم إخوته الصغار، أو الجد يظلم أحفاده، أو العم، أو أحد من الأقارب، فيكون الوزر مضاعفًا، **يقول الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[النساء:١٠]، نعوذ بالله! وعيد شديد، عقابهم هو جهنم، وما أكلوه هو نار يُحسَب عليهم، ليأكلوه في جهنم نارًا تستعر في بطونهم والعياذ بالله.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **بعد تقسيم الإرث** (في سورة النساء)، تبيين الحصص والأنصباء المقررة في الإرث (في أول سورة النساء)، وبعد أن بيّن ذلك بشكلٍ واضح، قال جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾[النساء: ١٤]؛ **لأنه قال**: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾

[النساء: ١٣]، بعد أن ذكر قسمة المواريث، ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤]، فهذا وعيد صريح، ووعيد خطير، وعلى الإنسان أن يحذر، أن يحذر؛ **لأن** المسألة في غاية الخطورة، خطيرةٌ جدًّا.

لأن هذا الموضوع موضوع مهم، ولا يزال له بقية، نستكمل بقية الموضوع- إن شاء الله- في المحاضرة القادمة.

أَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَام، وَالقِيَام، وَصَالِحَ الأَعْمَال، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبْرَار، وَأَنْ يَشْفِي جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنْصُرَنَا بِنَصْرِهِ، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِين، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِين، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِين.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيم، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمْ.

أَيُّهَا الإِخْــــوَةُ وَالأَخَوَات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

تحدثنا بالأمس عن الاختبار للإنسان في مسألة الرزق، والتوسعة فيه، أو التقدير فيه، والغنى والفقر، وما تحدّث عنه القرآن الكريم بشأن ذلك في بعضٍ من الآيات المباركة، وإلَّا فالحديث واسعٌ عن ذلك في القرآن الكريم، وتحدثنا في هذا السياق عن **خطورة الطمع والتوجه المادي**، وما ينشأ عنه ويتفرع عنه من مفاسد كثيرة.

وبعض الأمور خطيرةٌ جدًّا؛ لهذا السبب: لأنه يتفرع عنها مفاسد كثيرة، فإذا كان لدى الإنسان وعي صحيح بشأنها، وكذلك على مستوى التزكية للنفس، انتباه وحذر

منها، فهو يتفادى بذلك تلك المفاسد، التي تتفرع عن تلك الآفة، آفة ينشأ عنها مفاسد كبيرة، فآفة التوجه المادي والطمع الشديد هي آفةٌ خطيرةٌ جدًّا، تحدثنا عن بعضٍ من مفاسدها بالأمس، **وفي مقدمتها:** بيع الدين؛ **من أجل** الحصول على الدنيا، الاشتراء بآيات الله ثمنًا قليلًا، ومفاسد أخرى تحدثنا عنها بالأمس، ونواصل الحديث عن تلك المفاسد ومخاطرها.

أخذ أموال الناس بالباطل

- **من المفاسد الرهيبة والخطيرة: هي أخذ أموال الناس بالباطل، واليمين الغموس، والرشوة:**

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ١٨٨].

البعض من الناس- بسبب الطمع- قد يسعى إلى أن يستحوذ على أموال الآخرين، على ممتلكات الآخرين، وهو يعلم أنها ليست له، أو حتى وهو يتأكد أنها حقٌّ لهم، ولكنه بدافع الطمع يسعى- إن لم يستطع أن يأخذها بالقوة، والسطو عليها، والاغتصاب لها بشكلٍ مباشر- يسعى للتحايل، عبر المنازعة والقضاء مثلًا، والشجار والنزاع، وقد يستخدم في ذلك وثائق مزورة، قد يلجأ إلى المزورين، أو حيل معينة، يكتسب أهل الطمع الخبرة في ذلك، كيف يتحايلون لأخذ أموال الناس، وللوصول إلى ما ليس لهم بحق.

وقد يلجأ البعض منهم إلى الرشوة لمن يتقاضى هو وغريمه وخصمه عنده، فيدفع له المال، كما في الآية المباركة: ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾، فيسعى إلى أن يكون الحكم لصالحه، عن طريق الرشوة، والبعض قد تكون الرشوة كبيرة، **إذا كان المطمع فيه:** تلك الأموال، أو تلك الحقوق، التي يسعى للوصول

إليها والاستحواذ عليها كبيرة، يقدم رشوة كبيرة، ويستغل انعدام الوازع الإيماني والديني عند البعض من القضاة، الذين يتورطون، يتورطون ورطةً كبيرةً جدًّا، ويتحملون وزرًا عظيمًا، وجرمًا كبيرًا، حينما يقدمون على مثل ذلك الفعل، يحكم بالباطل، ويصادر حقًّا على الآخرين؛ **من أجل** أنه حصل على شيءٍ من أطماع هذه الدنيا، من ثمنها الزائل، نعوذ بالله، هذه من أكبر الجرائم، ومن فظائع الذنوب! وللأسف يتورط الكثير من القضاة فيها، وهي خطيرةٌ جدًّا.

في الحديث النبوي الشريف: ((لعن الله الراشي والمرتشي))، فذلك الذي قدَّم رشوة؛ **ليصل** بها إلى أخذ حقٍّ على الآخرين، إلى مصادرة مالٍ عليهم، إلى استحواذٍ على شيءٍ ليس له، هو لهم، هو يدخل في هذه اللعنة، هو ملعونٌ، لعنه الله؛ **لأنه** ارتكب جريمةً من كبائر الذنوب، التي تسبب للإنسان أن يُطرد من رحمة الله، وأن يستحق عذاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وكذلك المرتشي، الذي هو القاضي، الذي قضى له من أجل الرشوة، وهو يعلم أنه ليس بصاحب الحق، فهي قضية خطيرة جدًّا، فلهذا أتى هذا النهي الواضح في هذه الآية المباركة، والتحذير: ﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أنت تعلم أنه ليس لك، ولكنك طمعت فيه، وطمعك جعلك تتصرف بهذه الطريقة، للوصول إليه، عن طريق الرشوة، **وهي ظاهرة خطيرة جدًّا: الرشوة، عندما تصبح وسيلة لمصادرة حق الآخرين، وسيلة للإضرار بالآخرين؛ لأن** ذلك الذي أصبح له حكم قضائي، يحاول أن يستند إليه وأن يستغله، لتثبيت سيطرته على حق الآخرين.

والبعض يلجأ أيضًا إلى اليمين الغموس، اليمين الفاجرة، وهو يعلم أنه يحلف حَلِفًا بالباطل، يمينًا فاجرة، يمينًا غموسًا، تغمس صاحبها في نار جهنم والعياذ بالله.

الله يقول في القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ

﴿يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[آل عمران: ٧٧]، تشمل الآية المباركة من يشترون بعهد الله شيئًا مما يتعلق بأمر دينهم، وكذلك الأيمان: ﴿وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً﴾، من مثل هذه الحالة التي يحلف البعض فيها يمينًا غموسًا، يمينًا فاجرة؛ **من أجل** أن يأخذ ما ليس له بحق، من أجل شيءٍ من الدنيا، من أجل الحصول على شيءٍ من حق الآخرين، ليحوزه ويستحوذ عليه، وهو يعلم أنه ليس له، **هذه قضية خطيرة على الإنسان:**

- **تضرب** إيمان الإنسان وأعماله الصالحة.
- **وتسبب** له أن يخسر بشكلٍ نهائي نصيبه في الجنة.

أنت حلفت يمينًا فاجرة؛ لتقتطع شيئًا من الدنيا: قطعة أرض، أو شيئًا من المال، أو النقد، أو أيًّا من الممتلكات، لتحوزه، وتسيطر عليه، وتتمكن منه عن طريق اليمين الفاجرة، وأنت تعلم أنه ليس لك، أو أنت متأكد أنه ليس لك، هو للآخرين، **في هذه الحال**- والعياذ بالله- **أنت خسرت آخرتك**، ﴿أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾، لم يبق لهم أي نصيب في الجنة، ولا من رضوان الله، **فما الذي حُزتَه في مقابل ما خسرته؟! أنت خسرت** الجنة، **خسرت** السعادة الأبدية، **خسرت** النعيم العظيم، أرقى الماديات **خسرتها** في الجنة، مقابل قطعة أرض، أرضية هنا، أو أرضية هناك، أو مصلحة مادية هنا، أو مصلحة مادية هناك، فأنت تحلف الزور!

والبعض قد يكون يمينه في إطار تأكيد شهادة زور، يشهد زورًا لغيره، مقابل شيء من المال، في قضية معينة، قضية مادية، قضية جنائية، أي قضية أخرى، ولكنه أيضًا يؤكد شهادته الزور، التي تحمَّل بها وزرًا عظيمًا عند الله، وهي من كبائر الذنوب، التي تصل بصاحبها إلى نار جهنم، يعززها بيمينٍ غموس أيضًا، فيزداد وزره وجرمه، ويتحمل الإثم العظيم والعياذ بالله.

انظروا إلى هذا الوعيد في هذه الآية المباركة، يقول: ﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾، هذا يعبِّر عن غضب شديد من الله عليهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ والعياذ بالله، قضية خطيرة، ويتورط فيها الكثير من الناس؛ **بسبب** الأطماع، أطماع في هذه الدنيا، أطماع في أن يحصل على قطعة أرض هناك، أو شيء هناك، يجازف، يجازف ويورط نفسه ورطة عظيمة.

في سياق هذا الأسلوب في التحايل، لأخذ أموال الناس بالإثم، عن طريق الشجار، والنزاع، والمقاضاة، أيضًا ينشأ عن ذلك مفاسد أخرى، تؤثر على علاقة المجتمع فيما بينه؛ **لأن** تلك المشاجرات، والمنازعات، والخصومات، والمقاضاة، تورث الشحناء بين المجتمع، وتكون أحيانًا مفتاحًا للشر فيما بين المجتمع، قد تؤدي إلى الاقتتال، قد تؤدي إلى الفتن، وتترك تأثيرًا كبيرًا على نفوس الناس، تجرح مشاعرهم، تحمّلهم الغرامات المالية الباهظة، تشغل أوقاتهم، ولكن تورث أيضًا الشحناء فيما بينهم، فيصبحون متباينين، متفككين كمجتمع، ولا تبقى بينهم أواصر الأُخوّة الإيمانية، أخوّة الإيمان، أخوّة الإسلام، المجتمع المسلم الذي ينبغي أن يكون مجتمعًا متآخيًا، متعاونًا على البر والتقوى، تؤثر فيه هذه المسألة، هي من أخطر ما يؤثر على علاقة المجتمع فيما بينه، ويستغلها- أحيانًا- شياطين الإنس؛ **لأنهم** يدركون ذلك؛ **لأنها** وسيلة- بالنسبة لهم- لتفكيك المجتمع، وأن يثيروا الشحناء فيما بين أفراد المجتمع والعياذ بالله.

يترتب على ذلك مظالم، مفاسد، البعض يُظلم ظلمًا كبيرًا بأخذ حقه، وقد يكون مستضعفًا، والذي حاول أن يظلمه هذا الظلم ممن يستند إلى نفوذ اجتماعي (وجاهة اجتماعية)، أو نفوذ سلطوي (يستند إلى سلطة معينة، أو إلى مسؤول معين)، أو غير ذلك، فيكبر وزره أكثر مع ذلك، **الظلم خطير، وهذا من أكبر أنواع الظلم: الظلم للناس بأخذ أموالهم بغير حق.**

نهب أموال الآخرين والسرقة وعقوبتهما العاجلة

- من المفاسد الناتجة عن الطمع الشديد، والتوجه المادي: هي النهب، النهب لأموال الآخرين:

مثلما يفعله البعض، يتقطَّع لأموال الآخرين، ويأخذها من الطرقات بالقوة، بطريقة النهب، أو يسطو على محل، وينهب منه بالقوة.

والسرقة: **والسرقة هي طريقة تختلف عن النهب، السرقة:** أخذ بطريقة خفية، معروف ما هي السرقة والعياذ بالله.

وكلاهما (النهب، والسرقة) من المفاسد الكبيرة، والجرائم الدنيئة والشنيعة.

الإنسان الذي يمارس هذا النوع من الجرائم، يتحول إلى لص وسارق، ليسرق، ويستخدم أسلوب السرقة في أخذ أموال الآخرين، **هو إنسانٌ دنيء النفس، منحط النفس، فاقدٌ للكرامة، فاقدٌ للعزة، إنسان دنيء،** وفي نفس الوقت خسر إيمانه، إنسان ليس فيه إيمان، ليس فيه تقوى، فجمع بين خسارة الدين وخسارة كرامته الإنسانية، ويمارس هذا النوع من المفاسد، من الجرائم، الذي هو دنيءٌ وخسيسٌ جدًّا.

جرائم النهب هي جرائم فظيعة في الإسلام، صاحبها عدوٌ لله، الذي يتقطَّع للناس، لينهب ممتلكاتهم في الطرقات، البعض يجعل من هذه مهنةً له، هو مجرمٌ، من أسوأ المجرمين، يرتكب جريمةً من أكبر الجرائم، ويؤثر على حركة الحياة العامة، في سعي الناس للرزق الحلال، في سعيهم لتوفير متطلبات حياتهم، في تجارتهم، في اهتمامهم بأمور معيشتهم، يقلقهم، والبعض قد يكون أيضًا عدوانيًا، إذا لم تتهيأ له مسألة النهب، قد يقتل؛ **من أجل** أن يتمكن من النهب، أو يجرح، أو يعتدي، بأي شكلٍ من أشكال الاعتداء، فيجمع بين عدة جرائم، إخافة الناس، إخافة السُبُل، إخافة الناس في سبلهم، في حركتهم، في أمور معيشتهم، وهي جريمة رهيبة جدًّا.

ولهذا أُدرِج هذا النوع من الناس في تصنيف المحاربين لله ورسوله، الساعين في الأرض فسادًا، من ضمنهم: من يمارس هذا النوع من الجرائم، يتقطع، وينهب، ويخيف السُبُل، لا يترك سُبُل الناس وطرقهم لحركتهم في معيشتهم آمنة، ولهذا يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾[المائدة: ٣٣]، هذا فقط في الدنيا، خزيٌ في الدنيا؛ **أمَّا** في الآخرة فتوعدهم أيضًا بالعذاب العظيم.

من المعروف بين المفسرين، والعلماء، والفقهاء، أن ممّن يدخل ضمن هذا التصنيف: هم من يمارسون التقطُّع لنهب أموال الناس، ويخيفون السُبُل الآمنة، فالبعض في بعض المناطق تصبح هذه عادة عندهم، وكأنها عادة بسيطة، هي عادة سيئة، هي جريمة بكل ما تعنيه الكلمة، هي إثمٌ عظيم، وهي أيضًا تصرفٌ لا إنساني، تصرفٌ وحشي، همجي، في المناطق التي يُعتاد فيها مثل هذا التصرف عليهم أن يعوا أن هذا يسيء إليهم، أنه تصرف همجي بكل ما تعنيه الكلمة، تصرف سيئ، متجرد من الإنسانية، والأخلاق، والضمير، والكرامة، والشرف، والقبيلة، الذي يمارس هذا النوع من الجرائم هو مخلٌّ بدينه، بكرامته، بقبيلته، بإنسانيته، بشرفه، بكل شيء، هو إنسانٌ دنيء النفس، مجرم، وسيئ، هي جريمة فظيعة جدًّا، تجد لفظاعتها أن تكون في عقوباتها هذه العقوبات: ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾.

١٨

الإسلام دينٌ عظيم، يجلب لمجتمعه الاستقرار في حياتهم، في معيشتهم، يحافظ على حياة الإنسان، وعلى ممتلكاته، وعلى كرامته، وعلى عرضه، دينٌ يصون المجتمع الذي ينتمي إليه، في حياتهم، وممتلكاتهم، وأعراضهم، **ويجعل أكبر الحُرَم:** حرمة المسلم، في حياته، في ممتلكاته، في عرضه.

وثمرة الالتزام بهذا الدين: هي الاستقرار في حياة الناس، في وضعهم الداخلي، ألَّا تكون خائفًا في منزلك، خائفًا على بضاعتك، خائفًا على أثاث بيتك، خائفًا وقلقًا على سيارتك بجوار منزلك، خائفًا على ممتلكاتك في أي مكان، خائفًا ممن؟ من السرق واللصوص، وخائفًا في طُرُق حركتك، من النهابين والمتقطعين، لا ينهبون بضاعتك، أو ينهبوا سيارتك، أو غير ذلك.

ولذلك على مجتمعنا أن يكون متعاونًا على البر والتقوى في محاربة هذه الظواهر؛ لأنها تتنافى مع الإسلام، ومع قيمه، ومع مبادئه، ومع أخلاقه.

ثم في مسألة السرقة، هي- كما قلنا- تصرفٌ دنيء، وسيئ، وغير مبرر، مهما كانت ظروف الإنسان، لا يجوز له أن يلجأ إلى أسلوب السرقة، السرقة تصرفٌ دنيء، والبعض قد يتساهل في هذه المسألة، إذا كانت مع أحد من أقاربه، أو على البعض من الناس، فيتجاوز في ذلك، وهي لسوئها، ومفسدتها، وما ينتج عنها، لهذه الأسباب، ولسوئها؛ **ولأنها** معصية في أصلها سيئة، وتصرفٌ حرام، وأخذٌ لمالٍ بطريقةٍ حرام، جاءت لها عقوبة عاجلة، غير العقوبة في الآخرة، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[المائدة: ٣٨]، السارق، أو السارقة، أيٌّ منهما، أيٌّ من الناس (سواءً رجل، أو امرأة) يسرق، فهذه العقوبة العاجلة في قطع اليد ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا﴾، ﴿نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾، لتكون أيضًا رادعًا لغيرهما، للآخرين؛ **لكي** لا يسرقوا؛ **لأن** البعض من الناس يحتاج إلى عقوبة، لا تردعه إلا العقوبة العاجلة، لا يكفيه الوعيد حتى بجهنم، طمع، لكن بدناءة، طمع يدفع بالإنسان إلى السرقة.

من مفاسد الطمع: أنه يحول الإنسان إلى إنسان دنيء، ينزل ويهبط عن كرامته الإنسانية، وشرفه، وعفته، فيتصرف التصرفات السيئة، والمخزية، والمعيبة، والمهينة، والمشينة، **الفضيحة**، أمر سيئ للغاية.

خيانة الأمانة.. أنواعها وصورها وجرمها العظيم!

- **من مفاسد الطمع والتوجه المادي: الخيانة للأمانة:**

■ **سواءً على مستوى ما يؤتمن عليه الإنسان من شخصٍ آخر، أودع عندك أمانة:**

أودع عندك مالًا، أو أي أمانة مادية، أو أيًّا من الممتلكات أودعها عندك كأمانة، فالبعض بسبب طمعه يخون من ائتمنه، وهذا ذنبٌ عظيم ووزرٌ كبير من جهة، وتصرف وحشي ومسيء؛ **لأنه** ائتمنك، أمّل فيك أنك محل ثقة، أنك رجل وفاء، أو أنك إنسان- سواءً رجل، أو امرأة- إنسان وَفِيّ، لا تخون الأمانة، اطمأَنّ إليك، اطمأن إلى قيمك، هذا ناشئٌ عن حسن ظنه بك؛ **حتى** ائتمنك، واطمأن عليك، فأنت خيّبت أمله، ثم خنتَ أمانتك، وتصرفتَ فيها، وأخذتَ منها بغير حق، وتجاوزت ثقته بك، فهي جريمة.

■ **أضف إلى ذلك، عندما يخون الإنسان الأمانة في المسؤولية العامة:**

الإنسان الذي هو في موقع مسؤولية، واؤتمن ليكون في تلك المسؤولية، وفي ذلك الموقع، موقع في سلطة معينة، أو منصب معين، في إطار صلاحياته التصرف بأموال معينة، أو ممتلكات معينة، على أساس أن يتصرف فيها وفق مسؤولياته، فاستغل صلاحياته، أو منصبه، أو موقعه، ليتجاوز ما هو له، ولينهب، لينهب من المال العام، فهذا من خيانة الأمانة، والتي هي من أسوأ الخيانة للأمانة، وللأسف الشديد يتجرّأ البعض على ذلك، ويتسبب- نتيجةً لذلك- في معاناة الناس، **جزءٌ من معاناة المجتمع يعود إلى ماذا؟ إلى خيانة من يخونون الأمانة في مواقع المسؤولية**، فيأخذون من المال العام ما يستأثرون به لأنفسهم بغير حق، في مصالح شخصية، وهو للناس، هو حقٌّ للناس.

تضرر العرب وتضرر المسلمون من هذا تضررًا كبيرًا جدًّا؛ لأنه أصبح ظاهرة من الظواهر، في الحكومات، في المسؤولين، حيث يتورط الكثير منهم في ذلك، فيما يسمونه **بالفساد المالي**، عندما يستغل منصبه ليأخذ من المال العام بغير حق، لمصالحه الشخصية.

في بلدنا، في بلدنا فقط، مما يُقدَّم من الإحصائيات لما أخذه أحد الزعماء السابقين، ما يُقَدَّر بـ(ستين مليار دولار) ما نهبه على شعبه، وأصبح تجارة وممتلكات وثروة معظمها في الخارج، عندما تتأمل في هذا الرقم (ستين مليار دولار)، كان هذا المبلغ لوحده سيبني اليمن، سيبني البنية التحتية في أرض اليمن من طرقات وغيرها، طرقات، خدمات عامة، كهرباء، مدارس، مستشفيات، مستوصفات، مراكز صحية، وغير ذلك، شخص واحد يسرق على شعبه هذا المبلغ الكبير جدًّا والهائل، فما بالك بما أخذه غيره أيضًا، كلٌ أخذ بقدر خبرته ومهارته في الخيانة، في أن يحصل على أموال هذا الشعب، بتلك الطريقة، أو بالطريقة الأخرى.

وهكذا يحصل أيضًا في بلدان أخرى، يتضرر الناس، ويعانون أشد المعاناة؛ **لأن** الكثير من أموالهم، من مصالحهم العامة، يؤخذ بالخيانة لهم، قد يكونون أحيانًا غير مدركين، قد يكونون يصفقون لذلك الزعيم، حتى تكاد أيديهم أن تتضرر من كثرة ما يصفقون له، وهم يعيشون حالة حرمان كبيرة جدًّا؛ **بينما** هو استحوذ على الكثير والكثير من أموالهم.

١٨ **مثلما يحصل الآن في سرقة ثروات شعبنا العامة، من قبل تحالف العدوان والخونة من أبناء هذا البلد**، مثلما يحصل لدى البعض من المسؤولين الذين لا يتقون الله.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٧ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[الأنفال: ٢٧-٢٨]، **الفساد المالي: هو من خيانة الأمانة، جرمٌ عظيم، خيانةٌ لله، خيانةٌ لرسوله، خيانةٌ لعباده، وظلمٌ للناس**، عندما يكون الإنسان يسعى إلى أن يراكم له ثروة معينة، على حساب شعب، بمعاناة الناس، بصنع معاناة للناس، وحرمان لهم، فهي جريمة فظيعة وشنيعة.

■ **الغلول كذلك:**

الغلول: الأخذ من الغنائم بطريقة غير مشروعة، هي جريمةٌ كبيرة، ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[آل عمران: ١٦١]، كيف ستفعل في يوم القيامة، إمَّا أن تأتي به، أو النار؟! لا تستطيع أن تأتي به يوم القيامة، إذًا ليس البديل إلَّا النار والعياذ بالله.

■ **أيضًا الابتزاز المالي بغير حق:**

البعض من المسؤولين- مثلًا- في موقع السلطة، في مسؤولية معينة، لكي ينفّذ معاملة، عليه أن ينفذها معاملة صحيحة، ووظيفته أن ينجز تلك المعاملة، لكنه يحاول أن يبتز أولًا، وأن يضغط على صاحب تلك المعاملة، أن يضغط عليه لأن يعطيه مالًا، قبل أن ينجز له معاملته، **وإلَّا: إمّا** لا ينجزها، **أو** يعرقلها، أو يتجه إلى عرقلتها، ويختلق الإشكالات، لإعاقة إنجاز تلك المعاملة؛ **لأنه** يريد أن يأخذ مالًا في مقابل إنجاز تلك المعاملة، مالًا شخصيًا، لا وجه له، على المستوى الشرعي لا وجه له؛ **إنما** أراد هكذا بدافع الطمع.

والبعض أيضًا، يكون هناك- مثلًا- التزامات مالية في معاملات معينة، أو أي معاملة من هذا القبيل، فيها أمور مالية، لكنه سيأخذ الأكثر، في مقابل أن يأخذه لنفسه، ما هو مقرر في تلك المعاملة لا يكتفي به؛ **إنما** يأخذ المزيد أكثر منه؛ **من** أجل أن يستغل المسألة لصالحه هو، يريد أن يأخذ لنفسه.

الابتزاز المالي بغير حق هو من الخيانة للأمانة، وهو حرام، هو ظلم، هو نهب، هو جريمة بكل ما تعنيه الكلمة، هو سحتٌ حرام، الإنسان عندما يتعامل بهذه الطريقة، هو إذا كان يُعيل أسرته من ذلك المال، هو يؤكِّلُهُم السُّحت، المال الحرام، ويحمّل نفسه الوزر والعياذ بالله.

الجريمة الشنعاء: التعامل بالرباء، وجريمة الغش وأشكالها

- **من المفاسد الناتجة عن الطمع والتوجه المالي: هي التعامل بالربا:**

التعامل بالربا من أوبئة هذا العصر، ومن أشنع ما فيه من جرائم، في سورة البقرة صفحة كاملة؛ **لتحريم** التعامل بالربا، وللوعيد عليه، ولتبيين سوئه، وجاء فيها في قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[البقرة: ٢٧٥]، **المرابي إلى جهنم، مصيره إلى جهنم، يخلد في نار جهنم، محرمةٌ عليه الجنة، هذا هو حكم الله، هذه هي آياته،** أليس هذا كافيًا في الزجر عن تلك الجريمة الشنيعة (جريمة الربا)؟

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **أيضًا:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]، أليس هذا كافيًا؟ وعيد كافٍ، في الدنيا حرب مع الله ورسوله، وفي الآخرة جهنم والخلود فيها، أمر محتوم لا شك فيه، **المتعامل بالربا: ليس له إلَّا جهنم، مصيره إلى جهنم، أمر حتمي،** قضية خطيرة جدًّا، الإنسان الذي يقوم بالتوجه للتعامل بالربا، والاعتماد على التعامل بالربا، جريمة خطيرة، البعض يتعمد ذلك، ويصبح ذلك- بالنسبة له- طريقة يعتمد عليها، وأسلوب تجارة، أسلوبًا للكسب المادي، قضية خطيرة جدًّا.

- **من المفاسد الرهيبة: الغش في المعاملة، والتطفيف:**

التطفيف مثل ما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **في القرآن الكريم:** ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[المطففين: ١-٣]، **المطفف:** إن كانت المعاملة له، فهو يريد أن يكون المكِيل، أو الموزون، بحسب الأشياء، البعض يُكال، والبعض يُوزَن، في المعاملة التجارية والمعاملة الاقتصادية، فإن كانت المعاملة لصالحه، يحرص على أن تكون كاملة، ألَّا ينقص شيءٌ منها؛ **أمَّا** إذا كان هو

سيبيع الآخرين فهو ينقّص، ينقّص في الكيل غِشًّا، أو ينقّص في الوزن غِشًّا، ولدى أصحاب هذه المهنة طريقتهم في الغش (في الكيل والوزن)، وهي قضية خطيرة جدًّا على الإنسان، تتراكم الكميات التي تنقص نتيجةً لغشه، وهو يتحمّلها، يتحمّلها وزرًا، وإثمًا، وذنبًا، ومع معاملته اليومية كم ستطلع؟ فيصبح مدينًا، ومتحمّلًا الإثم، لما أخذه على كثيرٍ من الناس، عندما يكون له بقالة، أو متجر، وهو يتعامل مع الكثير من الناس، وقد ينسى الكثير منهم، فيتحمل الوزر الكبير، والإثم العظيم.

الغش في المعاملة له أساليب كثيرة، من بينها:

- **عندما تقدِّم سلعة معينة على أنها بشكل معين، وواقعها يختلف**، هي ليست بتلك المواصفات؛ **إنما** تغش المشتري ليشتري، تجعل ظاهر تلك السلعة بشكل معين، وهو يبني على- بناءً على كلامك أنت وعلى أسلوبك- أنها بذلك الشكل، وحقيقة الأمر مختلفةٌ عن ذلك.
- **أشكال الغش كذلك: عندما تبيعها على أنها (أصلي)، وهي (تقليد)**، تبيعها على أنها كذا... أشياء كثيرة في مواصفات السلعة، **عندما تخادع المشتري في مواصفات السلعة؛ لتُنَفِّق السلعة، هذا يعتبر من المحرمات**، في الحديث النبوي: **((من غشنا فليس منا))**.
- **أو كذلك في أسلوب الشراء**، تحاول أن تقنع المشتري بسوء سلعته، وتبخسها عليه، وتقدم صورة سلبية عنها كذبًا وزورًا، وأنت تعرف ذلك؛ **إنما** لتستنقص ثمنها، فأنت تخادع.

تستخدم أسلوب المخادعة؛ حتى تحصل على سلعة بثمن بخس، أو تبيع سلعة بثمنٍ جيد، هذا الأسلوب محرم وخطير جدًّا.

الاتجار بالمخدرات والخمر وما يضر الناس

- **من المفاسد الرهيبة الناتجة عن الطمع والتوجه المادي: الاتِّجار في المحرمات، والمضار، والمفاسد:**

▪ **مثل: الاتِّجار في المخدرات:**

جريمة رهيبة، جريمة فظيعة جدًّا، وللأسف هناك سعي من جانب الأعداء للترويج للاتِّجار بالمخدرات، والدفع بالناس نحو ذلك.

ومما يساعد على ذلك: عندما يكون هناك تعاطف مجتمعي، مع الذين يتَّجِرون بتلك المخدرات، عندما يكون معهم تعاطف، عندما يُعتقلون، عندما تتخذ بحقهم الإجراءات القانونية والشرعية، فيأتي الكثير ليتوسَّطوا لهم، ويتعصبوا لهم، ويضغطوا؛ **من** أجل إنقاذهم وتخليصهم، **البعض** لأن له مصالح منهم، **والبعض** عصبية جاهلية، من عصبية الجاهلية.

الاتِّجار بالمخدرات جريمة رهيبة جدًّا، ومضارُّها كبيرة على المستوى الاقتصادي، على مستوى ما ينتج عنها في واقع الناس؛ لأنك تجلب المخدرات إلى من يستخدمونها ويتعاطونها، فتدمر صحتهم، وإيمانهم، ودينهم، وأخلاقهم، وينشأ عن ذلك جرائم ومفاسد، **فالذي يَتَّجِر في المخدرات هو شريكٌ في آثار عمله، وما ينتج عنه من تداعيات ونتائج خطيرة جدًّا وسيئة جدًّا.**

الاتِّجار بالمخدرات من أسوأ الجرائم التي ينتج عنها: ابتعاد للناس عن الاتِّجار الحلال والكسب الحلال، وتحفيز لهم إلى المعاملات المحرمة، والاتِّجار في المحرمات، عندما يشاهدون النتيجة العاجلة في الحصول على أرباح مادية، أو مبالغ مالية، يلحظون ذلك الشخص أصبح له سيارة، أصبح له بيت فخم، أصبح له... تغيَّر وانتقل في واقعه نقلة سريعة، فيمثل ذلك جاذبًا لضعفاء الإيمان، ولأصحاب الطمع، للتوجه

ليفعلوا كمثله، وهي قضية خطيرة جدًّا.

ولذلك يجب أن يتعاون المجتمع على البر والتقوى في محاربة الاتِّجار بالمخدرات، وأن يكفُّوا عن المساندة لأي متاجر بالمخدرات؛ لأنه من التعاون على الإثم والعدوان، **من التعاون** على المحرمات، **من التعاون** على الباطل، عندما يعينون إنسانًا يتاجر في المخدرات، فيسعون لإبعاده عن العقوبة، عن الإجراءات بحقه، وغير ذلك.

- **المضار الأخرى التي تضر بالناس في صحتهم:**

- **أدوية** منتهية.
- **أدوية** ليست وفق المواصفات، مغشوشة، تضر بصحة الناس.
- **مواد** غذائية منتهية.
- **أو مواد**، أو بضائع، تلحق بالناس الضرر في حياتهم، في صحتهم.

الاتِّجار بما يضر بالناس، ومعلومٌ ضرره، من المحرمات، والدافع إليه الطمع المادي.

- **الاتجار في المفاسد، كالخمر وغير ذلك:**

هو من الكسب الحرام، من الأكل للسحت، ما يكسبه الإنسان منه حرامٌ وسحت، يؤكِّل أسرته ويربيهم على الحرام، وبالمال الحرام، لهذا عواقب سيئة، ونتائج خطيرة جدًّا، ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة: ٤٢]، على طريقة اليهود، على طريقة الكافرين والعياذ بالله، أمر خطير للغاية.

١٨

آفة الحسد والبخل والتفريط في الالتزامات المالية

- من المفاسد الناتجة عن الطمع: هي الحسد:

البعض من الناس إذا رأى أحدًا أنعم الله عليه، ووسع له في رزقه، يغتاظ منه، ويحقد عليه، هذا هو الحسد، عند ما ترى ذا نعمة، شخصًا أنعم الله عليه بنعم مادية، أو نعم معنوية، والنعم المادية هي في سياق حديثنا، فالبعض يحقد على ذلك

الشخص، ويغتاظ منه، **وتتحرك غيرة الحسد في نفسه تجاهه:** [لماذا أصبح له تلك النعم؟]، فيحقد عليه، ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[الفلق: ٥]، والعياذ بالله.

الحسد آفة سيئة جدًّا، والحسود هو يحقد على الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، لكن وجَّه حقده إلى عباده؛ لأن الله هو ذو الفضل، المنعم، الكريم، كان بإمكانك **أن** تتوجه إلى الله، **أن** ترجع إلى الله، **أن** تسعى للخير، **وأن** تحرص على أن تكون صافي القلب من الحقد على الآخرين بغير مبرر، ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[النساء: ٣٢]، بإمكانك أن تسأل الله من فضله، وأن تسعى للكسب، وأن تطلب من الله أن يمنحك القناعة؛ **لأن** حسدك للآخرين وحقدك عليهم- لأن الله أنعم عليهم- لا مبرر له أبدًا، تصرف سيئ، والشيطان يستغله عليك، يستغله عليك، فيدفع بك إلى جرائم أحيانًا والعياذ بالله.

- **من المفاسد الرهيبة الناتجة عن الطمع، وعن التوجه المادي: البخل بالزكاة، والبخل عن الإنفاق في سبيل الله، وفي سبل الخير، والتفريط في الالتزامات المالية، والخيانة في مال الوقف:**

وهذه مفسدة كبيرة، وهي ناتجة عن الطمع، الله يقول في القرآن الكريم: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾[الليل: ٨-١١]، عندما تبخل، لا تخرج ما عليك من الحق، لا تخرج الزكاة، لا تنفق في سبيل الله، لا تنفق في سبل الخير، لا تنفق فيما عليك من التزامات مالية إيمانية، فأنت تُهلِك نفسك، **الله** سُبحَانَهُ وَتَعَالَى **سيعاقبك:**

- **من عقوباته لك في الدنيا:** أن تضطر إلى أن تُخرج الكثير من المال في غير محله، في مصائب، وعقوبات، وأشياء ليس لها أهمية؛ **بينما** لو أخرجت في محلِّه، أخرجت الزكاة، آتيت الزكاة، أنفقت في سُبُل الخير، كان الله سيقيك مصائب كثيرة، مشاكل كثيرة، هموماً كثيرة.

- **أيضًا في الآخرة: جهنم**، ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾، **ذلك المال** الذي بخلت به، **تلك الزكاة** التي أكلتها، ولم تعطها للفقراء، **تلك الأموال** التي خنت فيها من أموال الوقف، **أصبحَتْ عقوبةً لك في نار جهنم**، تُعاقب بها، لا تنفعك شيئًا، لا تقيك من عذاب الله، عندما تسقط في الهاوية في جهنم، يُرمى بك في نار جهنم والعياذ بالله.

يقول الله سُبحانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾[التوبة: ٣٥]، **يقول** جَلَّ شَأنُهُ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[آل عمران: ١٨٠]، فالإنسان البخيل سيعذب بما بخل به، سيكون ما بخل به سببًا لعذابه وهلاكه وخسرانه والعياذ بالله.

حينما يصبح المال هو المعيار في موقفك من الآخرين!

- من المفاسد الناتجة عن الطمع والتوجه المادي: أن ذلك -بالنسبة للكافرين- هو المؤثر عليهم في توجههم في الحياة:

١٨ **توجهاتهم في الحياة مبنية على أطماعهم المادية**، اهتماماتهم في الحياة كلها مبنية على أطماعهم المادية، من أجلها يفعلون أي شيء، يتخذون أي موقف، يظلمون، يصدّون عن سبيل الله، يفسدون في الأرض، يعتدون على عباد الله، ينهبون ثروات الشعوب، ثروات المستضعفين، يفعلون أي شيء.

هي أيضًا معاييرهم في الموقف من الناس (من هذا، أو ذاك)، ولهذا يقول الله سُبحانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[البقرة: ٢١٢].

يحكي عن حال الكافرين في موقفهم حتى من رسل الله، من أنبيائه، يقولون في موقفهم من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، من رسول الله محمد: ﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾[الفرقان:٨]، في مقترحاتهم عمَّا كان- بنظرهم- مُقنعًا لهم ليتبعوه، ليؤمنوا به، لو كان له كذا، ولو كان له كذا... **(أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ)** كنَّا سنؤمن بأنه رسول من الله، **(أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا)** مزرعة ضخمة، كنا سنؤمن بأنه رسول الله، **يعني:** توقَّف إيمانهم على ذلك، معيارهم.

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾[الزخرف:٥١]، **يقول لهم هذا:** ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٥١ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ۝٥٢ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ﴾[الزخرف:٥١-٥٣]، لماذا لم يكن لدى موسى (حِلَق) من الذهب في كَفِّه؛ **ليكون** جديرًا بأن يكون متَّبَعًا بأمر الرسالة.

تتحول إلى معيار لدى البعض، يميل إلى من عنده مالُ، كما يقولون في الشعر:

رأيت الناس قد مالوا إلى من عنــــده مالُ

ومن لا عنــــده مـالُ فعنه الناس قد مالوا

هذه من مفاسد الطمع، لم يعد المعيار عند الإنسان: الحق، الهدى، الصلاح، الخير، مسؤوليته أمام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

الخسارة رهيبة جدًّا، عندما تكون توجهات الإنسان مادية، ويتحكم به الطمع، ويستبد به، ويؤثّر عليه، كم ينشأ عن ذلك من المفاسد:

في يوم القيامة يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**:** ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾[يونس:٥٤]، **لو كان لك في يوم القيامة كل ما في الأرض:** من ذهب، من

تجارة، من أموال، من ممتلكات بكل أصنافها، وأنواعها، وكان بالإمكان أن تفتدي به نفسك من عذاب الله يوم القيامة، لقدمته بكله، فكيف تُهلِك نفسك؟! كيف توقع نفسك إلى نار جهنم، في مقابل شيء تافه يسير، وهو بالشكل الذي تتمنى يوم القيامة أن لو تفتدي نفسك بكل ما في الأرض، من أموالها، من ثرواتها، من تجاراتها، من مُدُنها، من مزارعها، من مصانعها، من كل ما فيها.

يقول الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[الزمر: ٤٧]، كيف تهلك نفسك في قطعة أرض؟! يمين غموس، تغمس بك في نار جهنم، أو تقف في موقف باطل، أو غير ذلك مما هو من مفاسد الطمع، وأنت يوم القيامة تتمنى لو أن لك ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾، ليس هذا فحسب، ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾، لتفتدي نفسك من سوء العذاب، لافتديت نفسك، ولكن أنَّى لك ذلك! لا يُقبَل من الإنسان، وليس بيده، لا هو بيدك، ولا هو مقبولٌ منك، يقول الله: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[الرعد: ١٨]، وقد خسروا الجنة، خسروا النعيم العظيم، والملك الكبير، والحياة الطيبة، والسعادة الأبدية، **((فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَت، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلبِ بَشَر))**.

إذًا على الإنسان أن يحذر، ويسعى إلى تزكية نفسه، ويسأل الله أن يرزقه القناعة، ويدرك مخاطر الطمع، والتوجه المادي، وحب الترف؛ لأن البعض من الناس يؤثّر عليهم حب الترف، يريد أفخر الأشياء، أغلى الأشياء، أضخم الأشياء، يريد من كل شيء، يفتح لنفسه المجال، وإذا فُتِح للنفس المجال- في مسألة الطمع، والرغبات، والأهواء، والشهوات- أوصلت الإنسان إلى المهالك، ليس هناك حد لأطماعها، **في الحديث النبوي:**

((لو كان لابن آدم واديان من ذهب))، واديان يتدفقان باستمرار من ذهب، **((لابتغى لهما ثالثًا))**، عاد المطلوب ثالث وادي مع الواديان، وهما واديان يتدفقان!

طمع النفس البشرية، إذا اتجه الإنسان وراءها، أوصله إلى الهلاك- والعياذ بالله- وخسر، خسر ما ينبغي أن يطمع فيه، **اطمع في الجنة، في** قصورها، **في** مساكنها الطيبة، **في** حور عينها، **في** بساتينها ومزارعها، **في** الحياة السعيدة فيها، **حيث لا** مرض، **ولا** همَّ، **ولا** حزن، **ولا** غمَّ ، **ولا** ضجر، **ولا** ملل، **ولا** إساءة، **ولا** أي شيء ينغص حياتك، **اطمع فيما عند الله، هو الطمع الصحيح**، اطمع فيما عند الله من الخير، والحياة السعيدة الأبدية في مجاورة أنبياء الله وأولياء الله.

نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَامَ، وَالقِيَامَ، وَصَالِحَ الأَعْمَالِ.

ونَسْأَله أَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبْرَارَ، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ بِعَاجِلِ الفَرَجِ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنصُرنَا بِنَصْرِهِ، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِينَ، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

أَيُّهَا الإِخْــــوَةُ وَالأَخَوَاتُ:

السَّـلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْـمَـةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـهُ؛؛؛

وعظّم الله أجورنا وأجوركم، في ذكرى استشهاد أمير المؤمنين، وسيد الوصيين، وإمام المتقين: علي بن أبي طالبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الذي استُشهِد في ليلة الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك، سنة أربعين للهجرة النبوية، في مسجد الكوفة، أثناء خروجه لأداء صلاة الفجر، في فناء المسجد.

أمير المؤمنين عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما يعنيه للأمة، كهادٍ للأمة بعد نبيها صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ، وحَلَقَة وصلٍ في الأمة بالنبي والرسالة، وللامتداد الأصيل للإسلام، في نقائه ومسيرته الصحيحة، يُعتبر استشهاده، والاستهداف له، خسارةً كبيرةً على الأمة، ودليلًا على انحرافٍ رهيبٍ في واقع الأمة، واستهدافًا خطيرًا جدًّا للأمة نفسها.

عندما استُشهِد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان الذي استهدفه هو من سمّاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أشقى الآخِرين، وأشقى الأمة، واستُهدِف بسيفٍ محسوبٍ على أبناء هذه الأمة، على من ينتمي إلى هذه الأمة، **كان ذلك يدل على انحرافٍ خطيرٍ جدًّا في واقع الأمة: في** فهمها للإسلام، **وفي** انتمائها للإسلام، **وفي** صحة استمرارها على أصالة الإسلام، يدل ذلك على ما حصل من انحراف خطير جدًّا، وصلت تداعياته وآثاره إلى استهداف أتقى الأمة، وأزكى الأمة، وخير الأمة، وهادي الأمة بعد نبيها صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ.

ثم الاستهداف له بما هو عليه من كمالٍ إيمانيٍ عظيم، بموقعه في الإسلام، بمنزلته العظيمة، يمثل جرأةً خطيرةً جدًّا، لا تأتي إلا من واقع انحرافٍ خطيرٍ وسيءٍ للغاية.

والاستهداف له لم يكن اغتيالًا، مجرد اغتيال لزعيم، أو مسؤول على رأس هرم الدولة الإسلامية، وقائدٍ للأمة الإسلامية فحسب؛ بل كان:

- **استهدافًا له فيما يعنيه للأمة، في دوره المحوري والمهم في هداية الأمة، في تربيتها على الإسلام، في الحفاظ عليها، والحفاظ على مسيرة الإسلام فيها، لتبقى مستمرةً بالشكل الصحيح، وهو الذي قال عنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أنه يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتل النبي على تنزيله.**
- **وأيضًا استهدافًا له، واستهدافًا للأمة؛ لتمكين الطغاة من السيطرة عليها، ولتمكين الطغيان من الاستحواذ عليها**، وهو الذي حصل ما بعد استشهاد أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث تمكن الطغاة المجرمون من الوصول إلى هرم القيادة، والسيطرة التامة على الأمة،

١٩

وكانت خسارةً رهيبة، امتدت آثارها وتداعياتها في كل أجيال الأمة، جيلًا بعد جيل.

عندما نتحدث عن أمير المؤمنين عليه السلام، فهو مدرسةٌ متكاملة، الحديث عنه هو حديثٌ عن الإسلام، عن قيمه، عن مبادئه، عن أخلاقه، عن القرآن الكريم وهديه العظيم، فهو كان تجسيدًا للإسلام، وكان قرآنًا ناطقًا، والحديث عنه فيما كان عليه من كمالٍ إيمانيٍ عظيم، وما كان عليه أيضًا من المواصفات، والقيم، والأخلاق الفطرية، والإنسانية، والإسلامية، والكمال العظيم في ذلك، وما قاله الرسول صلى الله عليه وعلى آله بشأنه، هو يفيدنا، ويبيّن لنا ما يعنيه لنا نحن كأمةٍ إسلامية؛ **لأن** الحديث عنه لم يكن حديثًا عن مجرد شخصٍ حاز مستوى الكمال الإيماني العظيم، وكان فقط مجرد نموذج في كمال الإيمان، وتجسيدًا لقيم الإيمان فحسب؛ **وإنما** بدوره المهم في الأمة، الذي بيّنه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله في نصوصه المهمة المعروفة بين كل الأمة.

أبرز المزايا والخصائص للإمام علي عليه السلام

☐ **المزايا والخصائص البارزة والمهمة لعليٍّ عليه السلام كثيرةٌ جدًّا:**

- **في مقدمتها: أنه وليد الكعبة، وشهيد المحراب، وما بين المولد والشهادة حياةٌ نقية، سليمةٌ من كل شوائب الشرك، والكفر، والفسق، ومن كل رجس الجاهلية، حياةٌ متميزةٌ بالإيمان، والعطاء، والعمل، والقيم الراقية، والقيم العظيمة:**

هو كان السابق إلى الإسلام، سبقًا مبكرًا من يومه الأول، بدأ الإسلام، وكان سابقًا فيه، ومن دون تردد، ومن غير سابقة شرك، أو تلوثٍ بدرن الجاهلية، وسَبْقُهُ إلى الإسلام كان سبقًا مميزًا، بإيمانه العظيم، الواعي، الصادق، وبارتقائه الإيماني، نحو سُلَّم الكمال الإيماني، وبالاستقامة التامة الممتدة في مسيرة حياته، ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى عن فضيلة السبق والسابقين: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١٠ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠-١١].

- وهو ذلك الذي عندما دخل في الإسلام، استوعب الإسلام، في مبادئه، في قيمه، وجسَّده في مسيرة حياته بتميُّز، في كل مجالٍ من المجالات، فهو في جهاده السابق أيضًا إلى بيع نفسه من الله تعالى، والفدائي الأول، وبطل الإسلام، والمجاهد العظيم، ورجل المهمات الصعبة، والمواقف الخالدة:

هو المصداق الأول للآية المباركة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[البقرة:٢٠٧]، هو المصداق الأول أيضًا للآية المباركة: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[التوبة:١٩].

هو بطل المواطن الكبرى الفاصلة:

- **في يوم بدر (يوم الفرقان)**، كان له الموقف الأبرز، في الفتك بالمشركين وأبطالهم، وقادتهم، وفي التفاني والاستبسال في تلك المعركة المهمة.
- **وفي يوم أُحُد**، كان له الموقف الأبرز، في تفانيه، وثباته، واستبساله، **حتى قال عنه جبرائيل:** ((إِنَّ هَذِهِ لَهِيَ الْمُوَاسَاة))، وحتى هتف الهاتف، **الذي سمع الناس صوته:** ((لَا سيف إِلَّا ذُو الفِقَار، وَلَا فتى إِلَّا علي)).
- **وفي يوم الخندق، قال عنه رسول الله:** **((برز الإيمان كله، إلى الشرك كله))**، عندما برز لقتال عمرو بن عبد وُدّ العامري، وقتَلَه.
- **في بقية المواطن:** هو المذكور في الموقف المهم، الموقف الصعب، وبالتفاني، وبالثبات، وبالاستبسال، **وهو** فاتح خيبر، **يوم قال رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: **((لأعطين الراية غدًا رجلًا، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرارًا غير فرار، يفتح الله على يديه)).**

وهكذا في بقية مواطن الإسلام، له الإسهام البارز والمتميز، والجهد الكبير، والتفاني العظيم، والأثر المميز والواضح.

- **هو النموذج في كمال الإيمان وتجسيد القيم:**

فليس فقط على مستوى الجهاد في سبيل الله، بل في كل المجالات، الجهاد في سبيل الله: هو في مقدمة ما يبيّن مصداقية الانتماء الإيماني، **والكمال الإيماني:**

- **هو في مقام العبادة ذلك العابد، الخاشع، الخاضع لله**، الذي شهد له القرآن بإقامة الصلاة، والذي شهد له القرآن، وشهد له التاريخ، بخضوعه وإخباته لله "عَزَّ وَجَلَّ".

- **هو في مقام العطاء، والإنفاق، والرحمة بالضعفاء والمساكين**، من تصدّق بخاتمه وهو راكع، هو في مقامٍ عظيم من مقامات الإقبال على الله ﷻ، ومع ذلك ينتبه، يلتفت إلى الفقير، ويُهِمُّه أمره، ويحرص على أن يعطيه شيئًا، هو ذلك الذي آثر بطعامه وهو صائمٌ جائعٌ، لا يمتلك غير ذلك الطعام، ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾[الإنسان:٨].

- **هو- على مستوى العلم والوعي والبصيرة- تلك الأذن الواعية، باب مدينة العلم، الذي قال عنه رسول الله:** **((أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابها)).**

وهكذا في كل مجالات الإيمان، كان هو السابق، وهو الكامل، وهو الذي تكاملت فيه كل قيم الإسلام ومبادئه، وجسَّدها على أرقى مستوى؛ **فكان** النموذج الذي يعبِّر عن كمال الإيمان، وقيم الإسلام، وأصالة الإسلام، والشاهد للإسلام في أثره التربوي العظيم في الإنسان، وفي أثره في واقع الحياة.

من أهم النصوص النبوية فيه المشهورة عند الأمة كلها

☐ **النصوص النبوية المتعلقة به، كثيرٌ منها**- مما اشتهر بين الأمة، بمختلف فئاتها، وطوائفها، ومذاهبها- **يبيّن ما يعنيه لنا أمير المؤمنين** عليه السلام:

- **من أهم النصوص المعروفة، المتواترة، الثابتة، قول الرسول** صلوات الله عليه وعلى آله **له:** **((أَنْتَ مِنِّي بِمَنزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعدِي)):**

وهذا نصٌ في غاية الأهمية، يجب أن نستوعبه، أن نتفهمه؛ لأنه يبين لنا نحن ما يعنيه (عليٌّ) لنا، الرسول حدّد منزلته وموقعه منه **((بِمَنزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى))**، **باستثناء شيءٍ واحد:** هو النبوة، **((إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعدِي))**، فهو في منزلته، في مقامه الإيماني العظيم، **في دوره في الأمة بهذا المقام: بمقام هارون من موسى**، لا يمكن أن نتصور في أمة موسى من هو أرقى من هارون، في كماله الإيماني، أو في فضله، أو في دوره، أو في مهمته، وفيما يعنيه لأمة موسى، لا يمكن أن نتصور من كان في مستوى هارون، أو أكبر من مستوى هارون من موسى، هذا هو دور أمير المؤمنين في هذه الأمة، **التي تؤمن برسول الله** صلوات الله عليه وعلى آله: هاديًا ونبيًا، ومعلمًا، وقائدًا وقدوةً، فأمير المؤمنين عليه السلام له دور هارون، باستثناء النبوة.

- **رسول الله** صلوات الله عليه وعلى آله **قال:** **((عَلِيٌّ مَعَ القُرْآنُ، وَالقُرْآنُ مَعَ عَلِي)):**

فيما يبينه ذلك من اقتران بالقرآن، في مسيرة حياته، في مواقفه، في الهداية والاهتداء؛ **وبالتالي هو في مقام القدوة والهداية مرتبطٌ كل الارتباط بالقرآن الكريم، لا ينفصل عنه أبدًا، في مسيرة حياته، في مواقفه، في دوره، في عمله، في التزامه.**

بل مع ذلك أخبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أنه سيقاتل على تأويل القرآن، فيما يفيده ذلك من حفاظه على أن تبقى مسيرة الإسلام، فيما يهدي إليه القرآن، في أمر الدين، في مسيرة الأمة، على أساسٍ من دينها وانتمائها، وفقًا للقرآن الكريم في مفهومه الصحيح، عندما يأتي الاعوجاج في داخل الأمة، تأتي المفاهيم المنحرفة الخاطئة، التي لا تعبّر عن حقيقة الإسلام، وتنحرف بالكثير من أبناء الأمة، وتؤثّر على الكثير من أبناء الأمة، يبقى هذا الدور المهم جدًّا للإمام عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في الحفاظ على تأويل القرآن، والقتال على تأويل القرآن، يقاتل لتبقى مسيرة هذه الأمة مسيرةً على أساسٍ من قرآنها، في مفهومه الصحيح، وفي مفاهيمه الحقة.

- **يقول عنه:** ((عَلِيٌّ مَعَ القُرْآنُ، وَالقُرْآنُ مَعَ عَلِي)):

فيما يفيده ذلك من ثباته على الحق، في مواقفه، في مسيرة حياته، في حركته بالأمة، يتحرك بها على أساسٍ من الحق، فلا يزيغ بها، ولا يميل بها عن الحق أبدًا، يوم يأتي الباطل ليتسلل إلى داخل هذه الأمة؛ **فينحرف** بالبعض من أبنائها، ويؤثر عليهم، تحت عنوان الحق، في أسلوب الخداع والتضليل.

- **من أهم النصوص المعروفة بين الأمة، الثابتة، المشتهرة، المتواترة، قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ في غدير خُمّ:** ((إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ، وَأَنَا مَوْلَى المُؤْمِنِين، أَولَى بِهِم مِنْ أَنفُسِهِم، فَمَن كُنتُ مَولَاهُ، فَهَذَا عَلِيٌّ مَولَاه، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاه، وَعَادِ مَنْ عَادَاه، وَانصُر مَنْ نَصَرَه، وَاخذُل مَنْ خَذَلَه)):

هذا النص يبيّن ولاية أمير المؤمنين، أنه ولي كل مؤمنٍ ومؤمنة، يتولاه بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، ويصلك برسول الله، بولايته، بهديه.

١٩

● **يقول عنه رسول الله ﷺ: ((لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤمِن، وَلَا يُبغِضُكَ إِلَّا مُنَافِق)):**

فنجد هنا أنه صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ **علامةٌ فارقة بين الإيمان والنفاق**، وما ابتُلِيَت به الأمة، في الانحراف الذي طرأ على واقعها، وتغلغل في أوساطها، وأثَّر على مسيرتها، هو نتيجةٌ لحركة النفاق.

النفاق، تحركت رايته في أوساط الأمة بالبغض لعلي، والمحاربة لعلي، والعداء لعلي، لماذا؟ لما يمثله أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، من امتداد أصيلٍ ونقيٍ وصحيحٍ لمسيرة الإسلام، وللقرآن الكريم، في مفاهيمه الصحيحة، وفي تأويله الصحيح، فالنفاق اصطدم بعلي، وجد في عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ المشكلة فيما يمثله للأمة، في دوره في الأمة، فيما يقدمه للأمة، في حركته بالأمة، هذه مشكلة النفاق والمنافقين مع أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الإمام علي مدرسة الوعي والبصيرة والثبات!

❑ **أمير المؤمنين هو مدرسةٌ متكاملة، الحديث عنه واسع جدًّا:**

- **على** مستوى الإرث الديني والإيماني.
- **وعلى** مستوى سيرة حياته.
- **وما** قاله عنه الرسول ﷺ.
- **وما** ورد عنه من الحِكَم، من الرسائل، من الدروس المهمة والمفيدة.

إذا جئنا إلى جانبٍ من الجوانب المهمة البارزة في مسيرة حياته، وفي نصوصه، ومواقفه: هو جانب الوعي والبصيرة والثبات، في مواجهة الأعباء، والتحديات، والصعوبات، والمخاطر، وكيف واجهها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، بدءًا بالواقعة والحادثة الكبيرة، وهي الشهادة في سبيل الله.

١٩

من المعروف بين الأمة، أن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما استُهدِف في ليلة التاسع عشر من شهر رمضان، ضربه ابن ملجم- لعنه الله- في تلك الليلة بالسيف، **قال** عَلَيْهِ السَّلَامُ **في اللحظة التي ضربه فيها بالسيف على رأسه الشريف: ((فُزتُ وَربِّ الكَعبَة))، هتف بهذه الجملة المهمة: ((فُزتُ وَربِّ الكَعبَة))**، لم يتأوَّه، لم يندم، لم يعبّر عن الحسرة، أو حالة الخسران، أو حالة الندم، أو أيٍّ من ذلك، بل أعلن فوزه مقسمًا على ذلك: **((فُزتُ وَربِّ الكَعبَة))**، فهو كان على بينةٍ مما هو عليه، على بصيرةٍ مما هو عليه، أنه على منهجيةٍ وطريقٍ يفوز من يسير عليها، وأن عاقبته **هي** الجنة، **هي** رضوان الله، **هي** الفوز العظيم بما وعد الله به؛ **ولذلك** استقبل الشهادة بصدرٍ رحبٍ، بإعلانٍ لفوزه، بسعادةٍ غامرة.

عندما أُخبِر في عهد رسول الله صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ**، أخبره رسول الله بأنه سيستشهد،** وبتلك الطريقة، يقتله من هو محسوبٌ على هذه الأمة، من سمَّاه رسول الله بأشقى الأمة؛ **لأنه** يجلب الشقاء على الأمة، وبأشقى الآخرين، أشقى الأجيال الآخرة بكلها؛ **لأنه** جلب الشقاء عليها، كما سمَّى عاقر ناقة ثمود **بأشقى الأولين**، عندما أخبره رسول الله بأن لحيته الشريفة ستخضب من دماء رأسه، ماذا كانت ردة فعله؟ ماذا كان موقفه؟ ماذا عـبَّر عنه؟ **قال: ((أفي سلامة من ديني؟))، قال له رسول الله: ((نعم))، ((أفي سلامة من ديني يا رسول الله؟)) قال: ((نعم))، قال: ((إذًا لا أبالي)).** ١٩

يبيّن لنا هذا روحية أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، ووعيه الكبير، حيث توجّه كل اهتمامه نحو سلامة دينه، **كان هذا هو المهم بالنسبة له:** سلامةَ دينه، هذا يعبِّر **عن** عمق وعيه، **وعن** عمق إيمانه، **وعن** بصيرته الكاملة، هو يدرك أن **أهم شيءٍ بالنسبة للإنسان هو سلامة دينه، وأن أكبر خسارةٍ يخسرها الإنسان إذا خسر دينه،** إذا خسر دينه، خسر دنياه، وخسر مستقبله في الآخرة، وخسر كرامته، وخسر كل شيء، **وهو يدرك ويعي أيضًا** الواقع الذي ستمر به الأمة، وما يحصل ويطرأ في واقع الأمة، من فتنة وانحرافات،

وأمور خطيرة جدًّا، يخاف الإنسان فيها على دينه، ويهم الإنسان المؤمن فيها سلامة دينه، **قال:** ((**نعم**))، **قال:** ((**إذًا لا أبالي**))، فهو لا مشكلة عنده في الشهادة، ولا مشكلة عنده فيما يحصل.

في موطنٍ آخر، قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ **وقد سأله سائلٌ عن الفتنة، فقال** عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((**إِنَّهُ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَه قَوْلَهُ:** ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]، **عَلِمتُ أَنَّ الفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ اللَّه** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ **بَينَ أَظهُرِنَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، مَا هَذِهِ الفِتْنَة، الَّتِي أَخبَرَكَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا؟ فَقَال: يَا عَلِي، إِنَّ أُمتي سَيُفتَنُونَ بَعدِي. فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، أَوَلَيْسَ قَد قُلتَ لِي يَوْمَ أُحُد، حَيثُ استُشهِدَ مَنِ استُشهِدَ مِنَ المُسلِمِين، وَحِيزَت عَنِّي الشَّهَادَة، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ، فَقُلتَ لِي: أَبشِر فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِك؟ فَقَالَ لِي: إِنَّ ذَلِك لَكَذَلِك، فَكَيفَ صَبرُكَ إِذًا؟ فَقُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّه، لَيْسَ هَذَا مِنْ مَوَاطِنِ الصَّبر، وَلَكِن مِنْ مَوَاطِنِ البُشرَى وَالشُّكر!**)).

فنجد كيف نظرته إلى الشهادة في سبيل الله، يعتبرها فوزًا عظيمًا، ويعتبر موطن الشهادة، وموقف الشهادة، ليس من مواطن الصبر، بل من مواطن البشرى والشكر.

هذه النظرة الواعية، وهذه الروح الإيمانية الجهادية العالية، كان يحملها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيما يدل على بصيرةٍ عالية، ووعيٍ عميق، وإيمانٍ عظيم، وتفانٍ عظيم، وشوقٍ إلى لقاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، واهتمامٍ كبيرٍ بأمر الآخرة. ١٩

منهجية الإمام علي في مواجهته لأعداء الله

في عباراته، في رسائله، كان يركِّز على مسألة البصيرة والوعي، وكان يعبِّر عن بصيرته، ووعيه، وثباته، على أساسٍ من تلك البصيرة، **يقول** عَلَيْهِ السَّلَامُ **بعدما تحرك أعداؤه للحرب عليه:** ((**وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ، وَاستَجلَبَ خَيلَهُ وَرَجِلَه، وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي، مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي، وَلَا لُبِّسَ عَلَيَّ، وَايْمُ اللَّه، لَأُفرِطَنَّ لَهُم حَوضًا، أَنَا مَاتِحُهُ**[١]، **لَا**

١- أَفْرَطَ الحوْضَ: ملأه حتى فاض. والماتِحُ: المُسْتَقي. يُصْدِرون عنه: يعودون بعد الاستقاء.

يَصدِرُونَ عَنْهُ، وَلَا يَعُودُونَ إِلَيه))، هكذا كان يتحرك في مواجهة الأعداء، في فتنتهم، في ضلالهم، في باطلهم، في سعيهم للانحراف بالأمة، تحت راية الشيطان، يتحركون تحت راية الشيطان، فيتصدى لهم ومعه بصيرته، **((وإن معي لبصيرتي))**، ينطلق بوعي، بيقين، بفهمٍ صحيح، بنظرةٍ صائبة، **((ما لَبَّسْتُ عَلَى نَفسِي، وَلَا لُبِّسَ عَلَيَّ))**.

في جوابٍ له على رسالةٍ إليه من أخيه عقيل بن أبي طالب، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((وأمَّا ما سألت عنه من رأيي في القتال، فإن رأيي قتال الـمُحلِّين حتى ألقى الله، لا يزيدني كثرةُ الناس حولي عزة، ولا تفرقهم عني وحشة))، لاحظوا ما أهم هذه العبارة! لأنه منطلِق انطلاقةً مبدئية، بيقين، ووعي، وبصيرة، وانطلاقة إيمانية، بمسؤولية إيمانية، **ولهذا يقول: ((لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة، ولا تفرقهم عني وحشة))**، هو ذلك الثابت على كل الأحوال، وفي كل الظروف، **((ولا تحسبن ابن أبيك، ولو أسلمه الناس، متضرِّعًا متخشعًا، ولا مقرًّا للضيم واهنًا))**، يحمل عزة الإيمان، وشموخ الإيمان، وثبات الإيمان، مهما كانت الظروف، ومهما كان التخاذل من جهة الناس.

يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ في إحدى رسائله، وهو يتحدث عن الأعداء: ((إني والله، لو لقيتهم واحدًا، وهم طِلاع الأرض كلها، ما باليت، ولا استوحشت، وإني من ضلالهم الذي هم فيه، والهدى الذي أنا عليه، لعلى بصيرةٍ من نفسي، ويقينٍ من ربي، وإني إلى لقاء الله لمشتاق، وحسن ثوابه لمنتظرٌ راج))، هكذا هي روحية أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ، هي مدرسةٌ مهمةٌ بالنسبة لنا، أن ننطلق ببصيرة، بوعي، ونحن في زمن ينتشر فيه الضلال، ويمتلك الضلال من وسائل التضليل، ما لم يسبق أن امتلكه في أي زمنٍ مضى، زمنٌ بلغ فيه الضلال ذروته، نحتاج **إلى** الوعي، نحتاج **إلى** البصيرة، **إلى** الانطلاقة الإيمانية الواثقة الثابتة، ننطلق على يقينٍ وبصيرةٍ من ربنا، لا نتزحزح، لا نميل، لا نزيغ، لا نتأثر: لا بتخاذل الناس، ولا بحجم الصعوبات، ولا بالمخاطر في مواجهة الأعداء.

يقول عليه السلام: ((ما شككت في الحق مُذ أُرِيتُه))، هو ذلك الذي لم يشك في الحق، لم يرتب أبدًا، كما قال الله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥]، وما أحوجنا إلى أن نكون في وعينا، في إيماننا بالحق، في قناعتنا بالحق، في بصيرتنا تجاه الحق، على هذا النحو، الذي لا نرتاب أبدًا، لا يستطيع أحد أن يشككنا في أي مرحلةٍ من المراحل، أو أن يؤثر على قناعاتنا في الحق، في أي ظرفٍ من الظروف، لا بالتشكيك، ولا بضغط الأحداث، ولا بصعوبة الواقع، ولا بحجم التحديات.

هو القائل عليه السلام: ((لا تجعلوا علمكم جهلًا، ويقينكم شكًّا، إذا علمتم، فاعملوا، وإذا تيقنتم، فأقدموا)).

وهكذا نستفيد من أمير المؤمنين عليه السلام الكثير الكثير، مدرسةٌ متكاملة، نتعرّف من خلالها على الإسلام، على الدين الحق، على مفاهيم القرآن الصحيحة، يصلنا برسول الله صلى الله عليه وعلى آله، كحلقة وصلٍ صافيةٍ أمينةٍ، نطمئن إليها، ولا نرتاب، ولا نشك في ذلك.

التثقيف الديني، والتعليم الديني، يجب أن يحتوي على ما ورد وأُثِر عن أمير المؤمنين وصحّ عنه، وأن نتعرف على سيرته، وحياته، وجهاده، **وأن** نستوعب دوره في هذه الأمة، وطبيعة علاقتنا الإيمانية به؛ **حتى** ننتظم في سلك المؤمنين، **((لا يحبك إلا مؤمن))**، **وحتى** نبرأ من النفاق، **وحتى** نحصّن أنفسنا وساحتنا من تأثير المنافقين، الذين **يفضحهم ويكشفهم ويبيّن واقعهم: بغضُهم لأمير المؤمنين عليه السلام، كعلامةٍ مهمةٍ وأساسية.**

أهمية إحياء العشر الأواخر واغتنام الفرصة العظمى

في العشر الأواخر أيضًا هناك أهمية كبيرة لإحيائها، وللتركيز فيها على الدعاء، والإقبال على الله سبحانه وتعالى؛ **باعتبار** أن ليلة القدر محتملةٌ فيها بأكثر من غيرها، محتملةٌ فيها بشكلٍ كبير.

وليلة القدر، ليلةٌ عظيمةُ الشأن، الله ﷻ تحدث عنها في القرآن الكريم، بأنها **كما قال عنها:** ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[الدخان:٤]، **قال عنها:** ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[القدر:١]، **يعني:** القرآن، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾[القدر: ٢-٥]:

- **فيها** نزول القرآن.
- **وفيها** تتنزل الملائكة.
- **وفيها** يقدِّر الله أمر العباد، على المستوى التفصيلي، فيما يكتبه لهم، أو عليهم.
- **وفيها** مضاعفة الأجر، بشكلٍ عظيمٍ جدًّا، على الأعمال الصالحة المقبولة.
- **وفيها** نزول الرحمة.
- **وفيها** استجابة الدعاء.

هي فرصةٌ مهمةٌ جدًّا أتاحها الله لنا، للإقبال فيها إلى الله، لنحظى برحمته، **لنحظى** بالأجر الكبير، **لنحظى** بالنقلات الكبيرة في الواقع العملي، يهيئ الله لك فيها أن تنتقل نقلات كبيرة جدًّا، قد تعادل عمرًا بأكمله في مستوى العمل الصالح، وما يتحقق عليه من الأجر العظيم والفضل الكبير.

ثم نحن في ظروف حياتنا، ومسيرة حياتنا، فيما يواجهه الإنسان: على المستوى الشخصي، من صعوبات ومخاطر كبيرة، ومن إشكالات، ومن متطلبات، وما يعيشه من ظروف، **أو على** المستوى العام (كشعب، أو كأمة)، فيما نواجهه من تحديات ومخاطر، وفيما نحمله من آمال وتطلعات، **بحاجةٍ** إلى الله ﷻ، **بحاجةٍ** إلى رحمته، إلى عونه، إلى نصره، إلى تأييده، **بحاجةٍ** إلى مغفرته، إلى رعايته الشاملة، **بحاجةٍ** إلى السعي لعتق

رقابنا من النار، بالدعاء والتضرع، والتسبب، والعمل، الذي به نجاتنا، وفوزنا، وفلاحنا، فلنقبل في هذه الليالي إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بإخلاصٍ له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، باهتمامٍ وجدّ.

من الغبن، ومن الخسارة، ومن الضياع، أن يضيّع الإنسان مثل هذه الليالي، على أهميتها، على عظيم الفضل فيها، على عظيم الفرصة فيها، ينبغي الإقبال بشكلٍ أكبر، ورد عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أنه كان يعطيها من الاهتمام، والإقبال في العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والذكر لله، والدعاء، كل أشكال العبادة والذكر، بأكثر مما مضى من شهر رمضان، ولذلك **بدلًا من أن يتجه الإنسان فيما تبقى من شهر رمضان إلى حالة الفتور والإهمال، فليتجه بشكلٍ أكبر وبكل جد إلى العمل أكثر، وليحرص على الاستقامة أكثر، وليحرص على الإقبال إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أكثر وأكثر.**

نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَامَ، وَالقِيَامَ، وَصَالِحَ الأَعْمَالِ، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبْرَارَ، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنصُرَنَا بِنَصْرِهِ، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

وَالسَّـلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَـةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـهُ؛؛؛

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِينَ، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

أَيُّهَا الإِخْــوَةُ وَالأَخَوَاتُ:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

في شهر رمضان المبارك، شهر التربية على التقوى، الذي يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **عنه في القرآن الكريم:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٨٣]، فإن جانبًا مهمًا وأساسيًا من التقوى، يتعلق بمسؤولياتنا نحن كمسلمين، تجاه المخاطر التي تتهددنا، في ديننا، ودنيانا، وآخرتنا، من جانب أعدائنا، **كما هي ضرورة التحلي بالتقوى في الجوانب العبادية:** أن نصلي،

أن نصوم، أن نزكي، أن يحج من استطاع سبيلًا إلى الحج، وكما هي التقوى في أمور المعاملات فيما بيننا، في مختلف مجالات الحياة، فإن أيضًا من جوانب التقوى الأساسية، **ما يتعلق بهذه المسؤولية: مسؤوليتنا تجاه المخاطر التي تتهددنا من جانب أعدائنا على ديننا ودنيانا**، هي مخاطر شاملة وكاملة.

وفي شهر رمضان، شهر الاهتداء بالقرآن، وشهر نزول القرآن، وأجواء القرآن، التي تساعد الإنسان على أن ينتفع بالقرآن أكثر، ويهتدي بالقرآن أكثر، وأن يعزز صلته وعلاقته بالقرآن الكريم، فمن المهم جدًّا- من فوائد الاهتداء أصلًا- أن تنتقل من نظرتك القاصرة والمزاجية، إلى كثيرٍ من الأمور، وتقييمك القاصر لها، إلى الاهتداء بالقرآن الكريم، والنظرة لها من خلال القرآن الكريم، بدلًا من أن تكون نظرة شخصية، مزاجية، قاصرة، أن تنظر لها وتقيمها من خلال القرآن الكريم، هذا من فوائد الاهتداء بالقرآن الكريم، الذي قال الله عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾[الأنعام: ١٠٤]، فلنسعَ إلى أن نُبْصِرَ بالقرآن، أن ننظر من خلاله إلى الأمور، وأن نقيمها من خلاله؛ **لنبصرها** جيدًا، عندما تنظر إليها من خلال القرآن، ستبصرها على حقيقتها، **وكما في الحديث النبوي: ((كِتَابُ اللَّه، فِيهِ نَبأُ مَا قَبلَكُم، وَخَبرُ مَا بَعدَكُم، وَفَصلُ مَا بينَكُم))**، نرجع إلى القرآن الكريم وننطلق من خلاله، **وكما قال أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ عن القرآن الكريم: ((كِتَابُ اللَّه تُبصِرُونَ بِه))**، **تُبصِرُونَ به:** تنظر من خلاله إلى الأمور.

٢٠

ولربما من أكثر ما أضر بالعرب على وجه الخصوص، وبالمسلمين عمومًا: هو نظرتهم القاصرة، وانعدام الوعي، وعدم التركيز على القضايا الكبيرة، والأمور المهمة، والاهتداء بالقرآن الكريم تجاهها، فهم انفصلوا عن القرآن في النظرة إليها، والتقييم لها، والتعاطي معها، وهذا أثر عليهم تأثيرًا كبيرًا.

﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ ماذا تعني في هذا السياق؟

في الأمر بالتقوى في القرآن الكريم، أتى الأمر بها بشكلٍ مميز، لا مثيل له في بقية الموارد في القرآن الكريم والسياقات والمواضيع، في قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مخاطبًا لنا، للذين آمنوا، للمسلمين، في كل عصرٍ وجيل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

في بقية السياقات في القرآن الكريم، فيما يأمر الله به، أو ينهى عنه، وَيُقَدِّم قبل ذلك- للفت النظر على أهمية الموضوع- بالأمر بالتقوى، أو يعقِّب على ذلك بالأمر بالتقوى، **يقول: اتقوا الله، اتقوا الله، اتقوا الله،** في كثيرٍ من الموارد، **لكن في** هذا المورد بالذات، يأتي بهذا التعبير المهم، الذي يلفت النظر إلى أهمية الموضوع بشكلٍ كبير: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾؛ **ليلفت أنظارنا إلى أهمية الموضوع، وخطورته البالغة، وخطورة التفريط فيه،** إذا كان في بقية المقامات والمواضيع والقضايا يقول: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾، فلا تفرطوا في ذلك الأمر الذي أمر به، أو لا تتجاوزوا ذلك النهي الذي نهى عنه، ففي هذا الموضوع يقول: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، **يعني:** أبلغ وأرقى وأعلى درجات التقوى، أعلى درجات الانتباه، والحذر من التفريط في هذه القضية، في هذا الموضوع؛ **لأنه** موضوع مهم للغاية، **وما هو هذا الموضوع؟ وما هو هذا السياق الذي أتى فيه هذا الأمر؟**

٢٠

أتى هذا في سياق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۝١٠٠ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾[آل عمران: ١٠٠-١٠١]، وهكذا استمر، يحذّر، وينبه، ويرشد إلى ما يقي من ذلك، ثم يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾؛ **ليبين** أهمية هذه المسألة، والخطورة البالغة لها.

وهذه مسألة مهمة من البداية، فالآية تحذّر المسلمين بشدة، من طاعة أعدائهم من أهل الكتاب، وما يترتب على ذلك حتمًا- كنتيجة حتمية- إذا أطاعوهم، **يترتب على ذلك: الارتداد عن الدين الإلهي، عن الإسلام العظيم، عن مبادئه، عن قيمه، عن شرائعه، عن هديه ونوره**، وفي نفس الوقت هي تكشف عن طبيعة ما يسعى له أولئك الأعداء في استهداف الأمة، وطريقتهم أيضًا في الوصول إلى تحقيق ذلك الهدف.

الموضوع مهمٌ جدًّا، وهو من المواضيع التي لا يرغب الكثير من الناس في الالتفاتة إليه أصلًا، وهو من المواضيع التي شُطِبَت عند الكثير من دائرة اهتمامهم بشكلٍ تام، والمفارقة عجيبة، المفارقة في هذا الموضوع **عجيبة جدًّا، بين**: ﴿اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، أبلغ درجات التقوى، أعلى درجات الاهتمام، واليقظة، والحذر، **وبين** عدم الاهتمام بالموضوع أصلًا، وعدم الرغبة في سماع أي شيءٍ عنه نهائيًا، وعدم الالتفاتة إليه في أي حالٍ من الأحوال! **يعني**: تهميش كامل للقضية، ولهذا الموضوع، ولهذا الخطر، ولهذا التهديد، وعدم الحديث عنه، ولا الالتفات إليه، ولا الاهتمام به، هذه قضية خطيرة على الإنسان؛ **لأن الله سيحاسبنا يوم القيامة، على أساس ما أمرنا به في كتابه، وهدانا إليه في كتابه**، ويحتج علينا في مقام الحساب بآياته: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون: ١٠٥].

٢٠

فلذلك مهما تجاهل الإنسان مثل هذه الأمور، ذات الأهمية الكبيرة في القرآن، في أوامر الله، في توجيهاته، ولأنها بالفعل ذات الأهمية والتأثير الكبير في الواقع، في واقع الحياة؛ **فتجاهله** لا يفيده، ولا يغنيه، ولا يدفع عنه تبعات التفريط والتقصير والمسؤولية تجاه ذلك؛ **إنما** يمثل مشكلةً كبيرةً له يوم يلقى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كما هو مشكلة في هذه الحياة.

أهل الكتاب وخطرهم الرهيب على ديننا ودنيانا!

الآية- بكل وضوح- حددت الخطر الرهيب، خطر **على** دين هذه الأمة؛ **وبالتالي** على دنياها، **وعلى** مستقبلها، **وعلى** آخرتها، وحددت مصدر ذلك الخطر، **وهم أهل الكتاب**، وبينت أن هذا التهديد هو خطر حقيقي، وهم بالفعل يسعون إلى تحقيقه، في استهدافهم للأمة.

أهل الكتاب (اليهود، ومن يرتبط بهم من النصارى) برزوا على مدى التاريخ، ومنذ عصر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، كأعداء رئيسيين للمسلمين، هم دخلوا في عصر رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ في عدة حروب مباشرة معه، وأسهموا في مؤامراتهم، ومخططاتهم، وتحريضهم، في بقية الحروب، التي شنها الآخرون ضد رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وضد الإسلام والمسلمين، **فهم في حروب:** حرّضوا، ودفعوا، وساهموا، وحركوا، وتآمروا، **وفي حروب أخرى:** باشروا، لكنهم هُزِموا؛ **لأن** رسول الله صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ تحرك على أساس هداية الله، وتوجيهاته وتعليماته، في التصدي لمؤامراتهم، ثم عاد تأثيرهم في مراحل معينة، وأتى الخطر الكبير من اللوبي الصهيوني اليهودي، في تاريخنا المعاصر، وفي هذه القرون الثلاثة الأخيرة بشكلٍ واضح؛ **نتيجةً** للخلل الذي حصل في واقع المسلمين.

هم برزوا يتعاونون فيما بينهم ضد المسلمين، بالرغم من أن بينهم خلافات ومشاكل قديمة فيما بينهم، لكنهم تجاه المسلمين يتعاونون ويتآمرون سويًا، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، فهم يتعاونون، ويتحركون، وبرزوا تاريخيًا، وفي مراحل كثيرة، واستمر الصراع معهم والاستهداف من جانبهم للمسلمين على مدى التاريخ، في كل المراحل

الماضية والأجيال الماضية، وبرزوا بوضوح كأعداء أساسيين للمسلمين، وأعداء خطرين.

المساحة التي تحدثت عن عداوتهم للمسلمين، وعن خطورتهم، وما يتصل بذلك، في القرآن الكريم هي مساحة واسعة، **مساحة كبيرة:** (في سورة البقرة، وفي سورة آل عمران، وفي سورة النساء، وفي سورة المائدة بشكلٍ كبير، وفي سورة التوبة)، وفي عدة سور في القرآن الكريم، وآيات كثيرة جدًّا، **ويطابق ما ورد في القرآن الكريم شواهد الواقع،** الأحداث، والوقائع، والحقائق، التي حصلت عبر التاريخ، وإلى اليوم في زمننا المعاصر.

والقرآن الكريم في حديثه عنهم قدَّم تشخيصًا دقيقًا، وتقييمًا واقعيًا وحقيقيًا لهم، من المهم المعرفة به؛ **لمعرفة** الوقاية من خطرهم علينا، في ديننا ودنيانا؛ **لأن هذه هي التقوى:** الوقاية، من خطرهم، ومن الخطر الناتج عن التفريط في هذه القضية، ما بيننا وبين الله سبحانه وتعالى في الحساب والجزاء على ذلك.

وللأسف الشديد أن هذا الجانب، الذي لا يحظى بالاهتمام عند المسلمين، عند أكثرهم، بالرغم من طبيعة الأحداث، والصراع، التي تلفت النظر، حتى في بعض المراحل تُرغِم الناس على التفاعل، ولكنه يكون تفاعلًا لحظيًا، ومؤقتًا، مع حادثة مزعجة جدًّا- مثلًا- في مرحلة معينة، أو جريمة رهيبة جدًّا، أو احتلال بلد بأكمله، من بلدان العالم الإسلامي، أو جرائم رهيبة للغاية، تفرض نفسها على الالتفاتة إليها، فيلتفت الناس بقليلٍ من السخط والتفاعل، والأسف، والتضامن النفسي والعاطفي مع من يحصل عليه ذلك من المسلمين، ثم يبرد الناس، وينسون، ويتغافلون عن الموضوع، ولا يتحركون في إطار عمل مستمر، ومشروع عملي، للسعي إلى تغيير الواقع، وإلى تحقيق الوقاية، التي تقي الأمة من ذلك الخطر والشر، وهذه هي المشكلة!

في واقع الأعداء، هو الموضوع الأساسي بالنسبة لهم: العداء لنا، موضوع مهم جدًّا، **حاضر** في كل اهتماماتهم، في أبحاثهم، ودراساتهم، ونشاطهم المعلوماتي، الذي يدرسون من خلاله واقع الأمة، **وحاضر** في خططهم، **وحاضر** في برامجهم، **وحاضر** في أنشطتهم العملية بشكلٍ أساسي، **وحاضر** في سياساتهم التي يرسمونها في التعامل تجاه هذه الأمة، اهتمام كبير بالموضوع، وكأنهم هم من أتى لهم: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، وليس نحن، كأنهم هم من لُفِتَ انتباههم إلى أن يكونوا منتبهين، ومهتمين، وجادّين، ومركزين، وغير غافلين عن هذه الأمة، وأن ينتبهوا منها، ويحذروا منها أشد الحذر، وأن يكونوا في تعبئة مستمرة ويقظة دائمة تجاهها، وليس كأن هذا ورد لمن؟ لنا نحن في القرآن الكريم، وخاطبنا الله به، وجعله جزءًا من التزاماتنا الإيمانية، ومسؤولياتنا الدينية الأساسية، هذا شيء مؤسف وعجيب، وعجيب!!

القرآن يبين ما يقي الأمة من ظلمهم وفسادهم

في القرآن الكريم، تحدث الله ﷻ عن الشيطان كعدو، وحذرنا منه، وكشف لنا خططه، وبيّن لنا سُبُل الوقاية منه، وقال لنا: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[فاطر: ٦]، **(فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا)**، يكون موقفك منه على أساس أنه عدو، تعاديه أنت من جانبك، مثلما هو عدوٌ يستهدفك، فأنت تعتبره عدوًا، فتتحرّز منه، وتحذر منه، وتنتبه منه، وتعاديه، وتتخذ منه الموقف العدائي، وهي نفس المسألة المتعلقة بأعدائنا من اليهود والنصارى، **في المساحة الكبيرة في القرآن الكريم حذّر منهم، بيّن خطورتهم، وهدى إلى ما يقي الأمة، ما يقي الأمة من خطورتهم**، وهي خطورة رهيبة على الأمة، في دينها ودنياها، وهذا من رحمة الله تعالى.

﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾[آل عمران: ١٠٨]، أتى هذا في سياق الحديث عنهم، عن خطورتهم، عن عواقب التفريط في هذه القضية، **الذي سيترتب عليه سواد الوجوه في الدنيا والآخرة:**

- **سواد الوجوه في الدنيا، من خلال التقصير الفاضح**، الذي يترتب عليه نكبات الأمة، ومآسي الأمة، وهوان الأمة، وذل الأمة، يسحقها أولئك الأعداء، الأشرار، الهيِّنون، السيئون، يُذلونها، يقهرونها، يهينونها.
- **ويوم القيامة سواد الوجوه أمام الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، خطر رهيب، يكون المصير إلى جهنم والعياذ بالله، نتيجة للتفريط في ما يسبب ضياع الدين، ومعه الدنيا، أمر خطير للغاية.

فأتى قول الله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾، **ولأنه لا يريد أن ينالنا الظلم، لا يظلمنا، ولا يريد لنا أن يظلمنا أحد؛ فهو يهدينا إلى ما يقينا من ظلمهم؛ لأنهم أظلم الناس، هم مصدر الظلم، والطغيان، والإجرام، والفساد**، فهو يهدينا إلى ما يقينا من ظلمهم، ويضمن لنا، ويتكفل لنا- في حال أخذنا بهدايته، وسرنا على أساسها، وقبلناها، والتزمنا بها- أن يكون معنا، فيمدنا بنصره، ويؤيدنا بتأييده، ويعيننا بعونه، ويدفع عنا الكثير من شرهم، فماذا نريد منه أكثر من ذلك؟! هو ربنا الرحيم بنا.

وميزة ما يقدمه القرآن الكريم أنه حقائق، عندما يتحدث عنهم كأعداء، عن خطورتهم، عندما يبين لنا عن خطورة الإهمال والتفريط في هذه القضية، وأننا **إذا فرطنا في هذه القضية، وغفلنا عنها، وتجاهلناها، واعتمدنا خيارات خاطئة، من أهواء أنفسنا وبجهالتنا، للتعامل مع هذا الموضوع، بدلًا عمَّا هدى الله إليه؛ فإن ذلك سيشكل خطورةً كبيرةً علينا في الدنيا والآخرة.**

فالله ﷻ لا يريد لنا أن نُظلَم، وما قدَّمه هو حقائق حقيقية لا تتخلَّف، حتى لو حاول الإنسان أن يفكر بطريقة مختلفة، وأن ينظر إليهم بطريقة مختلفة، فهو سيعتمد نظرة غير واقعية، هذه مشكلته، **إذا نظرت إليهم أنهم:** [لا يشكلون خطورةً علينا، وليسوا أعداء لنا، وليسوا... وليس هناك من جانبهم أي خطر علينا، وهذه مبالغات، وهذا ضجيج لا فائدة منه؛ **إنما** هو إزعاج على الفاضي، دعونا من هذا الكلام، لا تزعجونا به]، أنت حينئذٍ تنظر نظرةً: لا هي نظرة القرآن، ولا هي نظرة الواقع؛ **لأن** نظرة الواقع، الواقع هو متطابق مع القرآن الكريم، القرآن هو حقائق، حقائق في هذه الحياة، هو كلمات الله، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾[الأنعام: ١١٥]، **(لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ)**، حقائق في هذه حياة.

لماذا لا تعطي نفسك أولًا الفرصة إلى الالتفاتة إلى ما قاله الله، أولًا، أولًا؟ اخرج من موقفك الشخصي، **عقدتك** الشخصية، **نظرتك** الشخصية، **وَعُد أولًا** لتسمع ما قاله الله، **ولتقرأ** ما قاله الله، **ولتتدبَّر** فيما قاله الله، **وتتأمل** ما قاله الله، **وتنظر** من خلال ذلك إلى الواقع، هذا هو الذي سيفيدك، هذا الذي فيه نجاتك، هذا الذي سيجعلك منسجمًا مع القرآن الكريم، ويجعلك في حالة تقبُّل للقرآن الكريم، وفي نفس الوقت الاتجاه الذي يرشد إليه القرآن الكريم، وهذا هو ما ينبغي لك كمسلم، هو الذي يُفترض بنا كمسلمين، أن تكون المسألة هكذا بالنسبة لنا.

الله ﷻ هو الرحيم بنا، حينما يحذرنا من أعدائنا؛ **لأن** ما يأتي من جانب العدو ليس سهلًا، ليس مسألةً بسيطة، ما عاناه المسلمون، وما يعانونه إلى اليوم، **على كل المستويات:** في الجوانب العسكرية، في الجوانب الاقتصادية... في كل شؤون حياتهم، هو كبيرٌ جدًّا، معاناة رهيبة جدًّا، يُقتلون، تُستَباح حياتهم، أوطانهم،

أعراضهم، ثرواتهم، تدور رحى المؤامرات على رؤوسهم ولا تتوقف؛ **لأنهم** لا يسعون إلى إيقافها، وبذلك يؤثِّرون على أنفسهم.

القرآن كشف أعداءنا وبين خطورتهم.. فلماذا لا نرجع إليه؟!!

الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى في سياق حديثه عن أعدائنا من اليهود، عن خطورتهم، عمَّا يقي من شرهم وخطورتهم، قال جَلَّ شَأنُهُ: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً﴾ [النساء: ٤٥]، هو الأعلم بأعدائنا من هم، من هو العدو؟ ما مدى خطورة ذلك العدو؟ ماذا يريد ذلك العدو؟ ماذا يسعى له ذلك العدو؟ ما هي الطريقة الصحيحة، **(الصحيحة) بين قوسين**، الطريقة الصحيحة في التصدي لخطر ذلك العدو، في الوقاية من ذلك العدو؟ الله هو الأعلم، **لماذا** لا نرجع إلى كتابه؟ **لماذا** لا نتقبل آياته؟ **لماذا** لا نصغي لكلماته؟ **لماذا** لا نسمع هديه؟ نسمع منه ماذا قال لنا سُبحَانَهُ وَتَعَالَى في كتابه، وهو الأعلم بهم، الأعلم.

عندما تأتيك دراسة كعربي، كنظام عربي، أو كزعيم عربي (ملك، أمير)، أو للاتجاه العام (للنخب، للناس)، دراسات، أبحاث، تحليلات، عن من هو العدو، وعن مدى خطورته، وعن من هو الصديق، وعن... هي لا شيء في مقابل ما يأتينا من الله، العليم بعباده، العليم بذات الصدور، عالم الغيب والشهادة، المحيط بكل شيءٍ علمًا، الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، العليم بكل شيء. البعض يتأثرون بمحلل سياسي، أو حتى بشخص سياسي معين، له توجهات سياسية معينة، يتقبلونها منه، وكأنها الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وينسون القرآن، يغفلون عن القرآن الكريم، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾، ومع ذلك يَعرض- مع ما يقدمه من تبيين وتوضيح- معونته، ونصره، وتأييده، إذا استجبنا له، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيراً﴾.

الشيء العجيب في واقع العرب في المقدمة، وهي حالة في العالم الإسلامي بشكلٍ عام: أن الناس، سواءً كيانات، أنظمة، حكومات، زعماء، **أو حتى في الساحة الشعبية:** مواطن مع آخر، قبيلة مع أخرى، مجتمع مع آخر، مكونات مختلفة (سياسية، أو مذهبية)، يتعادون بسهولة، ويحملون عقدة العداء ضد بعضهم البعض بسهولة، **وينطلقون على أساس ذلك في إطار التحرك العملي:** يتكلمون، يعبِّرون، يهاجمون بعضهم بعضًا، يتحركون ضد بعضهم البعض، بكل الأشكال المتاحة، وبحسب مستويات ذلك العداء، ولا يتبنّون وجهة نظر السكوت والقعود والجمود، وعدم التحرك أصلًا، وعدم الاهتمام بالموضوع نهائيًا، لا، وقد تجد البعض لأتفه سبب يشتد غيظًا، وغضبًا، وانفعالًا، ثم يتحرك بشكل عدائي، يعبّر، يهاجم، يتكلم، في أقل الأحوال، في أقل الأحوال حالة غضب وانفعال يترجمها في أقواله، تعبيراته، وقد يتبعها مقاطعة، ومباينة، وقد يتبعها- في بعض الحالات- مواقف أكثر، أكثر تشددًا، **وأكثر خطورةً: حالات** اقتتال، **أو** حالات اعتداء، **أو** حالات تشبه ذلك؛ **لكن** تجاه هذه الحقائق المهمة، تجاه أعدائهم الحقيقيين، عناء وتعب كبير، لاستنهاضهم، لتحفيزهم، لتحريكهم، للفت نظرهم، بالرغم مما أخذه الموضوع من مساحة كبيرة في القرآن الكريم، **وما له من حضور في الواقع:** اعتداءات يومية، جرائم يومية، معاناة قائمة في الواقع، خطّط لها الأعداء، واستغلوا فيها واقع الأمة والخلل في داخل الأمة، فهي قصة عجيبة!

الحقيقة الأولى هي هذه، التي ركّز عليها القرآن الكريم: أنهم أعداء، **وأنهم** أعداء خطرون، **وأنهم** أعداء يحملون عقدة الحقد الشديد والعداء الشديد تجاه الأمة، وأنه لا يغير بالنسبة لهم من ذلك- من عقدتهم الشديدة على الأمة، وعدائهم الشديد للأمة- الموالاة لهم، والمحبة لهم، والطاعة لهم، ولا السكوت عنهم.

هل السكوت هو الطريقة التي رسمها القرآن، وأرشد إليها، وحث عليها، وبيّن أنها مجدية، نافعة، مفيدة، تقي من خطرهم، تدفع شرهم، تنفع الأمة، فيا أيها الذين آمنوا اسكتوا، واصمتوا، ولا تتكلموا، ولا تتحركوا، ولا تقولوا شيئًا، وانتبهوا؟ **لا**، هذا لا يجدي شيئًا، **ولا ما هو أكثر:** أن تحبهم، أن تتحرك عواطف المحبة في قلبك وتنجذب نحوهم، حتى لو بلغت إلى درجة العشق، وأن تواليهم، تؤيدهم، تؤيد مواقفهم، تبرر لهم ما يفعلون، وأن تواليهم وتدخل في تحالفات معهم، علاقات معهم، حتى ذلك لا يفيدك شيئًا.

سيبقى تعاملهم من جانبهم معك على أنك عدوّ، يحقدون عليك، يكرهونك، في الوقت الذي أنت تحبهم، يبغضونك، في الوقت الذي أنت تعشقهم، يحتقرونك، في الوقت الذي أنت تعظمهم، تعتبرهم رمز الحضارة، رمز التقدم، رمز التطور، رمز الديموقراطية، رمز حقوق الإنسان...إلخ. ينظرون إليك دائمًا بنظرة احتقار، وامتهان، وقد لا يعتبرونك في مستوى كائن بشري حقيقي، كما هذا معروف عنهم، في نظرتهم إلى غيرهم، لا يعتبرونهم في مستوى بشر حقيقيين؛ **إنما** أشكال بشر، حيوانات أشكال بشر، خُلِقوا ليكونوا مسخَّرين في خدمتهم؛ **ولذلك** قد يكرِّمونك، بعد أن يحلبوك، وأن يأخذوا منك مئات المليارات، وأن يدفعوا بك في مشاكل كبيرة جدًّا، تقاتل في سبيل تحقيق أهدافهم، وتدفع لهم، وتفعل من أجلهم كل شيء، وتثير الفتن في سبيل استرضائهم، قد يكرِّمونك بأن يُسمُّوك- في غاية الاحترام- (بقرةً حلوبًا، بقرة)، إن لم يسموك أتانًا، أو أي شيءٍ آخر، بهذا المستوى! هذا بعد أن تكون قد تفوّقت على كل أبناء أمتك في خدمتهم، وقدمت لهم ما لا يحلم به أي أحد، ما لو قدمته لأمتك لما بقي فيها فقيرٌ واحد، قد تصل إلى هذا المستوى (بقرة)، بهذه النظرة يعني! يحملون عقدة الحقد إلى هذه الدرجة.

٢٠

الفارق هو: أنك عندما تسكت عنهم، وتستسلم لهم، **أو** تحبهم، تتفاعل معهم، تتحالف معهم، تواليهم، في كلتا الحالتين، الفارق ما بين هاتين الحالتين، وأن تكون يَقِظًا، مهتمًا، حذرًا، متقبلًا لهدى الله ﷻ، مؤمنًا بكلماته، مؤمنًا بما قاله عنهم وفيهم، وما قاله في الطريق الصحيح للوقاية من خطرهم، **الفارق هو: أنك** في تلك الحالتين، سهلت لهم مهمة السيطرة عليك، **والدفع** بك نحو الهاوية؛ **بينما** في الحالة التي **آمنت** فيها، **آمنت** بكلمات الله، **آمنت** بآيات الله، تقبلت هدي الله، سلكت الطريق الذي أرشدك الله إليه، **وثقت** به، **وثقت** بكلامه، **وثقت** بهديه، **وثقت** بتعليماته؛ **أنك** تكون في منعة وعزة، حتى لو حصل لك معاناة، معاناة وأنت في عزة ومنعة، وأنك في طريقٍ تحقق في نهايته الوقاية التامة من شرهم، وهذه مسألة هامة جدًّا.

العدو رقم واحد وفشل سياسة استرضائه

يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾ [المائدة: ٨٢]، (رقم واحد)، ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢]، تحتهم (رقم اثنين).

اليهود: هم أول الأعداء، أول الأعداء عداوةً للذين آمنوا، أشد الأعداء عداوةً للذين آمنوا، **واليوم من يقود كل المؤامرات الكبرى على المسلمين: هو** اللوبي الصهيوني اليهودي، حتى في تحريك دول الغرب، في سياساتها العدائية، ضد الأمة الإسلامية، له دورٌ أساسيٌ في ذلك، وفي تحريك دول الغرب لمساندة الكيان الصهيوني الغاصب، له دورٌ أساسيٌ في ذلك، هذه حقيقة، ليسوا فقط أعداء، بل أشدّ الناس عداوةً، عداؤهم أشد من أي أحد، من أي طرفٍ آخر، هم الأشد عداوة.

يقول عنهم: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠]، **سياسة الاسترضاء**، سواءً كانت بالتودُّد، والتحالف، والطاعة، وتقديم الخدمات، **أو** كانت بالسكوت، والجمود، والإعراض عن كل ما يفعلونه، والسكوت عن كل ما يقومون به، **هي لا تجدي**، لا تجدي، لا ترضيهم، لا تنفع معهم.

يقول عنهم في آيةٍ مهمة وعجيبة، وحجة كبيرة على الناس: ﴿هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عمران:١١٩]، هذه لمن؟ هذه للمحبين لهم، الذين حملوا انطباعات إيجابية تجاههم، وتحركت عواطفهم، ومحبتهم، وقلوبهم، نحوهم بالمحبة، ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾، هم يكرهونكم، بالرغم من أنكم تحبونهم، هم يكرهونكم، يحتقرونكم، يمتهنونكم.

يقول عنهم: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ [آل عمران:١١٨]، لا يترددون، ولا يقصِّرون، في بذل كل ما في وسعهم وباستطاعتهم أن يعملوه، لإثارة المشاكل في واقعكم، لإثارة الخلل في واقعكم، للتخريب في واقعكم، لإعاقتكم في نهضتكم، بفعل كل ما يمثل مشكلةً عليكم، وهم يودون **(مَا عَنِتُّم)**: ما يصيبكم بالضرر البالغ، ما فيه مشقةٌ عليكم، ما فيه خطرٌ عليكم، هم يحرصون عليه، هم يهتمون به، بودّ، برغبة، يرغبون جدًّا فيما فيه مضرتكم البالغة والشديدة.

يقول عن عدائهم الشديد: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [آل عمران:١١٩]، **حالة حقد متحركة في نفوسهم، متأججة في مشاعرهم**، ليست هادئة، ليست مجرد انطباع هكذا يمقتوا الأمة؛ **إنما** حالة حقد مشتعلة، متأججة في المشاعر، إلى هذه الدرجة: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾، **وعداوتهم ليست كامنة، ليست هادئة، ليست جامدة، عداوتهم عداوة تفاعلية، يتحركون على أساسها في الواقع**

تجاه هذه الأمة، يترجمونها عمليًا: في مواقفهم، في سياساتهم، في مخططاتهم، وهي بالنسبة لهم توجه عملي، حقيقي، قائم؛ **فيما** الأمة غافلة عنهم، وغائبة عن التركيز والانتباه، هذه حالة خطرة جدًّا!

مما يحرصون هم عليه تجاه هذه النقطة (أنهم أعداء، حذّر الله منهم، يجب الانتباه من شرهم): يحرصون على إلغاء هذه النظرة من واقع العرب نحوهم، هذه من عجائب الأمور! **بالرغم من كل ما يفعلونه:** قتل يومي لأبناء الأمة، وقتلوا الملايين عبر التاريخ، استهداف مستمر في كل المجالات، حديث واسع عنهم في القرآن الكريم، مؤامرات واضحة، بأدنى تأمل، مواقف في كل مرحلة، مواقف واضحة جدًّا، **تبيّن عن حالة العداء الشديد بكل بيان:** إحراق للمصاحف، إساءة إلى الرسول، قتل للمسلمين، مؤامرات في كل المجالات، أمور واضحة جدًّا، **مع ذلك هم يحرصون على ألّا ننظر إليهم كأعداء، وأن نتقبل** كل ما يأتي من عندهم، **وأن يكون واقع الإنسان المسلم:** أن يقبِّل تلك الرجل التي تسحقه من أرجلهم، هذه حالة غريبة جدًّا في الواقع، حالة غريبة جدًّا!!

نكتفي بهذا المقدار، ونكمل الموضوع في المحاضرة القادمة إن شاء الله.

أَسْأَلُ اللّهَ سُبحانَهُ وتعالى أن يُوَفّقنَا وإيّاكُمْ لما يُرضِيهِ عَنَّا، وأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبرارَ، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنصُرنَا بِنَصْرِه، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاء.

وَنَسْأله أَنْ يتَقَبّلَ مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيامَ، والقِيامَ، وَصَالحَ الأَعْمَالِ.

وَالسَّـــلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَـــةُ اللّهِ وَبَرَكَاتُـــه؛؛؛

نعمة البيان (١)

وضرورة استشعار المسؤولية في استخدامها

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِينَ، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ وَالأَخَوَاتِ:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

من أعظم النعم التي أنعم الله بها على الإنسان، وميَّزه بها، وفضّله على كثيرٍ من مخلوقاته، وعلى معظم الحيوانات التي خلقها في الأرض: هي نعمة النطق والبيان.

نعمة البيان، نعمةٌ عظيمةٌ على الإنسان: النطق والتعبير باللسان، ويتبعه أيضًا الكتابة، هذه النعم تعتبر من أعظم النعم، التي لا يدرك الإنسان ولا يستوعب مدى أهميتها، ومدى عظمة هذه النعمة، وإحسان الله الكبير إلى الإنسان بذلك.

يقول الله سبحانه وتعالى **في القرآن الكريم:** ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[الرحمن: ١-٤]، ويقول جلَّ شأنه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ﴾، يعني للإنسان، ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[البلد: ٨-١٠]، وعن الكتابة يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[القلم: ١]، قسم بالقلم، وقسم بالكتابة؛ **لأهميتها** كنعمةٍ كبيرة، لها أهمية وتأثير كبير في حياة الإنسان، ويقول جلَّ شأنه: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[العلق: ٣-٥].

في حياة الإنسان، وطفولته المبكرة، حينما لا يزال طفلًا صغيراً، قبل أن يمتلك النطق، يعتمد على الصياح، عندما يشعر بالجوع يصيح، عندما يشعر بالظمأ يصيح، عندما يشعر بالألم يصيح، عندما يتفاعل مع شيءٍ معين، أو يتأذّى من شيءٍ معين يصيح، لغته هي الصياح.

ماذا لو بقيت حياة الإنسان على هذا النحو، لو لم يُعطَ نعمة النطق؛ **إنما** فقط يصيح، إذا احتاج إلى شيء، أو انزعج من شيء، أو غضب من شيء، لا يمتلك إلا الصياح؟ لكانت حياة الإنسان محدودة جدًّا، في أعماله، فيما يمكن له أن يتحرك فيه في هذه الحياة، ولكانت المسألة بالنسبة للإنسان صعبة، كذلك هو الحال بالنسبة لمن لا يمتلكون هذه النعمة (نعمة النطق)، يصعب عليهم التعبير عن أشياء كثيرة، والحديث عن أشياء كثيرة، قد يعتمدون على الإشارة، أو قد يعتمدون على الكتابة.

نعمة البيان أهميتها وتعدد منافعها

البيان: هو وسيلةٌ أساسيةٌ للإنسان للتعبير عن احتياجاته في هذه الحياة، وعن أموره، وعن مشاعره، وعن عقائده، هو ترجمان جنانه، يعبِّر عمَّا في نفسه، ويعتمد على هذه الوسيلة أيضًا في معاملاته، علاقاته، قضاياه، مواقفه، هي وسيلة أساسية يعتمد عليها الإنسان في ذلك كله.

والإنسان هو كائنٌ اجتماعي، حياته، ونشاطه في الحياة، ومعاملاته في الحياة، ومتطلبات حياته، في إطار نشاط جماعي، مع مجتمعه، مع الناس من حوله؛ **ولذلك** يحتاج بشكلٍ كبير إلى هذه النعمة العظيمة، ويعتمد عليها أساسًا في مختلف شؤون حياته، **ولذلك تقوم كافة المعاملات على هذه النعمة،** وتقوم الحضارات على هذه النعمة، **وتجري شؤون الحياة بناءً على هذه النعمة:** نعمة البيان (بالنطق باللسان، ويتبع ذلك الكتابة).

هي أيضًا وسيلةٌ أساسيةٌ للتعلم، والتعليم، واكتساب المعرفة، وصلةٌ بهدى الله ﷻ.

والله ﷻ جعل للإنسان في هذه النعمة، ما ليس لغيره من الحيوانات، مجال واسع جدًّا في هذه النعمة، في التعبير لغات كثيرة، وأيضًا قدرة على التعبير الواسع، **يعني:** عن كثيرٍ من الأمور، عن كل التفاصيل، عن... كم هي المفردات التي نستخدمها؛ **لِنُعبِّر** بها عن كل مجال من المجالات، وَلِنُعَبِّر بها في كل شؤون الحياة، ولنتحدث من خلالها عن كل الأمور، فهناك ثروة وَسَعَة، **منح الله الإنسان:**

- **أولًا: القدرة على الاستخدام لهذه النعمة:** أن يعبِّر، أن ينطق، أن يتكلم، أو أن يكتب أيضًا تبعًا لذلك.
- **ومنحه** المفردات الكثيرة، التي يعبِّر بها عن ذلك.

- **وهيّأه** في القدرة الذهنية، والنفسية، والبدنية، **وفي الوسائل ذات العلاقة المباشرة:** اللسان، وما يتبع اللسان، التوابع التي تتبع اللسان في عملية النطق، وفي القيام بعملية النطق.

- **وكذلك** نعمة الكتابة، بالرغم من أنها حروف معدودة، لكن كم تتألف منها من المفردات والجمل، ثم كم اتصل بها في وسائل التعبير، وآداب التعبير، وبلاغة التعبير، على مستوى شيِّق، ومؤثر، وجذاب، عالم واسع، أصبح عالمًا واسعًا، في واقع الإنسان، وحياة الإنسان.

فيبقى أيضًا الاتساع مستمرًا في ذلك، في كل جيل تأتي المزيد أيضًا من الاستخدامات، والمفردات، وأسلوب التعبير، فأصبح هذا المجال واسعًا جدًّا في حياة الإنسان، ومن المجالات ذات الجاذبية، وذات الأهمية، في واقع الناس.

ارتباط البيان (نطقًا وكتابةً) بشؤون الإنسان، واتساع وكثرة الاستعمال، وارتباطه ببقية الأعمال، بما هو أكثر من بقية الجوارح، الإنسان في استخدامه لجوارحه، وأعضائه، وقدراته التي منحه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فعلى مستوى الجوارح، أكثر ما يستخدم، يستخدم لسانه، **أكثر شيء استخدامًا عند الإنسان هو اللسان:**

- **له** علاقة ببقية المجالات؛ **لأنه** ترجمان، يعبِّر عمَّا في نفس الإنسان، عمَّا في مكنون صدره.
- **وله** أيضًا علاقة ببقية الأعمال، صلة مع بقية الأعمال، هو حاضر مع بقية الجوارح في بقية الأعمال.
- **وله** موارد في الاستخدام تخصه.

فلذلك هو الأكثر استخدامًا في جوارح الإنسان، **وعملية ميسَّرة للإنسان،** ليست عملية صعبة، النطق، عملية النطق عملية ميسرة للإنسان، **فلذلك** يحتاج إليها بكثرة، ويستخدمها بكثرة، فهي في نفس الوقت عملية ميسرة.

ثم دور هذه النعمة في الحياة دورٌ كبير، ومؤثر، (في الخير، أو في الشر)، والنتائج المترتبة على ذلك كثيرة، فهذه الوسيلة هي من أبرز الوسائل المؤثرة، التي ينتج عنها نتائج مهمة (إمَّا في الخير، وإمَّا في الشر).

ضرورة استشعار المسؤولية في استخدام هذه النعمة

ولذلك بهذه الأهمية الكبيرة لهذه النعمة، لكثرة استخدامها، لما يترتب عليها من نتائج في واقع الحياة، **فهناك** رقابةٌ كبيرةٌ على الإنسان، في طريقة استخدامه لهذه النعمة، **ومسؤولية** تجاه ذلك، يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:١٦-١٨].

الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان، ويعلم ما توسوس به نفس الإنسان، ولذلك حينما يجعل رقابةً علينا، ليس ليطَّلع على ما نقول، هو يعلم حتى بما نوسوس، بما هو في ذات صدورنا، فما بالك بما ننطق، هو يعلم بما نسر وما نعلن، ولا يخفى على الله شيءٌ من أعمال الناس، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾[آل عمران:٥]، **ولكن هذه الرقابة:**

- **أولًا:** لتكون حافزًا لنا على أن نتعامل بمسؤولية تجاه هذه النعمة، وفي بقية شؤوننا، وطريقة أعمالنا.
- **وأيضًا لتكون** حجةً علينا يوم القيامة، من خلال عملية التوثيق الدقيق، لكل ما قلناه، في (الخير، أو في الشر)، مما يدخل في حيِّز الحساب والجزاء.

مَلَكان مخصصان لتوثيق أعمال الإنسان، وفي مقدمة ذلك ما يقوله، ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق:١٨]، حاضر، متنبِّه، جاهز للكتابة، جاهز للتوثيق لما يقوله، لا يفوت أي عبارة، أي مفردة، كل شيء سيتم توثيقه، **وهو بحسبه:** إن خيرًا فخيرٌ في آثاره، في نتائجه على الإنسان، وإن شرًا فشر.

وأتت التعليمات في القرآن الكريم، في مثل هذه الآية وغيرها، وعن رسول الله ﷺ، التي تبيّن أهمية أن نستشعر المسؤولية تجاه ما نقول، وأن نعي جيدًا أننا محاسبون، وأنه لابدَّ من الحساب والجزاء على ذلك، وفي الحديث النبوي المشهور، **يقول رسول الله** صلوات الله عليه وعلى آله **فيما رُوي عنه: ((رَحِمَ اللَّهُ عَبدًا تَكَلَّمَ فَغَنِمْ، أو سكت فَسَلِمْ، إنَّ اللسانَ أملَكُ شيءٍ لِلإنسان، ألَا وَإنَّ كلام العبدِ كُلَّه عليه، إلَّا ذِكرًا لله، أو أمرًا بمعروف، أو نهيًا عن منكَر، أو إصلاحًا بين مؤمنين))**، وهنا تعجّب البعض، أن هناك جزاء على الكلام، وأن هناك حسابًا على الكلام، فقام إليه **معاذ بن جبل، فقال: (يا رسول: أنؤاخذ بما نتكلم به؟)، فقال: ((وهل يَكُبّ الناس على مناخرهم في النار، إلا حصائدُ ألسنتهم، فمن أراد السلامة، فليحفظ ما جرى به لسانه، وليحرس ما انطوى عليه جَنانه، وليُحسِن عمله، وليُقَصِّر أمله))**.

نلحظ في هذا الحديث النبوي: التأكيد على أهمية الكلام، وأن يدرك الإنسان أنه مسؤول تجاه ما يتكلم به، ومُجازى، فإذا تكلم، فليحرص على أن يكون كلامًا مفيدًا، يكسب به الأجر، يكسب به الثواب، ينتفع به، أو على الأقل أن يكون سليمًا من الإثم، إذا لم يكن في إطار أن تكسب به الأجر، أن تكسب به الخير، أن تكسب به رضوان الله، فلتحرص- في أقل الأحوال- أن يكون سليمًا، **مما** فيه إثم، **مما** يُحمِّلك الوزر، **مما** تكسب به الذنب، **ولهذا يقول: ((رحم الله عبدًا تكلّم فغنِم))**، عندما تتكلم بما هو خير، بما هو مفيد، ما ليس فيه إثم، وتكسب به الأجر، **((أو سكت فسَلِم))**، لا داعي لكثرة الكلام، إذا كان الكلام سيحمِّلُك وزرًا، أو ذنبًا، أو إثمًا، فأنت غنيٌّ عن ذلك، لا تحمِّل نفسك الإثم والوزر؛ **بهدف** أنك تريد أن تكثر من الكلام، وأن تتكلم في كل الأمور، وأن تكون فضوليًا في كل شيء، تتحدث عن كل شيء، حتى تحمِّل نفسك الإثم.

((إن اللسانَ أملَكُ شيءٍ للإنسان))، وفعلًا، كثرة استخدامه، ودوره في الحياة- فيما يتكلم به الإنسان، وله علاقةٌ بالحياة- واسعٌ جدًّا وكبيرٌ جدًّا، **ثم يقول: ((ألا وإنَّ كلامَ العبد كلَّه عليه، إلا ذكرًا لله))**، ذِكر لله، من موارد استخدام اللسان بشكلٍ يفيدك، تتكلم فتغنم، فتكسب، عندما يكون الذكر لله **باللسان، وبالقلب، وبالنفس**، **((أو أمرًا بالمعروف، أو نهيًا عن منكر، أو إصلاحًا بين مؤمنِين))**، كل هذه مجالاتٌ للسان فيها دور أساسي ومهم، والكلام فيها مهم، وعليه الأجر، وتكسب به رضوان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

معاذ بن جبل، حينما استغرب أن هناك محاسبة على الكلام، وسأل رسول الله: (أنؤاخذ بما نتكلم به؟)؛ **لأنه** يدرك أن الناس يكثرون من الكلام، فإذا كان هناك حساب وجزاء على الكلام، فالموضوع خطير، **فقال: ((وهل يَكُبُّ الناسَ على مناخرهم في النار، إلا حصائدُ ألسنتهم))**؛ **لأن** الذنوب الكثيرة التي ترتبط باللسان كثيرة وخطيرة، **((فمن أراد السلامة، فليحفظ ما جرى به لسانه، وليحرس ما انطوى عليه جَنانه، وليُحسِن عمله، وليُقَصِّر أمله))**.

الفارق الكبير بين نتائج الكلمة الطيبة والخبيثة

لا يستوعب الكثير من الناس مدى أهمية الكلام (في الخير، أو الشر)، أهميته الكبيرة جدًّا في جانب الخير، وفيما يرضي الله، وخطورته البالغة جدًّا في الشر والباطل، وفيما يسخط الله، وفيما نهى الله عنه، ما يترتب على ذلك، **إلى درجة أنّ مصير الإنسان أحيانًا قد يكون رهينًا بكلمة معينة:**

- **قد تتكلم بكلمة مهمة، تكسب بها رضوان الله**، وتكون سببًا لتوفيقك، أن يوفقك الله في كل أعمالك، وفي كل شؤون حياتك، حتى تلقى الله فائزًا.
- **وقد تتكلم بالكلمة من سخط الله**، تسبب لنفسك بها سخط الله الكبير، والعقوبة

الشديدة، وتخسر بها مستقبلك، وتُسلَب بها التوفيق، وتكون تبعاتها عليك كبيرةً جدًّا، ولهذا فالمسألة خطيرة، خطيرة للغاية.

عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ: **((إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله))**، كلمة جيدة، كلمة مهمة، تُرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في مقام مهم، **((ما كان يظن أنها تبلغ ما بلغت، فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه))**، تكون سببًا للتوفيق، للتوفيق لك، يرضى الله عنك، **((وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما كان يظن أنها تبلغ ما بلغت))**، لم يكن يتوقع أنها كلمة خطيرة، أو حتى لو كانت كلمة سيئة، لم يكن يتوقع أنها إلى ذلك المستوى من الخطورة، في سوئها، وآثارها، ونتائجها، وتبعاتها، **((فيكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه))**، يُسلَب التوفيق نهائيًا، تحبط أعماله، تؤثر على علاقته بالله بشكلٍ تام، فالمسألة خطيرة جدًّا.

وأتى التصنيف في القرآن الكريم، لكلام الإنسان (في الخير، والشر)، يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وضرب مثلًا مهمًا:** ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝٢٤ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[إبراهيم:٢٤-٢٥]، **الكلمة الطيبة مهمة، كلمة** حق، **كلمة** هداية، **كلمة** خير، **كلمة** أمر بمعروف، **كلمة** نهي عن منكر، **كلمة** إصلاح بين المؤمنين، **كلمة** لها أثرها الإيجابي في واقع الناس وحياتهم، والخير لهم، **كلمة** لها أثر إيجابي في جوانب مهمة، كم هي المجالات الواسعة للكلمة الطيبة، المثمرة للثمرة الطيبة، المنتجة للنتائج الإيجابية والطيبة، فلها أثرها المهم، **وهذا مثلها الكبير والعجيب:** ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝٢٤ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾.

أما عن الكلمة الخبيثة، فيقول عنها: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ٢٦ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[إبراهيم: ٢٦-٢٧].

القيم المهمة لضبط الاستخدام لهذه النعمة

- **ولأهمية الكلمة، وأهمية التعبير والبيان، ارتبط به قيم مهمة؛ لضبط الاستخدام لهذه النعمة بشكلٍ صحيح:**

- **في مقدمتها الصدق:** الصدق مسألة مهمة، ومن القيم العظيمة، وجزءٌ أساسيٌ منه يتعلق بالصدق في الحديث، أن تتحرى الصدق في حديثك، يقول الله: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ﴾[آل عمران: ١٧]، فهو يصف عباده المؤمنين بالصدق؛ **لأنهم** يتحرَّون الصدق، في كلامهم، في حديثهم، الصدق **يتعلق** بالمعتقد، **ويتعلق** بالعمل، **ويتعلق** بالموقف، **ويتعلق** بالحديث، **فمن القيم المهمة المتعلقة بالكلام: التحري للصدق في الحديث.**

- **ومن القيم المهمة العدل:** يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾[الأنعام: ١٥٢]، اعدل في كلامك، لا تتجاوز العدل في كلامك.

- **وأيضًا من القيم المهمة الإحسان:** الإحسان في الكلام مهم، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[البقرة: ٨٣]، تلحظ وتتحرى الكلمة الحسنة، وليس الكلمة السيئة، **فيما** تقوله للناس، **فيما** تتخاطب به مع الناس، **في** تعاملك مع الناس.

- **والتواضع أيضًا:** ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾[لقمان: ١٩].

- **والحكمة:** الحكمة في الحديث مسألة مهمة جدًّا، يقول الله: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾[البقرة: ٢٦٩]، **الحكمة هي: في** الرؤية، **في** الموقف، **في** العمل، **في** التعامل، **في** السلوك، **في** التصرف، **في** القرار، وهي أيضًا **في** الحديث، أن يكون كلامًا حكيمًا.

- **والسداد:** أن تحرص على أن يكون قولك سديدًا، هذه مسألة مهمة، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[الأحزاب:٧٠-٧١]، **والقول السديد: هو القول الصائب، الذي لا تعدل فيه عن الصواب،** هو صوابٌ **في** مضمونه، **في** طريقة تقديمه، **في** ظروف تقديمه، وهو مهمٌ جدًّا، القول السديد هو مهمٌ جدًّا؛ **لأنه** يترتب عليه النتائج المهمة، وله علاقة بالتعامل بمسؤولية، **مع** الأمور، **مع** الواقع، فهذه مسألة مهمة جدًّا؛ **ولهذا** ارتبط به صلاح العمل، وإلَّا فالقول غير السديد، **قد** يؤثر على الأعمال، **قد** يخرِّب الكثير، **قد** يخرِّب العلاقات، **قد** يؤثر على الواقع العملي تأثيرات سلبية.

الحكمة نفسها ذات أهمية كبيرة؛ لأنك تقدم الحق، لكن بطريقة حكيمة، وصائبة، ومناسبة.

فهذه القيم المهمة جدًّا، التي ترتبط بالكلام، وبالبيان بشكلٍ عام؛ **لضبط** الأداء في هذه النعمة المهمة، وطريقة الاستخدام لها.

ولأهمية هذه النعمة، وما يرتبط بها من مسؤوليات، واتساع دائرة الاستخدام لها، كم ورد في القرآن الكريم من الأمر والنهي المتعلق بها، أشياء كثيرة أمرنا الله أن نقول بها، وأشياء كثيرة نهانا الله عن أن نقولها، كذلك في الأمور المرتبطة بالتعبير، المرتبطة بالبيان، بالكلام، موارد الاستخدام الصحيح لها كثيرة، وهامة، ولها نتائج كبيرة، وموارد

الاستخدام السيئ لها، خطيرة وكثيرة، ولها نتائج سيئة، نُفرِد- إن شاء الله- لكلٍّ منهما محاضرة مختصرة، وغير مطوَّلة إن شاء الله.

وَنَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُرْضِيهِ عَنَّا، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبْرَارَ، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنْصُرَنَا بِنَصْرِهِ، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

لا يفوتني قبل نهاية هذه المحاضرة، أن أتوجَّه بالشكر لشعبنا اليمني العزيز، على حضوره الكبير، المعبِّر عن إيمانه، ووعيه، وثبات موقفه، في هذا اليوم المبارك (في يوم القدس العالمي).

كما لا يفوتني أن أتوجَّه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالحمد والشكر، على النعمة الكبيرة في خروج هذه الدفعة من الأسرى، وإن شاء الله تستمر عملية التبادل للأسرى؛ حتى تكتمل- في نهاية المطاف- بشكلٍ كاملٍ إن شاء الله.

أوجِّه التهاني للإخوة الأسرى المحرَّرين، وأوجِّه التهاني لأُسرهم، وأؤكد لبقية الأُسر والأهالي، أن العمل مستمر لإكمال عملية التبادل إن شاء الله؛ حتى يتم اكتمال خروج كل الأسرى بإذن الله.

نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَامَ، وَالقِيَامَ، وَصَالِحَ الأَعْمَالِ.

وَالسَّـلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَـةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـهُ؛؛؛

نعمة البيان (٢)
وأهمية استخدامها في ذكر الله تعالى

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ المُبين، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، وَبارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وارضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِين، وَعَنْ سَائِرِ عِبادِكَ الصَّالِحِينَ وَالمُجَاهِدِين.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيم، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمْ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ وَالأَخَوَات:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

نواصل الحديث عن النعمة الإلهية الكبيرة، التي أنعم الله بها علينا نحن البشر: نعمة البيان والنطق باللسان، وما يتبع ذلك من الكتابة، هذه النعمة العظيمة، التي لها تأثيرٌ واسعٌ في حياة الإنسان، وفي كل شؤون حياته، في كل المجالات، ولها أهميتها الكبيرة، وأثرها الكبير في واقع الحياة.

تحدثنا عن سعة هذه النعمة، وعن المسؤولية فيها، بقدر ما لها من أهمية، وتأثير، ودور كبير في حياة الإنسان، ما يرتبط بها من المسؤولية، ومن القيم.

ونتحدث في هذه المحاضرة عن: بعضٍ من مجالات الاستخدام الصحيح لهذه النعمة، الاستخدام الذي يفيد الإنسان وينفعه، والذي له أثره الإيجابي في نفسه وفي حياته.

هذه النعمة العظيمة، من أهم مجالات الاستخدام لها، والاستفادة منها: هو في العلاقة مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في التحدث مع الله، أن تستخدم هذه النعمة (نعمة النطق، نعمة البيان) في علاقتك مع الله جَلَّ شَأْنُهُ، لتحدثه بها، وتتخاطب معه بها، من موقع عبوديتك لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فتذكره، تتوجه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالذكر، بأنواع الذكر، ذات الأهمية الكبيرة، **والذكر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو من الأنواع المهمة للاستخدام المفيد لهذه النعمة، ومن العناوين الأساسية في العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومن أهم ما يحتاج إليه الإنسان، من الاحتياجات الأساسية الكبيرة للإنسان.**

من أعظم مظاهر رحمة الله بعباده!

من نعمة الله، ومن فضله، ومن أعظم مظاهر رحمته بعباده، أن أذن لهم في أن يتحدثوا إليه، في أن يتخاطبوا معه، في أن يتكلموا معه وإليه، ولكن من موقعهم كعبيد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يتوجهون إليه بالذكر له، بأنواع الذكر، **والذكر هو أنواعٌ كثيرة، منها:**

- **الذكر لله** بالصلاة.
- **الذكر لله** بتلاوة القرآن الكريم.
- **الذكر لله** بالتسبيح.
- **الذكر لله** بالاستغفار.
- **الذكر لله** بالأدعية، بمختلف أنواع الأدعية. ٢٢
- **الذكر لله** بالتمجيد.

أنواع الذكر كثيرةٌ، لكنك في كلها تتوجه إلى الله، تتحدث إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الذي يسمعك في كل الأحوال، في أي الظروف أنت، في أي واقعٍ أنت، في أي مكانٍ أنت، يسمعك،

ويعلم بذكرك له، وهو ﷻ القائل في كتابه الكريم: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[البقرة: ١٥٢]، عندما تذكره هو سبحانه وتعالى يسمعك، ويعلم بك، وهو ﷻ يجازيك على ذكرك له بخير الجزاء، **يذكرك:** برحمته، برعايته الواسعة، بفضله العظيم، ولهذا يقول **الإمام زين العابدين** عليه السلام عن قول الله سبحانه وتعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾: **((وأنت الذي دللتهم بقولك من غيبك وترغيبك، الذي فيه حظهم، ما لو سترته عنهم، لم تدركه أبصارهم، ولم تَعِهِ أسماعهم، ولم تلحقه أوهامهم، فقلت:** ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾**))**.

من نعمة الله، من رحمته، من عظيم فضله، أن يفتح لك- أنت أيها الإنسان العاجز الضعيف- المجال لتذكره، للتواصل به، للتحدث إليه، في كل أحوالك، في مختلف ظروفك، هذا لا يتاح في واقع البشر فيما بينهم، تجاه الكثير منهم، البعض- مثلًا- **قد يكون في موقع مسؤولية في منصب معين:** ملك، أو أمير، أو زعيم، أو مسؤول معين، ويسعى الكثير إلى كيف يصل إليه صوتهم، فلا يصل، لا يمكن أن يصل؛ **أمَّا** الله سبحانه وتعالى ففتح لك المجال، وهو رب السماوات والأرض، رب العالمين، ملك السماوات والأرض، الخالق، الرازق، المالك، الحي، القيوم، القوي، العزيز، ﴿مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾[المؤمنون: ٨٨]، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، **وَهُوَ** أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وأكرم الأكرمين، ذو الفضل الواسع العظيم، ربك، إلهك، خالقك، رازقك، الذي بيده حياتك، وموتك، وإليه مصيرك، فتح لك المجال لأن تتوجه إليه وتذكره، وهو يسمع ذكرك.

أهمية ذكر الله وأثره في حياة الإنسان

الذكر من أهم العبادات، وله أهميته الكبيرة في حياة الإنسان؛ لأن الله غنيٌّ عنا، غنيٌّ عن كل أعمالنا، عن الذكر وغيره من الأعمال والعبادات، الذكر هو من العبادات التي فائدتها، وثمرتها، ونتائجها الإيجابية والمهمة، لنا نحن، ومع الذكر باللسان، ينبغي أن يكون هناك توجهٌ من قلب الإنسان، وفي نفسه، نحو الله سبحانه وتعالى، وتركيزٌ على معاني

الأذكار، التي تذكر الله بها، فلا تكن غافلًا عنها؛ **لأن من أهم ما يفيدك به الذكر لله، ترسيخ تلك المعاني، عندما تُكَبِّر الله**، ترسخ معاني التكبير لله في نفسك، عندما **تسبح الله**، ترسخ معنى التنزيه والتقديس لله في نفسك، وهكذا بقية الأذكار، وفي نفس الوقت أن تكون منسجمًا مع ما تذكر الله به، من الأذكار العظيمة، المشروعة، المهمة، المفيدة، **في** عقيدتك، **وفي** ثقافتك، **فمثلًا:** في الذكر لله **بالتسبيح لله**، لا تحمل معتقدات تسيء إلى الله، لا يكن في ثقافتك، أو في معتقدك، أو في تصوراتك، ما يسيء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فتكون متباينًا مع التسبيح، بل اجعل منه قاعدة في معتقدك، وفي ثقافتك، وهكذا.

في القرآن الكريم أتى الحث على الإكثار من الذكر لله تعالى؛ لأهميته الكبيرة، وأثره العظيم، في نفس الإنسان، وفي حياة الإنسان، وكذلك الثناء على الذين يذكرون الله كثيرًا، **سواءً من الرجال، أو النساء:**

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾[الأحزاب: ٤١-٤٤]، **يقول:** ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾، الإكثار من ذكر الله، في أوقات متعددة، في مختلف الحالات، ومختلف الأوقات، لا يعيش الإنسان أوقاتًا طويلةً غافلًا عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا هو يذكر الله بلسانه ولا بقلبه، ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، **في مختلف الأوقات:** في الصباح الباكر، وفي (الأصيل) في آخر النهار.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **يقول هنا:** ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، وهذا أيضًا مما يخرجك من الظلمات إلى النور: الإكثار من ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يقول أيضًا: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾[الأعراف: ٢٠٥]، **فالذكر لله في النفس، بحالة الرهبة والخيفة، والتضرع أيضًا إلى الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، **يعني:** حتى في الذكر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ليس من الضرورة أن ترفع صوتك في ذلك، في بعض الأذكار.

ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، فيما ذكره عن نبيه موسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ، عندما طلب من الله أن يكلِّف معه أيضًا أخاه هارون نبيًا، ومعاونًا له، ووزيرًا له، وَعَضُدًا له، في مهمته الكبرى بالرسالة الإلهية، يقول أيضًا في سياق طلبه ذلك: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾[طه: ٣٣-٣٥]؛ **لأهمية** الإكثار من ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والإكثار من التسبيح أيضًا.

يقول الله جَلَّ شَأْنُهُ **في الثناء على عباده الذين يُكثِرون من ذكره:** ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[آل عمران: ١٩١]، ذكرٌ لله في مختلف حالاتهم: ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾، بمختلف الحالات.

يقول أيضًا في الثناء عليهم، الذين يُكثرون من ذكره، بعد أن ذكر مجموعةً من المواصفات الإيمانية المهمة، في الآية المباركة (في سورة الأحزاب): ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾[الأحزاب: ٣٥]، إلى أن ختمها بقوله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٣٥]، **فمن المواصفات الإيمانية المهمة لعباد الله المؤمنين (من الذكور والإناث): هي الإكثار من ذكر الله** جَلَّ شَأْنُهُ، ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾.

من الأدعية لمختلف الأحوال والظروف والأعمال

❖ **الذكر يأتي أيضًا في مختلف الأحوال:**

بحسب الزمان:

- **تستقبل** نهارك- منذ الفجر- بالذكر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بالصلاة، والذكر، والدعاء.

- **تستقبل** شروق نهارك بالذكر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

- **تستقبل** منتصف نهارك بالذكر، والعبادة، والصلاة.

- **تستقبل** ليلك بالذكر، والإقبال إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والصلاة، والتلاوة.

وهكذا، في مختلف الأوقات، هذا بالنسبة للأوقات، فلا تُمضي وقتًا طويلًا في حالةٍ من الغفلة، والنسيان لله، والذهول عن ذكره.

وأيضًا في مختلف الأحوال، بالنسبة للإنسان، على مستوى ظروف حياته، وأعماله، وأحواله المختلفة، فمشروعٌ لنا أن نبدأ ما نبدأ به من أعمالنا واهتماماتنا:

- **سواءً وأنت تتجه** لتناول وجبة الطعام، أو أنت تتجه لعمل أي عملٍ مهم، أن تبتدئه- ولو حتى في حديث، أو كلام، أو عمل، أو أي شيء تشتغل عليه- أن تبدأه بالبسملة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

- **إذا انتهيت** من طعامك، أن تحمد الله، **وأن** تجهر بذلك: ((الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))، إذا رغبت أن **تقول**: ((حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه))، أو أن تذكر بعضًا من الأذكار المشروعة.

- **عندما تنتهي** من أي عملٍ مهم- بتوفيق الله، بتيسير الله- **تقول:** ((الْحَمْدُ لِلَّهِ))، تحمد الله على ذلك، في نهاية كل عمل.

- **في أحوالك المختلفة، الأحوال الأخرى: عند** النوم، عند اليقظة، **عند** السرور والنعمة، **عند** الاستحسان للشيء، **في حالة** الحزن والمصيبة، **عند** الضيق والغم، **عند** الألم، **عند** مواجهة الأعداء، **في ميدان** الجهاد في سبيل الله.

❖ **هناك في القرآن الكريم، وهناك أيضًا فيما ورد عن رسول الله ﷺ، أدعية وأذكار كثيرة، لمختلف الأحوال:**

نقدم نماذج فقط منها، ويمكن للإنسان أن يستفيد مما هو صحيح، **إمَّا** مما هو موجودٌ في القرآن الكريم، إذ لا شك في صحته، **أو** مما صح عن رسول الله ﷺ، البعض من الأذكار في مختلف الأحوال، التي يحفظها الإنسان، ويتعود عليها، **مع التعود عليها ترسخ:**

▪ **يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في القرآن الكريم:** ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

افتتح به سُوَرَه المباركة وفاتحة كتابه، وعلمنا رسول الله ﷺ أن نبتدئ كل أمورنا بذلك، نذكر الله **ونُبَسْمِل.**

▪ **في حالة الاستحسان:**

إذا استحسنت شيئًا، وفي حالة النعمة، وفي حالة الارتياح لما أنت فيه من نعمة معينة: **((مَا شَاءَ اللَّه))**، في (سورة الكهف): ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[الكهف: ٣٩]، هكذا عند كل شيءٍ يستحسنه الإنسان: **((مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ))**.

▪ **في حالة الغم:**

يذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ما حصل لعبده ونبيه يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، عندما ابتلعه الحوت، ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧]، **يقول الله:** ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنبياء: ٨٨]، **سئل رسول الله ﷺ: (أهي فقط لنبي الله يونس؟)**، فبيَّن أنها لغيره من المؤمنين، وتلا آخر هذه الآية: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

الإنسان المؤمن في كل حالة غم، يرجع إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مستشعرًا لتقصيره، ومنزِّهًا ومقدِّسًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، عمَّا وقع فيه، هو يعتبر أن المشكلة عنده، **أن** التقصير عنده، **أن** الخلل عنده، **أن** الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو مصدر الخير والرحمة، ذو الفضل العظيم؛ **فيلتجئ إلى** الله لإنقاذه، مع الاعتراف على نفسه بالتقصير، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، من الاذكار المهمة.

- **في حالة الحزن، والمصيبة:**

يصبر الإنسان، ويوطِّن نفسه على الصبر، ويلتجئ إلى الله، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[البقرة: ١٥٥-١٥٦]، هذا من الأذكار المهمة في حالة المصيبة، في حالة الحزن، الإنسان يكرر من هذا الذكر المهم، مع الصبر، مع الالتجاء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[البقرة: ١٥٦-١٥٧].

- **عند الضيق وعند الخطر:**

يستجير بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو القائل: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾[المؤمنون: ٨٨]، **يعلمنا:** أن نستجير بالله، وأن نعوذ به، وأن نلتجئ إليه، من الأذكار المهمة: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[آل عمران: ١٧٣]، ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[التوبة: ١٢٣].

٢٢
- **في حالة الوعد:**

فيما تَعِدُ به، قل أيضًا: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، ما تَعِد به للمستقبل، ما تتحدث عن عزمك على فعله، اقرن ذلك بقولك: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، لا تقدِّم هكذا كلامك، كلام القاطع، وأنت لا تعرف ما الذي تواجهه في مستقبلك، وفيه أيضًا التجاء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

▪ تجاه الإرجاف والتهويل في مقام الجهاد:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[آل عمران: ١٧٣]، ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ **من أهم الأذكار التي تعبِّر عن:** الالتجاء إلى الله، والثقة به، والتوكل عليه، والاعتماد عليه، والثقة بنصره، **ولذلك قال عنهم:** ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾[آل عمران: ١٧٤]، فهو من الأذكار المهمة، في مواجهة الخطر، في مواجهة الأعداء، في مواجهة التهويل والإرجاف، الإكثار من هذا الذكر: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.

أهمية الإكثار من ذكر الله، عند مواجهة الأعداء، في ميدان الجهاد في سبيل الله، يقول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الأنفال: ٤٥]، **يعني:** أكثروا من ذكر الله، بقلوبكم، وفي أنفسكم، وبألسنتكم، أكثروا من ذكره، **هذا له أثر كبير:**

- **على مستوى** الاطمئنان النفسي، والثبات.
- **وعلى مستوى** أن تحظوا بالرعاية من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

▪ من الأذكار المهمة: ((لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)):

عند الحزن، **عند** الضيق، **عند** الأمور المهمة، **عند** الشدائد، **عند** الصعوبات، **هو من أهم الأذكار**، التي ورد فيها ترغيبٌ كبير عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، ((لا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم))، وهو عند الهم والأمور المهمة.

▪ في حالة النزول في أي مكان:

أنت مسافر، **أو** جلست في مكان معين، **أو** في الجبهة مثلًا، في أي مكان تنزل فيه، **تقول:** ((أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق))، ثلاث مرات، ليصرف الله عنك

شر كل الحشرات، والدواب، والهوام، والأشياء الضارة، استعاذة بالله، والتجاء إلى الله، وهذا ورد فيه نص معروف عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله.

- **في الاستعاذة بالله تعالى من الشياطين، وحضورهم، ووساوسهم، ونزغاتهم:**

يقول الله جلّ جلاله: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨]، وهذا من أهم الأذكار للاستجارة بالله، والتعوذ به، من وساوس الشياطين ونزغاتهم، ومن حضورهم، وتأثيرهم على نفسية الإنسان.

- **الالتجاء إلى الله** سبحانه وتعالى**، عند الضر، وعند المرض، مع الأخذ بالأسباب:**

كما في قصة أيوب عليه السلام: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۝٨٣ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤]، **(ذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ)؛ ليعرفوا** أن الله سبحانه وتعالى رحيم، رحيمٌ بعباده، إذا رجعوا إليه، إذا التجؤوا إليه، يأتي- في الأخير- الفرج من سبحانه وتعالى.

- **قبل النوم:**

هناك أذكار كثيرة مروية، قبل أن تنام، في حالة استعدادك للنوم، من ضمنها الذكر المروي المأثور: ((ألجأت ظهري إليك))، أنت تخاطب الله وتناجيه، ((ألجأت ظهري إليك، وأسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، رهبةً منك، ورغبةً إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلَّا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت)).

وهناك أيضًا أذكار كثيرة مأثورة، هذه كنماذج.

وهكذا في مختلف أحوال الإنسان، يتعود على أن يذكر الله في مختلف أحواله، وألَّا يغفل عن الله سبحانه وتعالى، ويمكن للإنسان- كما قلنا في البداية- أن يستفيد من بعض الأذكار

المأثورة، لمختلف الأحوال، والمختصرة أيضًا، لمختلف الأحوال، في مختلف المناسبات أيضًا؛ **إنما** المقام ليس مقام أن نوردها بكلها، هذه فقط نماذج للإشارة إلى الموضوع.

من الأذكار لله المهمة والأساسية

- **من أهم الأذكار: الذكر بالصلاة:**

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **يقول:** ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[طه: ١٤]، **من أهم ما في الصلاة: هو الذكر لله،** وهي غنية بالأذكار، الصلاة: **فيها** التكبير، **فيها** التهليل، **فيها** التحميد، **فيها** التسبيح، **فيها** تلاوة القرآن، **فيها** أذكار كثيرة، غنية بالأذكار، والصلاة مهمة جدًّا في مجال الذكر لله، ومهم أن يُقبل الإنسان بقلبه، ونفسه، وشعوره، ويركِّز على الأذكار.

والصلاة الفرائض، التي لابدَّ منها، من أهم ما في الدين، من أركان الإسلام، وكذلك من المهم ومن المفيد جدًّا رواتبها، **وكذلك صلاة النافلة، من أهم ما في صلاة النافلة: صلاة الليل،** التي هي **ثمان ركعات مثنى مثنى، يعني:** تصلي ركعتين وتسلم، ثم تصلي ركعتين وتسلم، ثم تصلي ركعتين وتسلم، ثم تصلي ركعتين وتسلم، عدا صلاة الوتر، **صلاة الليل من أهم العبادات والأذكار،** ذات الأثر المهم إيمانيًا، ونفسيًا، وفي القربة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي الأجر العظيم، وفي الرعاية الإلهية.

- **كذلك من أهم الأذكار: تلاوة القرآن:**

﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾[المزمل: ٢٠]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[فاطر: ٢٩-٣٠].

- **التسبيح من أهم الأذكار:**

ولهذا في كلام نبي الله موسى: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً﴾[طه: ٣٣-٣٤]، ذكر التسبيح أولًا بمفرده، ثم الذكر لبقية الأذكار إلى جانبه؛ **لأهمية التسبيح، ولأهميته: هو الذكر الأساس، الذكر الرئيسي في أذكار الملائكة:** ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[الأنبياء: ٢٠]، **التسبيح من الأذكار المهمة، وجاء في تسبيح آخر الصلاة الذي هو: ((سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر))**، جاء الترغيب الكبير، والحديث عن فضله، وعن أثره، وعمَّا يدفع الله بسببه من البلاء عن الإنسان.

- **من أهم الأذكار الاستغفار:**

يقول الله: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾[آل عمران: ١٧]، فالاستغفار من أهم الأذكار، والإنسان بحاجة إلى أن يكثر من الاستغفار، وهناك حث كبير جدًّا عن رسول الله ﷺ على الإكثار من الاستغفار، في مختلف الأوقات، والحالات، والمناسبات، أمر مهم جدًّا، مع التوجه إلى الله بالندم، تجاه التقصير، والمعاصي، والزلل، والتوجه الجادّ لطاعة الله، والاستقامة على نهجه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

- **من الأذكار المهمة أيضًا: التمجيد لله، والثناء على الله:**

في القرآن الكثير من ذلك، وفي المأثور الكثير من ذلك.

أجر الذكر لله وأثره الإيماني والوجداني والتربوي

☐ **الذكر بأنواعه هو عبادةٌ، وقربةٌ إلى الله تعالى، وعليه أجرٌ عظيم:**

هو عبادة من أهم العبادات، وعبادة ميسَّرة، الذكر بنفسه، **عندما تقول مثلًا: ((سبحان الله))**، هذا ذكر، عبادة، قُربة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، مع قبول العمل، يأتي لك عليه الأجر، الحسنة بعشرة أضعافها في الحال العادي، في الحال العادي؛ **أمَّا في المناسبات** والأوقات التي يضاعف فيها الأجر، يصبح الأجر مضاعفًا كثيرًا جدًّا، كلما أكثرت من

ذكر الله، كلما حصلت على أجرٍ أكبر، وقربةٍ إلى الله أكثر، فهو عبادة، وقربة، وعليه الأجر، أنت تكسب الأجر، مع أنه عبادة ميسرة، يمكنك أن تذكر الله في كل أحوالك.

❑ **له أثره الإيماني، والوجداني، والتربوي، في نفس الإنسان:**

الإكثار من ذكر الله له أثر نفسي، في نفسك، في شعورك، في وجدانك، أنت تشعر بالقرب من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بالأُنس بالله جَلَّ شَأنُهُ، وفي نفس الوقت **له أهمية كبيرة على مستوى تزكية النفس**، كلما أكثرت من التذكر لله، في نفسك، وبلسانك، وفي قلبك؛ **كلما** زكت نفسك، كلما طَهُرَت مشاعرك، كلما كان له أثر إيجابي على المستوى النفسي، وفي نفس الوقت **ترسيخ معاني الأذكار**، وهذه مسألة مهمة جدًّا في الجانب الإيماني، **تسبح الله أكثر؛ ترسِّخ في نفسك مسألة معنى التسبيح لله، معنى التكبير والتعظيم لله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهكذا بقية الأذكار، بحسب ما تفيده، وما تعنيه، إذا كان الإنسان مركزًا، ويعي ما يقول، وينتبه لما يقول.

❑ **أهميته الكبيرة جدًّا، والتي يحتاج إليها الإنسان، في تخفيف التوتر، وفي تخفيف الانفعال، وفي تخفيف القلق، من داخل نفس الإنسان:**

من أكثر ما يؤثر على الناس في حياتهم هو التوتر، والقلق، والضيق النفسي، البعض يصل بهم الحال- من شدة تأثير ذلك- إلى المرض النفسي، أو إلى أن يتأثروا في تصرفاتِهم، تصرفاتُهم، معاملاتُهم، كلامهم، مطبوع بطابع التوتر، حتى طريقتهم في الحديث مع الناس، حتى معاملاتهم مع الناس، يظهر عليهم التوتر في أغلب أحوالهم. **الإنسان بحاجة إلى الإكثار من ذكر الله؛ لأن هذا يُكسِبه:**

- **الطمأنينة.**
- **الأمل في الله.**
- **الثقة.**
- **يخفف** عنه من حالة الضيق، والتوتر، والقلق، وهذه مسألة مهمة جدًّا.

وأيضًا في حالات الانفعال، الحالات التي يكون الإنسان فيها منفعلًا، وغاضبًا، ومنزعجًا، بحاجة إلى أن يذكر الله، أن يلتجئ إلى الله سبحانه وتعالى، أن يكثر من ذكر الله؛ **ليهدأ.**

ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨]، الإنسان المؤمن يحس بالاطمئنان، عندما يكثر من ذكر الله سبحانه وتعالى، ويلتجئ إلى الله جَلَّ شَأنُه.

❑ الذكر لله سبب من أسباب رعايته، فيما يصرفه عن الإنسان:

أذكار تلتجئ بها إلى الله، تلتجئ في نفسك ووجدانك وتذكر الله بها، وتلتجئ إليه بها؛ **فيصرف** عنك الكثير من الشرور، الكثير من المصائب، الكثير من البلايا، الكثير من الحوادث، ويحوطك برعايته الواسعة، ولهذا عندما قال جَلَّ شَأنُه: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، **ماذا يذكرنا الله به؟** برعايته، بهدايته، بتوفيقه، بمعونته، بما يَمُنّ علينا به، بما يصرفه عنا، ذكر رعاية من الله سبحانه وتعالى، لما يقبله من أعمالنا، ويجازينا عليه من الخير، إلى غير ذلك، فالذكر عبادة مهمة جدًّا.

والذكر على أن يترافق معه استقامة، والتجاء عملي إلى الله سبحانه وتعالى، بمعنى: ليس بديلًا عن الأعمال، وليس بديلًا عن الأخذ بالأسباب، مع توجهك العملي، يحضر (في حياتك، في اهتماماتك، في واقعك) الإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى.

❑ وهذا يقيك أيضًا من مخاطر الغفلة والنسيان، ويمثل حماية نفسية من الوساوس:

من أخطر الأشياء على الإنسان كثرة الوساوس، والهواجس، والمخاوف، التي تغزوه، من خلال الشيطان والشياطين (شياطين الإنس والجن)، الإكثار من ذكر الله يحميك من ذلك. ٢٢

وأتى في القرآن الكريم الذم للمنافقين؛ لكثرة غفلتهم عن الله، في أنفسهم، وفي فهمهم لأمور الحياة، وفي واقع عملهم، وفي الذكر باللسان أيضًا، يقول الله عنهم: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾[المجادلة: ١٩]، يقول عنهم: ﴿وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[النساء: ١٤٢].

فالإكثار من الذكر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في مختلف الأحوال والظروف له أهمية كبيرة، وفي نفس الوقت عبادة ميسرة، ومفيدة، ونافعة، وله أثره الإيجابي، ونتائجه المهمة جدًّا، وهو من أهم وأحسن ما تستخدم به هذه النعمة، التي وهبك الله إياها: (اللسان، النطق)، تتوجه إلى الله، تستخدمها مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وما أحسن الدعاء الذي ذكره أمير المؤمنين عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، دعاء للذاكرين، دعاء في الذكر لله، في التوجه إلى الله، في أحوال الذاكرين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، في أحوال أوليائه، في ذِكرهم لله، والتجائهم إلى الله، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((اَللَّهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ اَلْآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ، وَأَحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ، تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ، وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ، وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ، فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ، إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ اَلْغُرْبَةُ، آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ، وَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ اَلْمَصَائِبُ، لَجَأُوا إِلَى اَلاِسْتِجَارَةِ بِكَ، عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ اَلْأُمُورِ بِيَدِكَ، وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ. اَللَّهُمَّ إِنْ فَهِهْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي، أَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي، فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَاشِدِي، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ، وَلاَ بِبِدْعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ. اَللَّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ، وَلاَ تَحْمِلْنِي عَلَى عَدْلِكَ)).

٢٢

الذكر لله أُنس، واطمئنان، وثقة، وزكاء للنفس، وطُهر للمشاعر، وترسيخ للمعاني الإيمانية، وبدلًا من أن يضيع الإنسان أوقاتًا كثيرة، فليكن مما يتعود عليه: الإكثار من ذكر الله، وليتعود على الذكر لله في مختلف الأحوال، في مختلف الأعمال، في مختلف المناسبات، في مختلف الظروف، حتى يكون لسانك لَهِجًا بذكر الله، ونلحظ ما وصانا

به رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله، **حينما قال فيما روي عنه: ((لا يزالُ لسانُك رَطبًا مِن ذِكرِ اللّٰه)).**

أَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُرْضِيهِ عَنَّا، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبْرَارَ، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنْصُرَنَا بِنَصْرِه، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاء.

وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَامَ، وَالقِيَامَ، وَصَالِحَ الأَعْمَالِ.

من المهم أيضًا في هذه الليالي المباركة الإكثار من ذكر الله، وليحاول الإنسان أن يستثمر وقته، بدلًا من (الهذرفة) الكلام فيما لا طائل منه، ولا فائدة منه، بل قد يتحمل منه الوزر.

وَالسَّـــلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَـــةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـــهُ؛؛؛

نعمة البيان (٣)
وعلاقته الكبيرة بجانب الإيمان

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِينَ، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ وَالأَخَوَاتُ:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ؛؛؛

تحدثنا عن:

- **نعمة الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **على الإنسان، بنعمة البيان والنطق، والتحدث والتعبير باللسان**، وما يتبع ذلك أيضًا من الكتابة.
- **وأهمية هذه النعمة في حياة الإنسان**، ودورها الواسع في مختلف شؤون حياته، وكيف أنها تقوم عليها معاملات الناس، وتجري عليها شؤون حياتهم، في مختلف أمورهم.
- **ثم الرقابة الإلهية** على الإنسان في استخدام هذه النعمة.

- **وأيضًا كيف أن الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أتاح للإنسان استخدام هذه النعمة في مجالاتٍ مهمةٍ جدًّا، لها أهميتها الكبيرة على المستوى الإيماني، وفي التعامل مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أتاح لك، وأذن لك- كإنسان- أن تستخدم هذه النعمة في التعامل معه هو، في العلاقة معه جَلَّ شَأْنُهُ، أن تتوجه إليه، من خلال الحديث معه من موقع العبودية، أنت كعبد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تذكره، تدعوه، تناجيه، تتضرع إليه، تسأله ما تريد، ما تحتاج إليه، وهكذا، على نطاقٍ واسع، وهذه نعمةٌ كبيرةٌ جدًّا.

من مجالات الاستخدام الإيماني ذات الأهمية الكبيرة، والتي قد يكون لها صلة أساسية **بما ورد في الحديث النبوي: ((إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، ما كان يظن أنها تبلغ ما بلغت، فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه))، مما له علاقةٌ مهمةٌ بهذا الجانب: هو استخدام هذه النعمة في الجوانب الإيمانية.**

علاقة اللسان بالجانب الإيماني لدى الإنسان

الجانب الإيماني جزءٌ أساسيٌ منه يتعلق بكلامنا (بما نقوله)، فالإيمان في نفسه:

- **جزءٌ منه** يتعلق بعقيدة الإنسان، وإيمانه بقلبه.
- **وجزءٌ منه** يعود إلى الممارسة العملية، والتزامه العملي.
- **وجزءٌ أساسيٌ متصلٌ بإيمانه بقلبه، وإيمانه في التزامه العملي، هو يتعلق باللسان،** إقراره بلسانه، تعبيره بلسانه.

جزءٌ أساسيٌ من إيماننا، ومساحة كبيرة في الجانب الإيماني، تعود إلى مسؤوليات الإنسان، فيما يقول، فيما يُعَبَّر عنه، فيما يتحدث به، وسنتحدث عن بعضٍ من التفاصيل في ذلك.

عندما نتأمل في هذا الجانب، نجد الأهمية الكبيرة للكلام، ولما يقوله الإنسان، مع الربط بينه وبين جانب العقيدة، وما هو في مكنون نفسه، في ذات صدره، في عقيدته، في قلبه، وأيضًا فيما يتصل بالجانب العملي؛ **لأن هناك تلازمًا في الواقع الإيماني بين هذه الثلاثة المجالات:**

- **إيمانك بقلبك.**
- **إيمانك بلسانك.**
- **إيمانك في التزامك العملي.**

❖ **في بداية العناوين، هو النطق بالشهادتين:**

أنت بانتمائك للإسلام، تشهد بالشهادتين: (أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُوْلُه)، ويتكرر هذا الأمر، في صلاتنا، في أذكارنا، في أذاننا، في تلاوتنا للقرآن الكريم، في مقامات ومواقف، في أشياء كثيرة، وله أهميته الكبيرة جدًّا، **ويفترض أن يكون منطلِقًا من:**

- **قناعة** إيمانية راسخة في نفس الإنسان، من اعتقادٍ جازمٍ وصحيح.
- **وأيضًا** أن يرتبط به التوجه العملي، والالتزام العملي، والممارسة العملية.

نجد لهذا أهميةً كبيرةً؛ باعتباره ضروريًا وأساسيًا في التزامنا وانتمائنا الإيماني، **وأيضا** يُعَبِّر عن أهمية كبيرة لهذا الجانب، فميزان الشهادتين ميزانٌ عظيم، عندما تنطلق من إيمانٍ صادق، من اعتقادٍ إيمانيٍ في نفس الإنسان، وارتبط بذلك أيضًا التوجه العملي.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣]، فنحن نُعَبِّر عن انتمائنا للإسلام، ونؤكد على هذا الانتماء، ونتحرك على أساس هذا الانتماء: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾[البقرة: ١٣٦].

❖ **تحدث أيضًا عن قصة إيمان من آمنوا (النجاشي وأصحابه)، عندما قالوا:** ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾[المائدة: ٨٤-٨٥]، **فتعبيرنا عن انتمائنا للإسلام وللإيمان**، وشهادتنا لله بوحدانيته، وألوهيته، وربوبيته، وما يتبع ذلك، **في إيماننا بالله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **تعبيرنا عن الإيمان بالرسالة الإلهية، هو جانبٌ أساسيٌ مما نقوله، ومن أهم ما نقوله ونُعَبِّر عنه.**

❖ **تعبيرنا عن سمعنا وطاعتنا في انتمائنا الإيماني:** ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[البقرة: ٢٨٥].

❖ **الإيمان بما أنزل الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، كما في قصة الحواريين:** ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾[آل عمران: ٥٣]، هذه الشهادة الإيمانية لها أهميتها الكبيرة، وهي من أهم ما علينا من مسؤوليات فيما نقوله، وفيما نُعَبِّر عنه، وفي كلامنا الذي يُعَبِّر عن انتمائنا الإيماني.

❖ **ثم في إعلان الإيمان نفسه، كموقف يتحرر فيه الإنسان من العبودية للطاغوت، ويؤكد من خلاله اتجاهه في الحياة على أساسٍ من عبوديته لله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، في المفهوم العميق والأساس للإيمان:** هذا أيضًا جانبٌ مهمٌ للغاية، ولهذا نجد في القرآن الكريم في قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾[البقرة: ٢٥٦]، **ما يؤكد هذه المسألة: أن توجهنا** الإيماني في مسيرة حياتنا، **عندما** يكون على أساسٍ صحيح، **هو** تحررٌ من العبودية للطاغوت، هذا من لازمه، هذا من مضامينه، وهذا حتى يدخل في كل تفاصيله العملية الأساسية.

ولهذا، في التاريخ، وعلى مدى التاريخ، وفي مراحل كثيرة من التاريخ، كان التعبير عن الانتماء الإيماني هو- بحد ذاته- موقف من الطاغوت، وموقفًا من العبودية للطاغوت،

وموقفًا مما يسعى الطاغوت إلى فرضه على الناس؛ **لاستعبادهم**، وإذلالهم، والسيطرة عليهم، وإخراجهم عن حالة الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإخراجهم من النور إلى الظلمات.

حديث القرآن عن دور الكلمة وأثرها في المقامات المهمة!

☐ **فسجَّل لنا القرآن الكريم الكثير من المواقف، التي عَبَّر فيها المؤمنون (بما قالوه عن انتمائهم الإيماني، الذي نبذوا به خنوعهم للطاغوت، وخضوعهم للطاغوت:**

فكان مقامهم ذلك، وتعبيرهم- بنفسه- في مقام مثل ذلك المقام، كلامًا عظيمًا، كلامًا مهمًا، **كلامًا له شأنه الكبير:**

- **في رضا الله عنهم.**
- **في أن** يقدموا القدوة والنموذج الراقي عن المؤمنين.
- **في أن يُخلَّد** ذكرهم عبر الأجيال، **وأن** يكون نموذجًا ملهمًا، وهاديًا، للأجيال من بعدهم، **وأن** يُعَبِّر عن حقيقة الانتماء، وأثر الإيمان العظيم، في نفس الإنسان، وفي موقفه؛ **لأنه** موقف يُعبِّر بحق عن مصداقية الانتماء الإيماني.

موقف أصحاب الكهف

- **من ضمن ذلك موقف أصحاب الكهف:**

الذين قال الله عنهم في القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٣-١٤]، كان مقامهم، وما قالوه في ذلك المقام، وكلامهم، وتعبيرهم في ذلك المقام، عظيمًا ومهمًا جدًّا، **له أهميته:**

- **على مستوى** القيمة الإيمانية والأخلاقية.
- **أهميته في** رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عنهم.

- **وأهميته** أيضًا كموقف، أتى في سياق موقف، هو تعبيرٌ عن إيمانهم، لكنه- في نفس الوقت- موقفٌ من الطاغوت.

ترى كم للكلمة في مقامها المهم، في طبيعة ما تُعَبِّر عنه، من موضوعٍ مهم، وقضية مهمة جدًّا، كم لها من أهمية، الكلمة الواحدة، قد ترفع الإنسان منزلةً عاليةً جدًّا عند سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، يُحسَب له بها، ويُكتَب له بها رضوان الله، التوفيق من الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، يحظى بالمنزلة الرفيعة عند الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**؛ لأنه** قال تلك الكلمة في ذلك المقام المهم، فندرك أهمية الكلام، وأهمية الكلمة، وأهمية القول، في مقاماته المهمة.

وقصتهم قصة مهمة وواسعة، والحديث عنها يطول، وذكرها الله في القرآن الكريم، جعل في القرآن الكريم سورةً تُعَبِّر عن هذه القصة، وباسم هذه القصة، **وتتصدرها هذه القصة:** (**قصة أصحاب الكهف**).

موقف مؤمن آل فرعون

- **في قصة مؤمن آل فرعون:**

كذلك في مقام مهم، ومقام حساس، مؤمن آل فرعون، الذي كان يكتم إيمانه فيما سبق، لكنه في تلك اللحظة، في ذلك المقام، والذي عرف فيه، وسمع فيه، بتوجُّهِ فرعون وملأه ومن معهم، بهدف القتل لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾[غافر:٢٦]، في تلك اللحظة التي بلغ فيها الصراع بين الحق والباطل، بين فرعون وموسى في الذروة، إلى مستوى خطير جدًّا، وإلى مرحلة كبيرة جدًّا، ماذا كان موقفه؟ وماذا كان كلامه، الذي سطَّره الله في القرآن الكريم؟ ذكره في القرآن الكريم، وقدّمه في القرآن الكريم، كما قدَّم مواقف أنبيائه ورسله؛ **لأهمية** ذلك الكلام في ذلك المقام.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[غافر:٢٨]، ثم يستمر، وهو يورد كلام هذا الرجل المؤمن، في ذلك المقام الصعب، في تلك اللحظات الحساسة جدًّا، التي يخاف الكثير من الناس من أن يقول فيها كلمة حق، يخاف من أن يقول كلمةً فيها نُصح، فيها تعبير عن الموقف الإيماني، على مساحة- تقريبًا- أكثر من صفحتين في القرآن الكريم (في سورة غافر) يورد كلام مؤمن آل فرعون، وردوده على فرعون، وما تحدث به، في ختام كلامه يقول لهم: ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾[غافر:٤١]، وفي ختامه لكلامه معهم يقول لهم: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾[غافر:٤٤-٤٥].

فكان كلامه- في ذلك المقام- كلامه المُعَبِّر عن الإيمان، كلامه الذي دعاهم فيه إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، دعاهم فيه إلى الموقف الحق، أنذرهم ما حلّ بالأمم من قبلهم، نتيجةً لتكذيبها برسالة الله، وصدها عن سبيل الله، وحربها ضد أنبياء الله ورسله، وإنذاره لهم من مستقبلهم في الآخرة، من الحساب والجزاء على أعمالهم، على مواقفهم، ودعوته لهم إلى ما فيه نجاتهم وفلاحهم، وتحذيره لهم من عاقبة إصرارهم على محاربة الحق والرسالة الإلهية، وإصرارهم على ما هم عليه من الظلم، ودعوته لهم إلى النجاة، كان هذا المقام مقامًا عظيمًا، **الكلام في مثل هذا المقام له أهميته الكبيرة جدًّا:**

- **في** علو الدرجات عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- **في** اكتساب رضوان الله جَلَّ شَأنُهُ.
- **وأيضًا** أهميتُه في الواقع، أهميته الكبيرة جدًّا، على مستوى ما يترتب عليه من نتائج.

موقف مؤمن أهل القرية

- **يُقَدِّم القرآن الكريم- فيما قدَّمه من المواقف أيضًا- موقف مؤمن أهل القرية (في سورة يس):**

ويجعل له مساحة في تلك القصة، وينقل كلامه؛ لأهميته الكبيرة، في ذلك المقام المهم.

أهل القرية، الذين أرسل الله إليهم ثلاثةً من رسله، فكذبوهم، وعاندوهم، وهددوهم في الأخير، إذا استمروا في تبليغهم الرسالة، أن يقتلوهم، في تلك اللحظة الحساسة والصعبة، في ذلك الظرف الحرج والخطير، يأتي ذلك المؤمن، بموقفه المتميز، بكلامه العظيم، بكلامه المُعبِّر **عن** وعيه، **عن** إيمانه، **عن** إخلاصه لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **عن استجابته للحق**: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾[يس:٢٠-٢٥].

يُعَبِّر- فيما عَبَّر عنه، وفيما تحدث به إليهم، **وفيما** دعاهم إليه- **يُعَبِّر هذا عن إيمانه، يدل على** وعيه الكبير، **على** فهمه، **على** نصحه، **على** إرادته الخير والنجاة لهم، **على** ثباته على الحق، وقوة تمسكه بالحق، وهو يدرك خطورة أن يقول لهم هذا الكلام، فيما هم عليه من كفر، فيما هم عليه من جبروت، فيما هم عليه من شقاق وعداء للحق، في الوقت الذي هددوا فيه حتى أولئك الرسل، من إنذارهم، أو الحديث إليهم، أو تبليغهم الرسالة، هددوهم بالقتل، وكانت النتيجة أن استُشهِد على الفور.

قومه لا يملكون الحجة، ولا المنطق الصحيح، في أن يردوا على كلامه، كيف تعاملوا معه؟ تعاملوا معه من واقع كفرهم، من واقع شرهم، عنادهم، جبروتهم، استكبارهم، وطغيانهم، وقتلوه، فَيُعَبِّر القرآن عن استشهاده بقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ

﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦-٢٧].

لِمَا فاز به، ولما تحقق له، ولعظيم موقفه، ولعظيم منزلة الشهادة، جاء التعبير عن شهادته بهذه العبارة: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾، وكأن الفاصل الذي هو استشهاده، إنما كان انتقالًا سريعًا إلى الجنة، ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾، حيث يرى نفسه في فوزٍ عظيم، ليس نادمًا على موقفه، على كلامه المهم، كلامه العظيم، الذي عَبَّر عن الإيمان، والدعوة إلى الحق، والمناصرة للحق، والوقوف في موقف الحق، لم يكن نادمًا على ذلك، شعر بالفوز، وأدرك أنه نال منزلةً عظيمةً، منزلةً كبيرةً عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

وفي كلا المواقف الثلاثة، كيف كانت النتيجة؟

- **في قصة أصحاب الكهف**، حظوا برعايةٍ إلهيةٍ عجيبةٍ جدًّا، وهي من الآيات العجيبة عن رعاية الله لأوليائه المؤمنين، وكيف رعاهم الله، وجعلهم من آياته العجيبة، في قصة رقدتهم لثلاثمائة وتسع سنين، وما تلا ذلك من متغيرات عجيبة.

- **في قصة مؤمن آل فرعون**، وما نتج لقومه نتيجة عنادهم، ما حصل لهم نتيجة عنادهم.

- **في مؤمن أهل القرية**، الذي أهلك الله قومه، بصيحةٍ واحدة؛ بينما فاز هو بالشهادة.

فيصبح التعبير عن الإيمان، الوقوف موقف الإيمان، شهادتنا بالحق، الجانب الأساسي والجزء الأساسي من إيماننا، الذي نُعَبِّر فيه بما نقول، بما نؤمن به، يصبح جانبًا مهمًا، من أهم ما يتعلق بالحديث بهذه النعمة **(نعمة اللسان، نعمة البيان).**

٢٣

دور اللسان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

❖ **وجزءًا أساسيًا أيضًا من جهادنا، مرتبطٌ أيضًا بالجهاد بالنفس والمال، بالموقف، بالتضحية، الجانب الآخر هو باللسان، وجزءًا أساسيًا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، جزءٌ كبيرٌ منه يعود إلى هذه الطريقة، إلى هذه الوسيلة: الأمر بالحديث، بالكلام، بالنصح، بالتذكير، بالتوجيه، إلى غير ذلك، مساحة واسعة، ولهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[التوبة:٧١]، **فيصبح من أهم المسؤوليات الإيمانية: أن نتحرك في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في الجهاد في سبيله، وفي الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، باللسان أيضًا**، بالأمر، بالتوجيه، بالتذكير، بكل الوسائل التي تعود إلى نعمة (البيان والكتابة).

مساحة كبيرة جدًّا، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[النساء: ١١٤]، **مجالات ينشط الإنسان فيها، ويتحرك فيها، من خلال** الكلمة، **من خلال** ما يقول، **من خلال** ما يُعَبِّر، **من خلال تحركه وهو** يذكر، **وهو** يبلِّغ، **وهو** يرشد، **وهو** يأمر، **وهو** ينهى، **وهو** يوجِّه، **هكذا، مساحة واسعة جدًّا:**

- **ومساحة المعروف، الذي نسعى للأمر به في واقع الحياة، يشمل:** كل ما أمرنا الله به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، كل ما هو في دائرة التوجيه الإلهي، ومرضاة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في مختلف مجالات الحياة، دائرة واسعة جدًّا.
- **كذلك في النهي عن المنكر:** مساحة واسعة جدًّا، ويعود جزءٌ أساسيٌ منه، إلى **النهي باللسان، بالكلمة، بالموقف**، الذي نُعَبِّر عنه، ونسعى من خلاله إلى النهي عن المنكر.
- **كذلك في مسألة التناجي:** الحديث مع الناس بطريقة غير الطريقة العلنية (**في السر، وفي العلن**)، الأمر بالصدقة، السعي في فعل الخير لدى الناس، لهذا أهمية كبيرة جدًّا، والترغيب للناس في ذلك، والحث لهم على ذلك، والدفع بهم إلى ذلك.
- **الإصلاح بين الناس كذلك.**

وسنأتي إلى تفصيل أكثر فيما يتعلق بهذين الجانبين.

دور اللسان في التواصي بالحق وبالصبر

❖ **في مسألة التواصي بالحق، والتواصي بالصبر على الحق:**

من أهم عوامل النجاة التي ذكرها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم، في النجاة من الخسارة: هو التواصي بالحق، أن نكون مجتمعًا يوصي بعضنا بعضًا بالحق، وبالثبات عليه، وبموقف الحق، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[العصر: ٣]، هنا للكلمة أهميتها، وقيمتها، والأجر عليها عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفضلها؛ **لأنه إذا غاب التواصي عن الحق، أتى بديلًا عنه التواصي بالباطل، والتواصي بالتخاذل عن الحق، وكانت لذلك نتائج وتبعات سيئة جدًّا.**

- **في ظروف الجهاد، والمراحل الصعبة والحساسة، التي يواجهها المؤمنون وهم في جهادهم في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.**

في بعض الظروف الحساسة يكون للكلمة أهميتها الكبيرة جدًّا، تلك الكلمة التي تُرسِّخ الثقة بالله عَزَّ وَجَلَّ، والتوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والثبات على موقف الحق، والسعي لطمأنة الناس للثبات على موقفهم.

ولهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيما ذكره عن (غزوة الأحزاب)، وهو درسٌ مهمٌ للمؤمنين في كل الظروف المشابهة: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾[الأحزاب: ٢٢]، كان كلامهم هذا في ذلك المقام الصعب، الذي يُعبِّر عن إيمانهم، عن ثقتهم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، تلك الثقة التي لم يزعزعها ما شاهدوه من حشود الأعداء، من إمكانات الأعداء، ذلك التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي لم يُضعِفْه ما عاينوه، من إمكانات الأعداء، وحشودهم الضخمة، كان كلامهم هذا كلامًا مهمًا، كلامًا ذكره الله في القرآن الكريم، وكلامًا كان له أيضًا أثره في الواقع آنذاك، في تثبيت الآخرين، في طمأنة الآخرين.

- **في الظروف التي تتطلب الصبر:**

في ظروف التضحية في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في المقامات الصعبة، في مقامات المعاناة في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يُقدِّم القرآن درسًا مهمًا في التعبير عن الصبر، في التعبير عن الثبات على الموقف، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤٦]؛ **لأن** الكثير من الناس عندما يكون هناك تضحيات كبيرة، أحداث صعبة، مواقف كبيرة، **معاناة شديدة:**

- **البعض** من الناس يصابون بالوَهَن.
- **البعض** يصابون بما هو أكثر: بالضعف.
- **البعض** يصابون بما هو أسوأ: بالاستكانة والتراجع.

أمَّا الأكثر والأكمل إيمانًا، فيصبرون، ويثبتون، ولا يتراجعون، ويكون موقفهم وكلامهم **مُعَبِّرًا** عن صبرهم، **مُعَبِّرًا** عن ثباتهم، **مُعَبِّرًا** عن التجائهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **مُعَبِّرًا** عن وعيهم بأسباب الأحداث، بأسباب ما يحصل، ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[آل عمران: ١٤٧].

في مثل تلك الحالات والمواقف، قد يكون للآخرين كلام آخر، وتعبير آخر، **يُعَبِّر** عن ضعفهم، **يُعَبِّر** عن يأسهم، **يُعَبِّر** عن ندمهم، أو **يُعَبِّر** عن تذمرهم، وعن قلة صبرهم، **لكنَّ** أولئك كان كلامهم **مُعَبِّرًا عن** وعي، **عن** إيمان، **عن** ثقة، **عن** ثبات، **عن** التجاء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، من واقع شعورهم بالتقصير، وأن لهذا التقصير نتائج في الواقع، آثارًا في الواقع، فيطلبون من الله المغفرة، والتثبيت، والنصر،

﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾[آل عمران: ١٤٨]، **لاحظوا**، كيف كانت النتيجة نتيجةً عظيمةً ومهمة.

ولذلك في الظروف الحساسة، في المقامات الصعبة، في المراحل المهمة، يكون للكلمة المُعَبِّرة عن إيمان، **المُعَبِّرة** عن وعي، **المُعَبِّرة** عن ثبات، **المُعَبِّرة** عن التوكل على الله، **الكلمة التي تلهم** الناس الثبات على الحق، **التي** تعزز في نفوس الناس الأمل والثقة، **التي** لها أهميتها الكبيرة، عندما يسمع بها العدو، ويعرف عنها العدو، يُهزَم نفسيًا، يُصاب بالإحباط، يكون لها أهمية كبيرة جدًّا، ويكون لها قيمة إيمانية، وترضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولها نتيجة مهمة.

- **كذلك يُسَطِّر القرآن موقفًا مهمًا**، يبيِّن فيه قيمة الكلمة الحق، التي تُعَبِّر عن الثبات، وتدفع بالناس إلى الاتجاه الصحيح، **حتى في الظروف التي يتخاذلون فيها:**

كما في قصة نبي الله موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، مع قومه، وهو يحاول أن يدفعهم إلى الجهاد، وأن يشجعهم على ذلك، في تلك المهمة لاقتحام قرية: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾[المائدة: ٢٢]، **هذا كلام مُعَبِّر عن ماذا؟ عن** تخاذل، **عن** قلة صبر، **عن** جُبن، **عن** ذلة، **عن** هوان، **كلام مُعَبِّر عن** رفض للاستجابة لتوجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **يُعَبِّر عن** استكانة، ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾.

في المقابل، كيف يتميز الموقف الصحيح، والكلام الصحيح، الذي يُعَبِّر عن الموقف الصحيح: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[المائدة: ٢٣]، كيف تميز كلام ومقال هذين الرجلين، وقال: ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾، كان موقفًا يُعَبِّر **عن** وعي،

عن إيمان، **عن** استجابة عملية لتوجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **عن** رؤية صحيحة، ومشجع على التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فكيف ذكره الله في القرآن الكريم ليكون درسًا مهمًا، ودرسًا مفيدًا.

- **في موقف البراءة من أعداء الله:**

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[الممتحنة: ٤]، يصبح إعلان الموقف من أعداء الله، الصادِّين عن سبيل الله، المحاربين للحق، والبراءةُ منهم، والمباينةُ لهم، من أهم المسؤوليات، التي تتعلق بتعبيرنا، بحديثنا، بكلامنا الذي يُعلن عن حقيقة موقفنا، ويصبح مسألةً مهمة، فيقدم الله لنا الأسوة الحسنة، في إبراهيم والذين معه؛ **لأنهم** قالوا وأعلنوا موقفهم، وَعَبَّروا عنه بكل وضوح، وبكل قوة، وبكل ثبات.

فنجد في كل هذه المقامات، الأهمية الكبيرة للكلمة، **الأهمية** الكبيرة جدًّا لكلمة الحق، كجزءٍ من جهادنا، من مسؤولياتنا المهمة، في الأمر بالمعروف، في النهي عن المنكر، كذلك في المراحل الحساسة والصعبة جدًّا، التي نُعَبِّر فيها عن ثباتنا على الحق، وعن تمسكنا به.

أهمية الكلمة في مواجهة طواغيت العصر

في هذا الزمن أيضًا، للكلمة، والموقف الذي نُعبِّر عنه بالكلمة، **أهمية** كبيرة جدًّا، **في مواجهة** طاغوت العصر، **وأئمة الكفر، المتمثل** بأمريكا وإسرائيل، **وحلفائهم، وأعوانهم، وجنودهم، وأنصارهم،** وبالذات أن هذا الزمن أصبحت الحرب الإعلامية فيه، والدعائية، والثقافية، والفكرية، تحتل مساحةً كبيرة وجزءًا أساسيًا من المعركة والصراع، فيصبح للموقف، للحديث، لكلمة الحق، في هذا السياق، المُعَبِّر عن الإيمان، المُعَبِّر عن الموقف الإيماني، يصبح له أهمية كبيرة جدًّا.

ولربما في هذا الزمن أصبح هذا الجانب: الحرب الإعلامية، وما يتبعها، **والحرب** الثقافية، **حرب** الكلمة، **بأكثر** من أي زمنٍ مضى، مع أن أعداء الله- في كل زمن- هم يسعون عبر التضليل، عبر هذه الوسيلة، أن يصدوا عن سبيل الله، أن يحاربوا الحق، أن يضلوا الناس، أن ينحرفوا بهم عن نهج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما قال الله عنهم: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[الصف: ٨] ، فهم كانوا على الدوام- في كل عصر، في كل زمن- يستخدمون أفواههم، بما يقدمونه من ضلال، من دعايات، من حربٍ نفسية، من تقديمٍ للباطل، من تقديمٍ للشُّبَه، من وعيد، وتهديد، وإغراء، وغير ذلك، مما يُعبَّر عنه في سعيهم للانحراف بالناس عن نهج الله، وإطفاء نور الله، كانوا يحاولون في كل زمن، ولكن في هذا الزمن **الإمكانيات أكثر، والوسائل المتنوعة لخدمة هذا الهدف أكثر بكثير مما قد مضى.**

وهذا يبين أهمية هذه المسألة في هذا الزمن، وقيمة أن تقول كلمة الحق، بل هي من النعمة عليك، إذا كان جزءًا من جهادك، وجزءًا من أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر، أن تقول كلمة الحق، فهي أيضًا جانب أساسي من جهة، وعمل سهل، لكنه مهم، وقيمته كبيرة من جهةٍ أخرى، وكما في المراحل الصعبة، التي فيها غربة، وقلة أنصار، وقلة استجابة، لتبنِّي الموقف الحق، والتعبير عن الموقف الحق، والانطلاقة في الموقف الحق، لهذا أهمية كبيرة جدًّا، هناك أيضًا أهمية في الزمن الذي يصبح للتعاون على كلمة الحق، وفي كلمة الحق، وفي الاتجاه في كلمة الحق، **أهمية كبيرة جدًّا؛ لأنه** عندما يكون هناك تحرك واسع، في إطار كلمة الحق، والموقف الحق، والتعبير عن الموقف الحق، يكون لهذا أهمية، وهذا ملحوظٌ في هذا الزمن بشكل كبير، التوجه الجماهيري الواسع، الذي يُعَبِّر الناس فيه عن كلمة الحق، وعن تأييدهم للحق، وعن تمسكهم بالحق، هذا يخلق هزيمة كبيرة، ويترك هزيمة كبيرة، ويأسًا كبيرًا، لدى أهل

الباطل، لدى الطاغوت؛ **فلذلك** يُعتبر هذا من التعاون على البر والتقوى، وعمل ميسَّر، عمل سهل، أحيانًا يخرج الناس بشكل واسع جدًّا، في مسيرات جماهيرية واسعة جدًّا، لكنها تُعَبِّر عن هذا الموقف الحق، فيصبح لهذا أهمية كبيرة، في أن يصنع يأسًا في قلوب الآخرين من الأعداء، وأن يكون له تأثير كبير جدًّا في دعم المستضعفين، فهذه مسألة تمثل أهمية كبيرة جدًّا.

كلمة طيبة وكلمة خبيثة.. نتائجهما المتباينة!

❑ ثم عندما نتأمل في الواقع، فهناك اتجاهان، في مسيرة الحياة وحركتنا في الحياة:

- اتجاه الكلمة الطيبة.

- واتجاه الكلمة الخبيثة.

وهذا ما ذكَّرنا الله به في القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[إبراهيم:٢٤-٢٧].

- **الكلمة الطيبة:** الكلمة المُعَبِّرة عن الإيمان بالله، والكفر بالطاغوت، الكلمة الطيبة التي تحيي الأمة، وتدفع بالناس إلى مرضاة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وما فيه الخير، والفلاح لهم، والعزة، وتصنع الوعي والبصيرة، وتنير لهم في واقع حياتهم، بما يحصنهم من الضلال؛ **وفي المقابل الكلمة الخبيثة:** التي تخضع الناس للطاغوت، والشيطان، ولأعداء الله، وتبعدهم أو تقعدهم عن التمسك بالحق.

- **الكلمة الطيبة:** تستنهض الناس، تذكّرهم بمسؤولياتهم، تعزز الثقة بالله تعالى والتوكل عليه؛ **أمَّا الكلمة الخبيثة:** فهي تثبطهم، وقد تدفعهم إلى خدمة الباطل، وتزرع في نفوسهم اليأس والقنوط.

- **الكلمة الطيبة:** التي تعزز حالة الصبر، والصمود، والثبات، والتمسك بالحق؛ **أمَّا الكلمة الخبيثة:** فهي تدفع بالناس إلى الانهيار، والضعف، والاستسلام للباطل، والتراجع عن موقف الحق.

- **الكلمة الطيبة:** تدفع الناس إلى فعل الخير، تسعى لصلاح ذات بين المؤمنين، تسعى إلى تعزيز حالة التراحم بين المجتمع، تدفع بالناس إلى الإحسان؛ **أمَّا الكلمة الخبيثة:** فهي تثبط عن فعل الخير، تثير البغضاء بين المؤمنين، تمزق المجتمع، تبعد الناس عن روحية الإحسان.

الكلمة الطيبة، يجب أن تكون حاضرةً في أوساطنا، في واقعنا، وأن ندرك أهميتها وقيمتها فيما نقول، وبحساب ما نقول، والأهمية فيما نقول، ولو غابت الكلمة الطيبة، يحل محلها الكلمة الخبيثة، التي يرددها الخبثاء، في كل اتجاهات الباطل، في كل الاتجاهات التي تتناقض مع الإيمان، هذا على مستوى المسؤولية في هذه الأمور.

أيضًا في التعامل فيما بين الناس:

من المهم أن يركزوا على أن يقولوا: ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[الإسراء: ٥٣]، أحسن تعبير، أحسن كلام، في تخاطبهم، في معاملاتهم، الله يقول: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾[الإسراء: ٥٣]؛ **لأن** الكلمة السيئة، الكلمة الجارحة، الكلمة المستفزة، إذا حلَّت محل الكلمة التي هي أحسن؛ **تركت** أثرها السيء في نفوس الناس، وفي واقع الناس، وفتحت ثغرةً للشيطان لينزغ بين الناس.

مما مضى ندرك الأهمية للكلمة:

- **الكلمة** في الذكر لله سبحانه وتعالى، في العلاقة مع الله جلَّ شأنه.

- **الكلام** فيما يحتله من مساحة أساسية، في الانتماء الإيماني، والموقف الإيماني، والجانب الإيماني.

- **الكلام** في إطار المسؤولية الجهادية، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

- **الكلام** في إطار التعامل، وكيف نحرص على سلامة القول والاستخدام الصحيح، في حركتنا في الحياة، في تعاملنا في شؤون حياتنا، حتى في أمور عملنا وشؤون حياتنا الدنيوية، التي هي أيضًا تعود إلى الالتزام المسؤول فيما يتعلق بإيماننا، في التعامل فيما بيننا.

ندرك من خلال ذلك الأهمية الكبيرة للكلمة والموقف.

ويبقى لنا- إن شاء الله- أن نتحدث في المحاضرة القادمة عن:

- **المحاذير.**

- **وعن** الاستخدام السيء لنعمة اللسان، والبيان، والنطق، والكتابة.

- **وما** يترتب على ذلك من مخاطر كبيرة في حياة الناس، وآثار سيئة.

- **وما** ينتج عن ذلك، ويتحمله الإنسان من التبعات والجزاء.

أَسْأَلُ اللَّهَ سبحانه وتعالى أَن يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُرضِيهِ عَنَّا، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبْرَارَ، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنصُرَنَا بِنَصْرِهِ، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

وَنَسَأَلُهُ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَامَ، وَالقِيَامَ، وَصَالِحَ الأَعْمَالَ.

وَالسَّـلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَـةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـهُ؛؛؛

نعمة البيان (٤)
وسوء استخدامها من قبل أولياء الشيطان

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِينَ، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

أَيُّهَا الإِخْـــوَةُ وَالأَخَوَاتِ:

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَـةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـهُ؛؛؛

في الحديث عن نعمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الكبيرة على الإنسان: نعمة النطق باللسان، ويتبع ذلك الكتابة، وأهمية هذه النعمة بالنسبة للإنسان في حياته بشكلٍ واسعٍ جدًّا، وفي مختلف مجالات الحياة، تبيّن لنا أن بإمكان الإنسان أن يستفيد من هذه النعمة في دينه ودنياه، عندما يشكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويحسن استخدام هذه النعمة، فيما يفيده، فيما ينفعه، فهي ذات أهمية كبيرة، وأثر كبير، ويمكن أن يكون ذلك سببًا لينال الخير

العظيم من الله ﷻ، في ذكره لله، في كلمة الحق، في الكلمة الطيبة، وفي مجالات الحياة، عندما يستخدم هذه النعمة بشكلٍ سليم، سليم من كل المحرمات، من كل أشكال سوء الاستخدام، التي لها تأثيرات سيئة على نفسه، وعلى الناس من حوله، وعلى واقع الحياة، ويتحمل بها الإثم والوزر والعياذ بالله.

والإنسان:

- **إمَّا أن يكون شاكرًا**- كما قلنا- **ويحسن** استخدام هذه النعمة، ويستفيد من ذلك، **ويُعَبِّر ذلك عن** إيمانه، **عن** أخلاقه، **عن** طيب نفسه، **عن** نظافة قلبه، **عن** صلاح مشاعره وسريرته.
- **وإمَّا أن يسيء استخدام هذه النعمة، وهذا**- كما يقال في الشعر والمثل: وكل إناءٍ بالذي فيه ينضح- **يُعَبِّر عن** خبث نفسه، **عن** سوء سريرته وباطنه، عندما يكون سيء اللسان، سيء النطق، سيء التعبير، يؤيد الباطل، يكذب، يفتري على الله، وعلى عباده، يسيء إلى الناس بغير حق، يتناول أعراضهم، ويتكلم فيهم بالبهتان والسوء، ينتقص منهم، وهكذا بقية أشكال الاستخدام السيئ.

السيئون من البشر واستخدامهم السيئ لنعمة البيان

الكافرون والمشركون وإساءاتهم الكبرى

❏ **مجالات الاستخدام السيئ هي كثيرةٌ جدًّا، والسيئون من البشر هم أكثر الناس استخدامًا لها:**

❖ **بدءًا بفئة الكافرين والمشركين:**

الذين يتجهون في هذه الحياة بعيدًا عن منهج الله، عن تعليمات الله، ويتنكرون لنعم الله ﷻ، كل نعمه، وفي نفس الوقت يغويهم الشيطان، يرتبطون بالشيطان،

ويؤثِّر عليهم، فيدفع بهم لتوظيف وتشغيل كل قدراتهم، وما منحهم الله إياه، بما هو كفرانٌ لنعمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولذلك ففي جبهة الكفر، ولدى الكافرين والمنحرفين عن منهج الله الحق، **فهم** يستخدمون هذه النعمة، **التي** هي هبةٌ من الله، **أنعم** بها على البشر، **يستخدمونها بدءًا بالإساءة إلى الله، إلى المنعم الكريم، إلى الرب الرحيم، ذو الفضل العظيم،** الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، المقدس، المنزه، الذي ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[الحشر:٢٤]، بلسان الحال، وبلسان المقال.

وتحدث القرآن الكريم عن إساءة الكافرين، والضالين، بمختلف فئاتهم، إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في عقائدهم، وما يُعَبِّرون عنه، ما يُعَبِّرون به عن تلك العقائد، من مقولاتهم، وكلماتهم المسيئة **إلى** الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، **إلى** جلاله، **إلى** كماله، **إلى** عظمته، **إلى** قدسيته، فتحدَّث حديثًا واسعًا جدًّا في القرآن الكريم، ليس هناك وقتٌ متسعٌ للحديث عن تفاصيل ما قالوه، الإنسان من خلال تلاوة القرآن الكريم يعرف الكثير، ويقرأ الكثير، مما ذكره الله من مقولاتهم السيئة، والرد عليها، وتفنيدها، وإبطالها، توضيح بطلانها، وتوضيح سوئها، فهم أساؤوا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو مُقدَّسٌ ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٤٣]؛ **ولذلك** يعتبر التسبيح لله كمبدأ من أهم المبادئ، وكذكر من أهم الأذكار.

وكذلك أيضًا في القرآن الكريم، نجد الحديث على المستوى التفصيلي، في إساءتهم إلى الله:

- **في** تشبيههم لله بخلقه.
- **في** نسبتهم الولد إلى الله.
- **في** نسبتهم مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شركاءَ في الألوهية، والربوبية.

وتفاصيل كثيرة.

وكان من أفظع ما نسبوه إلى الله: اتخاذ الولد، هذه عقيدة ومقولة كفرية، أساؤوا بها إلى الله، واشترك فيها المشركون الوثنيون، واليهود والنصارى؛ **ولذلك** قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم، من مهمة الرسول والقرآن في الإنذار: ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[الكهف: ٤-٥]، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾، كلمة شنيعة للغاية، كبيرة جدًّا، فيها افتراء كبير، وبهتان عظيم، وإساءة كبيرة، وباطل رهيب جدًّا، ولذلك فهم تجاوزوا بها الحق، وأساؤوا بها عظيم الإساءة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۝٨٨ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾[مريم: ٨٨-٨٩]، منكرًا فظيعًا للغاية، رهيبًا جدًّا!! ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩١ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾[مريم: ٩٠-٩٢].

وكم، كم هي المقولات الكثيرة، من قِبَل فئات الكفر والشرك، وكل فئات الضلال، التي أساؤوا بها إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إلى كماله العظيم، وشبهوه بخلقه، وأساؤوا إليه عظيم الإساءة، ولهذه الدرجة: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾!!

بعض المقولات والكلمات، هي كلمة، لكنها في سوئها، وفظاعتها، وقبحها، وما فيها من الباطل، **تكاد أن تنهدّ منها الجبال، وأن تنشق الأرض، وأن تتفطر السماوات، يعني:** لاحظوا، ما أخطر الكلمات السيئة، ما أخطر أن يجازف الإنسان بكلامه بأي شكلٍ من الأشكال، بدون مبالاة، بدون تنبه!

٢٤

- **مقولاتهم** بشأن البعث والمعاد.

- **مقولاتهم** في الدعاية على الأنبياء، أنبياء الله ورسل الله كم أساؤوا إليهم؟! بقبيح الإساءات، **يقولون:** [ساحر، مجنون، شاعر، كذاب، إلى غير ذلك]، دعايات كثيرة.

- **مقولاتهم** عن الملائكة.

- **مقولاتهم** في التكذيب بكتب الله تعالى.

- **مقولاتهم** في الصد عن سبيل الله، كثيرةٌ جدًّا، تحدث عنها القرآن الكريم.

فكان جزءٌ واسع وكبير، من عظيم ما هم عليه من الباطل، من سوء ما هم عليه، من كفرهم وضلالهم، فيما يقولونه، فيما يُعَبِّرون عنه، فيما يتكلمون به، جزء كبير **من** ضلالهم، **من** كفرهم، **من** باطلهم، **من** سوئهم، **من** قبيح أعمالهم، **هو كلام،** كلام كثير يتكلمون به، لكنه **يسيء إلى** الله، **إلى** أنبيائه، **إلى** رسله، **إلى** كتبه، **إلى** دينه، **إلى** عباده المؤمنين، **يسعون من خلاله إلى** الصد عن سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وجزءٌ أيضًا من حربهم، حربهم **ضد** الرسالة الإلهية، **ضد** أنبياء الله، **ضد** عباد الله المؤمنين، **جزء كبير من حربهم:** هو كلام، كلمات، تعبيرات، كتابات، مقالات، يحاربون بها دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يقول الله عنهم: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[غافر: ٥]، **كانوا يُكذِّبون الرسل، والأنبياء، والرسالة الإلهية، والمبادئ الإلهية التي يأتي بها الرسل والأنبياء، كانوا يُكذِّبون بها:**

- **مبدأ** التوحيد.

- **مبدأ** المعاد.

وغير ذلك من المبادئ المهمة والعظيمة.

وكانوا يجادلون بالباطل، جدال يستندون فيه إلى شُبَه باطلة، إلى كلام باطل، ليس مستندًا حقيقيًا لهم، ويحاولون من خلاله أن يُسقطوا الحق، وأن يبطلوا الحق، ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾، أجيال، وأمم، وأقوام، وهلكت في الأخير، أخذها الله بعقابه، وأخذها بالهلاك، ﴿فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.

الكافرون من أهل الكتاب وسوء استخدامهم لهذه النعمة

❖ **جبهة من جبهات الكفر والضلال والباطل: هي جبهة الكافرين من أهل الكتاب:**

جبهة كبيرة من الكافرين (اليهود، والنصارى)، وتحركهم في الباطل، في محاربة الحق، في العمل لإضلال عباد الله، **أيضًا جزء كبير من** نشاطهم، **من** كفرهم، **من** باطلهم، **من** ضلالهم، **من** فسادهم، **من** سوء ما يعملون، **هو بالكلام، والكتابة، والتحريف، والتزييف،** فهم عملوا على لَبْس الحق بالباطل، وشُغلُهم في هذا المجال هو ماذا؟ **(كلام، وكتابة): نشاط** بالكلام، بالتثقيف، بالإعلام، بالدعاية، بألسنتهم، بأفواههم، وكتمان الحق، ونشر الضلال، وإطلاق الدعايات الباطلة، والسعي لإطفاء نور الله، كما قال عنهم: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[التوبة: ٣٢]، دعايات، افتراءات، تزييف للحقائق، نشر للشُبه، وحملات دعائية متنوعة وكثيرة، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[الصف: ٨]، وأيضًا قال: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾.

وكذلك في إساءاتهم، كذلك الكافرون من أهل الكتاب هم من أكثر البشر إساءة إلى الله، إساءات كبيرة جدًّا إلى الله، إساءات بلغت إلى درجة الشرك، والكفر، وفظيع الإساءة إلى الله.

من أقوال اليهود: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[المائدة: ٦٤]، إساءة كبيرة جدًّا إلى الله، يتهمونه بالبخل.

قالوا أيضًا فيما ذكره في القرآن عنهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾[آل عمران: ١٨١].

نسبوا إليه اتخاذ الولد، أكاذيب، وافتراءات، وإساءات كبيرة، تكلموا على الله بالكثير من الكلام السيئ، وإلى رسله وأنبيائه كثيرًا كثيرًا، **والافتراء على الله،** ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾، **ويقولون أيضًا:** ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

في جرائم التحريف في التزييف، قال عنهم أيضًا في نسبة اتخاذ الولد: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾[التوبة: ٣٠]، **يقول عنهم:** ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[آل عمران: ٧١]، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾[آل عمران: ٩٩].

ووظفوا خبرتهم ومهارتهم، في مسألة لبس الحق بالباطل، في التزييف للحقائق: في الحرب ضد الإسلام، ضد الحق، ضد المبادئ الإلهية، وهم من أكثر البشر نشاطًا في هذا الجانب، في العمل الدعائي والإعلامي، والتزييف، من خلال الجوانب الفكرية، والثقافية، ومن أسوأ البشر في عظيم إساءاتهم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في مقولاتهم، في كتاباتهم، في نشاطهم للتضليل، لإضلال عباد الله.

المنافقون من أسوأ البشر استخدامًا لهذه النعمة

❖ **من الفئات التي أيضًا حذت حذو الكافرين، وحذو أهل الكتاب، في سوء الاستخدام لنعمة النطق والبيان، وفي توظيفها واستعمالها التوظيف والاستعمال السيئ:**

- في خدمة الباطل.
- في الصد عن سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
- في الإساءة إلى الله وإلى أنبيائه ودينه.
- في العمل على التأثير السيئ، على نفوس المجتمع المسلم.

- **في** إثارة الفتن بين أوساط المسلمين.

- **في** خدمة أعداء الإسلام والمسلمين، وإخضاع الأمة لهم، وخلخلة صفها من الداخل.

- **في** الاستهداف للمؤمنين والصالحين من أبناء المجتمع.

فئة المنافقين: وهي من أسوأ البشر- أيضًا- استخدامًا لهذه النعمة بشكلٍ سيء، وكفرانًا لهذه النعمة، وتنكرًا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في عظيم ما أنعم به من هذه النعمة.

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾[التوبة: ٦٧]، **يتعاونون بأشكالهم، وفئاتهم**؛ لأنهم فئات، ودوافعهم للنفاق متنوعة، ولكن اتجاههم في الأخير اتجاه واحد، على المستوى العملي.

﴿بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾[التوبة: ٦٧]، **فلديهم نشاط واسع في الساحة،** بألسنتهم، بمقولاتهم، بكتاباتهم، **يحاولون أن يدفعوا الناس إلى ما هو منكر:**

- **مخالف** لتعليمات الله.

- **مخالف** لمنهج الله.

- **مخالف** لأوامر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

- **خروج** عن صراط الله المستقيم.

﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾[التوبة: ٦٧]، **المعروف في دائرته الواسعة:**

- **فيما** هو حق.

- **فيما** هو مطابق لتوجيهات الله.

- **فيما** أمر الله به.

- **فيما** وجَّه إليه.

- **فيما** حث عليه.

فهم يحاولون أن ينهوا الناس عنه، وأن يصدوهم عنه، **وأن** يخذّلوهم عنه، **وأن** يثبطوهم عنه.

يقول عنهم في صدهم عن سبيل الله، حتى باستخدام الأيمان الفاجرة: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[المنافقون: ٢]، **يعني:** يوظفون حتى الأيمان الفاجرة، ﴿يَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[المجادلة: ١٤]، يقول عنهم: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾[البقرة:١٠]؛ **لأنهم** يكثرون من الأكاذيب، دعايات كاذبة، ويحاولون أيضًا أن يدفعوا الناس إلى الباطل، بأساليب كاذبة، بأكاذيب كثيرة، يستخدمون الكذب بشكل كبير جدًّا، **يثبطون: عن** الإنفاق في سبيل الله، **عن** الجهاد في سبيل الله، **عن** الموقف من أعداء الله، **عن** أعمال الخير، التي يَصلُح بها واقع المجتمع، **عن** الأعمال المهمة، التي تستقيم بها حياة المجتمع، على أساسٍ من نهج الله وتعليماته.

فنشاطهم هم في الإرجاف، والتهويل، **و**التثبيط، **و**التخذيل، **و**إثارة الفتن بين أوساط المجتمع، **نشاط** واسع جدًّا، **وتحدث القرآن الكريم عنه كثيرًا:** (في سورة التوبة، وفي سورة البقرة، وفي سورة المنافقون، وفي غيرها)، في سور كثيرة من القرآن، حديثٌ واسعٌ جدًّا.

❖ **فئة الضلال أيضًا، فئة المضلين:**

الذين يعتمدون على التزييف للحقائق، على الافتراء **على** الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيما ينسبونه إليه من دينه، **على** تقديم الشُبَه، التي يؤثرون بها على من ليس عندهم معرفة صحيحة، وفهم صحيح؛ **ليُضلُّوه**، أيضًا هم من تلك الفئات، **وهم:**

- **البعض منهم** من فئة الوثنيين، والكافرين، والملحدين.
- **والبعض منهم** من فئة أهل الكتاب.
- **والبعض** من حركة النفاق.

من مختلف الفئات، فئات الضلال هي فئات كثيرة، يجمعها جميعًا عنوان: أولياء الشيطان.

التحذير للمؤمنين من سوء استخدام هذه النعمة

❐ أتى أيضًا التحذير للمؤمنين، من سوء الاستخدام لهذه النعمة:

حتى لا يتورطوا، كما تورط غيرهم من بقية الفئات، كما تورط المنافقون، والكافرون، وأهل الكتاب، وكل تلك الفئات المنحرفة عن منهج الله الحق، أتى التحذير للمؤمنين من سوء استخدام هذه النعمة؛ **لأن الاستخدام السيء لهذه النعمة، يُعَبِّر عن مساوئ كثيرة، وله أيضًا تأثيرات خطيرة جدًّا، الإنسان يجمع بين:**

- **إثم** المخالفة لتوجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، المعصية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تجاه أوامره، ونواهيه.
- **وأيضًا** يَظلِم، يرتكب ظُلمًا بسبب سوء الاستخدام لهذه النعمة.
- **وأيضًا** يفرِّق بين المجتمع، يثير الفرقة في أوساط الأمة.

والمؤمنون بحاجة إلى أن يكونوا مجتمعًا متآلفًا، متعاونًا، متآخيًا، متفاهمًا؛ لأن لديهم مسؤوليات جماعية:

- **أن يجاهدوا في سبيل الله**، هذه مسؤولية جماعية.
- **أن يأمروا بالمعروف وأن ينهوا عن المنكر**، وهذه مسؤولية جماعية.
- **أن يتعاونوا على البر والتقوى** في نطاق واسع جدًّا، وهذه مسؤولية جماعية.

تحتاج إلى الألفة، إلى الأُخوَّة، **إلى** سلامة القلوب والصدور، إذا حصلت حالة الشحناء، الكراهية، الأحقاد، الصدور المجروحة من بعضهم البعض، يؤثر هذا على مدى تعاونهم، هم الذين أمرهم الله بالأُخوَّة، بالمحبة فيما بينهم، بأن يكونوا أذلةً على بعضهم البعض، بأن يكونوا ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[الفتح: ٢٩]، **فأتى التحذير في القرآن الكريم من كل ذلك.**

صور من سوء الاستخدام لنعمة البيان

اليمين الفاجرة

- **نجد في القرآن الكريم التحذير الشديد من اليمين الفاجرة، يمين الغموس: والإنسان لماذا قد يستخدم اليمين الفاجرة؟ لماذا قد يحلف على الكذب؟**

- **بسبب طمع**، هذه في أغلب الأحوال، البعض من الناس بسبب طمع، يريد أن يقتطع من حق الآخرين، من أموال الآخرين، يحركه الطمع إلى ذلك، وهذا وزر، وظلم، وإثم، ويجمع بين عدة جرائم، جرائم متعددة.
- **البعض كذلك من أجل أن يُمَضِّي باطلًا**، يحاول في قضايا معينة، **أو** مشاكل معينة، **أو** قضايا جنائية، **أو** غير ذلك.

لا يستخدم اليمين الفاجرة، والحلف والكذب، إلَّا لغاية سيئة، لغاية سيئة، فهو أمرٌ سيء، ويجر إلى أمور سيئة ومعاصي كبيرة، ولهذا يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[آل عمران: ٧٧]، **من كبائر الذنوب، التي تحبط كل أعمال الإنسان،** كل أعمالك الصالحة، تحبطها تمامًا، ولا يقبل الله منك أي عمل، **وفي نفس الوقت لها آثار سيئة على الإنسان، آثار رهيبة:**

- **تفسد** نفسية الإنسان.
- **يُسلَب** التوفيق.
- **يُسبب** لنفسه مصيرًا سيئًا إلى نار جهنم.

في الحديث النبوي: ((أنها تغمس صاحبها في النار غمسًا، وتذر الديار من أهلها بلاقع))، حالة رهيبة!

شهادة الزور

- **من الجرائم والمفاسد السيئة، التي تُعَبِّر عن سوء الاستخدام لنعمة النطق والبيان واللسان، وبشكل سيء، استخدام سيء للغاية: هي شهادة الزور:**

شهادة الزور أيضًا هي لغاية سيئة، لدعم باطل، لموقف سيء، لمصادرة حق، وعادة ما تكون في:

- **قضايا** وراءها أطماع، في أغلب الأحوال، في أغلب الأحوال.
- **أو في قضايا** وراءها مظالم.

فينتج عنها ظلم، في كل الأحوال، ينتج عنها، وتجر إلى مساوئ وجرائم أخرى؛ **ولهذا** يقول الله عن عباده المؤمنين في التزامهم الإيماني: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢]، مسألة منافية تمامًا للإيمان، المؤمن لا يمكن أن يشهد الزور، **مَن يشهد الزور، يكون قد خرج عن نطاق الالتزام الإيماني**، أصبح إنسانًا فاجرًا، سيئًا، ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[الحج: ٣٠]، (قول الزور، وشهادة الزور كلاهما محرَّم.

الكذب بأنواعه

- **أيضًا من سوء الاستخدام لهذه النعمة: هو الكذب:**

الكذب من أسوأ ومداني الصفات، الإنسان الذي يعتاد على الكذب، ويتعمَّد الكذب، إنسانٌ دنيء النفس، دنيء النفس، لا يعتبر لنفسه، ولا يحرص على كرامة نفسه، ولا يعتبر لنفسه قدرًا.

والكذب درجات متفاوتة: من افتراء الكذب على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وافتراء الكذب على عباده، وفي القضايا الدينية، والقضايا المهمة، والقضايا الكبيرة، وصولًا إلى كل قضية ينتج عنها ظلم، أو فساد، أو سوء، أو تزييف لحقائق، أو مصادرة حق، أو إساءة إلى

الآخرين، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأُوْلئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[النحل: ١٠٥]، **وأيضًا ورد في الأثر: ((جانبوا الكذب؛ فإنه مجانبٌ للإيمان))**، المؤمن يتحرى، يتحرى الصدق، ولا يتعمد الكذب، ويحرص على أن يقول الصدق.

البهتان

- **من مساوئ الاستخدام: هو البهتان:**

عندما تتكلم في الآخرين بالبهتان، تنسب إليهم ما هم أبرياء منه، بدون وجه حق، بدون مستنَد، نسبتُك إليهم ما هم أبرياء منه يُعتبر بهتانًا، وكذبًا، وظلمًا، ووزرًا كبيرًا، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾[الأحزاب: ٥٨]، وهذا يعتبر جريمة عظيمة جدًّا، وله آثار خطيرة على الإنسان، وعلى أعماله.

الهمز واللمز

- **من سوء الاستخدام لهذه النعمة: هو الهمز واللمز:**

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في القرآن الكريم: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[الهمزة: ١]، يقول أيضًا: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾[الحجرات: ١١]، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في سياق الحديث عن مساوئ أعدائه، والمواصفات السيئة التي يتصف بها شرارهم والسيئون فيهم: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ﴾[القلم: ١١]، همَّاز.

(الهمز، واللمز): كلاهما يتعلقان بالاستنقاص للناس، والكلام فيهم، والحديث بالمعائب عنهم، عندما تستهدف كرامة الإنسان، عرضه، تحاول الانتقاص منه، الحط من كرامته، الإساءة إلى شخصيته، فأنت تتكلم وتحاول أن تعيبه، فأنت تستهدفه في عرضه وكرامته، **وهذه من الجرائم الرهيبة جدًّا، ومن أسوأ الذنوب التي تنتشر بين**

الناس بشكل عجيب، إلى درجة أن البعض يصبح (**هُمَزَة**)، ويصبح (**لُمَزَة**)، يصبح (همازًا لمازًا)، لماذا؟ لأنه يستمر على هذا الأسلوب، أصبح سلوكًا بالنسبة له، هو مستمرٌ عليه، كثير الطعن في أعراض الناس، كثير الكلام السيئ فيهم، فهو اعتاد على ذلك، واستمر عليه، وكلما اتسع نطاق نشاطه في ذلك، يدخل في ذلك أكاذيب، يدخل في ذلك إساءات بغير حق، بغير وجه حق، **وفي الحديث النبوي:** **((من أربى الربا الاستطالة في عرض مسلمٍ بغير حق))**، من أربى الربا، فيعتبر وزرًا عظيمًا، وذنبًا كبيرًا، محبطًا للأعمال، مسيئًا للإنسان، له آثار سيئة، في نشر الفرقة بين أوساط المجتمع.

في هذا الزمن، كثرت هذه الظاهرة، أصبحت ظاهرة بشكل كبير، وانتشرت في أوساط الناس، وأصبح الكثير يعتادها، إن كان في مقايل القات، فهو ذلك الذي يطلق لسانه في فلان، وفلان، وأولئك، وأولئك، ينتقصهم، يعيبهم، يطعن في أعراضهم، يتكلم فيهم، يحط من كرامتهم؛ **أمَّا** في مواقع التواصل الاجتماعي فغلب عليها هذا النشاط، أصبح هو النشاط البارز- للأسف الشديد- بين أوساط من ينتمون للإسلام، من ينتمون للإسلام، أبرز نشاطهم هو (الهمز، واللمز).

ولذلك من الخسران الكبير أن يتحول الإنسان إلى همّاز لمّاز، تصبح هذه صفتك، أنت (همازٌ لماز)، لمّا كنت كثير الطعن في أعراض الناس، همُّك الأول، أكثر نشاطك، أكثر كتاباتك، أكثر تغريداتك، **أكثر أقوالك:** هي همز ولمز، فأنت (هُمَزَة لُمَزَة)، **الويل** لك من عذاب الله! **الويل** لك من نار جهنم، من الحُطَمَة! أنت كنت في هذه الدنيا تسعى إلى تحطيم مشاعر الآخرين، بالكلام السيء فيهم، بالكلام الجارح فيهم، بغير حق، بغير وجه حق، تحولت إلى مهنة لك، تحولت إلى سلوك تستمر عليه، ترتاح به، البعض يرتاح بذلك، والبعض موهوب في حدة اللسان، وموهوب في أن يورد العبارات الجارحة، يتخيرها، يعتني بالأساليب الجارحة، وهو بذلك يسيء إلى نفسه، ويحمّل نفسه الوزر، والإثم، عندما يُلقى به في نار جهنم، ﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾[الهمزة: ٤]، التي

ستحطمه بنيرانها المشتعلة، ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾[الهمزة: ٧]، كما سعى إلى تحطيم مشاعر الآخرين، وكان كثير الإساءة إليهم.

البعض يتحول عنده هذا إلى سلوك يومي: إمَّا في كتاباته، **إمَّا** في مجالس ومقابل القات، **إمَّا** في حركته في الحياة، وهو راكب في الباص، في الشارع العام، وهو في السوق، وهو في المتجر، في البقالة، في أي مكان، عوَّد لسانه تلك العادة السيئة، الشنيعة، البشعة، التي تساعد أيضًا وتسبب إلى خبث النفس.

كلما خَبُثَ كلامُ الإنسان، خَبُثَتْ نفسُه أكثر، من أول التأثيرات السيئة لخبث اللسان وعدم نظافة اللسان: أنه يسبب خبث النفس، كلما خَبُثَ لسانك، خبثت نفسك، ارتد الأثر إلى الداخل، إلى قلبك إلى مشاعرك، إلى نفسك، **كلما نظف لسانك، ساعد هذا على نظافة نفسك، وَعَبَّرَ عن أخلاقك الكريمة، عن قدرك الرفيع، عن ترفعك عن الأشياء السيئة، وتنزهك عن الأشياء السيئة.**

الإنسان الذي يتحول لسانه إلى لسان بذيء، لسان قذر، لسان مسيء، لسان سيء، يتحول هذا إلى واقعه النفسي بشكلٍ عميق، بشكلٍ عميق، ويحط من كرامته هو، هو يسعى للحط من كرامة الآخرين، لكن بذيء اللسان، السيئ، العياب، الطعان، المستهتر بأعراض الناس، هو بنفسه يحط من كرامة نفسه، لا قدر له، لا كرامة له، **الناس سينظرون إليه بهذه النظرة: أنه** إنسان سيء، **أنه** إنسان دنيء، **أنه** إنسان لا كرامة له، لا أخلاق له، لا قدر له، هو أرخصَ نفسه بنفسه.

عندما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**:** ﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[القلم: ١١]، أوردها إلى جانب صفات كلها صفات كفر، وأعمال سيئة، وصفات قبيحة، في غاية القباحة؛ **ليجعل** من هذه الصفة رديفة لها، معها، من ضمنها، سلسلة من المواصفات السيئة.

عندما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[الحجرات: ١١]، هو يبيّن أنك عندما تتكلم على أخيك المسلم، ابن مجتمعك المسلم، أنت تسيء إلى نفسك، أنت تسيء إلى أمةٍ أنت منها، هذا له آثار سيئة.

السخرية والغيبة والنميمة

- **من سوء الاستخدام: السخرية:**

السخرية بالعبارات، أو الإشارات، لكن بالعبارات بالدرجة الأولى، يلحقها بقية الأساليب، التي تُعَبِّر عن تحقير واستخفاف بالآخرين، عبارات معينة، أو إساءات معينة، والله حذَّر من ذلك بشدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾[الحجرات: ١١].

- **الغيبة أيضًا من أسوأ الظواهر الخطيرة جدًّا، المُعَبِّرة عن قلة الدين، قلة الالتزام الإيماني، خُبث النفس:**

عندما تصبح طبيعة للبعض، ظاهرة وسلوكًا يستمر عليها، الله يقول: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[الحجرات: ١٢]، تتكلم على الآخر في غيابه، بما تنتقص منه، بما تتعيَّبه به، بما تحاول أن تحط من كرامته ومنزلته في عيون الآخرين، فأنت تنتقصه، وتتكلم عنه بما تراه نقصًا فيه؛ **فإذا** كان حقيقةً، فهي غيبة، وإذا كان غير صحيح، فهو بهتان، **((الغيبة إدام كلاب أهل النار))**، الغيبة سلوك سيئ جدًّا، يكفي هذا التشبيه: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾، هل تحب لنفسك هذا؟ أن تأكل لحم مَن؟ لحم أخيك، لحم أخيك، تتجاوز حتى حرمة الأخوّة، ﴿مَيْتًا﴾، وهو ميت، وأنت تأكله، كيف سيكون منظرك؟ بشعًا، متوحشًا والعياذ بالله!

- **النميمة أيضًا من السلوكيات السيئة، في الاستخدام السيئ للسان:**

النميمة خطيرة جدًّا، والبعض يعتادها، بل تصبح بالنسبة له حرفة ومهنة، فهو ذلك الذي يحاول إذا سمع أي كلمة، مستفزة، أو مسيئة، من شخص تجاه آخر، أن يبادر بنقلها إليه؛ **ليثير** بينهما حالة الخلاف، والشقاق، والعداوة، والكراهية، والبغضاء، ﴿مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾[القلم: ١١]، هي أيضًا مما ورد في صفات شر خلق الله، شر خلق الله، الذين يحاولون أن يثيروا الفرقة بين الناس، النزاع، الصراع.

البعض بسعيه بالنميمة قد يسبب:

- **جرائم** قتل.
- **أو فرقة** كبيرة بين أبناء المجتمع.
- **أو خراب** لأعمال مهمة، كان أولئك سينطلقون للتعاون فيها، ففرق بينهم؛ بسبب سعيه بالنميمة.

بدلًا من أن يسعى بالنميمة، يمكنه أن يكلم ذلك الذي أساء، أو تكلم بكلمة جارحة، أو كلمة مستفزة، **يقول:** [يا أخي اتق الله، لا يجوز لك أن تتكلم، أن تغتاب أخاك المسلم، أن تقول هكذا]، بدلًا من أن يستخدم أسلوب النقل، الذي يترتب عليه استفزاز، ويترتب عليه مشاكل.

في الحديث النبوي: ((لا يدخل الجنة نمام))، لا يدخل الجنة، مصيره إلى جهنم؛ **لأن** النميمة من كبائر الذنوب، من فظائع المعاصي، التي تَحبَط معها صلاة الإنسان وبقية أعماله، ويدخل إلى النار، **وفي الحديث أيضًا:** ((لا يدخل الجنة قتَّات))، **والقتات:** هو النمَّام.

فما أسوأ أن تتحول تلك الطريقة السيئة، إلى سلوك للإنسان! والبعض يعجبه ذلك، يعجبه ويرتاح، يرتاح عندما ينقل إلى ذاك كلمة، وإلى ذاك كلمة، ومن أولئك إلى أولئك، ويحاول أن يثير بينهم المشاكل.

التنابز بالألقاب

- **من الاستخدام السيء: النبز بالألقاب:**

النبز بالألقاب: هو عندما تطلق على شخص اسمًا، أو عبارة معينة، عبارة سيئة مستفزة؛ **لتجعل** منها لقبًا له، يُطلَق عليه، فيُدعى به، وهو مسيءٌ إليه، ينتقص منه، يسيء إليه، يستفزه، هذا محرَّم، ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، يقول الله ﷻ ناهيًا، محذرًا: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[الحجرات: ١١].

كلها جرائم ظلم: التنابز بالألقاب، السخرية، اللمز، ما ورد النهي عنه في الآية القرآنية، **يجب** التوبة منه، والحذر منه، وإلَّا كان الإنسان في عداد مَن؟ في عداد الظالمين، **اسأل القرآن:** أين هو مصير الظالمين؟ أين مستقبلهم في الآخرة؟ هو جهنم والعياذ بالله، فالمسألة خطيرة جدًّا.

في مقايل الناس، ومجالسهم، ليحرص الناس على أن تكون نظيفة، سليمة من هذه الآفات، من هذه المعاصي؛ حتى لا تكون بُؤَر للمعاصي، لا تتحول إلى بؤر، يدخل الإنسان فيها، ويخرج وهو محمَّلٌ بما قال وبما سمع، هو يقول، يشارك بلسانه مع الآخرين، فهو ذلك الذي يهمز، ويلمز، ويسخر، ويغتاب، ويكذب، ويجمع كمًّا كبيرًا من تلك، ذنوبًا كثيرة، لا تنتهي جلسة التخزينة (في مقيل، أو مجلس معين) إلَّا وقد تحمَّل الأنواع الكثيرة من الذنوب، ساعة، أو عدة ساعات، ويخرج محمّلًا، محمَّلًا بذنوب كبيرة وخطيرة، وكلها موبقة، مهلكة، من كبائر الذنوب، من مساوئ المعاصي، التي تسبب نار جهنم، تحبط الأعمال الصالحة، تحبط **أجر** صلاتك، **أجر** صيامك، **أجر** أعمالك، أو بما قال، وأيضًا بما سمع، يصبح أيضًا متحمّلًا للإثم بما سمع، أصبح سمَّاعًا

للكذب، يسمع ويتفاعل، ويتقبّل، أصبح سماعًا للغيبة، سماعًا للنميمة، سماعًا للهمز واللمز، يتحمل أيضًا وزرًا بما قال، ووزرًا بما سمع، وأصغى، وتفاعل، وأظهر التفاعل مع الآخرين، بما يقولون من ذلك والعياذ بالله.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يحذِّر في جلسات الناس، وفي مقايلهم، وفي جلساتهم الخاصة: ﴿إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المجادلة: ٩].

مواقع التواصل الاجتماعي.. خطورتها وكيف نتعامل معها؟

في المقايل الأخرى، مواقع التواصل الاجتماعي، وأصبحت هي ذات حضور أكثر من المقايل، بل أصبح الكثير من الناس حتى في مقايلهم يركزون أصلًا- وهم أثناء مجالسهم- على مواقع التواصل الاجتماعي، **يجب** أن يكون الإنسان حذرًا.

مواقع التواصل الاجتماعي هي بُؤَر للشائعات، والدعايات، أكبر مكان فيه الكثير من الكذب، يعني: أكبر أماكن الكذب، والزور، والبهتان، والأشياء غير الصحيحة، والدعايات الباطلة، كل هذه المعاصي هي موجودةٌ هناك بأكثر من أي مكانٍ آخر، أمر رهيب، وضع خطير للغاية على إيمان الإنسان ودينه، وصلاح نفسه، وزكاء نفسه، وكرم أخلاقه، بل وإنسانيته.

فالإنسان ليحذر، لا يكون سريع التفاعل مع الدعايات، أي دعاية، أول ما يطلقها شخص، بدأ يتفاعل معها، وبالذات إذا كان شخصًا موهوبًا، عنده مهارة في تقديم تلك الدعاية، بأسلوب مستفز، أسلوب ساخر، أسلوب مثير، فيبدأ الكثير بالإعجابات، والتفاعلات، والتعليقات، ويشاركونه في الإثم، والوزر، والزور، والهمز، واللمز، والباطل.

أحيانًا يدخل الإنسان في جرم التأييد للباطل، وهو من أكبر الجرائم، من أعظم الذنوب، **باطل بأي شكل من الأشكال:**

- **باطل** فيما يقدم باسم الدين كعقيدة، أو مفهوم.
- **باطل** في قضايا الناس، في الصراعات الكبرى، في القضايا الكبيرة.
- **باطل** في نزاعات الناس، حتى في نزاعاتهم الشخصية.

من يؤيد الباطل، يتحمل الوزر عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والإثم، ويصبح شريكًا للآخرين، في موقفهم، **في** باطلهم، **في** جرمهم، **في** إثمهم، هذه قضية خطيرة على الإنسان، الله يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[الإسراء: ٣٦]، **أنت مسؤولٌ يوم القيامة عن:** سمعك، وبصرك، وفؤادك، هذه وسائل أراد الله لك بها أن تكون متحققًا، متبينًا، متحريًا، متأكدًا، وأن تتحرى الحق والحقيقة من خلالها، فلا تكن مجازفًا، تتقبل أي شيء، تتفاعل مع أي شيء، تتبنى أي شيء، قضية خطيرة على الإنسان.

أسلوب التَلَقِّي للشائعات، والتفاعل معها هكذا، بدون تحرٍ، تبيُّن، تأكد، انتباه، يقول الله: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾، **طريقة سيئة**، بسرعة، تلقٍ سريع، من اللسان إلى اللسان، دون تبيُّن، كأنها لُعقَة، تلعقها بطرف لسانك.

﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا﴾[النور: ١٥]، **وهذا مما يجرئُ الناس: أنهم يحسبون الأمور عادية**، يتكلمون بأي كلام، وفي عرض أي إنسان، ويتبنون أي دعاية، ويتفاعلون مع أي شيء، خاصةً- كما قلت- إذا كانت من إنسان موهوب في السخرية، موهوب في النقد اللاذع، في الكلام الجارح، حاد اللسان، حاد العبارات، البعض يعجبون بهذا النوع من الناس.

﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[النور: ١٥]، **جرم عظيم، ذنب عظيم، إثمه كبير، عاقبته عليكم سيئة،** عاقبته عليك أن تخسر أعمالك الصالحة، عاقبته عليك أن يكون مصيرك إلى جهنم، عندما تهلك أنت نفسك بنفسك، بلسانك، كم سيكون ندمُك يوم القيامة؟!

في مسألة هذا العصر، في هذا الزمن، في المسألة الإعلامية، والدعايات، دعايات في كل مكان:

- **دعايات** في الأسواق.
- **دعايات** في مواقع التواصل.
- **دعايات** في مختلف وسائل الإعلام.
- **دعايات** في المجالس.
- **دعايات** حتى وأنت تركب في السيارات، في الباص دعايات، في سيارات الأجرة دعايات.

أينما ذهبت الدعايات أمامك، ابنِ على قاعدة التبيُّن، التحري، التحقق، ثم موقفُك، ليكن الموقف الصحيح، موقف العدل، موقف الحق؛ لأن الدعايات- أحيانًا- حتى لو طَرحت قضية صحيحة، تصرُّف من شخص، أحيانًا يُستخدم هذا للتعميم على أمة، للتعميم على مجتمع بأكمله، للتعميم على توجُّه بأكمله، بهدف الإساءة؛ **لأن** كل شيء يوظَّف في حال الصراعات، الأمة في هذه المرحلة في صراعات ساخنة جدًّا، كل شيء يوظَّف توظيفًا عامًا، عامًا، عامًا، **فليحذر الإنسان**، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[الحجرات: ٦]، **مسألة التبين مسألة في غاية الأهمية في هذا العصر، والتحقق، والتثبت، وكذلك التركيز على الأمور المهمة، والاتجاهات الصحيحة.**

في مسألة مواقع التواصل الاجتماعي، وتجاه موضوع الدعايات، وتجاه موضوع النشاط الإعلامي الواسع في هذا العصر، ليحرص الإنسان أن يكون له في البداية توجُّه صحيح، اهتمامات صحيحة، أولويات صحيحة، قضية صحيحة، لا يكون إنسان فوضويًا، منفلتًا، مرة يتفاعل هنا مع قضية معينة، يحولها قضية القرن الحادي والعشرين، يسيء إلى كل الناس من أجلها، يطلق أسوأ العبارات، وأقسى الأحكام من أجلها، وينسى كل القضايا المهمة، والقضايا الرئيسية، والتوجهات الصحيحة، ثم قضية هناك، كل يوم وهو في اتجاه، وكل يوم وهو في قضية معينة.

ليحرص الإنسان على أن تكون مسيرة حياته مبنية على أساس صحيح، يرضي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم إذا كان هناك تصرفات، أو أخطاء، أو... يتعامل معها بحجمها، بقدرها، بمستواها، لا يعمِّم، لا يَبنِ على ذلك توجهات سيئة، مواقف سيئة، لا يجعل قضايا على حساب قضايا، يقف موقف العدل، الموقف الصحيح، الاتجاه الصحيح؛ **لأن البعض يؤثر عليهم الحس الإعلامي،** فيبعدون في كل شيء، يبعدون في كل شيء، يفارقون في كل شيء، يتجاوزون الحق والعدل في كل شيء، يفرطون ويبالغون، وهذه قضية واضحة جدًّا، البعض يحوِّل من إشكالية شخصية، يمكن معالجتها بالحق، والعدل، والإنصاف، وبطريقة عملية، إلى قضية يشتغل عليها في أوساط الرأي العام، ويتصور أن ذلك يكسبه عند الناس أهمية، ويستخدم هذا كأسلوب هواية، البعض هواة، والبعض عندهم أيضًا عقد نفسية، **وحالة العقد والأحقاد إذا اجتمعت معها موهبة في حدة اللسان، أو حدة ومهارة الكتابة، يشتغل بطريقة سيئة جدًّا.**

الله ﷻ أرشدنا، وهدانا، وعلمنا في القرآن الكريم، تعليمًا عظيمًا مهمًا، حينما قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[فصلت: ٧٠]:

■ **الإطار الأول: هو تقوى الله:**

تقوى الله فيما تقول، اتق الله فيما تقول، **لا** تتجاوز الحق، **لا** تتجاوز العدل، **لا** تتسرع بتبني دعاية باطلة، وحتى الأشياء الحقيقية **لا** تتجاوز فيها على الحق والعدل، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

■ **الإطار الثاني لما تقول: هو القول السديد:**

القول الذي لا تخرج فيه عن حد الصواب، تتحرى الحقيقة، الطريقة الصحيحة لتقديم الموضوع، في إطار اهتماماتك الواسعة، قضاياك الكبرى، الأمور المهمة، التوجهات المهمة، ثم تحرص على أن يكون ما تقدمه بشكل صحيح، بشكل عملي، بشكل إيجابي، بشكل تصل فيه إلى نتيجة عملية، وليس بشكل مَن يسعى فقط إلى إثارة الفرقة، إثارة الخلاف، التهييج للناس على الفتن، على الفوضى، على الاتجاهات السلبية، التي تخدم الأعداء، والتي تريح الآخرين على شحن واقع المجتمع، بالكراهية، والبغضاء، والتذمر، والاستياء، والعُقَد، هذا توجه غير عملي، ولا صحيح، ولا ناصح، ولا ناصح، الاتجاه العملي اتجاه آخر، اتجاه من يريد أن يصلح، من يريد أن يعمل عملًا صالحًا، من يريد أن يقيم العدل، اتجاه عملي إيجابي، يثمر، يفيد، ينفع، وليس اتجاهًا سيئًا.

فيظهر لنا جميعًا، من خلال ما ورد في القرآن الكريم، وتحدثنا عن نماذج، عن بعضٍ من العناوين، الحديث عن هذا الموضوع في القرآن الكريم هو واسعٌ جدًّا:

- **أهمية** هذه النعمة.
- **النتائج** الإيجابية لحسن استخدامها.
- **مساوئ** الاستخدام لها، وما يترتب عن ذلك من نتائج سيئة.

نكتفي بهذا المقدار.

وَنَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمُ الصِّيَامَ، وَالقِيَامَ، وَصَالِحَ الأَعْمَالِ، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبْرَارَ، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنْصُرَنَا بِنَصْرِهِ، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ،

وَالسَّـــلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَـــةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـــهُ؛؛؛

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِين، وَأَشهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وارضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِين، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالمُجَاهِدِين.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيم، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمْ.

أَيُّهَا الإِخْـــوَةُ وَالأَخَوَات:

السَّـلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَـةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـه؛؛؛

في الالتزام بالإيمان، وتقوى الله ﷻ، ومن أهم مواصفات المؤمنين، التي لابدَّ منها في مصداقية الإنسان، في التزامه الإيماني، وانتمائه الإيماني: هي العفة والطهارة، والسلامة الأخلاقية، والتنزه عن جريمة الفاحشة بكل أنواعها (الزنا، والفاحشة المثلية) نعوذ بالله منها، هذا من لوازم الإيمان والتقوى، كما ورد التأكيد على ذلك في القرآن الكريم كثيراً، وكما هو معروف، ومعلومٌ بالضرورة، **من الشريعة الإسلامية:**

- **يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في مواصفات عباده المؤمنين:** ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾، هذه الآيات المباركة وردت في (سورة المؤمنون)، ووردت أيضًا في (سورة المعارج) بنصها؛ **لتؤكد** على أنها من المواصفات اللازمة، التي لابدَّ منها في تحقيق الإيمان، لا يتحقق الإيمان إلَّا بالحفاظ عليها، مع بقية المواصفات التي أتت معها.
- **ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أيضًا في مواصفات عباده المؤمنين، في (سورة الأحزاب):** ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾[الأحزاب: ٣٥]، كذلك من المواصفات المهمة الأساسية، التي هي لازمةٌ لتحقيق الإيمان والتقوى.
- **يقول أيضًا في (سورة الفرقان) وهو يصف عباده المؤمنين:** ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾[الفرقان: ٦٨]، هم متنزهون عن تلك الرذيلة والفاحشة الدنيئة.

وجوب الاستقامة والحذر ونتائج التفريط فيها

كل هذا يبين أنها من لوازم الإيمان، فالإيمان كصلة، يصلك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يجعلك تؤمن به جَلَّ شَأْنُهُ، وتخشى عذابه، وتستحي منه، وتعظمه، وتعظم أوامره وتوجيهاته، وتسعى للالتزام بها، وتحترم حلاله وحرامه، وتقف عند حدوده، لا تتعدى حدوده التي رسمها لك، **وكذا في الأثر العظيم للإيمان، في تزكية النفس البشرية، وتطهيرها، والسمو بها، وفي ترسيخ مكارم الأخلاق، والقيم الفطرية العظيمة، التي ينشد إليها الإنسان بفطرته**، كل هذا له أثره الكبير في استقامة الإنسان، وفي تنزهه، وطهارته، وعفته، وصونه لنفسه عن تلك الرذيلة والفاحشة الدنيئة والمخزية، والتي هي من أسوأ الجرائم، ومن أبشع الذنوب، ومن كبائر المعاصي والعياذ بالله.

الإنسان في طريق الإيمان، وفي مسيرة حياته، على أساسٍ من إيمانه بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يتربى التربية الإيمانية، التي تعزز في نفسه المنعة، وصون النفس من الانزلاقة نحو تلك الرذائل البشعة؛ **لأنه** معلوم بين كل البشر، بمختلف أديانهم، أممهم، وعلى مر التاريخ، وفي مختلف بقاع الأرض، أن تلك الفاحشة هي دنيئة، ورذيلة، ومتنافية مع مكارم الأخلاق، وأنها بشعة، وسيئة، ومقيتة، **يعني:** هذا أمرٌ فطريٌ، بالنسبة للبشر في مختلف أممهم، ومختلف أجيالهم.

ولذلك يعتبر التفريط في ذلك، إذا فرط الإنسان- والعياذ بالله- في هذا الالتزام، في هذه الاستقامة، واتجه اتجاه الانسلاخ عنها، نحو الوقوع والتورط في مثل تلك الجرائم الفظيعة، **يعتبر هذا:**

- **انسلاخًا عن** قيم الفطرة، التي فطر الله الناس عليها.
- **خروجًا عمَّا** كرمك الله به كإنسان؛ **لأن** هذه ميزة للإنسان عن بقية الحيوانات، الحيوانات أكثرها، الحيوانات المتوحشة، والحيوانات البرية، أكثرها لا تعيش في حياتها نظام الحياة الزوجية المستقيمة، وتتعامل فيما يتعلق بغريزتها الجنسية، في حالة من الفوضى، وحالة من الانفلات، ليست مرتبطة- كما هو في الواقع البشري- بطريقة سليمة.
- **خروجٌ عن** خط الإيمان أيضًا، وعن الالتزام الإيماني، وعن الاستقامة الإيمانية.
- **خروج عن** مواصفات المؤمنين.
- **خروج عن** الاستقامة على أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتوجيهاته.
- **ومعصية كبيرة** وخطيرة جدًّا، من كبائر المعاصي والذنوب.
- **وخروجٌ** من خط الايمان، وحالة الإيمان، وشرف الإيمان إلى الفجور، إلى الفسق.

الإنسان يتحول من مؤمن، إلى فاسق، **إلى** فاجر، **ومن** طيبٍ، **إلى** خبيث، **وإلى** سيء، وهي حالة خطيرة جدًّا، وإذا وصل الإنسان إليها، هو لا يصل إليها إلَّا وقد خسر إيمانه، وانسلخ تمامًا من التزامه الإيماني، وشرفه الإيماني، وشرفه الإنساني؛ **ولهذا ورد في الحديث**

النبوي: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن))، لا يصل إلى التورط في تلك الجريمة البشعة، الشنيعة، الفظيعة، إلَّا في الوقت الذي يكون قد خسر إيمانه بشكلٍ تام.

النهي الشديد والتحذير القرآني من تلك الجريمة

☐ وأتى في القرآن الكريم النهي الشديد، والتحذير من تلك الجريمة، وما يؤدي إليها، ويوقع الإنسان فيها:

- **يقول الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**:** ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾[الأنعام: ١٥١]، نهي شديد، وأتى في سياق التوصيات والتوجيهات الملزمة في (سورة الأنعام)، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾، هو نهيٌ عنها، ونهيٌ عن القرب لها، من خلال مقدماتها، التي توقع الإنسان فيها والعياذ بالله، وفي كل أشكالها، وأنواعها، وأحوالها، **ولهذا يقول:** ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾، احذروا ذلك.
- **يقول الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**:** ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[الإسراء: ٣٢]، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾؛ **لأن** الإقدام على ما يُقرِّب منه، على مقدماته، وما يؤدي إليه، هو قُربٌ يوصل الإنسان فيه والعياذ بالله، ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾، ليس مجرد معصية بسيطة، أو مخالفة عادية، هو معصية شنيعة جدًّا، وفعلةٌ قبيحةٌ للغاية، وجريمة كبيرة، وفظيعة، ورهيبة، ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾، طريقة سيئة، لمحاولة أن يصل الإنسان إلى إرواء غريزته الجنسية.
- **يقول الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى **في الوعيد على الزنا:** ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[الفرقان: ٦٨-٦٩]، فهذا وعيد شديد، وعيدٌ بنار جهنم، بمضاعفة العذاب، فالذي يتبع هوى نفسه، ويتورط في مثل تلك الجرائم؛ **هو** يخسر مستقبله في الآخرة بشكلٍ نهائي، ويخلد في عذاب نار جهنم للأبد، يضاعف له فيه العذاب المهين، الذي فيه إهانةٌ له، يجمع بين شدة العذاب وشدة الهوان؛ **لأنها** جريمة مهينة ومخزية، وإذا تورط الإنسان فيها، استحق الإهانة.

الله ﷻ عندما جعل الغريزة الجنسية في الإنسان (ذكرًا، وأنثى)، جعلها لتكون سبيلًا للتناسل، ولبناء الأسرة، لتكوين الأسرة، ولتكون ارتباطًا في الحياة الزوجية، وجعل السبيل لتلك الغريزة هو الزواج، وهذه مسألة معروفة في البشر، ومنذ بداية الوجود البشري، حينما خلق الله (آدم، وحواء)، واقترنا بالزوجية، وكونا الأسرة البشرية، في أول تكوين للأسرة البشرية، وبطريقة فيها تكريم للبشر، هذا من التكريم لهم، أن يكون نظام حياتهم على هذا النحو، الذي فيه سُمُوٌّ بهم، وتكريمٌ لهم، ومن عوامل الاستقرار لهم في حياتهم، ولتكوين المجتمع على مستوى منظَّم، وبشكلٍ صحيح، من خلال لبناته الأساسية، التي هي **الأسرة**، والتي تتكون عبر هذه الطريقة.

ولذلك حينما قال الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾، **فالغريزة الجنسية السبيل لها الصحيح والسليم، والذي ليس له أي آثار سلبية، ولا نتائج سيئة، لا في نفسية الإنسان، ولا في واقع الحياة، هي من خلال الحياة الزوجية، والارتباط الزوجي؛ أمَّا** الممارسة لها خارج إطار الحلال والحياة الزوجية، فذلك جريمة شنيعة، وفظيعة، ولها آثارها الخطيرة جدًّا؛ **ولهذا يقول الله:** ﴿فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾، تعتبر ممارستها خارج إطار الحلال، والزواج الشرعي، يعتبر جريمة رهيبة، واعتداء، وتجاوزًا، اعتداء على حرمات الله، انتهاكًا لحرمات الله، تعديًا على حدود الله، وتعديًا على كرامة الآخرين، واستهانة وانتهاكًا لحرمات الآخرين؛ **ولهذا** تعتبر جريمة رهيبة، وجريمة كبيرة، من كبائر الجرائم، وفي نفس الوقت طريقة فاسدة، وضارة، وسيئة.

ولهذا قال الله عن قضاء الغريزة الجنسية بتلك الطريقة الإجرامية البشعة: ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[الإسراء: ٣٢]؛ **لأنها** طريقة سيئة بكل ما تعنيه الكلمة، بشعة، تمس بكرامة الإنسان وأخلاقه، وتخرجه عن التزامه

الإيماني، ولها تداعيات وآثار فظيعة وسيئة وقبيحة جدًّا، وآثارها على مستوى الإنسان في نفسه وحياته، وعلى مستوى المجتمع بشكلٍ عام.

من الآثار السيئة والفظيعة لجريمة الفاحشة

☐ من الآثار السيئة والفظيعة لجريمة الفاحشة، جريمة الفاحشة (الزنا، والفاحشة المثلية)، كلاهما يمثل جريمة سيئة جدًّا، ويطلق عليه اسم الفاحشة والعياذ بالله:

ضربة تدمر زكاء النفس وتدنسها

- **أول آثارها السيئة على نفس الإنسان: هي تُوَجِّه ضربة مدمرة لزكاء النفس:**

زكاء نفس الإنسان، ومن أول وأهم ما يحتاج إليه الإنسان هو زكاء نفسه، هذا شيءٌ تحتاجه أنت؛ **لتحظى** بكرامتك الإنسانية، لتسمو في حياتك، لتستقيم في حياتك، لصلاح نفسك، وصلاح أعمالك، إذا أردت أن تكون أعمالك صالحة ومستقيمة، ومسيرتك في الحياة مستقيمة، تحتاج إلى زكاء النفس، **إذا تخرّب زكاء نفسك، تخربت أعمالُك؛ وبالتالي لم تستقم حياتك.**

إضافةً إلى أن الإنسان إذا فقد زكاء النفس، هو يجلب لواقعه النفسي، لمشاعره النفسية، لحالته النفسية، المتاعب الكبيرة، والأضرار الخطيرة؛ لأنه فقد السلامة النفسية، **وفقد** الاستقرار النفسي، **ولوّث** نفسه بما هو أمراض خطيرة عليها، ومؤثرات سيئة عليها، تؤثر عليها التأثير السيئ.

- **وتدنيس للنفس البشرية:**

الإنسان الذي يتورط في تلك الجرائم- والعياذ بالله- يفقد:

- الشعور بالكرامة.
- الشعور بالعزة.
- الحياء.

يفقد ما يتميز به الإنسان في فطرته، من قيم مهمة وعظيمة، وأخلاق كريمة، وانشداد في فطرته للأشياء المقدسة، والأشياء العظيمة في هذه الحياة، **وبدلًا عن ذلك، تكون نفسية الإنسان:**

- **منحطة**، ودنيئة، وفاسدة.
- **وميالة** إلى القذارات، إلى الجرائم، إلى الأشياء الدنيئة، إلى الأشياء السيئة.
- **وفي** نفس الوقت، تكون مُطوَّعةً للشيطان.

يكون الإنسان ميالًا بشكل كبير جدًّا، ومنجذبًا بشكل يطغى على مشاعره وأحاسيسه، **إلى** الأشياء الدنيئة، والأشياء السيئة، والأشياء الفاسدة، **ومهيأً** لعمل أي جرائم، أي منكرات، **وخاضعًا** للتأثير الشيطاني، يقوى عليه التأثير من جانب الشيطان والعياذ بالله؛ **فتميل** نفسه إلى الرجس، وإلى قذارة الفساد، وإلى الإجرام، ويفقد مشاعر الصلاح، مشاعر الزكاء، مشاعر الخير، في نفسه؛ **فيتجه** في الحياة اتجاهًا سيئًا.

أبشع أشكال الخيانة التي تدمر الحياة الزوجية

- **من آثارها السيئة، ومن أسوأ ما فيها: أنها من أبشع أشكال الخيانة:**

ففي الحياة الزوجية (سواءً من جهة الزوج، أو الزوجة) هي خيانة كبيرة جدًّا، وخيانة مسيئة، وخيانة مدمرة للحياة الزوجية، وتمثل صدمةً كبيرة، لأيٍّ من الزوجين (للزوج تجاه زوجته، أو الزوجة تجاه زوجها)، من يكتشف أن الآخر يخونه عبر ارتكاب تلك الجريمة، يستاء جدًّا، ويمثل ذلك صدمةً كبيرةً له، وجرحًا عميقًا، قد تبقى أضراره وآثاره طول حياته.

وفي نفس الوقت تُفكِّك الأسرة، وهي من الأسباب التي تسبب لكثيرٍ من حالات الطلاق، في كثيرٍ من المجتمعات، وتفكك الأسر، وتؤثر على حياتها؛ **وبالتالي تُفكك المجتمع**، كلما انتشرت في أوساط المجتمع، ضربت البنية الأسرية، التي هي العُمدة

في بناء المجتمع، وفي تكوين المجتمع، وكذلك الأساس في تكوين الأُسر، فتمثل مشكلةً كبيرةً على كثيرٍ من المجتمعات.

أمَّا المجتمعات الغربية، التي انتشرت فيها تلك الرذيلة بشكل كبير جدًّا؛ **فأصبحت** الحياة الاجتماعية فيها متضررة جدًّا، كلٌّ من الطرفين (من الزوج، وزوجته) لا يأمن الآخر، ولا يثق به، وحالة جهنمية في واقعهم النفسي وفي حياتهم والعياذ بالله.

بؤرة كبرى لإنتاج جرائم أخرى

- **من أسوأ آثارها ونتائجها، ومن أقبح ما فيها، أنها تمثل بؤرة لإنتاج الجرائم الأخرى:**

إذا انتشر الفساد الأخلاقي، وانتشرت جريمة الفاحشة، **بأنواعها** (الزنا، والفاحشة المثلية)، فهي تنتج الجرائم الأخرى، **ينتج عنها ويتفرع عنها:** جرائم القتل، **جرائم** الاعتداء، **جرائم** متنوعة في واقع الناس، **جرائم** الاعتداءات، **وجرائم** القتل، **وجرائم** أخرى، **وتمثل خطرًا كبيرًا على أمن المجتمعات.**

وهذا حاصل في المجتمعات الأخرى غير المسلمة، بشكل كبير وواضح، يعني: هي في واقعهم تمثل مشكلة كبيرة لهم، فالجرائم التي تتفرع عنها كثيرةٌ جدًّا، وجرائم وحشية للغاية، جرائم بشعة جدًّا، جرائم مفجعة، ومخزية، ومخيفة جدًّا، **تنتشر في أوساطهم:** البعض يقتل أبناءه، البعض من الأمهات تقتل بنتها، تحصل أشياء رهيبة جدًّا، أيضًا جرائم الانتحار كثيرةٌ في أوساطهم؛ **نتيجةً** لذلك، البعض من النساء- فيما بعد- يلجأن إلى الانتحار، تُدَمَّر حياتُها، وتشقى في حياتها، وتخزي في حياتها؛ **فتلجأ** إلى الانتحار.

تدمر الصحة وتسبب أزمات ومشاكل كبيرة

- **هي أيضًا مدمرة صحيًا، وهي السبب الرئيسي لانتشار مرض (الإيدز)، الذي انتشر في العالم، وأصبح مشكلة صحية في كثيرٍ من البلدان:**

دمَّر الوضع الصحي فيها، وسبَّب أيضًا لمشاكل كبيرة جدًّا، وأزمات: أزمات

اقتصادية، أزمات اجتماعية، ومشاكل متنوعة، **وأمراض مهلكة أخرى، تنتشر نتيجةً لذلك،** وهذا معروف، **معروف عالميًا أن السبب الرئيسي:** هو انتشار الفساد الأخلاقي، وجريمة الفاحشة.

ولسوء آثارها، وتنوّع أضرارها، وما تجلبه على المجتمع البشري من شقاء كبير، إضافةً إلى أن الإنسان يخسر فيها إيمانه بالله، صلته الإيمانية بالله، بكل ما يترتب عليها، ويخسر شرفه الإنساني؛ **لأن** آثارها فيما يتعلق بشرف الإنسان، وشعوره بالخزي والعار، وأن يُعرف بالعار فيما بين المجتمع، مسألة معروفة في المجتمعات البشرية كافة.

ولذلك يركز الشيطان- وهو العدو المبين للإنسان- **يركز** على توريط الناس فيها، **والله** قد كشف لنا ذلك عنه، **في** القرآن الكريم، **وفي** كتبه السابقة، **وبلّغ** الرسل والأنبياء، بلغوا المجتمعات بذلك على مدى التاريخ، يقول الله في القرآن الكريم، وهو يفضح الشيطان، ويخبرنا عن تركيزه على ذلك: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ﴾[البقرة:١٦٩]، فهو يأمر بذلك، ويوسوس لذلك، ويسعى لتوريط الإنسان في ذلك، وإغرائه بذلك، يقول عنه: ﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾[البقرة: ٢٦٨].

يقول أيضًا: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[النور:٢١]، **فالشيطان يسعى في استهدافه للإنسان إلى توريطه في ذلك، والإيقاع له في ذلك؛** لأنه يعتبر هذه ضربة مدمرة للإنسان، ومخزية للإنسان، ومهينة للإنسان.

اللوبي الصهيوني أهدافه ووسائله لنشر هذه الجريمة

كما أن جنود الشيطان وأعوانه يركزون أيضًا على ذلك، وهو من أسوأ الأعمال، التي يركزون على نشرها في المجتمعات البشرية بشكلٍ عام، من المعروف أنَّ اللوبي الصهيوني اليهودي يتحرك بكل إمكاناته، وأصبح يُحرّك دول الغرب، والمجتمعات الغربية بإمكاناتها، وعلى رأسها أمريكا، وكذلك ذراعه إسرائيل، يُحرّك الكل بإمكاناتهم،

وباهتمام كبير، وسعي حثيث، لإفساد المجتمعات البشرية، وبشكل غير مسبوق.

في هذا الزمن، تحرَّك الغرب في ذلك، تحركت أمريكا، وتحركت إسرائيل، وتحركت الدول الأوروبية، في ذلك بشكل كبير جدًّا؛ **حتى** مثَّل ذلك إزعاجًا لكثير من البلدان غير المسلمة، مثل ما هو الحال في الصين، مثلما هو الحال في روسيا، مثل ما هو الحال في بلدان أخرى، لاحظوا أن ذلك التحرك هو تحرك غير طبيعي، سعي حثيث، ضغط كبير، إغراءات كثيرة، أنشطة كثيرة، تسخير إمكانات ضخمة، للسعي للإيقاع للناس في تلك الجرائم، وربطهم بها، بدلًا عن الحياة الزوجية، يحاولون أن يفصلوا الناس، وأن يبعدوهم- إلى حدٍ كبير- عن الحياة الزوجية، والارتباط بالحياة الزوجية، إلى الاستبدال لها بشكلٍ تام بالجريمة المثلية، والفاحشة، وفاحشة الزنا والعياذ بالله، فتحركهم غير مسبوق، وهذا مثَّل- فعلًا- إزعاجًا لكثير من المجتمعات، وعرفوا أن ذلك من الاستهداف العدائي، استهداف بعداء شديد، وبوسيلة وأسلوب قذر والعياذ بالله.

في هذا العصر قاموا بالتبني الفاضح والمخزي للفاحشة بأنواعها:

- **الجريمة المثلية:** قاموا بتبنيها بشكل علني، وأصبح من السياسات الأمريكية المعروفة، والمعلنة، **وليست الخفية:** الترويج للجريمة المثلية، والتشجيع عليها، والدعم لها، والسعي لقوننتها، والسعي لتبسيطها في المجتمعات، المجتمعات مشمئزة- بفطرتها- منها، وبانتمائها الديني، في كل المجتمعات؛ **لأنها** جريمة شنيعة، بحسب الأديان، وبحسب الفطرة البشرية، فهم يحاولون أن يبسطوها، أن يكسروا حاجز العفة في المجتمعات البشرية، الحاجز الفطري لدى المجتمعات البشرية.
- **وكذلك جريمة الزنا:** يحاولون أن يعملوا عليها بنفس الطريقة.

في الماضي، كان الأمر ظاهرًا، وبارزًا، ومعروفًا، في أجهزتهم الاستخباراتية، مثلما هو الحال بالنسبة للمخابرات الأمريكية، والمخابرات الإسرائيلية، كان معروفًا عنها عالميًا، أنها تستخدم هذه الوسيلة في الإيقاع بمن تجندهم عملاء لها، الإيقاع لهم في جرائم

الفساد الأخلاقي (في الزنا، والجريمة المثلية)، وتقوم بتصويرهم، وهم في تلك الحالة البشعة جدًّا من ممارسة الجرائم، ثم الابتزاز لهم، والإخضاع لهم، على تنفيذ أوامرها، والتحرُّك وفق ما تريده منهم، وتطلبه منهم، وتنفيذ أي جرائم أخرى.

تبدأ المسألة عن طريق الابتزاز، وتبقى مسألة الابتزاز وسيلة للإخضاع والسيطرة، ثم مع الاستمرار في ذلك، تتدنس النفس، وتخبث النفس، **ثم** يصبح الإنسان متجهًا بشكلٍ تلقائي لهم، وفق ما يريدونه في ارتكاب أي جريمة، مهما كانت بشعة، يخون أمته، يخون شعبه، يخون أسرته، يخون وطنه، يتجه لفعل أي جريمة، جريمة قتل أي إنسان، حتى لو كان قريبًا له، حتى لو كان إنسانًا من أخيار المجتمع، أو كانت جريمة بشعة بحق مجتمعه، لا يبالي، يصبح جاهزًا لارتكاب أي جريمة؛ **لأنهم** من خلال جريمة الفاحشة، صنعوا منه مجرمًا كاملًا، جاهزًا لارتكاب أي جرائم، **هكذا كان الواقع.**

ثم اتسعت سياساتهم لاستهداف المجتمعات بشكلٍ عام، كانوا أيضًا يستهدفون النخب، يستهدفون الساسة، يستهدفون القادة، بنفس الهدف: لإخضاعهم والسيطرة عليهم، ثم اتجهوا إلى الاستهداف العام، **للمجتمعات** بشكل عام، وأصبحت سياساتهم في ذلك سياسات علنية، وخططهم مكشوفة، **وبرامجهم العملية على أساس ذلك:**

- **عملوا- في ظل الاستهداف العام- للترويج لذلك تحت عنوان (الحريات الشخصية)،** فيقدمون الجريمة، الدنيئة، السيئة، المخزية، التي هي انتهاك لحرمات الله، وتعدٍّ لحدود الله، وتعدٍّ على حرمات أبناء المجتمع، يقدمونها حريّة، تحت عنوان أنها **(حريّة)،** وليست من الحريّة في شيء، كيف تكون الجريمة، السيئة، المخزية، المدمرة بكل آثارها وتبعاتها السيئة في حياة المجتمع، **حريّة؟! هي** دناءة، **هي** انحطاط، **هي** عبودية للشيطان، عبودية للطاغوت، عبودية لأعوان الشيطان، عبودية للمجرمين.

- **عملوا على توفير الحماية القانونية لها.**

- **عملوا على كسر حاجز الفطرة عند البشر،** والتي مثَّلت مشكلةً أمامهم؛ **لأنه** معروف أنها جريمة منحطة، ودنيئة، ومخزية، هذا معروف حتى في المجتمعات الغربية، في كل مجتمعات الدنيا.

ركزوا على ذلك؛ لأنهم يضربون زكاء النفوس، ولأنهم- في نهاية المطاف- يسيطرون على المجتمعات، وهذا الهدف الرئيسي بالنسبة لأعوان الشيطان: أن يسيطروا على المجتمعات، أن يدمروها، في قيمها، وفي فطرتها، في عوامل المنعة، والإباء، والعزة، والكرامة، **وأن** يحولوها إلى شعوب وبلدان منحطة، دنيئة، لا قيمة عندها لأي شيء، ولا كرامة لديها؛ فتصبح خاضعةً لهم، مستسلمةً لهم، مسخرةً لهم، شعوب مريضة، معتلة نفسيًا، وصحيًا، واجتماعيًا، ومفككة؛ **وبالتالي** يسهل عليهم السيطرة عليها. **فهي وسيلة دنيئة وقذرة للاستهداف والسيطرة، وأخطر من الوسائل الأخرى.**

الاستهداف بالحرب، والقتل، والدمار وسيلة مستفزة للشعوب والمجتمعات، وتدفعها إلى التحرك، إلى القتال، **تُحَرِّك فيها:** الغيرة، الحميّة، الإباء، الكرامة، الغضب، وهم يريدون أن يستهدفوا الشعوب بطريقة أخرى، بدلًا من أن يستثيروها بمثل هذه الدوافع والحوافز، يحاولون أن يسيطروا عليها بطريقة دنيئة ومخزية.

توجيهات مهمة للحماية من خطوات الشيطان

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حذرنا في القرآن الكريم من ذلك، وبيّن أن الشيطان- ابتداءً- هو يسعى لذلك؛ بدافع العداء للبشر، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[النور:٢١].

القرآن الكريم، في الوقت الذي حذر من تلك الجريمة، وبيّن أن الشيطان يستهدف الإنسان لإخزائه، وتجريده من الكرامة، وإشقائه وتوريطه، إلى ما يشقيه، ويسبب له

عذاب الله، وسخط الله، **هو يستخدم أسلوب (الخطوات)**، وهذه أهم نقطة على الإنسان أن يتنبه لها؛ **ليصون** نفسه، وليحافظ على عفته، وشرفه الإنساني، وإيمانه، وأخلاقه، وكرامته، أن يحذر من (الخطوات)، الشيطان يستخدم أسلوب (الخطوات)، **ولهذا أتت التوجيهات من الله في القرآن الكريم، بما يحمي الإنسان من خطوات الشيطان، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أمر بغض البصر:** ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٣٠ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

الشيطان، وأولياء الشيطان، يسعون إلى الإيقاع بالإنسان عن طريق الإغراء، عن طريق المشاهد المغرية، المشاهد المؤثرة على الإنسان، التي تستثير غريزته الجنسية، وتميل به إلى الفاحشة والعياذ بالله، سواءً عن طريق المشاهد المحرمة، التي يشاهدها في هذا الزمن من خلال وسائل الإعلام، والأعداء يصنعون مشاهد خليعة، مشاهد إباحية، مشاهد سيئة للغاية؛ **يحاولون** من خلالها التأثير على الناس، ينشرونها في قنوات فضائية سيئة جدًّا، ينشرونها في الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي، **والهدف منها: استهداف الناس في زكاء نفوسهم، وتدمير زكاء نفوسهم، والإيقاع بهم- من خلال ذلك- في الجريمة والعياذ بالله.**

فالإنسان عليه أن يغض بصره، وأن يتجنب ذلك بشكل نهائيٍ وتام، أيضًا في واقع الحياة أن يتجنب الإنسان النظر، يحافظ على بصره (نظره) من مشاهدة النساء المحرم عليه النظر إليهن، **كلُّ ما هو محرَّمٌ على الإنسان من ذلك:** سواءً المشاهدة عبر التلفاز، أو عبر وسائل الإعلام، للمشاهد الإباحية والخليعة، أو في واقع الحياة، ألّا يتطلع بنظره إلى النساء الأُخريات، ويحاول أن ينظر إليهن بالريبة،

والاستغلال لذلك في الاتجاه الذي يُحَرِّك فيه غريزته ومشاعره نحو الفاحشة والجريمة والعياذ بالله، على الإنسان أن يحذر من ذلك.

إذا صان الإنسان نفسه من النظر الحرام، فهو سيبقي نفسه بعيدًا بلا شك، وهي أهم طريقة، وأول ما يساعد الإنسان على الوقاية، يحافظ على مشاعره، أن تبقى مشاعر طاهرة.

كذلك على مستوى التفكير، أن يبقى سليمًا، لا يأتي ما يثيره، مع أن الإنسان- على كل حال- ينبغي أن يتجنب التفكير في المعاصي، والتخيل لها، والتركيز الذهني عليها، والدخول ذهنيًا وخياليًا في تفاصيلها، هذه قضية خطيرة على الإنسان، **التفكير في المعاصي يجر إليها، ويدفع بالإنسان نحوها والعياذ بالله.**

من مداخل الشيطان وخطواته: هو من خلال العلاقة المحرمة (بين الذكور والإناث)، والاختلاط الفوضوي، والتواصل المغري عبر وسائل الاتصال المعاصر:

- **مثلما يحصل للبعض، عن طريق التواصلات في** مواقع التواصل الاجتماعي، **أو في** الإنترنت، **أو** عبر الجوّالات، **أو** عبر أي وسائل معاصرة، ثم تكون هي- تلك المراسلات، والمغازلات، والكلام البذيء، والكلام الفاحش والسيئ- يكون وسيلة للإغراء، ووسيلة للوصول إلى تلك الجريمة والعياذ بالله.
- **الاختلاط الفوضوي كذلك**، يكسر الحواجز، من الحياء والعفة، ويسبب لتحريك المشاعر، مشاعر الغرام، والمحبة، والعشق، والميول الفاسدة، نتيجةً لذلك، ثم الوقوع- والعياذ بالله- في الجريمة.
- **الخلوة المحرمة بالنساء**، كذلك يؤدي إلى تلك الجريمة.

فكل تلك الخطوات، التي يعتمد عليها الشيطان، في الإيقاع بالإنسان، على الإنسان أن يحذر منها، وأن يتجنبها، وعلى المجتمع- كمجتمع- أن يتعاون على البر والتقوى، نظام حياته، مسيرة حياته، أسلوبه، يكون مما يساعده على التزام حالة التقوى، والبعد عن حالة المعاصي.

وجوب الالتزام بالضوابط الشرعية

ثم أن يلتزم الإنسان بالضوابط الشرعية.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو ربنا، الكريم، الرحيم، العظيم، ذو الفضل الواسع العظيم، هو الذي قال لنا في كتابه الكريم: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[النساء:٢٦-٢٨].

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شرع لعباده الزواج، وهذه قضية معروفة في المجتمع البشري، في كل المجتمعات البشرية، وعبر كل الأجيال، منذ بداية الوجود البشري، الزواج هو وسيلة للتناسل، ووسيلة لبناء الحياة الأُسرية، وفي نفس الوقت يُحَصِّن المجتمع، ويحافظ عليه، ويحافظ على استقراره، ويحافظ على الاستقرار النفسي للزوج والزوجة في هذه الحياة؛ **حتى** ينطلقا في مهام الحياة، من واقع استقرار نفسي، واطمئنان نفسي، وهذه مسألة مهمة جدًّا.

فالضوابط الشرعية، تصون الإنسان:

- **وفي مقدمتها: الاهتمام بأمر الزواج، وتحصين المجتمع بالزواج، هذه مسألة مهمة،** ومن المهم للناس أن يتعاونوا، في مساعدة الفقراء الذين يحتاجون إلى المساعدة من أجل الزواج.
- **كذلك أن يتركوا بعض العادات، التي هي غريبة على مجتمعنا، مثل:** مسألة تأخير الزواج إلى آخر مرحلة الشباب، أو ما بعد مرحلة الشباب؛ **بُحجة** الواقع المعيشي، وبُحجة أنه يريد أن يدبر مستقبله أولًا، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول في القرآن الكريم: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ

مِنْ فَضْلِهِ﴾[النور: ٣٢]، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو المتكفل بالرزق، **فمسألة التأجيل للزواج، حتى ينقضي عمر الشباب ومرحلة الشباب، أو إلى آخره، يجلب الكثير من المفاسد، وهي مسألة خطيرة جدًّا.**

- **غض البصر،** ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾[النور: ٣١]، عند الرجل، والمرأة كذلك.

- **الحفاظ على الضوابط الشرعية في العلاقات، في التعامل بين أبناء المجتمع،** هذا مما يصون النفس، ويصون المشاعر، ويصون تفكير الإنسان، ويبقيه بعيدًا عن ضغط الإغراء، وعن التأثيرات السيئة، التي تؤثر عليه، وتدفع به نحو الفساد.

- **تذكر العواقب السيئة لتلك الجريمة، وما ينتج عنها، وأنها تسبب للإنسان سخط الله، وغضب الله، ولها عقوبات في الدنيا والآخرة،** عقوبات في الشرع الإسلامي، عقوبات من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الدنيا، وعقوبات في الآخرة (**جهنم** والعياذ بالله).

- **وعدم الاطمئنان إلى ما يسوِّل به الشيطان للبعض، الشيطان يسوِّل للبعض:** [أنه لن يعرف أحدٌ بذلك، وأنهم سيبقون في حالة من الستر الدائم، ولن يتضح لأحدٍ ماذا يحصل، ويمكن أن يتوبوا فيما بعد]، إلى غير ذلك من أساليب الشيطان المخادعة.

في واقع الأمر، فإن الحالة التي يصل إليها من يفكرون هذا التفكير هي الفضيحة، من يتجهون اتجاه الجريمة، والرذيلة، والفاحشة، في الأخير يفضحهم الله، وفي الأخير يُكشفون، ويكون ذلك فضيحةً لهم، وعارًا عليهم، وخزيًا لهم بقية أعمارهم، طول حياتهم.

والإنسان مهما كان موقعه، سواءً كان شخصية اجتماعية، أو مسؤولًا في الدولة، أو شخصية بارزة، أو شخصية دينية، **إذا فُضِح بمثل تلك الفضيحة-** فضيحة مخزية للغاية، وفضيحة دنيئة جدًّا، ومشوِّهة للإنسان- **هو يخسر** كرامته، وشرفه، ومنزلته بين أوساط الناس، والنظرة إليه نظرة سلبية جدًّا.

الإنسان ليحذر من العواقب السيئة، ومن سخط الله ﷻ، أعمال الإنسان تُحبَط، كل أعماله الصالحة لا يُقبل منها شيء، ثم يكون مصيره- والعياذ بالله- إلى جهنم، ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[الفرقان: ٦٩]، في عذاب جهنم، يتلقى العذاب المهين، الذي يهينه الله به.

كثيراً ما تحدثنا عن هذا الموضوع، بالذات في المحاضرات الرمضانية؛ لأن الأعداء في هذا العصر، أعداء الإسلام والمسلمين- الشيطان، واللوبي الصهيوني اليهودي، وأمريكا، وإسرائيل- يشتغلون في هذا المجال، في هذه المرحلة، بشكل كبير جدًّا؛ **لاستهداف** المجتمعات البشرية بشكل عام، والمجتمعات الإسلامية، ويسعون إلى تمييع المجتمع، إلى إفساده، إلى تفريغه من قيمه، ويعملون عبر ذلك من خلال المنظمات.

المنظمات، البعض منها مهمته الأساسية: هو أن يهيئ لذلك، وأن يستهدف النساء، ويستهدف أبناء المجتمع؛ **بهدف** الإيقاع بهم في الجرائم، والإفساد لهم، طريقتهم في العمل، أساليبهم، برامجهم، طريقتهم في الاستقطاب، هي واضحة في هذا الاتجاه، وأنها بهدف الإيصال بالمجتمع، **إلى** الضياع، **إلى** الفاحشة، **إلى** الرذيلة، **إلى** الفساد؛ **وبالتالي** فساد المجتمع، وفساد حياته، والسيطرة عليه.

فنكرر الحديث عن هذه المسألة، في معظم المحاضرات الرمضانية، على حسب الأعوام الماضية، وفي هذا العام؛ للفت النظر إلى هذه المسألة، وللتنبيه على قيمة الضوابط الشرعية، وأنها بحكمة الله، وبرحمة الله ﷻ، وهو الخبير بعباده؛ **لأن** البعض يحاربونها، يحاربون الضوابط الشرعية، يسخرون منها، يشوهونها، ويسعون إلى أن تتحول العفة مشوَّهة، يعملون في الاتجاه الشيطاني والعياذ بالله.

مثل هذا الموضوع يجب أن يحظى باهتمام الخطباء، أن يكون من ضمن الاهتمامات التربوية، والتثقيفية، والتعليمية، مجتمعنا- بحمد الله- مجتمع محافظ، لكن ليستمر في الحفاظ على واقعه، على عاداته الراقية جدًّا، فيما يتعلق بالعفة،

والشرف، والكرامة، وصون النفس، **والحذر** من غزو الأعداء، وأساليبهم في الاستهداف، والتي هي خطوات متدرجة، وعملية ترويض، وأساليب مخادعة؛ **للإيقاع** بالناس في الرذيلة، ونشر تلك الجرائم والعياذ بالله.

ليبقى أيضًا التركيز على تزكية النفس، والتربية الإيمانية، والتربية الأخلاقية، محط اهتمام لدى الجميع، لدى الإنسان تجاه نفسه، تجاه أُسرته، والمجتمع بشكلٍ عام.

أَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لما يُرضيه عَنَّا، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبرَارَ، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنصُرنَا بِنَصْرِه، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاء.

وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنكُمُ الصِّيَام، وَالقِيَام، وَصَالِحَ الأَعْمَال.

وَالسَّـــلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَـــةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـــهُ؛؛؛

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّين.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِين، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِين.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيم، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمْ.

أَيُّهَا الإِخْـــوَةُ وَالأَخَوَات:

السَّـلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْـمَـةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـه؛؛؛

يعتبر الهم المعيشي، وَهَمُّ توفير متطلبات الحياة، وفي مقدمتها الغذاء، والقوت الضروري، والاحتياجات الأساسية للحياة، هو الهمُّ الأول، الضاغط والمؤثر على أغلب الناس، على المستوى النفسي، في اهتمامهم، وكذلك في تفكيرهم، وأيضًا في أعمالهم، واهتماماتهم، وتوجهاتهم، وهذا شيءٌ فطريٌ، وطبيعي، **والمهم أن يبقى متوازنًا**، فلا يطغى على الإنسان، حتى يدفعه إلى أن يخرج عن خط الاستقامة، وأن يتصرف بطريقة خاطئة.

مع صعوبة الظروف، والمعاناة في حياة الناس، وفي معيشتهم، يزداد هذا الهم، ويزداد ضغطه وتأثيره على الناس؛ ولذلك يحتاج الإنسان إلى أن يتعامل مع هذا الهم: بوعيٍ، ورشدٍ، وبصيرةٍ، وإيمان، وثقةٍ بالله ﷻ، وأن يلتزم بالتقوى في اهتماماته ونشاطه العملي، وإلَّا فتأثير هذا الهم خطيرٌ على الإنسان.

ففي حالة الجزع واليأس، يترك أثرًا خطيرًا على الإنسان في تصرفاته، وحتى في علاقته بالله ﷻ، وفي أعمال الإنسان، والكثير من الناس يتصرف بطريقة متهورة، أو يؤثر عليه الغم، والحزن الشديد، واليأس الكبير، على المستوى النفسي، وقد يصل الحال ببعض الناس إلى مستوى المرض النفسي، أو التهور بجرائم وتصرفات خطيرة على الإنسان.

الطمع ونتائجه الخطيرة وتبعاته العظيمة

وكذلك أيضًا في حالة الطمع، الأمر خطيرٌ جدًّا على الانسان، إذا اتجه توجهًا ماديًا بطمعٍ كبير، وأثَّر عليه الهم المعيشي، وتحوَّل إلى أطماع كبيرة، وطموحات كبيرة، **فيتجه البعض من الناس إلى الاتِّجار في المحرمات:**

- **يتجه البعض- مثلًا- إلى الاهتمام بالتجارة في المخدرات والعياذ بالله**، وتورط الكثير من الناس في ذلك؛ **نتيجةً** للإغراء المادي، مع طمعهم وجشعهم، وما يرونه من عائد مادي، اتجهوا وتورطوا في ذلك بكل ما يترتب عليه، من إثم، وذنب، ووزر كبير، ونتائج خطيرة في واقع الحياة، وتبعات عظيمة، يتحملون آثامها عند الله ﷻ، إضافةً إلى ما يمكن أن يحصل لهم في عاجل الدنيا قبل آجل الآخرة.
- **البعض من الناس يتجه إلى بيع الدين، مقابل الحصول على الدنيا**، ويتورط في جرائم رهيبة في هذا الاتجاه، كما هو حال الكثير من الناس، الذين وقفوا في صف العدوان، وقاتلوا ضد شعبهم المظلوم، قاتلوا لتمكين المعتدي من السيطرة على بلدهم وشعبهم، قتلوا، وارتكبوا الجرائم، والموبقات، والآثام؛ **من أجل** الحصول على المال.

■ **البعض أيضًا يتَّجر في المضار، التي تفتك بالناس في صحتهم، وقد تقتل الناس:**

- **مثلما هو حال من يتاجر في المبيدات الضارة جدًّا بصحة الناس،** التي تسبب للناس مرض السرطان، أو الفيروس (فيروس الكبد)، أو أيًّا من الأمراض القاتلة، التي تقتل الناس، فنتيجةً للكسب المادي، والإغراء المادي، لا يبالي، لا يبالي بما ينتج عن بيعه وشرائه، من إلحاق ضررٍ كبيرٍ بالكثير من الناس، **على مستوى** المتاجرة في ذلك، **وعلى مستوى** الاستخدام لذلك.

- **أيضًا الكثير من المزارعين- مثلًا- قد يتجه إلى استخدام تلك المبيدات؛** بهدف الحصول على المال؛ **لأنه** يريد أن يُنتِج من محاصيله الزراعية، أو يريد أن يسارع القات في البزغة، وأن يجني من وراء ذلك المال، فلا يبالي بما ترتب على ذلك، من إلحاق ضررٍ كبيرٍ بحياة الناس، بصحتهم، وما يترافق مع ذلك، من ضائقة مالية، من كُلَف مالية في العلاج، في الرعاية الطبية، وغير ذلك.

هذا نتيجة لماذا؟ نتيجة للطمع، الذي يعاني منه البعض.

- **البعض- مثلًا- يجعل كل تجارته، ويعتمد في نشاطه التجاري على الدخان،** البيع والشراء في الدخان، وهو يعرف مدى الضرر البالغ، الذي تُلحقه تلك السلعة بصحة الناس وحياتهم، وهكذا، لكنه الطمع.

الطمع إذا تحرك في الإنسان، أثَّر على الإنسان، وكم هي التصرفات الناتجة عن الطمع! تحدثنا في محاضرتين عن هذا الموضوع كعناوين، ولبعض العناوين فقط.

فحالة الجزع واليأس خطيرة على الإنسان، في الهم المعيشي، وحالة الطمع خطيرةٌ كذلك.

حالة الجزع واليأس، وصلت بهم في الجاهلية الأولى إلى أن يقتلوا أبناءهم من الفقر؛ ولهذا منع الله ذلك، حذَّر منه، وحرَّمه، وعندما جاء الإسلام منعه بشكلٍ تام،

منع حالة القتل للأبناء، كانوا يقتلون أبناءهم، فأتى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[الأنعام: ١٥١]، فكانوا يقتلون أولادهم، والبعض يقتلونهم **خشيةً عليهم من الفقر عندما يكبرون**، فيأتي قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾[الإسراء: ٣١]، يتبين لنا خطورة الجزع من الهم المعيشي، والضغط النفسي، من مشكلة الفقر والبؤس.

المعالجات التي قدمها الله تعالى للهم المعيشي

❑ الله سبحانه وتعالى قدَّم معالجة كبيرة لهذه المسألة:

- أولًا: قدَّم الضمانات لعباده:

مِن أسمائه الحسنى أنه سبحانه وتعالى، الرزاق، ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[الذاريات:٥٨]، ومثلما ذكرنا في تحريمه لقتل الأولاد خشية الفقر، أو بضغط الفقر، نهى، وقال في الآية الأولى: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾، وفي الآية الأخرى: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾[الإسرى: ٣١]، لا تقلقوا على مستقبلهم، الله هو الرزاق، وهو الذي تكفَّل برزق عباده، ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾[هود: ٦]، يقدِّم الضمانات المطمئنة لعباده.

- وأيضًا رسم الطريق لعباده، في الأخذ بأسباب الرزق، والكسب الحلال:

الذي ليس فيه إثم، ولا عليه تبعات خطيرة على الإنسان، ويعطي الله مع ذلك الخير والبركة، ويهيئ للناس الوسائل السليمة والصحيحة لاكتساب معايشهم، والله سبحانه وتعالى أنعم على عباده بأصول النِعَم وفروعها.

- **نِعَم (أصول)**، يتفرع عنها الكثير من الأرزاق والمنافع.

- **وفروع تلك النعم.**

الله هو المنعم بكلها، بأصول النعم، وبفروعها؛ **ولذلك** يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾[طه: ١٣٢]، الله هو الرزاق، الله هو الذي يرزق، هو الذي يعطي.

والقرآن الكريم في مقدمة ما عالجه بهذه الطمأنة، بهذه الضمانات: عالج الحالة النفسية لدى الانسان، هاجس وضغط القلق النفسي لدى الإنسان: [كيف سيدبر معيشته؟ من أين يحصل على رزقه؟ كيف سيوفر لنفسه المعيشة؟]، هذا الضغط الذي يؤثِّر على الكثير من الناس، يُفسدهم، يدفع بهم إلى الحرام، يدفع بهم إلى ارتكاب الجرائم، قدَّم القرآن الكريم له معالجةً مهمةً، على المستوى النفسي؛ **ولذلك** يقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[الطلاق: ٢-٣]، **ويقول الله** ﷻ: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾[الطلاق: ٧].

فالثقة بالله، والأمل في الله ﷻ، والتزام التقوى في الأخذ بأسباب الرزق، وفي الكسب الحلال، هو وسيلةٌ للخير، وطمأنةٌ للنفس، وسكينةٌ للنفس.

- إضافةً إلى الجانب التربوي (مع الطمأنة النفسية، الجانب التربوي):

▪ **الإسلام يربينا على القناعة، ويعالج عندنا مشكلة الطمع**، وحتى لا يطغى علينا التوجُّه المادي، فيصبح هو كل همِّنا في هذه الحياة، وكل تركيزنا، وكل تفكيرنا منصبٌّ نحوه، يعالج فينا هذه المشكلة، **ويربينا على القناعة:** القناعة بقسمة الله ﷻ، القناعة بالرزق الحلال، القناعة بما تيسر، التركيز بالدرجة الأولى- في الواقع المعيشي، والشخصي- على الضروري، وعلى ما تيسَّر.

- **وأيضًا مع التربية على القناعة، يعلمنا الرشد في التصرف، والاقتصاد، وهذا مهم جدًّا، ويحرِّم علينا التبذير، ويحرِّم علينا الإسراف،** ويعلمنا أن نتصرف في نفقاتنا بالطريقة الصحيحة: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾[الفرقان: ٦٧]، وهذا يوفر الكثير؛ **لأنه من أخطر الأشياء على الناس: التبذير، والإسراف، والعبث، والإهمال، والهدر،** الذي يضيّع عليهم الكثير الكثير. والتفاصيل عن هذا الموضوع كثيرة، لا يتسع الوقت للحديث عنها.

- **وأيضًا في التربية الإيمانية والقرآنية، يربينا القرآن على أن تبقى طموحاتنا المادية الكبيرة، متجهةً نحو رضوان الله والجنة، نحو معيشتنا في الحياة الأبدية،** التي خيرها خالص، وعلى أرقى مستوى، نبقى- دائمًا- في تطلعنا، في آمالنا، في رغباتنا الكبيرة، في طموحاتنا الضخمة- على المستوى المادي- نركز على الجنة، وما أعده الله في الجنة، حيث الحياة الدائمة؛ **لأن** هذه حياة مؤقتة، محدودة، ستنتهي، لا ينبغي أن نخسر الحياة السعيدة، الأبدية، الراقية جدًّا، مقابل حياة محدودة للغاية، مؤقتة جدًّا، هي سنوات تنتهي، ثم نرحل إلى عالم الآخرة.

كل هذا يساعد الإنسان، على أن ينطلق من واقعٍ نفسيٍ متوازن، وليس بحالة ضغط نفسي شديد، لا ضغط الجزع، ولا ضغط الطمع، هذا يساعد الإنسان على أن يتحرك للأخذ بأسباب الرزق، والكسب الحلال، والاهتمام بالأمور المعيشية **بتوازن، وفي إطار التقوى، في إطار التزام تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتجنب الحرام، الحذر من الحرام، مع الوعي بمسألة البسط والتقدير،** أن الله: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يختار للإنسان ما هو الخير له، **وقد تتغير أيضًا أحوال الإنسان:**

- **قد يكتب الله لك- مثلًا- في مراحل من حياتك، الاختبار بتقدير الرزق،** ثم يوسّع عليك في مراحل أخرى، قد يكون نجاحك في الاختبار بتقدير الرزق، قد يكون مساعدًا

لك على أن يوسع الله لك فيما بقي؛ **لأنك** نجحت في تلك المرحلة، نجحت في مرحلة التقدير، فأتى الاختبار لك بالبسط.

- **وقد- أيضًا- يُختبَر الإنسانُ بالبسط** في رزقه، فلا ينجح في هذا الاختبار، وقد يتغير حاله نحو التقدير في مراحل أخرى من حياته.

من العوامل المؤثرة في الوصول لحالة البؤس

لكن علينا الوعي أيضًا، بأن هناك أيضًا في مستوى البسط والتقدير مستوى معين، قد يكون واقع الإنسان أحيانًا، في مستوى بؤسه، وظروفه، دون ذلك المستوى؛ **لعاملٍ من عاملين، أو لكلا العاملين:**

- **الأول: هو ظلم الظالمين، ونهبهم لثروات الناس، ومحاربتهم للناس في معيشتهم:**

فقد يكونون سببًا لمستوى البؤس، ومستوى الفقر، الذي يعاني منه الكثير من الناس، بمعنى: أن الناس لو سلموا من ظلمهم، لكان وضعهم أفضل بكثير، لما كانت حالة البؤس إلى ذلك المستوى، لكن ليس معنى ذلك أنْ يتحول كل الناس إلى أغنياء وتجار، تبقى مسألة البسط والتقدير ضمن حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، في تكامل الناس في هذه الحياة، في تكامل حياتهم؛ **لتبقى** حركة حياتهم نشطة في الأخذ بأسباب الرزق، لو تحولوا كلهم إلى أغنياء، لما بقي هناك اهتمام بأكثر الأعمال، لما بقي من يعمل فيها، لكن حكمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

- **والعامل الثاني هو مسألة الأخذ بأسباب الرزق، والعمل برشد، ووعي، وأخذ بالأسباب (أسباب النجاح):**

وهذا أيضًا له دور كبير جدًّا، فالإنسان إذا كان مهملًا، عاطلًا، لا يعمل، لا يريد أن يعمل، لا يريد أن يتحرك، سيتضرر أكثر بالتأكيد، سيكون هناك فارق بين أن تعمل، أو لا تعمل، في مسألة كسب الرزق الحلال.

وأيضًا طريقة العمل، ومجالات العمل، لها علاقة في مستوى بؤس الإنسان، ومستوى معاناته؛ ولذلك يأخذ الإنسان بالأسباب، مع الوعي، والرشد، والعمل الجاد، ومعرفة مجالات العمل، وغير ذلك.

من أصول النعم العظمى: توفر الأرض الصالحة للزراعة

❑ **ثم عندما نتحرك في مسيرة الحياة، وواقع الحياة، الله ﷻ أنعم علينا بأصول النعم وفروعها:**

❖ **في مقدمة أصول النعم، التي هي نعمة عظيمة يتفرع عنها الكثير جدًّا من النعم: هي الأرض، الأرض الصالحة للزراعة:**

عندما نتعامل معها، ونستثمرها، ونستفيد منها، مع الشكر لله ﷻ على هذه النعمة، نستفيد الكثير، ويتغير واقعنا، **فهذه النعمة من أصول النعم العظيمة، ومنتوجها من المحاصيل الزراعية المتنوعة جدًّا، هي- بالنسبة لنا- في هذه الحياة وفي معيشتنا:**

- **غذاء نحتاج إليه.**
- **وثروة مادية ضخمة.**
- **وتجارة- أيضًا- يتحرك الناس فيها.**

يقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝١١ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ﴾[الرحمن: ١٠-١٢]، أنواع الحبوب، والعصف: تستفيد منه الحيوانات، الأنعام التي يستفيد منها الإنسان أيضًا، والحب يستفيد منه الإنسان، ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾، الأشجار ذات الروائح العطرة الزكية، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[الرحمن:١٦]، ويقول ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾[إبراهيم: ٣٢]، وكم في القرآن الكريم من آيات بشأن ذلك.

فمن نعم الله ﷻ الكبيرة على البشر، ومن أهم مصادر الرزق، والغذاء، والقوت الضروري: هي الأرض الصالحة للزراعة، ومنتوجها الوفير، والمتنوع تنوعًا واسعًا من المحاصيل الزراعية، التي يحتاجها الناس في حياتهم.

البلدان العربية، هي من البلدان الصالحة للزراعة، في كثيرٍ منها، في أغلب مساحاتها، واليمن كذلك، ومع ذلك فالبلدان العربية، وبلدنا اليمن، من أقل البلدان في العالم إنتاجًا للزراعة، مع أن بعضها- كما هو السودان- متوفر فيه الأنهار، أنهار المياه، والأرض الخصبة جدًّا، والتي كان يُفتَرض أن تكون من الدول المتميزة على مستوى كل العالم، في إنتاجها الزراعي، ومع ذلك يعاني الشعب السوداني من البؤس الشديد جدًّا، ويبقى يعيش في حالة الصراعات، والحروب، والمشاكل الداخلية، وفي وضعية بؤس رهيب جدًّا.

في بقية البلدان العربية كذلك، ليس هناك إقبال كبير للاستفادة من هذه النعمة، منحهم الله أرضًا صالحة للزراعة، ثم هم لا يستفيدون منها بالشكل المطلوب:

من عوامل تعطيل الزراعة: الهجرة إلى المدن والاستيراد الخارجي

يذهب الكثير من الناس من الريف، حيث يمكن العناية بالزراعة، ويتكدسون في المدن بالملايين، فتكون نسبة كبيرة من السكان مزدحمة في المدن، في الشقق، والاستئجار فيها، حيث لا يمكن أن تزرع، ولا أن تربي الثروة الحيوانية، ولا أي شيء، ثم يكون هذا عاملًا من عوامل تعطيل الزراعة، **هذا بحد ذاته (الهجرة من الأرياف، والتكدس في المدن) واحدٌ من عوامل تعطيل الزراعة، والإهمال للزراعة، والإنتاج الزراعي.**

ثم يعتمد الناس على الاستيراد لمختلف المحاصيل الزراعية، عندنا في اليمن يستوردون حتى الثوم من الصين، الزنجبيل من الصين، مختلف المتطلبات والمحاصيل

الزراعية، يستوردها البلد من بلدان بعيدة، من الصين وغيرها، البقوليات، الفول، البازيليا (البازيلاء)، الفاصوليا، العدس، تُستورَد بعضها حتى من أستراليا، وبعضها من بلدان بعيدة، وهكذا يتحول الاعتماد في الحصول على المحاصيل الزراعية، التي هي ضمن الغذاء للناس، وضمن المتطلبات المعيشية لهم، يعتمدون في ذلك على الاستيراد من بعيد، بكل ما لذلك من سلبيات كبيرة، وكُلَف كبيرة، وتأثير على حياتهم، ومعيشتهم، وانتشار للبطالة في أوساطهم، يعطلون الأعمال المنتجة، الأعمال التي من ورائها كسب لأرزاقهم، وتوفير لمتطلبات حياتهم، قوتهم، لغذائهم، لما يحتاجون إليه في حياتهم.

ثم مما ساعد على ذلك، مع الهجرة إلى المدن: هو السياسات الخاطئة للأنظمة والحكومات العميلة، على مدى عقود من الزمن، تمر بالناس فترات طويلة، وليس هناك أي اهتمام- على الإطلاق- بتشجيع الزراعة من الجهات الرسمية، وليس هناك اهتمام بالإنتاج الزراعي، بل هناك اعتماد لسياسة الاستيراد لكل شيء من الخارج، ضمن **ارتباط وعلاقة الأنظمة والحكومات بأعداء الأمة**، الذين لا يريدون الخير لنا ولشعوبنا، ويريدون لنا أن نبقى مجرد سوق استهلاكية لبضائعهم، وألّا نكون أمةً منتجة، قوية، تبني واقع حياتها على أساس الاكتفاء الذاتي، في توفير متطلباتها الضرورية.

ولذلك حصل ما حصل، وصل الوضع إلى مستوى الكارثة:

- **ظروف معيشية صعبة للناس، انتشار للبؤس إلى مستوى شديد،** غير التقدير الطبيعي، الذي هو مكتوب في حياة الناس، ومرتبط ما بينهم وبين الله، بؤس أكثر من ذلك بكثير، ومعاناة شديدة جدًّا، وإلى مستوى الكارثة، إلى مستوى الخطر على الأمن الغذائي، **عندما يكون غذاء الناس، وقوتهم الضروري، مستوردًا بشكلٍ أساسي من الخارج، هذا تهديد لأمنهم الغذائي.**

- **وتراجع إنتاج الحبوب، عندنا في البلد، دع عنك بقية البلدان العربية الأخرى، في بلدنا كذلك،** في مراحل معينة (زمان) كان إنتاج الحبوب وفيرًا في البلد، وبالذات الذرة الرفيعة، ومحاصيل أخرى كالدخن وغيره، إنتاج لا بأس به، تراجع إلى حد كبير جدًّا.
- **تراجع إنتاج البن في البلد،** وأصبح البلد يستورد البن من الخارج (**الصافي**)، القهوة، حتى القهوة، مشكلة هذه عجيبة!!
- **وتحول الاعتماد على الاستيراد في كل المحاصيل الزراعية.**

وتضرر الشعب كثيرًا، مع أن بلدنا من أحسن البلدان على المستوى الزراعي، في تنوع المحاصيل الزراعية؛ **نتيجةً** لتنوع المناخ، في الجبال، في تهامة، في المناطق الشرقية، الذي يساعد على التكامل في إنتاج المحاصيل الزراعية، ما يناسبه المناطق الشرقية، ما يناسبه المناطق الجبلية، ما يناسبه مناطق تهامة، من المحاصيل بحسب أنواعها، وأيضًا محاصيل بجودة جيدة، بجودة متميزة، إذا سَلِمَت من عبث الناس، وإلَّا- أحيانًا- تكون مشكلة عند الناس، في تَسرُّعهم إلى القطف لها، وإلى التسويق لها قبل نضجها وقبل صلاحها، أو أسباب أخرى، إذا سلمت من تصرف الناس السلبي.

والموضوع هذا موضوع مهم جدًّا؛ ولذلك يحتاج إلى اهتمام مستمر، حث مستمر، دفع مستمر، دفع بالناس، معالجة للعوائق، بشكل مستمر، **الموضوع هذا ضروري للناس، وحل**- في نفس الوقت- **حل لمشاكل كثيرة،** لتوفير غذاء الناس، لتوفير مصادر وأسباب للرزق والكسب الحلال، **ومهم أيضًا دينيًا؛ لأن** هذا مهمٌ جدًّا لنا، لكي نكون شعبًا حرًا، يتحرر من سيطرة أعدائه، **ويستطيع أن ينهض بمسؤولياته المهمة والمقدسة:** في الجهاد في سبيل الله، في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، في تحقيق الاستقلال الحقيقي، على المستوى الثقافي، والفكري، والسياسي، دون تبعيةٍ لأعدائه، وهو متمكن من توفير متطلباته الأساسية، لا تتحول هي، أو تبقى هي، وسيلة ضغط على هذا

الشعب بيد أعدائه؛ **لذلك من الضروري العودة إلى العناية بالزراعة، وكذلك الثروة الحيوانية**، وسنتحدث عنها، **مع العناية**- عندما نعود إلى الاهتمام بالجانب الزراعي- **بالمقومات المساعدة، والضرورية، وفي مقدمتها التنمية الريفية.**

من الحلول المهمة لتنمية الزراعة ومعالجة الوضع الاقتصادي

الجهات الرسمية، مع المبادرات الاجتماعية، والاهتمام الشعبي والرسمي، الذي يجب أن يلتقي، وأن يتعاضد، للاهتمام بالتنمية الريفية، للحد من الهجرة إلى المدن؛ **لأن أول مشكلة هي في هذه: الهجرة إلى المدن، والتكدس في المدن، ينتج عنها:**

- **تعطيل** تام للزراعة.
- **وتعطيل** تام لتنمية الثروة الحيوانية.

ونحن قلنا: أن من الحلول في بعض الأرياف: الهجرة من الريف إلى الريف، وليس الهجرة من الريف إلى المدينة، في بعض الحالات التي لها ظروفها، لها أوضاعها، لها أسبابها الخاصة.

التنمية الريفية، في العناية بالطرق في الأرياف، بخدمات المياه، الخدمات الصحية، الخدمات التعليمية، بالخدمات الضرورية للناس، مسألة مهمة جدًّا، إذا حصل التعاون فيها، هناك- مثلًا- تجارب ناجحة في بعض المناطق، وكانت- على الأقل- بالشكل الذي يبعث الأمل، لو لم تكن بالمستوى المطلوب، لكنها تبعث الأمل، وتلفت النظر، وتُنبه إلى إمكانية فعل الكثير، إذا كان هناك تعاون رسمي وشعبي، مبادرات اجتماعية نشطة، تحظى أيضًا بتوجُّه رسمي، ودعم رسمي، وعناية رسمية بالشكل المطلوب.

❖ ثانيًا: العناية بمسألة المياه:

من نعمة الله ﷻ**- وله الحمد وله الشكر- أن الأمطار والغيث في هذا الموسم كان بشكلٍ غزير،** أمطار غزيرة، في معظم أنحاء البلد، هذه نعمة كبيرة، نحمد الله ونشكره عليها، وفي كثير من المواسم يمنُّ الله بالأمطار الغزيرة، **لكن كيف** نستفيد من هذه النعمة بالشكل المطلوب؟ **وكيف** نستثمرها بالشكل المطلوب؟

كما قلنا في محاضرات كثيرة، وفي مناسبات متعددة، كثيرٌ من مياه الأمطار يذهب في الوديان، إلى أن يصل البحر، والبعض إلى أن يصل الصحراء، ومستوى الاستفادة من هذه النعمة، التي **يجب** أن نشكر الله عليها، وأن نأخذ بالأسباب، التي تُبقيها مستمرة لنا، لكن أيضًا مستوى الاستفادة محدود، **ليس هناك اهتمام بالشكل المطلوب بمسألة:** الحواجز، البرك، الخزانات، السدود، كل ما يمكن أن يساعدنا على أن نحتفظ من هذه النعمة بما أمكن الاحتفاظ به؛ **للاستفادة** منه، وهو من أهم ضروريات الحياة.

في بعض المناطق، لا بأس، هناك استفادة إلى حدٍ ما، البعض- على الأقل- يؤمِّنون لأنفسهم مياهًا للشرب، وما يحتاجونه لمنازلهم، وبيوتهم، ومواشيهم، لكن **مُتاحٌ أمام الناس أن يعملوا أكثر وأكثر، بكل هذه المستويات:**

- **على مستوى البرك والخزانات،** هي ضرورية جدًّا، خاصة في الأرياف، ويستفيد منها الناس حتى في المدن، لو كان هناك تخطيط صحيح.
- **ثم على مستوى الحواجز،** التي يمكن الإكثار منها، حواجز كثيرة.
- **ثم على مستوى السدود،** التي هي بمستويات معينة، متفاوتة.

هذه مسألة مهمة؛ لأن في متطلبات الزراعة الأساسية، بعد توفر الأرض: هو المياه، الناس بحاجة إلى المياه.

- **كذلك القنوات،** قنوات المياه، في مثل تهامة، في مثل الجوف، في مثل بعض مناطق مأرب، ذات الطبيعة الصحراوية، في مناطق أخرى من البلد، مهمٌ لها القنوات؛ **لكي** تستفيد من المياه بشكلٍ أفضل، والري، وتوزيع الماء الذي ينزل في الوديان بشكلٍ أفضل، هذا جانبٌ مهمٌ جدًّا.

إرشادات مهمة أيضًا لإنعاش الزراعة

◆ **مما يساعد على إنعاش الجانب الزراعي والإنتاج الزراعي، وإحياء الزراعة هو:**

● **الاستثمار من القطاع الخاص في الزراعة:**

الكثير من التجار يذهبون إلى الخارج، ويشترون من الخارج المحاصيل الزراعية المتنوعة:

- **سواءً ما** يأتون به بشكل مباشر (قبل التعليب)، البعض يأتون من الخارج بالقمح، بكميات هائلة وكبيرة جدًّا، البعض يأتون بالبقوليات، البعض يأتون بالثوم، البعض يأتون بالبهارات، أنواع كثيرة يأتون بها.

- **أو ما** كان معلبًا، ومصنّعًا، الكثير كذلك منها يأتون به.

الاستثمار في البلد بأموالهم، سيكون له فوائد كبيرة جدًّا، لهم، وللشعب، وللوضع الاقتصادي والمعيشي للناس، وله أهمية على مستوى الأمن الغذائي، كما قلنا في بداية الحديث.

القطاع الخاص بحاجة إلى تشجيع، وتسهيلات رسمية؛ حتى لا تبقى الجهات الرسمية معيقة، كما هو الحال لبعض الجهات ولبعض المسؤولين، الذين سياساتهم، روتينهم، أسلوبهم، طريقتهم في العمل، تمثل عوائق، إضافة إلى بعض القوانين، التي تحتاج إلى تغيير، وهي تمثل عائقًا حقيقيًا أمام تشجيع القطاع الخاص للاستثمار، في الإنتاج الزراعي، والزراعة، والتصنيع الغذائي، **هو من الضروريات التي تدعم الإنتاج الزراعي، تدعم الزراعة: التصنيع الغذائي، وتصنيع المنتجات الزراعية وإنتاجها.**

- **أيضًا من المهم السعي لتفعيل الجمعيات الزراعية القديمة والحديثة، هناك الكثير من الجمعيات الزراعية، ورعاية وتصويب نشاطها:**

بعض الجمعيات عندها إخفاقات، **أو** إعاقات، **أو** مشاكل معينة، **إما** عوائق، **وإما** أخطاء، **وإما** خلل يتوجب أن يتم إصلاحه؛ من أجل تفعيلها وتحريكها بالشكل المطلوب، هذا شيء مهم؛ **لأن من الحلول التي تنعش النشاط الزراعي: هو الجانب التعاوني، والتساهمي**، والجمعيات يمكن أن تؤدي دورًا في ذلك، دورًا أساسيًا، ودورًا مهمًا، لكن بعض الجمعيات نشأت، ثم توقفت أمام عوائق معينة، أو إشكالات معينة، والبعض من الإشكالات تعود إلى القائمين عليها، **إما** أنه ينقصهم الاهتمام، **أو** تنقصهم الفكرة، يحتاجون إلى لفت نظر إلى واقعهم، والاهتمام بهم.

- **من الأشياء المهمة جدًا في العمل الزراعي التي ستساهم على إنعاش الزراعة، وتحدثنا عنها كثيرًا: هي العناية بالتخفيف من الكلفة، مع تحسين الجودة:**

عادةً ما يكون العمل في الزراعة عندنا في البلد مكلِّفًا، يعني: يكون طريقة العمل، وسائل العمل، أسلوب العمل، مكلِّفًا، يحتاج إلى أموال كثيرة، وعندما يأتي المحصول، يقوم المزارع بحساب غراماته، وكلفته، فيجدها كلفة هائلة جدًا، فيرى أنه لا خراج له، ولا يمكن أن يربح، أو حتى أن يفي بالتكاليف، إلَّا برفع السعر، فيسوِّق منتوجه بسعرٍ مرتفع؛ **فيكون** الإقبال عليه ضعيفًا، ويأتي المواطنون- مع ظروفهم المعيشية الصعبة- يريدون أن يشتروا الأرخص، الذي هو بمستوى ظروفهم وإمكاناتهم، وهذا يؤثر.

بالإمكان تخفيف الكلفة في الإنتاج، من جوانب كثيرة؛ **لأن** البعض من الناس مشكلته في أسلوبه وطريقته، والبعض في الوسائل التي يعتمد عليها، تتنوع الأسباب، ويمكن تفكيك المشكلة هذه، ومعالجة الأسباب؛ حتى تخف الكُلَف، ويتوفر الإنتاج، يكون وفيرًا بشكل أفضل.

ثم مع ذلك يُلحَظ جانب الجودة، جودة المحصول، في سلامته، في العناية به، وفي طريقة جَنيِه، وفي طريقة تعليبه، وفي طريقة تسويقه، هذا ممكن، كما يفعل الناس في العالم، أو أن عندنا تصورًا أنه لا يمكن أن يقوم بهذه الأمور إلَّا الكافر؛ **أمَّا** المسلم فلا يمكنه!! لا يمكنه أن ينتج محصولًا زراعيًا بشكل سليم وصحيح، وأن يُحسن تسويقه، أو أن يربي بقرة، أو دجاجة، أو ينتج أيًّا من المحاصيل هذه، أو المشتقات، هذا ممكن، هم في كل العالم يركزون على هذه الأمور، ويقدِّمون حلولًا لها، ويركزون عليها، فيحدث الفارق الكبير، يحدث الفارق الكبير الحقيقي، **في كل أمورهم:** المعيشية، وفي مستوى إنتاجهم.

- **مع أيضًا العناية بتوفير الوسائل:**

وهذا مما يستثمر فيه القطاع الخاص، يعني: مما ينبغي التشجيع له على الاستثمار فيه، توفير الحراثات، بل إنتاج وتصنيع بعض المتطلبات في البلد يمكن، وأيضًا مثلًا شراء حصَّادات، شراء وسائل، وإمكانات، وتقنيات، تتوفر للناس، تنهض بالجانب الزراعي، وبمستوى الإنتاج، **سواءً** بحسب الوفرة والكمية، تُنتج إنتاجًا أضخم، **أو** تقليل الكُلفة والغرامة في الإنتاج، **أو** مستوى الجودة، كل هذا ممكن ومتاح.

- **العناية بحل مشكلة التسويق والتوزيع:**

هذه مسألة مهمة، على مستوى الوضع في البلد، أحيانًا يتوفر محصول زراعي في محافظة، إلى حد أن ترخص أسعاره جدًّا، ويسبب خسارة للمزارعين؛ **بينما** هو في محافظة أخرى لا يكاد يتوفر، أو يتوفر بكميات قليلة، وأسعاره مرتفعة جدًّا، نقص في عملية التوزيع، وإدارة عملية التسويق، على مستوى المحافظات بشكل عام.

- **كذلك مستوى الموازنة بين الاستيراد (فيما يستورد من الخارج) والمنتج المحلي:**

بحيث تُخفَّض نسبة الاستيراد، لصالح المنتج المحلي، والمحاصيل المنتجة محليًّا، بحسب كميتها وما تغطيه في السوق، إذا كانت تغطي نسبة ثلاثين بالمئة، يتوقف من

الاستيراد هذه النسبة لصالح هذه المحاصيل المحلية، وهكذا ما يُنتج، ما يُعلَّب، ما يُصنَّع، حتى يبقى المنتج المحلي حاضرًا في الساحة، ويبقى له سوقه، يبقى له مجال في التسويق، والشراء.

الموازنة هذه مسألة مهمة جدًّا؛ حتى لا يتكرر ما حصل في مشكلة الثوم، عندما حصل إنتاج جيد للثوم في البلد، ولكن مع استمرار في الاستيراد من الخارج بكميات كبيرة، تؤثر على المنتج المحلي، وفي قصة الزبيب كذلك، وفي قصة بعض من المحاصيل الزراعية تكررت هذه المشكلة، **ينبغي أن يكون هناك إدارة قوية لهذا الموضوع، ومتابعة قوية؛** حتى لا يؤثر على الإنتاج المحلي.

في مسألة المحاصيل الزراعية، ينبغي أن يكون في مقدمة الاهتمامات:

- **العناية بإنتاج الحبوب بأنواعها،** القمح (البُر)، الإنتاج له في البلد، بدلًا من اشترائه من الخارج بكميات هائلة جدًّا.
- **وكذلك بقية الحبوب:** الدخن، الذرة، بأنواعها، بقية الحبوب.
- **والبقوليات كذلك، بلدنا يمكن أن نزرع فيه:** الفول، الفاصوليا، العدس، البازيليا، البقوليات هذه يمكن إنتاجها في البلد بجودة راقية جدًّا.

فيتجه الاهتمام بالاستثمار في الإنتاج الزراعي، وفي المحاصيل الزراعية، وفي مقدمة ذلك الحبوب والبقوليات.

- **مع العناية أيضًا من الجهات الرسمية،** وأي جهات يمكن أن تؤدي هذا الدور، على مستوى الاستثمار في **إنتاج البذور؛ لأنه من المتطلبات الأساسية، إنتاج البذور الصالحة، ذات الجودة المطلوبة، وتوفير الشتلات؛ لأن هذا من المتطلبات الأساسية للعمل الزراعي.**

- **فيما يتعلق بالفواكه**، هناك أنواع، ممكن أنواع أخرى من الثمار كذلك، ممكن زراعتها في البلد، وأن تكون ذات محصول وفير، وأن يترتب عليها تغيير لواقع الناس المعيشي، وتُوفِّر ما يحتاجه الناس ويستوردونه من الخارج.

- **من المتطلبات الأساسية: العناية بالإرشاد الزراعي للمزارعين:**

هذه مسألة مهمة جدًّا، هناك جهد في هذا الجانب، لكنه لا يزال محدودًا، يحتاج إلى تقوية بشكل كبير، **وأن تكون العلاقة بين الجهات المعنية والمزارعين علاقة قوية، ومواكِبة لهم**، بالتعليمات، بالإرشادات، هذه مسألة مهمة جدًّا، **يحتاج المزارعون إلى إرشاد في كل شيء:** تجاه الأراضي نفسها، وخصوبتها، وما تحتاج إليه، والنِّسَب المتعلقة بذلك، تجاه النباتات، والآفات، تجاه مسألة الري، تجاه مسائل كثيرة جدًّا، **يحتاجون إلى إرشادات، ما يتعلق:**

- **بالأراضي.**
- **بالنباتات.**
- **بالمحاصيل.**
- **بالري.**
- **بالخصوبة.**
- **بالمناخ.**
- **بالجانب** الوقائي، الذي يقيهم من كثير من الآفات، لأن حصول كثير من الآفات- **هي آفات مرضية**- تحصل نتيجة نقص عناصر معينة، أو نقص متطلبات معينة، فينتج عن ذلك مرض وآفة في المحاصيل الزراعية.

فهذه مسألة مهمة جدًّا.

- **وكذلك التعليم في المجال الزراعي، يجب أن يتقوّى:**

يجب أن يحظى بالاهتمام أكثر، وأن يتم ربطه بالمجال التطبيقي والعملي، حتى في المرحلة الدراسية نفسها، الطلاب وهم يتعلمون في الجامعة (في الزراعة)، أن يكون لهم ارتباط بجوانب ومجالات تطبيقية وعملية، هو يساعد على أن يكون تعليمهم تعليمًا صحيحًا ومفيدًا، **كذلك أن تدخل مواد لما قبل الجامعة، مواد تتعلق بالزراعة في التعليم**، هذه مسألة مهمة جدًّا.

- **العناية أيضًا بإنتاج الأسمدة، والمكافحات، والمبيدات الحشرية، السليمة، الإيجابية، ونحو ذلك:**

المتطلبات هذه التي هي ضرورية للعمل الزراعي، من الممكن إنتاجها في البلد، لا يتصور الناس أنه لا يمكن إنتاجها إلَّا في الخارج، وإنتاجها بشكل مأمون، يراعي الحفاظ على صحة الناس وحياتهم، وهذه مسألة مهمة.

- **العناية بالطاقة الشمسية، والطاقة البديلة، لحل إشكالية الديزل:**

لأن مشكلة الديزل مشكلة كبيرة على المزارعين، لكن كلما توفرت الطاقة الشمسية، في المناطق التي يمكن فيها الاعتماد على الطاقة الشمسية، بعض المناطق يمكن الاعتماد على طاقة الرياح، ويمكن في بعض المناطق أشياء أخرى، وهكذا، هناك الطاقة البديلة، التي تخفف من مشكلة الديزل، والاعتماد على الديزل.

هذه متطلبات أساسية ومهمة جدًّا، ولكن كل هذا يحتاج إلى تحرك الجهات الحكومية ذات العلاقة، بشكلٍ جاد، باهتمامٍ كبير، بمسؤولية، هذا أمر مهم جدًّا، وأن يكونوا سندًا للَّجْنَة الزراعية، اللجنة الزراعية تحتاج إلى مساندة من بقية الجهات الحكومية، التي **يجب** أن تعينها بجد، واهتمام، ومسؤولية، ومن الجهات الشعبية، التي تتفاعل، وتتجاوب، تستجيب، وتتحرك، وتنطلق؛ **لأن** هذا عمل كبير، ويمكن له-

بلا شك- أن يغيِّر واقع البلد، واقع الناس، ظروف المجتمع بشكلٍ تام، وأن ينتقل بنا من الواقع الصعب، إلى واقعٍ مختلفٍ تمامًا، **هذه مسألة مهمة جدًّا، على الكل أن يتحركوا.**

والذي يُفيد، ويمكن أن ينتقل بالناس في أن يتحركوا بجدية أكبر: إذا تحرك الجميع بروحٍ جهادية، بروحٍ مسؤولة، باهتمامٍ كبير، بإدراك لأهمية هذه المسألة، وكان تحركنا فيها بدافعٍ إيماني؛ **لأن هذه مسألة تتعلق بصراعنا مع أعدائنا، الذين يريدون:**

- **أن تكون** معيشتنا وقوتنا الضروري وسيلةً بأيديهم للضغط علينا، والتأثير على استقلالنا.
- **وأن تكون** حالة البؤس الشديد، والهم المعيشي الضاغط على الناس، وسيلةً لشراء الناس، والدفع بهم نحو الهلاك.

عندما تلحظ ما حصل في المناطق والمحافظات المحتلة، ما الذي فعله الأعداء؟ هل اهتموا بالزراعة، والإنتاج، وبناء الاقتصاد؟ أم كان كل همهم شراء مقاتلين؟ تريد أن تتجنّد معهم؟ تفضل، ويعطونك المال؛ أمَّا لغير ذلك، فلا، لم يكن هناك أي اهتمام بالجوانب التنموية، من أي جهة أبدًا بالنسبة لهم.

الجهات الرسمية بدلًا من أن تكون معيقة، كما يحصل من بعضها، البعض من الجهات الرسمية لا زالت معيقة، لم ترقَ أبدًا إلى المستوى العادي، في التعامل مع موضوع الزراعة، لا زالت معيقة، كم هو الفارق **بين** أن تكون داعمة، مهتمة، جادة، **وبين** واقعها الذي هي فيه، وهي تعيق العمل الزراعي، ولا زالت بعضها تحتجز المعدات الزراعية، وتعرقل وصولها إلى المزارعين، وتعمل أشياء كثيرة فيها إعاقة وعرقلة للمزارعين.

إشكاليات وعوائق

- **هنـاك مـن الإشـكاليات المؤثـرة عـلى النـاس في المجـال الزراعـي: إشـكالية المبيـدات الفتاكـة:**

كما قلنا: يمكن أن ينتج الناس مكافحات، مبيدات، وما يحتاجه المزارع من الأسمدة وغيرها، لكن بطريقة صحيحة، الذي يُستورد، كثيرٌ منه فتاك، ضارٌ جدًّا بصحة الناس، **ولذلك نُذَكِّر:**

- **سواءً الذين يستوردونها من التجار،** وإثمهم كبير، عندما يكون ما يستوردونه قاتلًا للناس، ينشر السرطان، ينشر فيروس الكبد، ينشر الأمراض القاتلة، فهم قَتَلَة، هم عند الله ﷻ مجرمون، حسابهم عسير، وينبغي للجهات الرسمية أيضًا أن تواجه نشاطهم الإجرامي؛ **لأنه** نشاط إجرامي بكل ما تعنيه الكلمة.

- **والمزارعون من جانبهم عليهم أن يتقوا الله؛ لأنهم** عندما يستخدمون تلك المكافحات، والمبيدات، التي أصبحت مبيدات بشرية، وليس للحشرات، بل للبشر؛ **من أجل** الحصول على المال، وطمعًا في المال، فهم يتحملون الإثم الكبير، والوزر الكبير، بما يوصلونه من أضرار إلى الناس، إلى المجتمع، وهي قضية خطيرة جدًّا.

- **من الإشكاليات التي تعيق الإنتاج الزراعي: ضعف الإقبال الشعبي- أحيانًا- على المنتج المحلي:**

وهناك أسباب متنوعة:

- **أحيانًا** لا يلقى المنتج المحلي الترويج، ولا يعرف أكثر الناس به.
- **وأحيانًا** ضعف في مشكلة التسويق.
- **وأحيانًا** في الجودة.
- **وأحيانًا** في عملية التعليب، والعملية الإنتاجية نفسها.

فممكن العمل على معالجة هذه المشاكل من كل جوانبها.

هذه بعض النقاط المتعلقة بالجانب الزراعي، المهم جدًّا، والذي هو العمود الفقري للاقتصاد الوطني، ويمكن أن يغيِّر واقع الناس، لكن يحتاج إلى تحرك جاد، واهتمام من الجميع.

اللجنة الزراعية تذهب إلى المحافظات، لا يتفاعل المحافظ، لا يتفاعل المسؤولون في السلطة المحلية، في الجهة الشعبية، لا يتفاعل الوجهاء، لا يتفاعل التربويون، تبقى تعمل لوحدها، بنشاط محدود جدًّا، وتأثير محدود، كيف يمكن أن ينهض البلد بهذه الطريقة؟! هذا يحتاج إلى تحرك جاد من الجميع، واهتمام كبير، وبروح مسؤولة، وبروح جهادية.

من أصول النعم العظيمة: الثروة الحيوانية

❖ **من أصول النعم العظيمة المتاحة للناس، والتي يمكن أن يتحركوا فيها، وأن يستفيدوا منها، وهي مصدر مهم جدًّا للرزق، والله هو المنعم (بأصول النعم، وبفروعها): هي نعمة الثروة الحيوانية:**

- **الأنعام**: الإبل، البقر، الغنم، الماعز والضأن.
- **وكذلك** النحل، وإنتاج العسل.
- **وكذلك** الأسماك.
- **وكذلك** الدجاج والبيض.

هذه من أصول النعم، يتفرع منها نعم كثيرة، وأرزاق، وخير واسع.

- **يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا﴾:**

هو سبحانه الخالق، المنعم، الكريم، ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[النحل: ٥]، فهي مصدر غذاء للإنسان، وأيضًا منافع أخرى متنوعة

وكثيرة، يستفيدها الإنسان منها، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾[النحل: ٦٦]، يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[المؤمنون: ٢١]، نعمة، خلقها، وقدَّمها، وهيأها، وأتاحها، وسخرها، وهي متاحة للناس، ولكن قِلَّةٌ من الناس من يهتمون بها، ليستفيدوا منها، **فهي** غذاء، **وهي** ثروة، **وهي** ذات منافع متعددة، في مختلف أغراض الحياة، **لكن** التعامل مع هذه النعمة لا يزال عشوائيًا، وبدائيًا، ومحدودًا، وقليلًا، ليس هناك عمل منظَّم، ونشاط منظَّم، تجاه هذه النعمة، **وتراجع الاهتمام بذلك**، تراجع بشكل كبير، أكثر الناس مع الهجرة إلى المدن- وحتى في الأرياف- أصبح لا يمتلك، لا بقرة، ولا حتى دجاجة.

أيضًا لم يكن هناك اهتمام بمسألة الثروة الحيوانية، بشكل يعتمد على سياسات منظمة، والاستفادة من الطرق الحديثة، التي تساعد على الاستفادة من هذه النعمة بشكلٍ أفضل، كما قلنا- سابقًا- أُهمِل هذا الجانب بشكل كبير جدًّا، **واتجه الناس أيضًا**- مع الحالة العشوائية، وعدم الاهتمام بهذه النعمة- **في تصرفاتهم، بالطريقة التي تؤثر على ما هو حاصل:**

- **من أغرب الأشياء: هو تركيزهم على ذبح الإناث منها، والصغار**، وهذه مسألة غريبة، وبعيدة عن الرشد، بعيدة عن الحكمة، بعيدة عن الوعي، بعيدة عن المصلحة، عن مراعاة المصلحة للناس في التعامل مع هذه النعمة! الكثير منهم، في المدن، تعتمد الكثير من المطاعم على أن توفر لزبائنها، سواءً ما يطلبونه من لحم الضأن، أو لحم الماعز، الصغار، أن تأتي لهم بالصغار، معروف حتى في التغذية، أنه ليس مغذيًا بالشكل المطلوب، لا تزال العناصر الغذائية والقيمة الغذائية له محدودة وضعيفة.

نلحظ في التشريع الإسلامي، وهو ما يعلمنا الرشد والفهم، **مثلًا:** في المشروع في الأضاحي، أن تكون- مثلًا- في الغنم، (في الضأن)، أقل شيء ذات حول، **يعني:** عام كامل، هذا إرشاد، يعلمنا كيف تكون بالشكل المطلوب، متى تكون صالحة.

طيب، لو لم يكن بهذا المستوى، فيما يتعلق بالمطاعم، أو الاستهلاك للحوم، في المسالخ، وفي المطاعم، لكن المفترض أن يكون لدى الناس رشد، فلا يركزوا على الصغار، ولا يركزوا بشكلٍ أساسي على الإناث؛ لأن الإناث منتجة، منتجة، فالتركيز عليها هو من قلة الرشد، من قلة الوعي، ومن كثرة الغباء، الذي يعاني منه العرب، يتصرفون في معظم الأمور عكس مصالحهم، بالطريقة التي **ليست** راشدة، **ليست** حكيمة، **ليست** صحيحة، (**دبُور عجيب**)، يعني تركيز على الأشياء الخاطئة إلى حدٍ عجيب، **من حيث جودة اللحوم، مذاقها، قيمتها الغذائية، فائدتها، ليس المفترض التركيز على الصغار، ولا التركيز على ذبح الإناث.**

- **في قصة الجلود**، مع أنها وفيرة جدًّا، كم يُذبح في اليوم من الأبقار والأغنام؟ أين تذهب جلودها؟ تُهمل، تضيع، ليس هناك استفادة منها، والتجار يستوردون من الخارج، ويشترون من الخارج، **فيما يتعلق بإنتاج الدفء**، ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ [النحل: ٥]، لا **يُستفاد منها لذلك، ولا يُستفاد منها لأي أغراض أخرى**، فهناك عشوائية في هذا الجانب، وعدم اهتمام، ولا استفادة بالشكل المطلوب.
- **أمَّا إذا جئنا إلى الحليب ومشتقاته**، فالاستيراد من الخارج كبير جدًّا، في الحليب ومشتقاته، بدأ الاهتمام بشكل محدود جدًّا، يحتاج هذا الجانب إلى اهتمام كبير.

هناك مشكلة يعاني منها من تتوفر لديهم المواشي، ولو بنسبة محدودة، وهي: النقص الحاد في الجانب البيطري، يحتاج الجانب البيطري إلى تقوية، إلى اهتمام، ويحتاج إلى نشاط وقائي كذلك، وقائي، للوقاية من كثير من الأمراض مسبقًا.

هذه بعض العناوين تجاه هذه النعمة المهمة جدًّا، المتاحة، التي يمكن للناس أن يستثمروا فيها، وأن تكون أيضًا من مصادر كسبهم لمعيشتهم، والرزق الحلال.

ثروات مهمة: النحل والأسماك من أحسن مصادر الرزق

- **وحتى لا نُطيل ننتقل إلى موضوع النحل:**

النحل نعمة كبيرة، وإنتاج العسل من أحسن مصادر الرزق، التي هي ذات مصدر جيد من جهة، وإيجابية كبيرة من جهة أخرى، وثروة مهمة وممتازة.

من أكبر ما أثر على إنتاج العسل في بلدنا: هو الغِش، وبالذات عندما يعتمد الكثير من النحالين على السكر في إنتاج العسل، يقدِّم لنحله السكر، ثم يعتمد عليه بشكل أساسي، وينتج للناس عسل السكر، بدلًا عن قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾، الله ﷻ قال في القرآن الكريم: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝٦٨ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾[النحل: ٦٨-٦٩].

إنتاج العسل ثروة ضخمة للنحّالين، وفي نفس الوقت سلعة مفيدة للمجتمع، ذات أهمية كبيرة جدًّا، لصحة المجتمع، لو يتوفر العسل، ويعود إلى موائد المجتمع، لكان له أهمية كبيرة في تحسين صحة المجتمع، والوقاية من الأمراض، هذا أمر قطعي، لا شك فيه، **ولكن يحتاج هذا الأمر إلى:**

- عناية واهتمام.

- **وإلى** إرشاد زراعي؛ **لأن** الكثير ممن يشتري له نحلًا لا يعرف كيف يعمل معها، هي تحتاج رعاية، مبنية على معرفة وفهم صحيح.

- **نحتاج أيضًا إلى محميات؛ لأن مما يهلك ويبيد النحل: هو ما يستخدمه المزارعون من المبيدات، والمكافحات في مزارعهم**، فالبعض من النحّالين، إذا كان قريبًا من المزارع، تتلف عليه كل نحله.

نحتاج إلى محميات تحافظ عليها الدولة، وتمنع استخدام المبيدات والرش فيها، وتتوفر فيها الأشجار والنباتات، ويُستفاد منها في مسألة إنتاج العسل، **ويحتاج هذا إلى** رعاية رسمية، إرشاد، تحفيز، محميات.

- **وأيضًا محاربة للغِش؛** لأن الغش شوَّه، شوَّه هذا المنتج، الذي كان من أحسن ما ينتجه البلد، العسل البلدي اليمني، ولكن الغِش شوهه بشكل كبير جدًّا.

- **ويحتاج أيضًا إلى عناية في مسألة الإنتاج**، من حيث التعليب، والترويج، والتسويق، بدلًا من الاعتماد بشكل أساسي على العسل الخارجي.

- **هناك أيضًا نعمة أخرى، متاحة إلى حدٍ ما، وإلَّا فهذه الفترة تتعرض للمضايقة والحرب: وهي البحر:**

البحر ثروة هائلة، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[النحل: ١٤].

هناك أهمية كبيرة لتطوير إنتاج الأسماك، والعناية بالصيادين، وحل مشاكلهم، ومساندتهم، هم يعانون من اضطهاد، وحرب، وضرر كبير جدًّا، من جانب الأعداء من جهة، وعدم اهتمام وإهمال كبير من الجهات الرسمية من جهة أخرى، ومن

الممكن توفير الأسماك، وتعليبها، وتطوير الإنتاج لها، وتسويقها، بشكل أفضل وأحسن، **وهذا يفيد الناس** في غذائهم، في صحتهم، **وأيضًا وسيلة** من أهم وسائل الكسب الحلال، والرزق الحلال.

- **كذلك الاستثمار في الدجاج:**

تضاءل الاستثمار في إنتاج الدجاج والبيض، وهو غذاء وثروة، والمجال فيه متاح، والاستهلاك فيه كبير، وهو من الاحتياجات الضرورية لغذاء الناس، وقد تراجع كثيرًا، بعدما حصل من جهة العدوان، من تدمير لكثيرٍ من مزارع الدجاج.

هذه نِعَم كبيرة ومهمة، والاستثمار فيها مهم، وهي من ضروريات الحياة، ويتطلب الاهتمام بها أيضًا بدافع المسائل المهمة، يعني: من جانب جهادي، من جانب تحرري، وفي إطار الرزق الحلال، ولحل كثير من هموم الناس ومشاكلهم، وما يتفرع عنها من المشاكل في واقع حياتهم.

مع الحذر من أن يطغى الهم المعيشي- كما قلنا في بداية الحديث- **على الإنسان،** فيخرجه عن خط الاستقامة، ويخسر آخرته، من أجل حياة محدودة مؤقتة، يخسر مستقبله في الآخرة.

أيضًا مع أهمية الإخراج للزكاة، نحن نؤكد على هذا؛ **لأنه** من تقوى الله ﷻ ومن أسباب البركات، والخيرات، والرزق، والسعة، إخراج الزكاة.

ومع قرب العيد، كذلك أهمية إخراج الفطرة في العيد؛ لرعاية الفقراء، ومع التوجه بالشكر دائمًا لله ﷻ، على نعمه التي لا تحصى ولا تعد، وهو جَلَّ شَأنُهُ القائل: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧]، **ويدخل ضمن الشكر:** الاستقامة، الاستقامة في العمل، التقوى لله ﷻ، وأن يبقى الرجاء والأمل في الله ﷻ، وفي فضله، وفي رحمته، حاضرًا في وجدان

الإنسان، ومبدأً يعتقده، هذه مسألة مهمة، أحوال الناس تتغير، في مسيرة حياتهم، والله هو القائل: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

أَسْأَلُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يوفقنا وإياكُم لِمَا يُرضِيه عَنَّا، وَأَنْ يَرْحَم شُهَدَاءَنَا الأَبرار، وَأَنْ يَشْفِي جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ ينصرنا بِنَصرِه، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاء.

وَنَسْأَلُه أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنَّا وَمِنْكُمْ الصِّيَامَ، وَالقِيَامَ، صَالِحَ الأَعمَالِ.

وَالسَّــلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَــةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُــه؛؛؛

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ بِرِضَاكَ عَنْ أَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ الْمُنْتَجَبِينَ، وَعَنْ سَائِرِ عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا، وَتَقَبَّلْ مِنَّا، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

أَيُّهَا الإِخْـــوَةُ وَالأَخَوَاتُ:

السَّـلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْـمَـةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُـه؛؛؛

لفتة حول موضوع حادثة التدافع المأساوية

❑ في بداية هذه المحاضرة، نتحدث أولًا بشأن حادثة التدافع، التي حصلت في الليلة الماضية، ونتج عنها وفاة ثمانيةٍ وسبعين شخصًا، وجَرحُ ثلاثةٍ وسبعين شخصًا آخرين، حسب الإحصائيات:

أولًا: نتوجَّه إلى أسر الضحايا، وإلى شعبنا العزيز، بخالص العزاء والمواساة، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ونسأل الله أن يعصم قلوب أسر الضحايا بالصبر والسلوان، ونسأله أن يشفي الجرحى، وأن يرحم أولئك الضحايا، الذين توفوا في هذه الحادثة.

هذه الحادثة مؤسفة جدًّا، ومؤلمة، وكلنا حَزِنًّا كثيرًا، منذ البلاغ بوقوعها، وهناك عناية من الجهات الرسمية، بدءًا بالتحقيق في هذه الحادثة، والاهتمام بمواساة أسر الضحايا، ومتابعة التفاصيل المتعلقة بهذه الحادثة المؤسفة والمحزنة.

هذه الحادثة هي- في المقدمة- تلفت نظر الجميع، إلى معاناة شعبنا، المعاناة الكبيرة، التي فاقم منها العدوان، على مدى ثماني سنوات، شعبنا كان يعاني ما قبل العدوان، وأتى العدوان واستمر لثماني سنوات، وفاقم من معاناة شعبنا جدًّا على المستوى الاقتصادي؛ **نتيجةً** للحرب الاقتصادية، والحصار من جهة، وحرمان شعبنا العزيز من ثروته الوطنية، ونهبها، والاستئثار بها، مع المعاناة الكبيرة التي يعانيها شعبنا العزيز.

وهي تلفت نظرنا جميعًا، إلى مسؤوليتنا كشعبٍ يمني، وكجهات رسمية وشعبية، المسؤولية الأخلاقية، والإنسانية، والدينية، والوطنية، في السعي للتصدي لأولئك الظالمين، الطغاة، الناهبين لثروة شعبنا، المحاربين له، في حياته المعيشية، وفي واقعه بشكلٍ عام، حرب شاملة على شعبنا العزيز، حرب بالحصار، حرب بالمؤامرات في الجانب الاقتصادي، حرب بالحرمان من الثروة الوطنية، حرب بكل أشكال الاستهداف لشعبنا العزيز.

فمن المسؤوليات الأساسية، التي ينبغي أن نتحرك فيها جميعًا، وأن نتعاون عليها جميعًا، وأن نسهم فيها جميعًا: السعي لاستعادة حقوق شعبنا، الحقوق المشروعة، الحقوق التي هي من حق شعبنا العزيز، باعتراف كل دول الأرض، كل الناس، كل المجتمعات، حتى في القانون الدولي، شعبنا مظلوم مظلوميةً واضحة، ويعاني معاناة كبيرة.

من المهم أيضًا في الأنشطة، والتبرعات الخيرية، والأعمال الخيرية، التي يقوم بها البعض من التجار، أو البعض من الجهات الشعبية، إذا كانت أنشطة واسعة، يحضر فيها أعداد كبيرة من الناس، فمن المهم التنسيق مع الجهات الرسمية ذات العلاقة، مثلما هو الحال بالنسبة للأجهزة الأمنية، من المهم التنسيق مع الأجهزة الأمنية، والتنسيق مع الجهات الرسمية، ذات الاهتمام بالجوانب الخيرية، والمجالات الخيرية، التي لها نشاط منظَّم، وتساهم في أي نشاط آخر، في تنظيمه، في مستوى الأداء فيه، أن يكون بالشكل المطلوب، مثلما هو حال هيئة الزكاة.

هيئة الزكاة تقوم بأنشطة واسعة جدًّا، وكبيرة، وضخمة، وَتُقَدِّم المساعدات لمئات الآلاف من أبناء شعبنا العزيز، وبالطرق الصحيحة، وآليات العمل الناجحة، التي تراعي فيها التكريم للفقراء، وأيضًا الحفاظ على حياتهم، والطرق الصحيحة في إيصال ما يتم إيصاله إليهم.

التنسيق مع هيئة الزكاة، من كبار التجار، في الأعمال الواسعة، الأنشطة الخيرية الكبيرة، مسألة مهمة؛ **لأنها** جهة معنية، وذات تجربة كبيرة، وذات خبرة جيدة، في أداء مهامها الخيرية والإغاثية، والاهتمام بالفقراء، بالطرق الصحيحة، هذا شيءٌ مهم؛ **لتفادي** مثل ما حصل البارحة، لا يتكرر في المستقبل في حوادث مشابهة، نتيجةً للعمل العشوائي، الذي لا يعتمد على تنظيم وترتيب بشكل صحيح، وما حصل البارحة هو يخضع حاليًا للتحقيق من الجهات ذات العلاقة.

الجهات الرسمية هي مهتمة بالموضوع، منذ لحظة البلاغ عن الحادثة، منذ تلك اللحظة، هناك اهتمام بالتحقيق، بالإسعاف، بالمواساة، **بغير ذلك من الاهتمامات:** بالعلاج للجرحى، إلى غير ذلك.

على المستوى العام، ومن الدروس المهمة، المستخلصة من هذه الحادثة المؤسفة والمحزنة، هو: ضرورة التحرك الجاد من أبناء شعبنا العزيز، وهناك اهتمام لا بأس به في هذا الجانب، لكن لابدَّ من تقوية الاهتمام في هذا المجال بشكل منسق وواسع، وبشكل تعاوني، في المجال الخيري، والإغاثي، والاهتمام بالفقراء، والبائسين.

وفي مقدمة ذلك: الاستجابة لإخراج الزكاة، تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في ذلك، والاهتمام بذلك؛ **لأن** البعض مقصر في هذا الجانب، أو متحايل، أو متهرب، من إخراج الزكاة، وهي فريضة من أهم فرائض الله، وركن مهم من أركان الإسلام، الإخلال به يعتبر جرمًا خطيرًا، وذنبًا عظيمًا، لا تُقبَل من الإنسان أي أعمال أخرى، لا الصلاة، ولا صيام، ولا أي عمل آخر، **من عليه هذا الحق، ثم لم يخرجه؛ لم يقبل الله منه لا صلاته، ولا صيامه، ولا بقية أعماله، ويُعدُّ مذنبًا ذنبًا عظيمًا، وهو يأكل حق الآخرين؛ لأن** هذا حقٌ مشروع، شرعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الذي هو المالك لكل شيء، شرعه لمصلحة الفقراء، وأيضًا وفق المصارف التي ذكرها في الآية المباركة، **فهذه المسألة مهمة جدًّا؛ لأنها تخفف من معاناة الفقراء، من بؤسهم، وتسهم في العمل على التنمية لهم، ومعالجة مشكلة فقرهم وبؤسهم،** لها أهمية كبيرة جدًّا، فالاهتمام بالجانب الخيري، والإغاثي، والاهتمام بإخراج الزكاة،

والاهتمام- مع قدوم العيد- بإخراج الفطرة، التي لها أهمية كبيرة جدًّا، بالتزامن مع العيد، لها أهمية كبيرة جدًّا؛ **حتى** لا يكون هناك في يوم العيد من هو جائع، والآخرون- من الميسورين، ومن الذين هم في وضعية مرتاحة- في راحة، ويأكلون، ومعيشتهم متوفرة، غذاؤهم متوفر، وهناك من هو جائع.

الفطرة هي من أهم ما شرعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لرعاية الفقراء، وهي واجبة على من يستطيعون، وهي ذات أهمية كبيرة جدًّا، في المواساة، والتضامن، والعناية بالفقراء والمحتاجين.

تلفت هذه الحادثة المأساوية نظر الجميع، إلى أهمية التحرك الجاد في المجال الاقتصادي والزراعي، وكنا تحدثنا بالأمس، عن أهمية العمل في الجانب الزراعي، وتحدثنا عن الهم المعيشي، وضغطه على الكثير من الناس، والأمن الغذائي، وما يفترض بنا- كشعبٍ يمني- أن نحرص عليه، وأن نتحرك فيه، رسميًا وشعبيًا؛ **للأهمية** الكبيرة في هذا المجال، وما فيه من الفرص الكبيرة، الفرص الحقيقية، التي يمكن أن تسهم إسهامًا كبيرًا، في التخفيف عن معاناة شعبنا، وفي العمل على مواساة الفقراء، على الاهتمام بتوفير متطلبات الحياة الأساسية.

أيضًا فيما يتعلق بالزراعة، نحن قادمون على موسم الذرة الرفيعة، من المهم العناية بهذا الموسم، والاهتمام الكبير به، والعناية في الأرياف بشكل كبير بهذا المسألة، هذه مسألة مهمة جدًّا، في كل المناطق، التي يمكن فيها البذر لبذور الذرة الرفيعة في موسمها المعروف.

مع اهتمامنا فيما يتعلق بهذه الأمور: النشاط الزراعي، في العمل فيما يتعلق بالثروة الحيوانية، التي يوجد فرص كبيرة للعمل فيها، خاصةً إذا كان هناك اهتمام بتقوية إنتاج الأعلاف، والتسويق للأعلاف، والتوزيع لها بشكل صحيح، وتطوير عمل الإنتاج في مسألة الأعلاف.

إضافة إلى الاهتمام بالجانب البيطري، وتوفير الإرشادات اللازمة في ذلك، والعمل فيما يتعلق بالوقاية من الأمراض في المواشي، هذا جانب مهم جدًّا، والتحرك فيه مهم جدًّا.

مع الاهتمام بإصلاح وضع مؤسسات الدولة، والعناية بتطوير العمل فيها، ومعالجة الحالة الروتينية السلبية، التي تؤخر كل الأعمال، وتعيق الأشياء الكثيرة، وتؤخر المعاملات لفترات طويلة، أو تعلِّقها إلى حدٍ كبير.

إصلاح وضع مؤسسات الدولة هو من المسؤوليات المهمة جدًّا، التي لابدَّ منها؛ حتى تؤدي الدولة مسئوليتها في مساندة الشعب، في قيادة اهتماماته وأنشطته المختلفة، في الاهتمام بأموره؛ **لأن دور الدولة: هو أن تقود الشعب في نهضة حقيقية،** وأن تكون حاضرة بجد واهتمام في ذلك.

هذه النقاط مهمة جدًّا، على ضوء الحادثة المؤسفة والمحزنة، التي وقعت في الليلة الماضية.

التقوى هي محصلة الشهر الكريم.. كيف نحافظ عليها؟

❑ **فيما يتعلق بالسياق، الذي أردنا الحديث عنه في هذه المحاضرة: هو التنبيه- وبشكلٍ مختصر- إلى ما بعد شهر رمضان المبارك:**

في شهر رمضان المبارك، عادةً ما يكون الإنسان قد استفاد من أجواء شهر رمضان المبارك، من صيامه، وقيامه، والأعمال المباركة فيه، وآثاره التربوية، المباركة، المهمة، ذات الأثر الإيجابي والمفيد في نفسية الإنسان ومشاعره، وفي اهتماماته وتوجهاته، في التربية على تقوى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

المحصلة المهمة، والثمرة الأساسية، المقصودة من فريضة الصيام في شهر رمضان: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، هذه المحصلة، وهذا الأثر الإيجابي، وهذه النتيجة المهمة، وهذه الثمرة الطيبة، ينبغي أن يحافظ الإنسان عليها، ما بعد شهر رمضان المبارك، وأن يبني على أساسها؛ **للارتقاء** بشكل مستمر، إيمانيًا، وأخلاقيًا، وكذلك في الواقع العملي بشكلٍ عام، هذه مسألة مهمة جدًّا.

الاهتمام بالصلاة وإحياء المساجد

- **من أهم ما يساعد الإنسان على ذلك: هو الاستمرار في الاهتمام بالصلاة:**

الإنسان في شهر رمضان يهتم بالصلاة بشكل منتظِم، وبشكل أفضل من بقية الشهور، لكن البعض منذ أن ينتهي شهر رمضان، يقصِّرون في الاهتمام بصلاتهم، **إمَّا** أن يفرطوا في بعض الفروض، **مثل:** فريضة صلاة الفجر، التي يؤخرها البعض؛ **بسبب** السهر ليلًا، والنوم المتأخر، ثم عدم القيام لصلاة الفجر، والبقاء في حالة النوم إلى منتصف النهار، أو إلى وقتٍ متأخر، **فالإنسان يدرك أن الصلاة فريضة مهمة جدًّا، وأن الصلوات الخمس هي ركنٌ عظيمٌ من أركان الإسلام، ذات أهمية كبيرة جدًّا:**

- **في** عطائه التربوي.
- **وفي** أثره الإيماني.
- **وفي** تزكيته للنفس.
- **وفي** العلاقة مع الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، قال عن الصلاة: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[العنكبوت: ٤٥]، لها أثرها التربوي المهم، **في** تزكية النفس، **في** إصلاح الإنسان، **في** الارتقاء بعلاقته بالله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، **في** التذكر لله والذكر لله، كما قال الله: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[طه: ١٤]، فالإنسان يعيش حالة التذكر لله، ويخرج من حالة الغفلة عن الله، والنسيان لله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، التي لها آثار خطيرة جدًّا على الإنسان، **فالاهتمام المستمر بالصلاة مسألة مهمة جدًّا.**

- **وإحيـاء المسـاجـد:**

البعض بدون عذر يهجر المساجد، ولا يحضر للصلاة فيها، وهذا خطأ كبير جدًّا.

إحياء المساجد له أهميته الكبيرة جدًّا:

- **على المستوى** التربوي، والأخلاقي، وتزكية النفس، والقربة إلى الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

- **وعلى مستوى** تعزيز وترسيخ الأخوّة الإيمانية بين أبناء المجتمع، وهم يلتقون على خير ما يلتقون عليه: **على** ذكر الله، **على** التوجه إلى الله، **على** العبادة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا له أهمية كبيرة جدًّا.
- **حتى في** الجو الإيماني والتربوي، للمساجد في ذلك أثر كبير، تأثير كبير، ولها أهمية كبيرة جدًّا.

فليحرص الإنسان أيضًا على الحضور في المساجد، لا ينبغي أن يتخلف الإنسان بدون عذر.

الاهتمام بتلاوة القرآن الكريم

- **من الأشياء المهمة التي ينبغي العناية بها، والاستمرار عليها: الاهتمام بتلاوة القرآن الكريم:**

عادةً ما يُقبِل الناس في شهر رمضان على تلاوة القرآن الكريم بشكلٍ أكبر، وهذه نعمة، وتوفيق، وشيءٌ مهم، ما بعد شهر رمضان، البعض يهمل في هذا الجانب إهمالًا كبيرًا جدًّا، فيبقى فترات طويلة بدون تلاوة للقرآن الكريم، **إلَّا** ما يقرأه في صلاته، أو يسمعه في صلاته، وهو شيء محدود، لكن في غير ذلك يهمل، لا يُقبل على القرآن الكريم، ينقطع عن تلاوته، **وهذه مسألة خطيرة جدًّا، تترك آثارها السيئة:**

- **على** نفسية الإنسان.
- **على** تفكيره.
- **على** فهمه.
- **على** اهتماماته.

على أشياء كثيرة لدى الإنسان.

القرآن الكريم هو من الذِكر، الذي يذكرنا بالله، ويشدُّنا إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يذكرنا بمسؤولياتنا، هو كتاب الهداية والنور، **إذا ساءت علاقتنا بالقرآن، إذا هجرنا القرآن، إذا ابتعدنا عنه:**

- **نتضرر في كل شيء: في مدى** علاقتنا بالله، **تذكرنا** لله، **تذكرنا** للآخرة، **تذكرنا** لمسؤولياتنا المهمة.

- **ونخسر الكثير الكثير، مما نحن بحاجةٍ إليه: من الوعي، من** النور، **من** الفهم الصحيح.

- **ونصبح ضحيةً لتأثيرات الآخرين، وإضلال الآخرين، وإغواء الآخرين،** الشيطان وأولياء الشيطان والعياذ بالله، كما قال الله: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[الزخرف: ٣٦].

ينبغي أن يستمر الإنسان- ما بعد شهر رمضان- على الاهتمام بالقرآن الكريم، وبشكلٍ يومي، أن يكون له تلاوة منتظمة مع القرآن الكريم يوميًا، يتلو القرآن يوميًا، ويستمر على ذلك بشكل يومي، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾[فاطر: ٢٩]، **هي تجارة مع الله،** الإنسان مستفيد، مع الاستفادة على المستوى النفسي، وعلى مستوى الوعي، وعلى مستوى الهداية، وعلى مستوى الأجر العظيم، لذلك أهمية كبيرة في القربة إلى الله، وما يحوطك الله به من رعاية وتوفيق، وهذه مسألة مهمة.

الحذر من خطوات الشيطان

- **ما بعد شهر رمضان، من المهم الحذر من خطوات الشيطان:**

يحافظ الإنسان على ما اكتسبه، من تعزيز حاله التقوى، وترسيخ حالة التقوى، والاستقامة، والاستجابة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في أوامره ونواهيه.

الذي يؤثر على الإنسان: هو خطوات الشيطان، الذي يستزلُّه خطوةً فخطوة، حتى يوقع به والعياذ بالله، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[النور: ٢١].

فليحذر الإنسان من خطوات الشيطان في كل المجالات، وفي كل الجهات، كل اهتماماتك في الحياة، كل مجالات حياتك، احذر من خطوات الشيطان فيها، هذا يساعدك على الحفاظ على حالة التقوى، والالتزام، والاستقامة، وفق توجيهات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

والحذر أيضًا من زلات اللسان، والاهتمام باستشعار المسؤولية تجاه ما تقول وما تتكلم، كذلك في مواقع التواصل الاجتماعي، ووسائل الإعلام، هذه مسألة مهمة جدًّا.

الاهتمام بالمسؤوليات الجماعية

- **مما يرتبط بالتقوى بشكلٍ أساسي: هو اهتمامنا بمسؤولياتنا الجماعية:**

- **مسؤولية الجهاد في سبيل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، التي هي من أهم المسؤوليات المقدسة، التي نهتم من خلالها بقضايا أمتنا، بقضايانا العادلة، بالتصدي لأعداء الله**، الذين يسعون إلى إذلالنا، والسيطرة علينا، والاستعباد لنا، بالتصدي للطغاة الظالمين المجرمين، الذين يظلمون أمتنا، ويظلمون شعبنا، هذه مسألة مهمة جدًّا.

- **والاهتمام بالجبهات.**

- **الاهتمام بالتعاون على البر والتقوى؛ باعتباره** من المسؤوليات الجماعية المهمة جدًّا، والمثمرة، والمفيدة، التي تبني الأمة، تبني الشعوب، تغيّر واقع الناس، ويمكن من خلالها فعل الكثير.

- **والاهتمام بفعل الخير، ومن ذلك:**

○ **الاهتمام بالمبادرات الاجتماعية، والأعمال الخيرية.**

○ **وكذلك الاهتمامات الاجتماعية الخيرية المهمة**، التي تساعد على التقوى، **مثل:** تيسير الزواج، والتعاون في أمر الزواج.

هذا من الأشياء المهمة جدًّا، ونأمل- إن شاء الله- أن يكون هناك اهتمام كبير، فيما يتعلق بالمبادرات الاجتماعية، والأعمال الخيرية، والأعمال التنموية، من خلال التعاون، الذي ثمرته كبيرة، ونتائجه مهمة، **وكما قلنا:** يمكن من خلاله فعل الأشياء الكثيرة، الله يقول: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[المائدة: ٢].

- **أيضًا الاهتمام بالأنشطة التعليمية والتثقيفية:**

وفي مقدمتها الدورات الصيفية، التي هي قريبة، وسنتحدث عنها- إن شاء الله- من وقته وحينه، إذا أدركنا ذلك، وهي مفيدة جدًّا؛ **للعناية** بالجيل الناشئ.

الاهتمام بالأنشطة التعليمية والتثقيفية لابدَّ منه، من أساسيات وعوامل النهضة، والوعي، وتغيير الواقع نحو الأفضل، وبناء الإنسان، ليكون على مستوى ما ينبغي أن يكون عليه: **في** إيمانه، **في** تقواه، **في** أدائه لمسؤولياته في هذه الحياة، **في** استقامته في هذه الحياة.

هذه الاهتمامات ينبغي أن تكون قائمة ما بعد شهر رمضان المبارك، وأن تكون الثمرة والنتيجة، التي هي التقوى، ثمرة ذات أهمية، نحافظ عليها، نسعى للبناء على أساسها، **مع الاهتمام الدائم بالالتجاء إلى الله، والدعاء، هذه مسألة مهمة.**

نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يُوَفِّقَنَا وَإِيَّاكُمْ لِمَا يُرْضِيهِ عَنَّا، وَأَنْ يَرْحَمَ شُهَدَاءَنَا الأَبْرَار، وَأَنْ يَشْفِيَ جَرْحَانَا، وَأَنْ يُفَرِّجَ عَنْ أَسْرَانَا، وَأَنْ يَنْصُرَنَا بِنَصْرِه، إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاء.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُه؛؛؛

تم بحمد الله